

عيون الأخبياء

تأليف
أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري
المتوفى سنة ٢٧٦هـ

الجزء الأول

كتاب السلطان - كتاب الحرب - كتاب السؤدد

شرحه وضبطه وعلق عليه وقدم له ورتب فهارسه
الدكتور يوسف علي طويل
أستاذ الأدب الأندلسي في الجامعة اللبنانية

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤ - ٨٠٠٨٤٢
ص: ٩٤٢٤/١١ تلکس: 41245 Le Nasher

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

هذا كتاب «عيون الأخبار» أقدمه للقارئ الكريم بحلة جديدة بعد أن تجشمتُ عناء مراجعته غير مرة. ألفه ابن قُتيبة ليكون تذكرة لأهل العلم وتبصرة لمُغفل التأدُّب ومستراحاً للملوك من كدِّ الجِدِّ والتعب وذلك حين تبيَّن شُمُولُ النقص وشُغْلُ الخليفة العباسي عن إقامة سوق الأدب. يقول في مقدمة هذا الكتاب: «وإني تكلفتُ لمغفل التأدُّب من الكتاب كتاباً في المعرفة وفي تقويم اللسان واليد حين تبيَّنَتْ شُمُولُ النقص ودروسُ العلم وشُغْلُ السلطان عن إقامة سُوقِ الأدب حتى عَفَا وَدَرَسَ...» وفي مقدمة كتابه «أدب الكاتب» أوضح أيضاً حال الأدب المتردِّية في عصره فقال: «فإني رأيت أكثر أهل زماننا هذا عن سبيل الأدب ناكبين^(١)، ومن أسمه مُتَطَيِّرِينَ^(٢)، ولأهله كارهين: أما الناشئ^(٣) منهم فراغِبُ عن التعليم، والشادي^(٤) تاركٌ للزدياد، والمتأدِّبُ في عنفوان الشباب ناسٌ أو متناسٍ... وصار العلم عاراً على صاحبه، والفضلُ نقصاً، وأموالُ الملوك وَقَفاً على شهواتِ النفوس...» ونحن نقول: كيف يجرؤ

(١) ناكبين: ج ناكب وهو العادل عن الشيء.

(٢) متطيرين: متشائمين.

(٣) الناشئ: الحَدِّثُ الشاب.

(٤) الشادي: الذي شدا من العلم شيئاً، أي أخذ منه طرفاً وتعلَّمه.

أبن قتيبة على هذا القول وبغداد آنذاك مقر الثقافة الإسلامية المزدهرة ومركز مرموق للحياة الأدبية والعقلية معاً؟

وإذا لم تنحصر موضوعات «عيون الأخبار»^(١) في القرآن والسنة وشرائع الدين وعلم الحلال والحرام فإنها - كما يقول أبن قتيبة - مرشدة لكريم الأخلاق، زاجرة عن الدناءة، ناهية عن القبيح، باعثة على صواب التدبير؛ لأن علم الدين والحلال والحرام تقليد لا يجوز أن نأخذه إلا عمّن نراه حجة. كذلك لم يكن كتابه هذا وفقاً على طالب الدنيا دون طالب الآخرة، ولا على خواص الناس دون عوامهم، ولا على ملوكهم دون سؤقتهم، بل وفي كل فريق منهم قسّمه. ولكي يروّج عن القاريء من كدّ الجِدِّ، ضمّن هذا الكتاب نواذر طريفة وكلمات مضحكة تدخل في باب المزاح والفكاهة. يقول: «مثل هذا الكتاب مثل المائدة تختلف فيها مذاقات الطعوم لأختلاف شهوات الأكلين».

وكان أبن قتيبة يتلقط أخباره عن جلسائه وإخوانه وعمّن فوقه في السن والمعرفة، كما وقف على كتاب التاج، وكتاب الآيين، وكتاب إبرويز، وآداب أبن المقفع، وكتب الهند ولكن دون أن يذكر اسماً لكتاب هندي اعتمد عليه. يقول مثلاً: «قرأت في كتاب للهند إنّ فلاناً...» كما اعتمد على أقوال علي ابن أبي طالب، رضي الله عنه، وعلى أقوال بُزْرجَمهر، وإسحاق بن راهوية، وأبي حاتم السجستاني، وأحمد بن الخليل، وعبد الرحمن بن عبد المنعم، وأبي سهل، وعبد الملك بن مروان، وميمون بن ميمون، والمدائني، وأبي عباد الكاتب، وأبن الأعرابي، ومحمد بن عبيد، ومحمد بن داود، وعلي بن محمد، وأبن سيرين وغيرهم. وقد لجأ إلى الإتيان بأخبار وأشعار اتضعت عن

(١) ذكره أبو الطيّب اللغوي الحلبي، والنديم، والخطيب البغدادي، وابن الأنباري، والقفطي، وابن خلّكان، والسمعاني، وابن العماد الحنبلي، وحاجي خليفة، وبروكلمان، كما ذكر في دائرة المعارف الإسلامية وفي أماكن أخرى.

قَدَّر كتابه لسبيين؛ أحدهما الحاجة إلى ذلك، والآخر أَنَّ الحَسَنَ إذا وُصِلَ بِمِثْلِهِ نقص نُوراهما.

صَنَّفَ كتابه أبواباً مُقَرَّناً الباب بشكله، والخبر بمثله، والكلمة بأختها ليسهل على المتعلم علمها وعلى الدارس حفظها. وهذا الكتاب جِلْيَةُ الأدب، وِنِتَاجُ أَفكار الحكماء، ولِقَاحُ عقول العلماء، وَسِيرُ الملوك وآثار السَّلَف. قَسَمَ المؤلف فيه الأخبار والأشعار وجمعها في عشرة كتب؛ كل كتاب بمثابة باب. فالكتاب الأول هو كتاب السلطان، وفيه أخبار السلطان وسيرته وسياسته، إلى جانب اختياره القضاة والحجَّاب والكتَّاب، وفيه يكثُر من النقل عن الفرس والهند مما يشير إلى تأثير الأدب العربي بأدب هؤلاء، ولكنه في موضوع القضاء لم ينقل إلَّا عن أحكام العرب والمسلمين. والكتاب الثاني هو كتاب الحرب، وفيه الأخبار عن آداب الحرب ومكايدها، ووصايا الجيوش وعُدِّدها وسلاحها. وفي الكتاب الثالث يسهب المؤلف في الحديث عن مخايل السُّود وأسبابه ويتحدث عن الذلِّ والمروءة والغنى والفقر والبيع والشراء. والكتاب الرابع هو كتاب الطبائع والأخلاق المذمومة، وفيه الأخبار عن تشابه الناس في الطبائع، إلى جانب طبائع الجن والسَّباع والطيور والحشرات. والكتاب الخامس هو كتاب الهلم والبيان، وفيه الأخبار عن العلماء، والبيان والبلاغة والخطب والمقامات ووصف الشعر، إلَّا أن المؤلف لم يعرض للشعر بالتفصيل؛ لأنَّه أفرد للشعراء كتاباً هو «الشعر والشعراء»، وهو إذا ذكر نتبة في هذا الكتاب، فإنما كراهية منه أن يُخلِّيه من فن من الفنون. والكتاب السادس كتاب الزُّهْد، وفيه أخبار الزُّهَّاد، ومناجاتهم ومواعظهم وذكر الدنيا والموت، ينقل فيه الكثير عن اليهود والنصارى. ثم يليه كتاب الإخوان، ويبحث فيه على حسن اختيار الإخوان. وبعده كتاب الحوائج، ويتضمن الأخبار عن استنجاح الحوائج بالكتمان والصبر والهدية والرشوة ولطيف الكلام. ثم الكتاب التاسع، وهو كتاب الطعام، وفيه الأخبار عن الأطعمة الطيبة، والحلواء، وما يأكله فقراء

الأعراب، وما يُصْلِحُ الأبدانَ من الغذاء والحِمْيَةِ وشرب الدواء، ومضارَّ الأطعمة ومنافعها، إلى جانب نُتْفٍ من طب العرب والعجم. وهو هنا ينقل عن كتاب الحيوان للجاحظ وكتب أرسطو، ولكنه يعرض المعلومات عَرَضَ مُدْرِكٍ لأمور الطب عارفٍ بها. وأخيراً كتاب النساء، وفيه الأخبار عن اختلاف النساء في أخلاقهنَّ وخَلْقهنَّ وما يُختارُ منهنَّ للنكاح وما يُكرَهُ، خلا أخبار عُشَّاق العرب. وهكذا اختار ابن قتيبة خير ما رُوي فرتبه وبوّه وجمع ما تشابه منه تحت عنوان واحد لكل كتاب من كتبه العشرة، فظهر أديباً حسن الذوق في الاختيار يمتاز عن غيره من الأدباء في هذا الميدان، بحيث أوصل عملية الاختيار إلى مرحلة الكمال والترتيب.

ولقد ضَمَّنَ ابن قتيبة كتابه أبياتاً من الشعر مُشاكِلةً لأخباره. ويتضح من منهجه الذي رسمه في مقدمة كتابه أنه صاحب مِنهاج حديث يعتمد على الكثير من أدبائنا في الوقت الحاضر، ولا يؤخذ عليه سوى استطراده أو تكراره لأخبار نحن بغنى عنها.

وهذا الكتاب صدىً لشخصية صاحبه، فهو أديب رفيع الذوق في انتخاب الأخبار، مثقف ثقافة واسعة، كثير الميل إلى الأدب والتاريخ. كما يعدُّ كتابه مرجعاً ذا فائدة كبيرة في عالم الأخبار والأدب، والمؤلف فيه صاحب ملكة مرهفة للتعبير النثري الدقيق، مما جعله فريداً بين كتب القديم وأحد مصادر النقل الرئيسية، تأثر به ابن عبد ربه في كتابه «العقد الفريد» كثيراً سواء في الترتيب والتبويب أو فيما جاء به من موضوعات.

ورغم أنه طبع غير مرة في غير بلد فإنني رأيت أن أعنى به لما فيه من تصحيف وتحريف ونقص وزيادة، فراجعته وقابلت كثيراً من نصوصه بما يوافقها في مصادر أخرى ككتاب البيان والتبيين للجاحظ، والعقد الفريد لابن عبد ربه، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، والكامل في اللغة والأدب للمبرّد، والكامل في التاريخ لابن الأثير وغيرها من المصادر والمراجع. ونظرت فيه

بدقة متناهية، وقمت بضبط ألفاظه، وأوضحت ما غمض فيه من مشكلات مكملًا ما نقص من عباراته ومتحرّياً أصحّ ما قيل في نسبة الشعر والنثر إلى أصحابه، فَجَسَّمتُ الأمر معتمداً في ذلك النَّصَبَ على الراحة، فكان أن ترجمتُ لأكثر من ثلاثماية شخصية أدبية وعلمية وفُسرَّتْ أكثر من تسعين آية قرآنية وردت جميعها في الجزئين الأول والثاني مع تحديد العديد من المواضع والأماكن؛ لأن الجزئين الثالث والرابع قام بشرحهما وضبطهما زميلي الدكتور مفيد قمحية. وبذلك خرج هذا الكتاب في ثوب قشيب لم يَعتَدِ القراء على مثله من الطبعات السابقة التي تكاد تخلو من الحواشي والتوضيحات، راجياً أن يشبع رغبات أهل العلم وملتماً العذر منهم إن هُم عثروا فيه على خطأ؛ ذلك العُصمة ليست إلّا لرب العالمين.

وَأَرْتَأَيْتُ أن أُنَمِّ عملي هذا بتقديم نبذة عن سيرة المؤلّف موجزة، فأقول: هو الكاتب أبو^(١) محمد عبد الله بن المسلم بن قُتَيْبَةَ الدِّينَوْرِيّ (بكسر الدال وسكون الياء وفتح النون والواو معاً وكسر الراء وتشديد الياء) سُمِّيَ بذلك لأنه ولي قضاء الدينور مدة فنسب إليها^(٢). والدينور بلدة من بلاد الجبل عند قَرَمِيسِينَ خرج منها خلق كبير^(٣). وقال عنه السمعاني: إنه من أهل الدينور، أقام بها مدة فنسب إليها^(٤). وقيل: المَرَوَزِيّ (بفتح الميم والواو وسكون الراء ثم الزاي المكسورة والياء المشدودة) نسبة إلى مَرَو الشَّاهْجَان (بسكون الهاء) ومَرَو الشَّاهْجَان مدينة عظمتي تبعد أربعين فرسخاً عن مدينة مَرَو رُوْد، وهي إحدى كراسي خُرَاسان، وكراسي خراسان أربع مدن؛ مرو

(١) سماه حاجي خليفة أبا بكر. أنظر كشف الظنون (ج ١٠ ص ٣٢).

(٢) أنظر كتاب الفهرست ص ٨٥، وتاريخ بغداد (ج ١٠ ص ١٧٠) ووفيات الأعيان (ج ٣ ص ٤٢) ونزهة الألباء ص ٢٠٩، والكامل في التاريخ (ج ٧ ص ٤٣٨) وبغية الوعاة ص ٢٩١. وقال القفطي في إنباه الرواة (ج ٢ ص ١٤٣): «وأقام بالدينور مدة فنسب إليها».

(٣) راجع وفيات الأعيان (ج ٣ ص ٤٤).

(٤) الأنساب (ج ١٠ ص ٦٣ - ٦٤).

الشاهجان، ونيسابور، وهرة، وبلخ. قيل لها: مرو الشاهجان لتتميز عن مرو الروذ. والشاهجان لفظ عجمي معناه «العظيم» و«روح الملك»؛ فالشاه: الملك، والجان: الروح. ومرو هذه بناها الإسكندر ذو القرنين، وكانت سرير الملك بخراسان، وزادوا في النسبة إليها حرف الزاي فيقال: مَرَوَزِي كما قالوا في النسبة إلى الري: رازي، وإلى إصطخر: إصطخرزي. ومَرَوُ رُوذ (يفتح الميم وسكون الراء وفتح الواو وتشديد الراء المضمومة وتسكين الواو) أشهر مدن خراسان، وهي مدينة مبنية على نهر، والنهر يقال له بالعجمية «الروذ» بضم الراء وسكون الواو، والنسبة إليها مَرَوُ رُوذِي ومَرَوُزِي^(١).

وأبو محمد من أصل فارسي، إذ ولد أبوه مسلم بمرو، لذا يقال له المروزي^(٢). وذكر الخطيب البغدادي والسمعاني أن ولادة أبي محمد كانت ببغداد سنة ٢١٣هـ. وقال ابن خلكان: ولد ابن قتيبة ببغداد، وقيل بالكوفة^(٣). وقال النديم وابن الأنباري: ولد في الكوفة في مستهل رجب سنة ٢١٣هـ، ولذلك يقال له الكوفي. ولم يشر ابن الأثير إلى مكان ولادته بل اكتفى بالقول: «وهو كوفي»^(٤). وقال ابن خلكان والسمعاني والسيوطي إنه نزل بغداد فتربى فيها وسكنها وعلى أهل العلم فيها تثقف حتى قام فيها بمهمة التعليم مدة^(٥). وقال القفطي: ولد ببغداد ونشأ بها وتأدب^(٦). وقال بروكلمان: ولي ابن قتيبة قضاء الدينور ثم أنتقل إلى بغداد فظل يزاوّل التدريس والتعليم

(١) راجع وفيات الأعيان (ج ١ ص ٢٧ و ٦٩).

(٢) راجع المصدر السابق (ج ٣ ص ٤٢) وتاريخ بغداد (ج ١٠ ص ١٧٠) والأنساب (ج ١٠ ص ٦٤) وشذرات الذهب (ج ٢ ص ١٦٩).

(٣) تاريخ بغداد (ج ١٠ ص ١٧٠) والأنساب (ج ١٠ ص ٦٤).

(٤) وفيات الأعيان (ج ٣ ص ٤٢).

(٥) الفهرست ص ٨٥، ونزهة الألباء ص ٢٠٩.

(٦) الكامل في التاريخ (ج ٧ ص ٤٣٨).

(٧) وفيات الأعيان (ج ٣ ص ٤٢) والأنساب (ج ١٠ ص ٦٤) وبغية الوعاة ص ٢٩١.

(٨) إنباه الرواة (ج ٢ ص ١٤٣).

بها إلى أن توفي سنة ٢٧٦ هـ. وقُتِبَتْه (بضم القاف وفتح التاء وسكون الياء وفتح الباء وبعدها هاء ساكنة) هي تصغير قُتْبَة، بكسر القاف، وهي واحدة الاقتاب أي الأمعاء، وبها سُمِّيَ جدُّه، والنسبة إليه قُتَيْبِي (بضم القاف وفتح التاء وكسر الباء وتشديد الياء) ولذلك لُقِّبَ الذهبي بالقُتَيْبِي^(١). وقال السمعاني: القُتَيْبِي والقُتَيْبِي نسبة إلى جدِّه قُتَيْبَةُ المشهور بهذه النسبة، أو إلى بطن من باهلة وهم رهط قُتَيْبَة بن معن بن باهلة ابن هلال^(٢). وليس صحيحاً ما ذكره الزركلي من أنَّ أبَن الأنباري سماه عبد الله بن مسلمة وأنَّ اسمه وقع في دائرة المعارف الإسلامية محمد بن مسلم^(٣).

وكان أبَن قُتَيْبَة في نظر الخطيب البغدادي وآبَن خَلْكَان والقفطي والسيوطي وآبَن العماد الحنبلي ثقةً ديناً فاضلاً^(٤). وقول الدارقطني إنه كان يميل إلى التشبيه قول مردودٌ في نظر السيوطي؛ لأن له مؤلفاً في الردِّ على المُشَبَّه^(٥). وأضاف السيوطي قائلاً: قال البيهقي: كان أبَن قُتَيْبَة كَرَامِيّاً^(٦).

(١) تاريخ الأدب العربي (ج ٢ ص ٢٢٢).

(٢) انظر وفيات الأعيان (ج ٣ ص ٤٣ - ٤٤) وبغية الوعاة ص ٢٩١.

(٣) الأنساب (ج ١٠ ص ٦٣ - ٦٤).

(٤) انظر الأعلام (ج ٤ حاشية ص ١٣٧) ونزهة الألباء ص ٢٠٩، ودائرة المعارف الإسلامية (ج ٣ ص ٨٦٨).

(٥) انظر تاريخ بغداد (ج ١٠ ص ١٧٠) ووفيات الأعيان (ج ٣ ص ٤٢) وإنباه الرواة (ج ٢ ص ١٤٤) وبغية الوعاة ص ٢٩١، وشذرات الذهب (ج ٢ ص ١٦٩).

(٦) بغية الوعاة ص ٢٩١. والمُشَبَّه فرقة من كبار الفرق الإسلامية شَبَّهوا الله بالمخلوقات ومثَّلوه بالحادث. وقال الشهرستاني: إن جماعة من الشيعة الغالية، وجماعة من أصحاب الحديث الحشوية صرَّحوا بالتشبيه فقالوا: إن معبودهم على صورة ذات أعضاء، وقد أجاز مُشَبَّه الحشوية على ربِّهم الملامسة والمصافحة، وذهبوا أن المسلمين المخلصين يعانقونه في الدنيا والآخرة. وأضاف قائلاً: ومن المُشَبَّه من مال إلى مذهب الحلولية وقال: يجوز أن يظهر الباري تعالى بصورة شخص كما كان جبريل، عليه السلام، ينزل في صورة أعرابي. والغلاة من الشيعة مذهبهم الحلول، والحلول قد يكون بجزء وقد يكون بكل. راجع الملل والنحل (ج ١ ص ١٠٥ - ١٠٨).

(٧) نسبة إلى أبي عبد الله محمد بن كَرَام، الذي كان ممن يثبت الصفات متنهاً فيها إلى التجسيم:

وقال الحاكم: إجمعت الأمة على أنه كذاب، وقال الحافظ الذهبي: ما علمتُ أحداً اتَّهم القتيبي في نقله مع أن الخطيب قد وثَّقه، وما أعلم الأمة أجمعت إلا على كذب الدجال ومسيلمة^(١). وقال ابن العماد: قال الذهبي في المغني: عبد الله بن قتيبة رجل صدوق، وقال الحاكم: أجمعت الأمة على أن القتيبي كذاب، قلت هذا بغبي وتخرص، بل قال الخطيب هو ثقة^(٢).

ولقد عاصر ابن قتيبة الجاحظ، إلا أنه كان على خلاف معه؛ فالجاحظ معترلي من المتكلمين، وهو من أهل السنة كما يقول ابن تيمية^(٣). سكن بغداد ودرس فيها علم الحديث دراسة واسعة على يد أساتيد كبار، كان أولهم أبو يعقوب إسحاق بن أبي الحسن إبراهيم بن مخلد بن تميم بن مرة الحنظلي المروزي المعروف بابن راهوية. جمع هذا بين الحديث والفقه والورع وكان أحد أئمة الإسلام. عدّه البيهقي في أصحاب الشافعي، وقال أحمد بن حنبل: إسحاق عندنا إمام من أئمة المسلمين. وقال إسحاق عن نفسه: أحفظ سبعين ألف حديث وأذاكر بمئة ألف حديث، وما سمعتُ شيئاً قط إلا حفظته. له مسند مشهور. وكانت ولادته سنة ١٦١ هـ، وقيل: سنة ١٦٣ هـ، وقيل: سنة ١٦٦ هـ. رحل إلى الحجاز والعراق واليمن والشام، وسمع من سفيان بن عيينة ومن في طبقته، وسمع منه البخاري ومسلم والترمذي. سكن في آخر

= والتشبيه. والكرامية - يذكر الشهرستاني - طوائف يبلغ عددهم اثنتي عشرة فرقة، وأصولها ستة؛ العادية، والتونية، والزريئية، والإسحاقية، والواحدية، وأقربهم الهيصمية. وأضاف الشهرستاني قائلاً: نصّ أبو عبد الله أن معبوده على العرش استقر وأطلق عليه أسم الجواهر. وزعموا أن في ذات الله سبحانه حوادث كثيرة مثل الإخبار عن الأمور الماضية وما أجمعوا عليه من إثبات الصفات قولهم: البارئ تعالى عالم بعلم، قادر بقدره، حي بحياة، وجميع هذه الصفات قديمة أزلية قائمة بذاته. أنظر الملل والنحل (ج ١ ص ١٠٨ - ١١٢).

(١) بغية الوعاة ص ٢٩١.

(٢) شذرات الذهب (ج ٢ ص ١٧٠).

(٣) انظر الإسلام (ج ١ ص ٤٠٢).

عمره نيسابور وتوفي بها سنة ٢٣٨ هـ، وقيل: سنة ٢٣٧ هـ، وقيل سنة ٢٣٠ هـ. وراهوئية (بفتح الراء وبعد الألف هاء ساكنة ثم واو مفتوحة وبعدها ياء وهاء ساكنتان) لقَّبُ أبيه أبي الحسن إبراهيم، لُقِّبَ به لأنه ولد في طريق مكة، والطريق بالفارسية «راه» و«ويه» بمعنى «وُجِدَ» فكانه وُجِدَ في الطريق^(١).

وشيوخ آبن قتيبة الثاني هو أبو حاتم السَّجِسْتَانِي الذي ذكره أبو الطيب اللغوي الحلبي والخطيب البغدادي وآبن الأنباري فقالوا: أخذ آبن قتيبة عن أبي حاتم السجستاني وغيره^(٢). ولكن آبن خلكان والسيوطي أفردا له ترجمة كاملة فقالا: أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد الجُشَمِي السَّجِسْتَانِي نَحْوِيٍّ لغوي مقرئ، نزيل البصرة وعالمها، إذ لم يكن جوُّ بغداد يحلوه ليقم به طويلاً. كان إماماً في علوم القرآن والآداب، عالماً باللغة والشعر وعلم العروض، وعنه أخذ المبرد فكان يحضر حلقة ويلزم القراءة عليه وهو غلام. له شعر جيد، ولكنه لم يكن حاذقاً بالنحو فكان إذا اجتمع بالمازني في دار عيسى بن جعفر الهاشمي تشاغل وبادر بالخروج خوف أن يسأله بمسألة في النحو. ونشير هنا إلى أنه قرأ كتاب سيبويه على الأخفش مرتين، وروى عن أبي عبيدة والأصمعي وغيرهما. وكان يختم القرآن في كل أسبوع. من مصنفاته: «إعراب القرآن» و«ما يلحن فيه العامة» و«الطير» و«المذكر والمؤنث» و«النبات» و«المقصود والممدود» و«القراءات» و«الإدغام» و«الحشرات» و«الوحوش» و«السيوف والرماح». وكانت وفاته في سنة ٢٤٨ هـ، وقيل سنة ٢٥٠ هـ، وقيل سنة ٢٥٤ هـ، وقيل سنة ٢٥٥ هـ، بالبصرة. والجُشَمِي (بضم الجيم وفتح الشين وبعدها ميم مكسورة وياء مشددة) نسبة إلى عدّة قبائل، لكل منها جُشَم. والسَّجِسْتَانِي (بكسر السين والجيم وسكون

(١) انظر ترجمة آبن راهوئية في تاريخ بغداد (ج ٦ ص ٣٤٥ - ٣٥٥) و(ج ١٠ ص ١٧٠)

ووفيات الأعيان (ج ١ ص ١٩٩ - ٢٠٠) و(ج ٣ ص ٤٢) وبغية الوعاة ص ٢٩١.

(٢) راجع مراتب النحويين ص ٨٤، وتاريخ بغداد (ج ١٠ ص ١٧٠) ونزهة الألباء ص ٢٠٩.

السین الثانية وفتح التاء) نسبة إلى سَجِسْتَان الإقليم المشهور. وقيل: نسبة إلى سَجِسْتَان أو سَجِسْتَانَة إحدى قرى البصرة^(١).

والثالث الذي حَدَّث عنه أبْن قتيبة ببغداد هو أبو إسحاق إبراهيم بن سفيان بن سليمان بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن زياد بن أبيه الزياتي. وقد ترجم له السيوطي - نقلاً عن ياقوت - فقال: كان الزياتي نَحْوياً لغوياً راوية، قرأ على سيويه كتابه ولم يَتَمَّه، وروى عن أبي عبيدة والأصمعي، وكان شاعراً ذا دعابة. توفي سنة ٢٤٩ هـ. ومن مصنفاته «الأمثال» و«تنميق الأخبار»^(٢). وترجم له أبْن خَلْكَان وذكر أحد تلاميذه ببغداد وهو أبو بكر يموت بن المزرع العبدی البصري، وقال: قدم أبْن المزرع بغداد في سنة ٣٠١ هـ وهو شيخ كبير، فحدَّث بها عن الزياتي، وأبي حاتم السجستاني، وأبي الفضل الرياشي، وعبد الرحمن أبْن أخي الأصمعي^(٣). وقد ذكر القفطي هؤلاء الأساتيد الثلاثة دون أن يترجم لهم فقال: «روى (ابن قتيبة) عن العلماء أمثال إسحاق بن راهوية، ومحمد بن زياد الزياتي، وأبي حاتم السجستاني»^(٤). كما ذكرهم الخطيب البغدادي والسمعاني وقالوا: محمد أبْن زياد الزياتي بدلاً من إبراهيم بن سفيان الزياتي. وأضافا إليهم أبا الخطاب زياد بن يحيى الحساني^(٥).

والرجل الرابع الذي حَدَّث عنه أبْن قتيبة هو أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي اللغوي النحوي الذي ذكره أبو الطيب اللغوي وقال: أخذ أبْن قتيبة عن الرياشي وغيره^(٦). وقد ترجم له السيوطي فقال: قرأ الرياشي النحو على

(١) انظر ترجمة السجستاني في وفيات الأعيان (ج ٢ ص ٤٠٥ و ٤٣٠ - ٤٣٣) و (ج ٣ ص ٤٢) وبقية الوعاة ص ٢٦٥.

(٢) انظر بقية الوعاة ص ١٨١، ومعجم الأدباء.

(٣) وفيات الأعيان (ج ٣ ص ٤٢) و (ج ٧ ص ٥٣ - ٥٤).

(٤) إنباه الرواة (ج ٢ ص ١٤٤).

(٥) تاريخ بغداد (ج ١٠ ص ١٧٠) والأنساب (ج ١٠ ص ٦٣).

(٦) مراتب النحويين ص ٨٥.

المازني، وقرأ عليه المازني اللغة. وأضاف: قال السيرافي: كان الرياشي عالماً باللغة والشعر كثير الرواية عن الأصمعي، وأخذ عن المبرد، وله مصنفات كثيرة منها كتاب الخيل وكتاب الإبل. قتله الزنج بالبصرة بالأسياف وهو يصلي وذلك سنة ٢٥٧ هـ. كذلك حدث ابن قتيبة عن رجال آخرين نذكر منهم عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي^(١)، وحرملة بن يحيى التجيبي المتوفى سنة ٢٤٣ هـ، وأبا الخطاب زياد بن يحيى الحساني البصري المتوفى سنة ٢٥٤ هـ. ولم يذكر ابن العماد من مشايخه سوى ابن راهويه فقال: «سكن (ابن قتيبة) بغداد وحدث بها عن ابن راهويه وطبقته»^(٢).

ولما اشتغل ابن قتيبة بالتدريس في بغداد تخرج عليه تلاميذ كثير نذكر منهم ابنه أبا جعفر أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة. ولد أبو جعفر هذا ببغداد وكان فقيهاً قاضياً روى عن أبيه كتبه المصنفة كلها. تولى القضاء بمصر، وكان قدمها في ١٨ من جمادى الآخرة سنة ٣٢١ هـ، وتوفي بها في شهر ربيع الأول سنة ٣٢٢ هـ وهو على القضاء^(٣). وترجم له ياقوت في معجم الأدباء فقال: كان أحمد كاتباً، حدث بكتب أبيه كلها بمصر حفظاً ولم يكن معه كتاب، وحدث عنه أبو الفتح المراغي النحوي، وعبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي وغيرهما. وقال السيوطي: حدث عن عبد الله بن قتيبة ابنه القاضي أحمد^(٤). وقال السمعاني: إن ابنه أبا أحمد عبد الواحد بن أحمد بن عبد الله ابن مسلم بن قتيبة، المولود ببغداد سنة ٢٧٠ هـ، روى بمصر عن أبيه عن جدّه كتبه المصنفة. وأضاف: كان حفيد ابن قتيبة ثقة^(٥).

(١) بغية الوعاة ص ٢٧٥ - ٢٧٦.

(٢) انظر مراتب النحويين ص ٨٥.

(٣) شذرات الذهب (ج ٢ ص ١٦٩).

(٤) راجع تاريخ بغداد (ج ١٠ ص ١٧٠) ووفيات الأعيان (ج ٣ ص ٤٢ - ٤٣) وشذرات الذهب

(ج ٢ ص ١٧٠).

(٥) بغية الوعاة ص ٢٩١. (٦) الأنساب (ج ١٠ ص ٦٤).

كذلك روى عن ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن جعفر بن دُرُسْتُوَيْهِ بن المَرْزُبَانِ الفارسي الفسوي . وقد ترجم له ابن خَلَّكَان فقال : ابن درستويه نَحْوِيٌّ وعالمٌ فاضلٌ أخذ فن الأدب عن ابن قتيبة والمبرّد وغيرهما ببغداد ، وأخذ عنه جماعة من الأفاضل كالدارقطني وغيره ، وأضاف قائلاً : ولد ابن درستويه سنة ٢٥٨ هـ وتوفي سنة ٣٤٧ هـ ببغداد ، وكان أبوه من كبار المحدثين وأعيانهم . ودُرُسْتُوَيْهِ (بضم الدال والراء وسكون السين وضم التاء وفتح الواو وسكون الياء) هكذا قاله السمعاني ، وقال ابن ماكولا في كتاب «الإكمال» : هو بفتح الدال والراء والواو . وتصانيفه في غاية الجودة والإتقان ، منها «تفسير كتاب الجُرْمِي» و«الإرشاد» في النحو ، و«التهجاء» و«شرح الفصيح» و«المقصود والممدود» و«غريب الحديث» و«معاني الشعر» و«الحي والميت» و«الأعداد» و«أخبار النحويين»^(١) . كذلك ترجم له السيوطي فقال : كان ابن درستويه أحد من أشتهر وعلا قدره وكثر علمه ، صحب المبرّد ولقي ابن قتيبه ، وكان جيد التصنيف ، وأخذ عن الدارقطني وغيره^(٢) . وهنا يناقض قول ابن خَلَّكَان السابق الذكر : «وأخذ عنه جماعة من الأفاضل كالدارقطني وغيره»^(٣) . وأضاف السيوطي قائلاً : كان ابن درستويه شديد الإنتصار للبصريين في النحو واللغة^(٤) . كذلك ذكره الخطيب البغدادي وابن الأنباري فقالا : «وأخذ عنه (عن ابن قتيبة) أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه وغيره»^(٥) . وقال القفطي : روى عن ابن قتيبة العلماء كولداه أحمد ، وأبي محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه الفارسي^(٦) .

(١) انظر وفيات الأعيان (ج ٣ ص ٤٤ - ٤٥) .

(٢) بغية الوعاة ص ٢٧٩ .

(٣) وفيات الأعيان (ج ٣ ص ٤٤) .

(٤) بغية الوعاة ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

(٥) تاريخ بغداد (ج ١٠ ص ١٧٠) ونزهة الألباء ص ٢٠٩ .

(٦) إنباه الرواة (ج ٢ ص ١٤٤) .

وممن رَوَوْا عن آبن قتيبة نذكر أيضاً أبا سعيد الهيثم بن كُليب بن شُرَيْج
 آبن معقل الشاشي البُنْكَثِي، وقد ترجم له ياقوت فقال: أصله من تَرْمِذ (وقيل
 بكسر التاء والميم جميعاً، وقيل بضمهما) سكن بَنَكْث (بكسر الباء وسكون
 النون وفتح الكاف) فنسب إليها. وبَنَكْث قصبة إقليم الشاش. وكان إماماً أديباً
 حافظاً رَحَلاً قرأ الأدب على أبي محمد عبد الله بن مسلم ببغداد، وروى عن
 عيسى بن أحمد العسقلاني، وأبي عيسى الترمذي وغيرهما من أهل خراسان
 والعراق. روى عنه أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد الخزاعي. مات أبو
 سعيد بالشاش سنة ٣٣٥ هـ. وأضاف ياقوت قائلاً: وله مسند في مجلدين ضخمين
 سمعناه بمرو على أبي المظفر عبد الرحيم بن أبي سعد الحافظ^(١). والشاش - كما يذكر
 آبن خلّكان - مدينة وراء نهر سِيحُون^(٢).

ومن تلاميذ صاحب «عيون الأخبار» نذكر كذلك أبا محمد قاسم بن
 أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء البيّاني، مولى الوليد بن عبد
 الملك بن مروان. وقد ترجم له الحميدي فقال: إنه إمام من أئمة الحديث
 وحافظ مكثّر مصنّف، كان من الثقة والجلالة بحيث اشتهر أمره. أصله من
 بيّانة، وسكن قرطبة عاصمة بني أمية بالأندلس، وبها مات سنة ٣٤٠ هـ عن
 سنّ عالية. سمع محمد بن وضّاح، ومحمد بن عبد السلام الغشني
 وجماعة، ثم رحل إلى بغداد فسمع أبا إسماعيل محمد بن إسماعيل
 الترمذي، وأبا محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة. من مصنفاته «أحكام
 القرآن» و«فضائل قریش» و«في الناسخ والمنسوخ»^(٣). كذلك ترجم له
 السيوطي - نقلاً عن آبن الفرضي - فقال: كان آبن أصبغ بصيراً بالحديث
 والرجال، نبيلاً في النحو والشعر، سمع ببغداد من ثعلب والمبرد وآبن قتيبة^(٤).

(١) انظر معجم البلدان في أسم «بنكث» ص ٥٠٠.

(٢) وفیات الأعيان (ج ٤ ص ٢٠١).

(٣) جذوة المقتبس ص ٣٣٠ - ٣٣١.

(٤) بغية الوعاة ص ٣٧٥.

كذلك روى عن ابن قتيبة عبيد الله بن عبد الرحمن السكري، وإبراهيم بن محمد بن أيوب الصائغ، وعبيد الله بن أحمد بن بكير التميمي^(١). ولم يذكر ابن العماد سوى اثنين من تلاميذ ابن قتيبة هما أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة وابن درهنتويه^(٢).

ولقد اتسعت معارف ابن قتيبة بحيث بدا لنا حاملاً صولجان المعرفة والعلم، مرتدياً ثوب الجدل والحوار، مُصنِّفاً من الفئة الأولى بين كبار العلماء والأدباء والكتاب. تصانيفه متعدّدة النواحي تتناول معارف عصره وتُعدُّ من أمهات المكتبة العربية والإسلامية. وكان هدفه من أكثر مصنفاته - كما يقول بروكلمان - أن يقدم إلى طبقة الكتاب وأصحاب الدواوين ما يسدُّ حاجتها من الأدب والتاريخ، ولكنه تناول في اثنين من كتبه مسائل الخلاف التي كانت سائدة في عصره، فراح يدافع بقوة عن القرآن والحديث تجاه مطاعن الفلاسفة وأهل الشك من علماء الكلام^(٣). ولقد أقرأ جميع مؤلفاته ببغداد إلى حين وفاته، وإليكها:

١ - معاني الشعر الكبير: يدور هذا الكتاب، كما هو واضح من عنوانه، حول موضوعات الشعر، وهو مطبوع في حيدر آباد، دائرة المعارف العثمانية، سنة ١٩٤٩ (٣ أجزاء في مجلدين) تحت اسم «كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني». ولقد ذكره النديم وقال: يحتوي على اثنتي عشر كتاباً، منها كتاب الفرس ويضم ٤٦ باباً، وقد عدّه القفطي^(٤) كتاباً مستقلاً بذاته. كتاب الإبل ويضم ١٦ باباً. كتاب الحرب، عشرة أبواب. كتاب القدور، عشرون باباً. كتاب الديار، عشرة أبواب. كتاب الرياح، أحد وثلاثون

(١) انظر تاريخ بغداد (ج ١٠ ص ١٧٠) والأنساب (ج ١٠ ص ٦٣ - ٦٤).

(٢) شذرات الذهب (ج ٢ ص ١٦٩).

(٣) تاريخ الأدب العربي (ج ٢ ص ٢٢٢).

(٤) إنباه الرواة (ج ٢ ص ١٤٥).

باباً. كتاب السَّبَاع والوحوش، سبعة عشر باباً. كتاب الهَوَام، أربعة وعشرون باباً. كتاب الأيمان والدواهي، سبعة أبواب. كتاب النساء والغزل، باب واحد. كتاب الشَّيْب والكبر، ثمانية أبواب. كتاب تصحيح العلماء، باب واحد^(١). هذا وذكر القفطي وبروكلمان هذا الكتاب بأسم «معاني الشعر» وذكره الزركلي بأسم «المعاني» وقال: إنه مطبوع ويقع في ثلاثة مجلدات^(٢). ولقد ذكر حاجي خليفة كتاباً لثعلب والأخفش وابن عبدوس الكوفي وابن درستويه تحمل اسم «معاني الشعر» دون أن يذكر اسم ابن قتيبة أو كتابه^(٣).

٢ - عيون الشعر: ذكره ابن النديم وقال: يحتوي على عشرة كتب هي؛ كتاب المراتب، كتاب القلائد، كتاب المحاسن، كتاب المشاهد، كتاب الشواهد، كتاب الجواهر، كتاب المراكب، كتاب المناقب، كتاب المعاني، وكتاب المدائح^(٤).

٣ - الشعر والشعراء: ألّفه ابن قتيبة - كما يذكر في مقدمته - في الشعراء، وأخبر فيه عن الشعراء وأزمانهم وأحوالهم وقبائلهم وأسماء آبائهم، وعن أقسام الشعر وطبقاته، وكان أكثر قصده للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جُلُّ أهل الأدب. وله طبعات عديدة، منها طبعة دار الثقافة ببغروت، سنة ١٩٦٩، ويقع في جزئين. وورد في الفهرست ودائرة المعارف الإسلامية بهذا الاسم^(٥). وذكره أبو الطيب اللغوي بأسم «الشعراء»^(٦) كما ذكره ابن

(١) الفهرست ص ٨٥.

(٢) إنباه الرواة (ج ٢ ص ١٤٥) وتاريخ الأدب العربي (ج ٢ ص ٢٢٥) والأعلام (ج ٤ ص ١٣٧).

(٣) كشف الظنون (ج ٢ ص ١٧٢٩).

(٤) الفهرست ص ٨٥.

(٥) نفس المصدر السابق ص ٨٦، ودائرة المعارف الإسلامية (ج ٣ ص ٨٦٩).

(٦) مراتب النحويين ص ٨٥.

خلّكان والقفطي والسيوطي وأبن العماد الحنبلي بآسم «طبقات الشعراء»^(١). ثم عاد ابن خلّكان وذكره بآسم «أخبار الشعراء»^(٢).

٤ - المراتب والمناقب عن عيون الشعر: ذكره النديم والسيوطي دون تعليق^(٣). وقد يكون جزء من كتاب «عيون الشعر» الذي يحتوي على عشرة كتب، من بينها كتابا «المراتب» و«المناقب».

٥ - أدب الكاتب: ذكره ابن خلّكان وقال: كان العلماء يقولون: كتاب أدب الكاتب خطبة بلا كتاب لأنه طوّل الخطبة وأودعها فوائده. وأضاف قائلاً: يحوي أدب الكاتب من كل شيء وهو مُفَنّن، وإن كانت الخطبة فيه طويلة لا يعني - كما يقول أكثر أهل العلم - أنه خطبة بلا كتاب^(٤). ثم علّق عليه في مكان آخر فقال: صنّفه ابن قتيبة للوزير أبي الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان، وزير المعتمد بن المتوكل الخليفة العباسي^(٥). ولقد صرح ابن قتيبة بذلك في مقدمة كتابه فقال: «فالحمد لله الذي أعاد الوزير أبا الحسن - أيده الله - من هذه الرذيلة، وأبانه بالفضيلة...»^(٦) وذكره ابن خلدون فقال: «وسمّعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن (الأدب) وأركانه أربعة دواوين وهي: أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرّد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي. وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها»^(٧). وذكر ابن خلّكان أن أبا محمد عبد الله بن

(١) وفيات الأعيان (ج ٣ ص ٤٢) وإنباه الرواة (ج ٢ ص ١٤٥) وبغية الوعاة ص ٢٩١،

وشذرات الذهب (ج ٢ ص ١٦٩).

(٢) وفيات الأعيان (ج ٣ ص ١٥٨).

(٣) الفهرست ص ٨٦، وبغية الوعاة ص ٢٩١.

(٤) وفيات الأعيان (ج ٦ ص ٤٠٠).

(٥) المصدر السابق (ج ٣ ص ٤٣).

(٦) أدب الكاتب ص ٥ من المقدمة.

(٧) كتاب العبر (ج ٢ ص ١٠٧٠).

محمد المعروف بابن السيّد البطليوسي الأندلسي المتوفى سنة ٥٢١ هـ شرح هذا الكتاب شرحاً مستوفىً، ونَبّه على مواضع الغلط منه، وفيه دلالة على كثرة اطلاع الرجل، وسمّاه «الإقتضاب في شرح أدب الكتاب»^(١). وكتاب «الإقتضاب» هذا حققه مصطفى السّقا وحامد عبد المجيد، القاهرة، سنة ١٩٨٠. وذكره حاجي خليفة وقال: قيل إن كتاب «أدب الكاتب» خطبة بلا كتاب لطول خطبته مع أنه قد حوى من كل شيء. وله شروح أفضلها شرح أبي محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن السيّد البطليوسي، وهو شرح مفيد جداً ذكر منه أن غرضه تفسير الخطبة والتنبيه على غلطه، وشرح أبياته، وقد قسّم على ثلاثة أجزاء؛ الأول في شرح الخطبة، والثاني في التنبيه على الغلط، والثالث في شرح أبياته، وسمّاه «الإقتضاب في شرح أدب الكتاب». ومنها شرح أبي منصور موهوب بن أحمد الجواليقي المتوفى سنة ٥٣٩ هـ، وسليمان بن محمد الزهراوي، وأبي علي حسن بن محمد البطليوسي المتوفى سنة ٥٧٦ هـ، وأحمد بن داود الجذامي المتوفى سنة ٥٩٨ هـ، وإسحاق بن إبراهيم الفارابي المتوفى سنة ٣٥٠ هـ. وشرح بعضهم خطبته خاصة كأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي المتوفى سنة ٣٣٩ هـ، ومبارك بن مفاخر النحوي المتوفى سنة ٥٠٠ هـ، وبعضهم شرح أبياته كأحمد بن محمد الخارزنجي المتوفى سنة ٣٤٨ هـ^(٢). وذكره بروكلمان وقلل: صنّفه ابن قتيبة قبل كتاب «عيون الأخبار»، وقام بشرحه أبو القاسم عبد الرحمن الزجاجي المتوفى سنة ٣٣٧ هـ، والجواليقي، وابن السيّد البطليوسي^(٣). كما ذكره القفطي، وابن الأثير، والنديم، وابن الأنباري، والسمعاني، وابن العماد الحنبلي دون تعليق^(٤). وورد اسمه في دائرة المعارف الإسلامية مع إشارة إلى

(١) وفيات الأعيان (ج ٣ ص ٤٣).

(٢) انظر كشف الظنون (ج ١ ص ٤٧ - ٤٨).

(٣) تاريخ الأدب العربي (ج ٢ ص ٢٢٧).

(٤) إنباه الرواة (ج ٢ ص ١٤٥) والكامل في التاريخ (ج ٧ ص ٤٣٨) والفهرست ص ٨٥،

أنه محقق سنة ١٩٠٠^(١). وذكره الخطيب البغدادي بأسم «أدب الكتاب»^(٢) وهذا الكتاب مطبوع في ليدن بريل سنة ١٩٠٠، وهناك تحقيق آخر لمحمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، سنة ١٩٦٣، وطبعة أخرى حققها محمد الدالي، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٩٨٢.

٦ - ديوان الكتاب: ذكره النديم والسيوطي وحاجي خليفة دون تعليق^(٣).

٧ - إعراب القرآن: ذكره النديم والقفطي والسيوطي وابن العماد دون تعليق^(٤). وورد في دائرة المعارف الإسلامية هذه العبارة: هذا الكتاب بالنسبة إلينا من الكتب الميَّنة^(٥). وذكره ابن خلكان بأسم «إعراب القراءات»^(٦). وقد يكون ذلك تحريفاً من الناسخ، وكيفما اختلفت التسمية فإنهما كتاب واحد، وإن كتاب «القراءات» الذي سيرد أسمه بعد قليل هو غير «إعراب القراءات». وفي فصل «علم إعراب القرآن» ذكر حاجي خليفة عدداً كبيراً من العلماء الذين صنفوا في إعراب القرآن، دون أن يذكر أسم ابن قتيبة. من هؤلاء أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني المتوفى سنة ٢٤٨ هـ، وأبو العباس محمد ابن يزيد المعروف بالمبرّد النحوي المتوفى سنة ٢٨٦ هـ، وأبو زكريا يحيى ابن علي الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢ هـ، وأبو عبد الله حسين بن أحمد المعروف بابن خالويه وغيرهم. وأضاف قائلاً: علم إعراب القرآن من فروع علم التفسير، ولكنه في الحقيقة هو من علم النحو^(٧).

ونزهة الالباء ص ٢١٠، والأنساب (ج ١٠ ص ٦٣) وشذرات الذهب (ج ٢ ص ١٦٩).

(١) دائرة المعارف الإسلامية (ج ٣ ص ٨٦٩).

(٢) تاريخ بغداد (ج ١٠ ص ١٧٠).

(٣) الفهرست ص ٨٦، وبغية الوعاة ص ٢٩١، وكشف الظنون (ج ١ ص ٨٠٧).

(٤) الفهرست ص ٨٦، وإنباه الرواة (ج ٢ ص ١٤٦) وبغية الوعاة ص ٢٩١، وشذرات الذهب (ج ٢ ص ١٦٩).

(٥) دائرة المعارف الإسلامية (ج ٣ ص ٨٦٩).

(٦) وفيات الأعيان (ج ٣ ص ٤٢).

(٧) كشف الظنون (ج ٢ ص ١٢١ - ١٢٣).

- ٨ - معاني القرآن: ذكره السيوطي دون أي تعليق يذكر^(١).
- ٩ - مُشْكِلُ القرآن: يبحث في قوة بيان العرب، وإعجاز القرآن ووجوهه واللحن والمتشابه منه، وقد ذكره الخطيب البغدادي، والقفطي، وابن الأنباري، والسمعاني، وابن خلكان، وابن العماد نقلاً عن ابن خلكان، والسيوطي، وبروكلمان^(٢). وذكره النديم بأسم «المشكل»^(٣) وقد يعني بذلك «مشكل القرآن» أو «مشكل الحديث». وورد في دائرة المعارف الإسلامية باسم «تأويل مشكل القرآن»^(٤). وبهذا الاسم الأخير شرحه ونشره السيد أحمد صقر، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٤. وطبع مرة ثانية في القاهرة، دار التراث، سنة ١٩٧٣. وقد جمع بينه وبين «غريب القرآن» العلامة ابن مطرف الكناني في كتاب أسماه «كتاب القرطين»، وطبع هذا الكتاب بالقاهرة.
- ١٠ - غريب القرآن: هو تمة لكتاب «مشكل القرآن» وقد ذكره الخطيب البغدادي، والقفطي، وابن الأنباري، وابن خلكان، والسيوطي، وابن العماد، والبغدادي دون تعليق^(٥). وورد في الأعلام ودائرة المعارف الإسلامية بأسم «تفسير غريب القرآن»^(٦)، وهو مطبوع بهذا الاسم الأخير بتحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٨.
- ١١ - الردُّ على القائل بخلق القرآن: ذكره السيوطي دون تعليق^(٧).

(١) بغية الوعاة ص ٢٩١.

(٢) تاريخ بغداد (ج ١٠ ص ١٧٠) ووفيات الأعيان (ج ٢ ص ١٤٤) ونزهة الألباء ص ٢١٠، والأنساب (ج ١٠ ص ٦٣) ووفيات الأعيان (ج ٣ ص ٤٢) وبغية الوعاة ص ٢٩١، وشذرات الذهب (ج ٢ ص ١٦٩) وتاريخ الأدب العربي (ج ٢ ص ٢٢٨).

(٣) الفهرست ص ٨٦.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية (ج ٣ ص ٨٦٩).

(٥) تاريخ بغداد (ج ١٠ ص ١٧٠) وإنباه الرواة (ج ٢ ص ١٤٤) ونزهة الألباء ص ٢٠٩، ووفيات الأعيان (ج ٣ ص ٤٢) وبغية الوعاة ص ٢٩١، وشذرات الذهب (ج ٢ ص ١٦٩) وإيضاح المكنون في الدليل على كشف الظنون (ج ٢ ص ١٤٦).

(٦) الأعلام (ج ٤ ص ١٣٧) ودائرة المعارف الإسلامية (ج ٣ ص ٨٦٩).

(٧) بغية الوعاة ص ٢٩١.

١٢ - القراءات: ذكره النديم دون تعليق^(١). وورد في دائرة المعارف الإسلامية هذه العبارة: هذا الكتاب، بالنسبة إلينا، من الكتب الميّتة^(٢).

١٣ - آداب القراءة: ذكره حاجي خليفة^(٣).

١٤ - غريب الحديث: يعالج هذا الكتاب مسائل الحديث منذ الرسول ﷺ حتى معاوية، وقد ذكره النديم وقال: أحسن فيه المؤلف^(٤). وذكره الخطيب البغدادي، والقفطي، وابن الأنباري، والسمعاني، وابن خلكان، والسيوطي، وابن العماد نقلاً عن ابن خلكان، دون تعليق يذكر^(٥). وذكره حاجي خليفة في فصلٍ عنوانه «علم غريب الحديث والقرآن» فقال: جمع أبو عبيد القاسم بن سلام المتهوّن سنة ٢٢٤ هـ كتاباً في غريب الحديث أفنى فيه عمره حتى لقد قيل فيما يُروى عنه أنه جمعه في أربعين سنة، وبقي كتابه في أيدي الناس يرجعون إليه في غريب الحديث إلى عصر ابن قتيبة، فصنف هذا كتاب «غريب الحديث» المشهور، «حذا فيه حذو أبي عبيد فجاء كتابه مثل كتابه أو أكبر منه، وقال في مقدمته: أرجو أن لا يكون بقي بعد هذين الكتابين من غريب الحديث ما يكون لأحد فيه مقال ولا غريب القرآن أيضاً^(٦)». وذكره الزركلي وقال: طبع منه جزآن فقط في الهند، ومنه أجزاء مخطوطة في الخزانة الظاهرية بدمشق^(٧).

(١) الفهرست ص ٨٦.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية (ج ٣ ص ٨٦٩).

(٣) كشف الظنون (ج ٢ ص ٤٣).

(٤) الفهرست ص ٨٥.

(٥) تاريخ بغداد (ج ١٠ ص ١٧٠) وإنباه الرواة (ج ٢ ص ١٤٤) ونزهة الألباء ص ٢١٠،

والأنساب (ج ١٠ ص ٦٣) ووفيات الأعيان (ج ٣ ص ٤٢) وبغية الوعاة ص ٢٩١، وشذرات

الذهب (ج ٢ ص ١٦٩).

(٦) كشف الظنون (ج ٤ ص ١٣٧).

(٧) الأعلام (ج ٤ ص ١٣٧).

١٥ - مختلف الحديث: يذكر فيه المؤلفُ المُشَبَّهَ وينسبهم إلى الافتراء على الله تعالى في أحاديث التشبيه، كما يتَّهم فيه الجاحظُ بأنه يذكر حجج النصارى على المسلمين بأقوى مما يذكر الردُّ عليهم. ولقد ذكر هذا الكتاب كلُّ من النديم، والسمعاني، والسيوطي، ولكن دون تعليق^(١). وذكره ابن خلكان وحاجي خليفة بأسم «إختلاف الحديث»^(٢). وذكره الزركلي وبروكلمان بأسم «تأويل مختلف الحديث» وقال هذا الأخير: يحاول فيه ابن قتيبة إبطال جميع اعتراضات الفلاسفة على الحديث من وجهة نظر أهل السنة^(٣). كذلك ورد في دائرة المعارف الإسلامية بهذا الإسم الأخير وجاء فيها أنه من أشهر كتب ابن قتيبة في الفقه^(٤). كما طبع هذا الكتاب بهذا الإسم في مطبعة كردستان العلمية سنة ١٣٢٦ هـ بتحقيق فرج الله زكي الكردي، ومحمود شكري الألوسي، ومحمود شبندار زاد. وهناك طبعة القاهرة بتصحيح محمد زهري النجار، سنة ١٩٦٦.

١٦ - إختلاف تأويل الحديث: ذكره النديم والسيوطي دون تعليق^(٥). ويرجَّح أن يكون هذا الكتاب نفس كتاب «مختلف الحديث» السابق الذكر.

١٧ - مشكل الحديث: ذكره الخطيب البغدادي، والقفطي، وابن الأنباري، والسمعاني، وابن خلكان، وابن العماد^(٦). وذكره النديم بأسم «المشكل»^(٧) وقد يعني به «مشكل الحديث» أو «مشكل القرآن».

-
- (١) الفهرست ص ٨٦، والأنساب (ج ١٠ ص ٦٣) وبغية الوعاة ص ٢٩١.
 (٢) وفيات الأعيان (ج ٣ ص ٢٤٠) وكشف الظنون (ج ١ ص ٣٢).
 (٣) الأعلام (ج ٤ ص ١٣٧) وتاريخ الأدب العربي (ج ٢ ص ٢٢٧).
 (٤) دائرة المعارف الإسلامية (ج ٣ ص ٨٦٩).
 (٥) الفهرست ص ٨٦، وبغية الوعاة ص ٢٩١.
 (٦) تاريخ بغداد (ج ١٠ ص ١٧٠) وإنباه الرواة (ج ٢ ص ١٤٤) ونزهة الألباء ص ٢١٠، والأنساب (ج ١٠ ص ٦٣) وفيات الأعيان (ج ٣ ص ٤٢) وشذرات الذهب (ج ٢ ص ١٦٩).
 (٧) الفهرست ص ٨٦.

١٨ - المشتبه من الحديث والقرآن: ذكره الزركلي وقال: إنه ما يزال مخطوطاً^(١). وذكره بروكلمان باسم «المتشابه من الحديث والقرآن»^(٢).

١٩ - إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث: يكشف هذا الكتاب، كما يتضح من عنوانه، أخطاء أبي عبيد القاسم بن سلام، التي وردت في كتابه «غريب الحديث». ولقد ذكره النديم^(٣). وسماه حاجي خليفة «إصلاح غلط أبي عبيدة» وقال: شرحه أبو المظفر محمد بن آدم الهروي المتوفى سنة ٤١٤ هـ. وذكره القفطي، وأبن خلكان، وأبن العماد نقلاً عن أبن خلكان، باسم «إصلاح الغلط»^(٤). وذكره السيوطي باسم «إصلاح غلط أبي عبيد»^(٥). وورد في دائرة المعارف الإسلامية باسم «إصلاح الغلط في غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام» (آيا صوفيا، ٤٥٧، ظاهرة، ٧٨٩٩)^(٦).

٢٠ - المسائل والجوابات: ذكره النديم، وأبن خلكان، والقفطي دون تعليق^(٧). وذكره بروكلمان بهذا الاسم أيضاً وقال: أكثره مستمد من الحديث^(٨). وذكره السيوطي والزركلي ودائرة المعارف الإسلامية باسم «المسائل والأجوبة»^(٩). ولقد طبع هذا الكتاب باسم «المسائل والأجوبة في

(١) الأعلام (ج ٤ ص ١٣٧).

(٢) تاريخ الأدب العربي (ج ٢ ص ٢٢٨).

(٣) الفهرست ص ٨٦.

(٤) كشف الظنون (ج ١ ص ١٠٨).

(٥) إنباه الرواة (ج ٢ ص ١٤٥) ووفيات الأعيان (ج ٣ ص ٤٢) وشذرات الذهب (ج ٢ ص ١٦٩).

(٦) بغية الوعاة ص ٢٩١.

(٧) دائرة المعارف الإسلامية (ج ٣ ص ٨٦٩).

(٨) الفهرست ص ٨٦، ووفيات الأعيان (ج ٣ ص ٤٣) وإنباه الرواة (ج ٢ ص ١٤٦).

(٩) تاريخ الأدب العربي (ج ٢ ص ٢٢٨).

(١٠) بغية الوعاة ص ٢٩١، والأعلام (ج ٤ ص ١٣٧) ودائرة المعارف الإسلامية (ج ٣ ص ٨٦٩).

الحديث واللغة»، القاهرة، مكتبة القدسي، سنة ١٣٤٩ هـ، ويقع في ثمانٍ وعشرين صفحة تدور كلها حول أجوبة ابن قتيبة عن أسئلة كانت وُجِّهَتْ إليه، وتختص الأسئلة والأجوبة بالحديث أكثر مما تختص باللغة.

٢١ - جامع الفقه: ذكره النديم دون تعليق^(١). وذكره القفطي بأسم كتاب «الفقه»^(٢). كذلك ورد بهذا الاسم في دائرة المعارف الإسلامية مع العبارة التالية: هذا الكتاب، بالنسبة إلينا، من الكتب الميِّتة^(٣).

٢٢ - التفقيه: ذكره النديم وقال: «هذا الكتاب رأيت منه ثلاثة أجزاء بنحوستمائة ورقة بخط نرك»^(٤). وكانت تنقص على التقريب جزئين، وسألتُ عن هذا الكتاب جماعة من أهل الجبل فزعموا أنه موجود وهو أكبر من كتاب البندنجي وأحسن^(٥). كذلك بهذا الاسم كل من القفطي وحاجي خليفة^(٦). وذكره ابن خلكان بأسم «التَّفْقِيَّة»^(٧)، وأعتقد أنه خطأ من المحقق وليس من الناسخ.

٢٣ - دلائل الثبوت: ذكره النديم، والسيوطي، وحاجي خليفة دون تعليق^(٨). كما ورد في دائرة المعارف الإسلامية بنفس الاسم مع التعليق التالي: هذا كتاب لأهمية له تذكر، فهو بالنسبة إلينا، من الكتب الميِّتة^(٩).

(١) الفهرست ص ٨٦.

(٢) إنباه الرواة (ج ٢ ص ١٤٦).

(٣) دائرة المعارف الإسلامية (ج ٣ ص ٨٦٩).

(٤) نرك كلمة فارسية بمعنى الناعم.

(٥) الفهرست ص ٨٥.

(٦) إنباه الرواة (ج ٢ ص ١٤٦) وكشف الظنون (ج ١ ص ٧٦٣).

(٧) وفيات الأعيان (ج ٣ ص ٤٢).

(٨) الفهرست ص ٨٦، وبغية الوعاة ص ٢٩١، وكشف الظنون (ج ١ ص ٧٦٠).

(٩) دائرة المعارف الإسلامية (ج ٣ ص ٨٦٩).

وذكره ابن الأنباري بأسم «دلائل النبوة من الكتب المنزلة على الأنبياء عليهم السلام»^(١).

٢٤ - معجزات النبي ﷺ: ذكره أبو الطيب اللغوي الحلبي^(٢).

٢٥ - إدريس النبي: لم يرد اسم هذا الكتاب في أي من المصادر التي تترجم لأبن قتيبة، وهو مخطوط في مكتبة الجامعة الأميركية تحت رقم MS.170 I 21 Sa A.

٢٦ - خلق الإنسان: يبحث في أسماء أعضاء الإنسان وصفاته، وقد ذكره النديم، والسيوطي، وحاجي خليفة دون تعليق^(٣).

٢٧ - الرد على المشبهة: في هذا الكتاب يدفع ابن قتيبة عن نفسه تهمة الزندقة التي رُمي بها، وهو لم يُرمَ بها إلا لأنه تخطى معاصريه إلى مرتبة الأفاضل النابهين ووصل إلى درجة من العلم لم يستطيعوا التوصل إليها. ولقد ذكره بهذا الاسم كل من النديم، والقفطي، والسيوطي^(٤). وتجدر الإشارة هنا أن حاجي خليفة ذكر كتاب «الرد على المشبهة» للقاضي بدر الدين ابن جماعة محمد بن إبراهيم الشافعي المتوفى سنة ٧٣٣ هـ دون أن يذكر اسم ابن قتيبة^(٥). وورد في تاريخ الأدب العربي ودائرة المعارف الإسلامية^(٦) باسم «الإختلاف في اللفظ والرد على الجهمية^(٧) والمُشبهة». طبع هذا الكتاب

(١) نزهة الألباء ص ٢١٠.

(٢) مراتب النحويين ص ٨٥.

(٣) الفهرست ص ٨٦، وبغية الوعاة ص ٢٦١، وكشف الظنون (ج ١ ص ٧٢٢).

(٤) الفهرست ص ٨٦، وإنباه الزوارة (ج ٢ ص ١٤٦)، وبغية الوعاة ص ٢٩١.

(٥) كشف الظنون (ج ١ ص ٨٣٩).

(٦) تاريخ الأدب العربي (ج ٢ ص ٢٢٩) ودائرة المعارف الإسلامية (ج ٣ ص ٨٦٩).

(٧) قال الشهرستاني: الجهمية هم أصحاب جهم بن صفوان، وهو من الجبرية الخالصة، ظهرت -

بالإسم الأخير بتصحيح الشيخ محمد زاهر الكوثري، القاهرة، مكتبة القدس، سنة ١٣٤٩ هـ. ويقع في ست وثمانين صفحة.

٢٨ - جامع النحو: ذكره النديم والسيوطي^(١). وقال حاجي خليفة: وهو كبير وصغير^(٢). وذكره أبو الطيب اللغوي والقفطي بأسم «النحو»^(٣) كما ورد في دائرة المعارف الإسلامية بهذا الإسم الأخير وعُدَّ فيها من الكتب الميتة^(٤).

٢٩ - جامع النحو الصغير: ذكره النديم والسيوطي^(٥). وذكره القفطي باسم «النحو الصغير»^(٦).

٣٠ - التسوية بين العرب والعجم: ذكره النديم والقفطي وبروكلمان^(٧).

٣١ - فضل العرب على العجم: ذكره الزركلي وقال: إنه ما يزال مخطوطاً ويقع في أربعين ورقة^(٨). والمعلوم أن الأستاذ جمال الدين القاسمي نشر بعضاً من هذا الكتاب في مجلة المقتبس، المجلد الرابع ص ٦٥٧ - ٦٦٨ ومن ص ٧٢١ حتى ٧٣٥. كذلك نشر الأستاذ محمد كرد علي قطعة منه في رسائل البلغاء، طبعة ١٣٣١ هـ/١٩١٣ م من ص ٢٦٩ حتى ٢٩٥. وورد

بدعته بترمد، وقتله سلم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية. وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء، منها قوله: لا يجوز أن يوصف الباري بصفة يوصف بها خلقه، وأن الإنسان لا يقدر على شيء وإنما هو مجبور في أفعاله، وأن الجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلها فيهما. أنظر الملل والنحل (ج ١ ص ٧٦ - ٨٧).

(١) الفهرست ص ٨٦، وبغية الوعاة ص ٢٩١.

(٢) كشف الظنون (ج ١ ص ٥٧٥).

(٣) مراتب النحويين ص ٨٥، وإنباه الرواة (ج ٢ ص ١٤٦).

(٤) دائرة المعارف الإسلامية (ج ٣ ص ٨٦٩).

(٥) الفهرست ص ٨٦، وبغية الوعاة ص ٢٩١.

(٦) إنباه الرواة (ج ٢ ص ١٤٦).

(٧) الفهرست ص ٨٦، وإنباه الرواة (ج ٢ ص ١٤٦) وتاريخ الأدب العربي (ج ٢ ص ٢٢٦).

(٨) الأعلام (ج ٤ ص ١٣٧).

هذا الكتاب في دائرة المعارف الإسلامية بأسم كتاب «العرب» وجاء فيها: حققه كرد علي في رسائل البلغاء سنة ١٩٤٦^(١). ونحن نعتقد أن ابن عبد ربه نقل عنه في العقد الفريد، الجزء الثالث في فصلٍ عنوانه: «كتاب اليتيمة في النسب وفضائل العرب».

٣٢ - الردُّ على الشعبيّة: ذكره الزركلي وقال: إنه مطبوع. وذكره بروكلمان وقال: إنه مطبوع في رسائل البلغاء لمحمد كرد علي، القاهرة سنة ١٩١٣هـ/١٩١٣م^(٢).

٣٣ - العرب وعلومها: ذكره الزركلي وقال: إنه مخطوط. وذكره بروكلمان وقال: يوجد قسم منه في القاهرة^(٣).

٣٤ - الألفاظ المُعَرَّبَة بالألقاب المُعَرَّبَة: ذكره الزركلي وقال: إنه مخطوط في القرويين. وجاء في دائرة المعارف الإسلامية ما نصه: هذا الكتاب من الكتب المشكوك بنسبتها إلى ابن قتيبة^(٤).

٣٥ - البلغة في شذور اللغة: هذا الكتاب عبارة عن عشر مقالات لغوية لأئمة كتبة العرب، وقد ظهر معظمها في مجلة المشرق، وألحقت بالفهارس على طريقة حروف المعجم. نشرها أوغست هفner والأب لويس شيخو، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، سنة ١٩٠٨، وتقع في ١٧٦ صفحة.

٣٦ - تقويم اللسان: ذكره حاجي خليفة دون تعليق^(٥).

٣٧ - الإشتقاق: ذكره الزركلي وقال: إنه مخطوط^(٦).

(١) دائرة المعارف الإسلامية (ج ٣ ص ٨٦٩).

(٢) الأعلام (ج ٤ ص ١٣٧) وتاريخ الأدب العربي (ج ٢ ص ٢٢٧).

(٣) نفس المصدرين السابقين والصفحتين.

(٤) الأعلام (ج ٤ ص ١٣٧) ودائرة المعارف الإسلامية (ج ٣ ص ٨٦٩).

(٥) كشف الظنون (ج ١ ص ٤٧٠).

(٦) الأعلام (ج ٤ ص ١٣٧).

٣٨ - تعبير الرؤيا: ذكره أبو الطيب اللغوي، وذكره النديم ضمن الكتب المؤلفة في موضوع تعبير الرؤيا ككتب الكرمانى وأبن سيرين وغيرهما. كما ذكر في دائرة المعارف الإسلامية وجاء فيها: هذا الكتاب، بالنسبة إلينا، من الكتب الميَّنة^(١). وتحت عنوان «علم تعبير الرؤيا» قال حاجي خليفة: هو علم يُتَعَرَّفُ منه المناسبة بين التخيَّلات النفسانية والأمر الغيبية لِيُنْتَقَلَ من الأولى إلى الثانية. وذكر كتاباً مصنَّفة في التعبير دون أن يذكر أسم كتاب أبن قتيبة^(٢).

٣٩ - المعرفة: لم يرد أسم هذا الكتاب في أي من المصادر التي ترجم لابن قتيبة. وهو مخطوط في مكتبة الجامعة الأميركية، مكتوب بخط فارسي واضح، سنة ١٠٢٠ تحت رقم MS. 492. 7 I 135 mA

٤٠ - المعارف: هو كتاب في التاريخ يتناول فيه المؤلف مسألة مبدأ الخلق، وقصة الطوفان، وتاريخ الأنبياء والرسول، وسيرة الرسول الكريم ومغازيه، والعرب الجاهليين، وأنساب العرب، وأخبار الصحابة والتابعين والخلفاء والولاء إلى عصر أبن قتيبة، ورواة الشعر، والفقهاء والمحدثين والقراء وأصحاب الأخبار، والنحو. وفي الختام يذكر نوادر الحوادث ويتحدث عن أسر الملوك في جنوبي الجزيرة وشمالها، وملوك الفرس قبل الإسلام. والمؤلف في هذا الكتاب ينقل عن الكتب السماوية والعهد القديم مما يشير إلى أنه كان على دراية بالكتاب المقدس. ولقد ذكره أبن خلّكان وقال: إن هذا الكتاب يترجم للرواة وأشهر الخطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة^(٣). ولا بد أن نشير هنا إلى أن أبن خلّكان ينقل من هذا الكتاب معلومات لا يستهان بها أوردها في صفحات

(١) مراتب النحويين ص ٨٥، والفهرست ص ٣٧٨، ودائرة المعارف الإسلامية (ج ٣ ص ٨٦٩).

(٢) كشف الظنون (ج ١ ص ٤١٦).

(٣) وفيات الأعيان (ج ١ ص ١٩٥).

عديدة من كتابه «وفيات الأعيان»، كما ينقل من كتب ابن قتيبة الأخرى ولاسيما «الشعر والشعراء» منها. ولقد ذكره أبو الطيب اللغوي، والنديم، والخطيب البغدادي، والقفطي، وابن الأنباري، وابن الأثير، والسمعاني، وابن العماد، والزركلي، ودائرة المعارف الإسلامية^(١). وذكره بروكلمان وقال: يُستقى من مقدمة «عيون الأخبار» أن كتابي «المعارف» و«الأشربة» هما بمثابة تكملة لكتاب «عيون الأخبار»^(٢). وهذا الكتاب مطبوع في غوتنجن، سنة ١٨٥٠، وطبع في مصر بتحقيق ثروت عكاشة، القاهرة، سنة ١٩٦٠. ويوجد طبعة دار المعارف، سنة ١٩٦٩ (ويقع في ٨١٧ صفحة) وطبعة القاهرة سنة ١٣٠٠ هـ (ويقع في ٢٢٧ صفحة).

٤١ - الأشربة: يتضمن هذا الكتاب الحديث عن المشروبات الخمرية بأسلوب أدبي جميل. ولقد ذكره النديم، والقفطي، وابن خلكان، وحاجي خليفة، وابن العماد نقلاً عن ابن خلكان، والزركلي، ودائرة المعارف الإسلامية^(٣). وهو كتاب مطبوع في مطبعة الترقى بدمشق سنة ١٣٦٦ هـ/١٩٤٧ بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي، ويقع في ١٤٧ صفحة. ولقد نقل ابن عبد ربه عنه ما يتعلق بباب الطعام والشراب وضمّنه كتابه «العقد الفريد» في فصل «في فرش الفريدة الثانية» الجزء السادس ص ٢٩٠ - ٣٧٨.

٤٢ - العلم: ذكره النديم وقال: يقع في خمسين ورقة. وذكره القفطي دون تعليق^(٤).

(١) مراتب النحويين ص ٨٥، والفهرست ص ٨٦، وتاريخ بغداد (ج ١٠ ص ١٧٠) وإنباه الرواة (ج ٢ ص ١٤٥) ونزهة الذهب ص ٢١٠، والكامل في التاريخ (ج ٧ ص ٤٣٨) والأنساب (ج ١٠ ص ٦٣) وشذرات الذهب (ج ٢ ص ١٦٩) والأعلام (ج ٤ ص ١٣٧) ودائرة المعارف الإسلامية (ج ٣ ص ٨٦٩).

(٢) تاريخ الأدب العربي (ج ٢ ص ٢٢٣).

(٣) الفهرست ص ٨٦، وإنباه الرواة (ج ٢ ص ١٤٥) ووفيات الأعيان (ج ٣ ص ٤٢) وكشف الظنون (ج ٢ ص ١٣٩١) وشذرات الذهب (ج ٢ ص ١٦٩) والأعلام (ج ٤ ص ١٣٧) ودائرة المعارف الإسلامية (ج ٣ ص ٨٦٩).

(٤) الفهرست ص ٨٦، وإنباه الرواة (ج ٢ ص ١٤٦).

٤٣ - القلم: ذكره السيوطي دون تعليق^(١). وقد يكون هو نفس كتاب «العلم» بحيث حصل تحريف من المحقق أو الناسخ.

٤٤ - الأنوار: يبحث هذا الكتاب في مواسم العرب ويتحدث عن علم النجوم، ومنازل القمر، والفصول، والبروج، والرياح، والبرق، والسحاب. ولقد ذكره النديم، والفقفي، وأبن خلكان، والسيوطي، وحاجي خليفة، وبروكلمان، ودائرة المعارف الإسلامية^(٢). وذكره السمعاني باسم «الأنوار»^(٣) ولعله تحريف من المحقق أو الناسخ. وهو كتاب مطبوع في حيدر آباد، ١٣٧٥ هـ/١٩٥٦، ويقع في ٢٣٥ صفحة.

٤٥ - فرائد الدرر: ذكره النديم دون تعليق^(٤).

٤٦ - حكم الأمثال: ذكره النديم^(٥).

٤٧ - الحكاية والمحكي: ذكره النديم^(٦) أيضاً.

٤٨ - الخيل: ذكره النديم، والفقفي، وأبن خلكان، والسيوطي^(٧). وذكره حاجي خليفة باسم «الحيل»^(٨) بالحاء، ولعله تحريف من الناسخ أو المحقق.

٤٩ - الرحل والمنزل: ذكره الزركلي وقال: إنه مطبوع، وهو عبارة عن

(١) بغية الوعاة ص ٢٩١.

(٢) الفهرست ص ٨٦، وإنباه الرواة (ج ٢ ص ١٤٦) ووفيات الأعيان (ج ٣ ص ٤٣) وبغية الوعاة ص ٢٩١، وكشف الظنون (ج ٢ ص ١٣٩٩) وتاريخ الأدب العربي (ج ٢ ص ٢٢٦) ودائرة المعارف الإسلامية (ج ٣ ص ٨٦٩).

(٣) الأنساب (ج ١٠ ص ٦٣).

(٤) الفهرست ص ٨٦.

(٥) نفس المصدر السابق والصفحة.

(٦) نفس المصدر والصفحة.

(٧) الفهرست ص ٨٦، وإنباه الرواة (ج ٢ ص ١٤٦) ووفيات الأعيان (ج ٣ ص ٤٢) وبغية الوعاة ص ٢٩١.

(٨) كشف الظنون (ج ٢ ص ١٤٦).

رسالة. وذكره بروكلمان وقال: نشره لويس شيخو في مجموعة Dix anciens traités: رقم ٥^(١).

٥٠ - النبات: ذكره الزركلي دون تعليق^(٢).

٥١ - الجراثيم: ذكره بروكلمان وقال: يستوعب أصول العالم والبهائم وأسماء أنواع الأرض والشجر والنبات وغير ذلك^(٣).

٥٢ - اليسر والقِداح: ذكره النديم، وآبن خلكان، والقفطي، وحاجي خليفة، وآبن العماد، والزركلي، ودائرة المعارف الإسلامية^(٤). وهو كتاب مطبوع في ١٧٣ صفحة، نسخه وصحّحه محبّ الدين الخطيب، القاهرة المطبعة السلفية، سنة ١٣٤٣ هـ.

٥٣ - آداب العشرة: ذكره النديم دون تعليق^(٥).

٥٤ - الجوابات الحاضرة: ذكره السيوطي وحاجي خليفة^(٦).

٥٥ - الكلام: ورد في دائرة المعارف الإسلامية ما نصه: كتاب «الكلام» من كتب آبن قتيبة التي نعتبرها مئة^(٧).

٥٦ - تاريخ الخلفاء أو الإمامة والسياسة: يبحث في تاريخ الخلفاء المسلمين منذ الخلفاء الراشدين وحتى استخلاف المأمون من قبل الرشيد، ويتضمن الحديث عن فتح الأندلس وولاتها. ولقد شكّ العلماء في نسبة هذا الكتاب لابن قتيبة، مستندين في ذلك على أن أحداً من العلماء الذين ترجموا

(١) الأعلام (ج ٤ ص ١٣٧) وتاريخ الأدب العربي (ج ٢ ص ٢٢٩).

(٢) الأعلام (ج ٤ ص ١٣٧).

(٣) تاريخ الأدب العربي (ج ٢ ص ٢٢٨).

(٤) الفهرست ص ٨٦، ووفيات الأعيان (ج ٣ ص ٤٣) وإنباه الرواة (ج ٢ ص ١٤٦) وكشف

الظنون (ج ٢ ص ١٤٦٥) وشذرات الذهب (ج ٢ ص ١٦٩) والأعلام (ج ٤ ص ١٣٧)

ودائرة المعارف الإسلامية (ج ٣ ص ٨٦٩).

(٥) الفهرست ص ٨٦.

(٦) بغية الوعاة ص ٢٩١، وكشف الظنون (ج ١ ص ٦٠٩).

(٧) دائرة المعارف الإسلامية (ج ٣ ص ٨٦٩).

له لم يذكره، فقال الزركلي: «وللعلماء نظر في نسبته إليه»^(١)، وقال بروكلمان: ينسب هذا الكتاب لابن قتيبة، إذ يذكر دي خويه أنه صُنّف بمصر أو في بلاد المغرب في أثناء حياة ابن قتيبة، وأن بعض أقسامه مأخوذة عن كتاب في التاريخ ينسب إلى ابن حبيب المتوفى سنة ٢٣٩ هـ. وورد في دائرة المعارف الإسلامية ما نصّه: هذا الكتاب من الكتب المشكوك بنسبتها إلى ابن قتيبة^(٢). وقال دوزي في صدر كتابه «تاريخ الأندلس وآدابه»: أشك في صحة نسبة هذا الكتاب إلى ابن قتيبة لأسباب كثيرة. وقال محقق كتاب «أدب الكاتب» في مقدمته: ينسب إلى ابن قتيبة كتاب «الإمامة والسياسة»، «ولكن الأثبات من ذوي الدراية والبحث يشكّون كثيراً - وحقّ لهم - في أن يكون ابن قتيبة ناسج بُرْدَتِهِ». طبع هذا الكتاب بمصر بتحقيق طه محمد الزيتي، مؤسسة الحلبي، القاهرة ١٩٦٧. وأعاد طبعة مؤسسة الوفاء ببلنات سنة ١٩٨١، وهي طبعة رديئة. والكتاب جزآن في مجلد. ونشر ريبيرا مختارات منه في كتاب «تاريخ أفتتاح الأندلس» لابن القوطية، صفحة ١٠٥ - ١٠٦، مدريد، سنة ١٩٢٦.

٥٧ - وصية لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة إلى ولده: تقع في خمس عشرة صفحة، نشرها إسحق موسى الحسيني ببيروت سنة ١٩٥٤.

٥٨ - أرجوزة الظاء والضاد: ذكرها بروكلمان وقال: نشرها داود چلبي في مجلة لغة العرب، الجزء السابع ص ٤٦١ - ٤٦٣^(٤).

ولقد اختلف الاقدمون في تحديد وفاة ابن قتيبة فقال النديم: توفي سنة ٢٧٠ هـ. وقال الخطيب البغدادي: قرأت على الحسن بن أبي بكر عن

(١) الأعلام (ج ٤ ص ١٣٧).

(٢) تاريخ الأدب العربي (ج ٢ ص ٢٣٠).

(٣) دائرة المعارف الإسلامية (ج ٣ ص ٨٦٩).

(٤) تاريخ الأدب العربي (ج ٢ ص ٢٢٩).

(٥) الفهرست ص ٨٥.

أحمد بن كامل القاضي، قال: مات عبد الله بن مسلم بن قتيبة في ذي القعدة سنة سبعين ومائتين. وأضاف قائلاً: أخبرنا محمد بن عبد الواحد، حدثنا محمد بن العباس قال: قرئ على ابن المنادى - وأنا أسمع - قال: مات ابن قتيبة فجأة؛ صاح صيحة سُمعت من بُعد ثم أُغمي عليه ومات. قال ابن المنادى: أخبرني أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن أيوب بن بشير الصائغ أن ابن قتيبة أكل هريسة فأصاب حرارة ثم صاح صيحة شديدة وأغمي عليه إلى وقت صلاة الظهر فأضطرب ساعة ثم هدا فما زال يتشهد إلى وقت السحر ومات وذلك أول ليلة من رجب سنة ست وسبعين ومائتين^(١). وقال السمعاني: مات ابن قتيبة فجاءه، صاح صيحة سُمعت من بُعد ثم أُغمي عليه ثم هدا فما زال يتشهد إلى وقت السحر ومات وذلك أول ليلة من رجب سنة ٢٧٦ هـ، وقيل: مات في ذي القعدة سنة ٢٧٠ هـ. وهكذا ينقل السمعاني عن الخطيب البغدادي إلا أنه لم يذكر عن الهريسة شيئاً. وذكر السيوطي أن الهريسة كانت سبباً في موت ابن قتيبة، معتمداً في ذلك على ما جاء به الخطيب البغدادي، ومخالفاً إياه في تحديد الوفاة فقال: مات ابن قتيبة سنة ٢٦٧ هـ. وذهب ابن الأنباري والقفطي مذهب الخطيب فرويا كيفية موت ابن قتيبة ولم يرجحاً سنة وفاته فتراوحت عندهما بين ٢٧٠ هـ و٢٧٦ هـ^(٢). وكذلك ذهب ابن الأثير فقال: توفي ابن قتيبة سنة ٢٧٦ هـ، وقيل: سنة ٢٧٠ هـ. أما ابن خلكان فقد تميز بموقفه حين حدد سنة الوفاة فقال: قيل: توفي ابن قتيبة في ذي القعدة سنة ٢٧٠ هـ، وقيل: سنة ٢٧١ هـ، وقيل: أول ليلة في رجب وقيل منتصف رجب سنة ٢٧٦ هـ، والقول الأخير أصح

(١) تاريخ بغداد (ج ١٠ ص ١٧٠ - ١٧١).

(٢) الأنساب (ج ١٠ ص ٦٤).

(٣) بغية الوعاة ص ٢٩١.

(٤) نزهة الألباء ص ٢١٠، وإنباه الرواة (ج ٢ ص ١٤٦).

(٥) الكامل في التاريخ (ج ٧ ص ٤٣٨).

الأقوال. ثم عاد وروى نفس ما رواه الخطيب حول كيفية موته^(١). كذلك ذكر ابن العماد رواية من تقدمه، وقال: توفي ابن قتيبة سنة ٢٧٦ هـ. أما حاجي خليفة فإنه تعثر في تحديد الوفاة فذهب إلى أنها كانت في سنة ٢٧٦ هـ، ثم قال: توفي ابن قتيبة سنة ٢٧٠ هـ. وفي مكان آخر يقول: توفي سنة ٢٦٧ هـ، ثم ذكر سنة ٢٦٦ هـ، وأخيراً حدّد سنة ٢٦٣ هـ^(٢).

ولقد أشاد والمؤرخون بذكر ابن قتيبة وأطنب النقاد والكتاب في الثناء عليه فعُدّوه إمام مدرسة بغداد النحوية، التي خلطت بين مذهبي البصريين والكوفيين. ففي مقالته الثانية من كتابه «الفهرست» تحت عنوان «أسماء وأخبار جماعة من علماء النحويين واللغويين ممن خلطوا المذهبين» قال النديم: كان ابن قتيبة عالماً نحويّاً لغويّاً، صادقاً فيما يرويه، ورغم أنه كان يغلو في البصريين، فقد خلط المذهبين وحكى في كتبه عن الكوفيين. وأضاف قائلاً: كان عالماً في غريب القرآن ومعانيه وفي الشعر والفقه كثير التصنيف والتأليف^(٣). وتجدر الإشارة هنا أن المدرستين المتنافستين في البصرة والكوفة أخذتا منذ القرن الثالث الهجري، تتقاربان وتندمجان إحداهما في الأخرى^(٤). وقال الخطيب البغدادي: ابن قتيبة «هو صاحب التصانيف المشهورة»^(٥). وذهب ابن الأنباري إلى أنه فاضل في اللغة والنحو والشعر متفنن في العلوم^(٦)، وقال القفطي: ابن قتيبة نحوي لغوي عالم وصاحب التصانيف

(١) وفيات الأعيان (ج ٣ ص ٤٣).

(٢) شذرات الذهب (ج ٣ ص ٤٣).

(٣) كشف الظنون (ج ١ ص ٨٠٧ و ٥٧٥ و ٣٢) و (ج ٢ ص ١٢٠٤).

(٤) الفهرست ص ٨٥.

(٥) أنظر تاريخ الأدب العربي (ج ٢ ص ٢٢١).

(٦) تاريخ بغداد (ج ١٠ ص ١٧٠).

(٧) نزهة الألباء ص ٢٠٩.

الحسان في فنون العلم^(١). وقال ابن خلكان وابن العماد: ابن قتيبة لغوي نحوي، وتصانيفه كلها مفيدة^(٢). وهو في نظر السيوطي لغوي نحوي كاتب ورأس في العربية واللغة والأخبار وأيام الناس^(٣). وقال بروكلمان: تجاوزت شهرته دائرة النحو واللغة العربية^(٤). وقال الزركلي: كان ابن قتيبة من أئمة الأدب ومن المصنّفين المكثرين^(٥). أما أبو الطيب اللغوي فقد وقف موقفاً مناقضاً لمواقف هؤلاء فقال نقلاً عن الأشناداني خلط ابن قتيبة عليه بحكايات عن الكوفيين لم يكن أخذها عن ثقات، وكان يتسرع في أشياء لا يقوم بها نحو تعرضه لتأليف كتابه في النحو، وكتابه في «تعبير الرؤيا» وكتابه في «معجزات النبي ﷺ وعلى آله» و«عيون الأخبار» و«المعارف» و«الشعراء» ونحو ذلك مما أزرى به عند العلماء، وإن كان نفق بها عند العامة ومن لا بصيرة له^(٦).

وكان لا بد أن نشير إلى الدراسة القيمة التي قام بها عبد الحميد الجندي بعنوان: «ابن قتيبة: العالم الناقد الأديب» طبعة القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر، سنة ١٩٦٣، وتقع في ٤٣٦ صفحة.

وأخير أقدم جزيل شكري ووافر تقديري للأستاذ محمد علي بيضون مدير دار الكتب العلمية للفتة الكريمة التي بدرت منه وكانت حافزاً لي على تحمل

(١) إنباه الرواة (ج ٢ ص ١٤٣).

(٢) وفيات الأعيان (ج ٣ ص ٤٢) وشذرات الذهب (ج ٢ ص ١٦٩).

(٣) بغية الوعاة ص ٢٩١.

(٤) تاريخ الأدب العربي (ج ٤ ص ١٣٧).

(٥) الأعلام (ج ٤ ص ١٣٧).

(٦) مراتب النحويين ص ٨٥.

مشاقّ هذا العمل . كما أعترف بفضل زميلي الدكتور مفيد قمحية في إخراج هذا الكتاب على هذا النمط .

والله نسأل الهداية إلى سبيل الرشاد

بيروت في ١٢ آب ١٩٨٥

الدكتور يوسف علي طويل

أستاذ الأدب الأندلسي

في الجامعة اللبنانية

مصادر ومراجع المقدمة

- ١ - إنباه الرواة على أنباء النحاة للقفطي (١ - ٣) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٠ - ١٩٥٥.
- ٢ - الأنساب للسمعاني (١ - ١٠) تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره. طبعة ثانية، بيروت ١٩٨٠ - ١٩٨١.
- ٣ - أدب الكاتب لابن قتيبة، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مصر ١٩٦٣.
- ٤ - إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون للبغدادي (جزآن في مجلد واحد) طبعة ١٩٤٥ - ١٩٤٧.
- ٥ - الأعلام للزركلي (١ - ٨) طبعة دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠.
- ٦ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي (جزآن في مجلد واحد) دار المعرفة، بيروت.
- ٧ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١ - ١٤) دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٨ - تاريخ العلامة ابن خلدون (١ - ١٤) دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨١.
- ٩ - تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (١ - ٣) دار المعارف بمصر ١٩٦١.
- ١٠ - جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس للحميدي، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦.
- ١١ - دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الثالث، طبعة جديدة ١٩٧١.

- ١٢ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي (١ - ٨) مكتبة
القدس، القاهرة هـ.
- ١٣ - ضحى الإسلام لأحمد أمين (١ - ٣) دار الكتاب العربي، بيروت،
الطبعة العاشرة.
- ١٤ - كتاب الفهرست لابن النديم، تحقيق رضا - تجدد، طهران ١٩٧١.
- ١٥ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة (١ - ٢)
منشورات مكتبة المثنى، بغداد.
- ١٦ - الكامل في التاريخ لأبن الأثير (١ - ١٣) دار صادر، بيروت ١٩٧٩.
- ١٧ - مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي النحوي، تحقيق محمد أبو
الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة ١٩٥٥.
- ١٨ - الملل والنحل للشهرستاني (١ - ٢) تحقيق محمد سيد كيلاني، مطبعة
مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٦١.
- ١٩ - معجم الأدباء لياقوت الحموي (١ - ٢٠) طبعة مصر.
- ٢٠ - معجم البلدان لياقوت الحموي (١ - ٥) دار صادر، بيروت ١٩٥٥.
- ٢١ - نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبن الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل
إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٦٧.
- ٢٢ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان (١ - ٨) تحقيق الدكتور
إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٧٧ - ١٩٧٨.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قال الإمام أبو محمد بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوْرِيُّ رضي الله عنه : الحمد لله الذي يُعْجِزُ بِلَاؤِهِ صفة الواصفين وتفوت آلاؤه عدد العادين وتَسَعُ رحمته ذنوبَ المسرفين ، والحمد لله الذي لا تُحْجَبُ عنه دعوة ولا تُخِيبُ لديه طَلْبة ولا يضل عنده سعي ، الذي رضي عن عظيم النِّعم بقليل الشكر وغفر بعقد الندم كبيرَ الذنوب ومحا بتوبة الساعة خطايا السنين ، والحمد لله الذي آتبعنا فينا البشير النذير السراج المنير هادياً إلى رضاه وداعياً إلى محابته ودالاً على سبيل جنته ففتح لنا باب رحمته وأغلق عنا باب سخطه . صلى الله وملائكته المقربون عليه وعلى آله وصحبه أبداً ما طَما بحرٌ وذَرٌّ شارقٌ وعلى جميع النبيين والمرسلين .

أما بعد ، فإنَّ لله في كل نعمة أنعم بها حقاً وعلى كل بلاء أبلاه زكاة : فزكاة المال الصدقة ، وزكاة الشرف التواضع ، وزكاة الجاه بذُّه ، وزكاة العلم نَشْرُهُ ، وخير العلوم أنفعها ، وأنفعها أحدها مَغَبَّة ، وأحدها مَغَبَّة ما تُعَلِّمُ وعُلْمُ الله وأريد به وجه الله تعالى .

ونحن نسأل الله تعالى ، جلَّ وعلا ، أن يجعلنا بما علمنا عاملين وبأحسنه آخذين ولوجهه الكريم بما نستفيد ونُفيد ومريدين ولحسن بلائه عندنا

عارفين وبشكره آناء الليل والنهار هارفين إنه أقرب المدعوين وأجود المسؤولين.

وإني كنت تكلفت لمغفل التأدب من الكتاب كتاباً من المعرفة وفي تقويم اللسان واليد حين تبيئت شمول النقص ودروس العلم وشغل السلطان عن إقامة سوق الأدب حتى عفا ودرس، بلغت به فيه همّة النفس وتلج الفؤاد وقبّدت عليه به ما أطرفني الاله ليوم الإدالة، وشرطت عليه مع تعلم ذلك تحفظ عيون الحديث ليدخلها في تضاعيف سطوره متمثلاً إذا كاتب، ويستعين بما فيها من معنى لطيف ولفظ خفيف حسن إذا حاور. ولما تقلدت له القيام ببعض آله دعيتي الهمة إلى كفايته وخشيت إن وكلته فيما بقي إلى نفسه وعولت له على اختياره أن تستمر مريته على التهاون ويستوطىء مركبه من العجز فيضرب صفحاً عن الآخر كما ضرب صفحاً عن الأول، أو يزاوّل ذلك بضعف من النية وكلال من الحدّ فيلحقه خور الطباع وسامة الكلفة. فأكملت له ما ابتدأت وشيئت ما أسست وعملت له في ذلك من طب لمن حبّ بل عمل الوالد الشفيق للولد البرّ ورضيت منه بعاجل الشكر وعولت على الله في الجزاء والأجر.

فإن هذا الكتاب، وإن لم يكن في القرآن والسنة وشرائع الدين وعلم الحلال والحرام، دالّ على معالي الأمور مُرشِدٌ لكريم الأخلاق زاجرٌ عن الدناءة ناهٍ عن القبيح باعثٌ على صواب التدبير وحسن التقدير ورفق السياسة وإعمارة الأرض وليس الطريق إلى الله واحداً ولا كل الخير مجتمعاً في تهجد الليل وسرد الصيام وعلم الحلال والحرام، بل الطرق إليه كثيرة وأبواب الخير واسعة وصلاح الدين بصلاح الزمان، وصلاح الزمان بصلاح السلطان، وصلاح السلطان بعد توفيق الله بالإرشاد وحسن التبصير.

وهذه عيون الأخبار نظمها لمغفل التأدب تبصرة ولأهل العلم تذكرة
ولسائس الناس ومُسوسهم مؤدباً وللملوك مستراحاً من كد الجِدِّ والتعب
وصنَّفْتُها أبواباً وقرنت الباب بشكله والخبر بمثله والكلمة بأختها ليسهل على
المتعلم علمها وعلى الدارس حفظها، وعلى الناشد طلبها، وهي لِقَاح عقول
العلماء ونَتَاج أفكار الحكماء وزبدة المَخْض وحلية الأدب وأثمار طول النظر
والمتخير من كلام البلغاء وفطن الشعراء وسير الملوك وآثار السلف. جمعتُ
لك منها ما جمعت في هذا الكتاب لتأخذ نفسك بأحسنها وتقومها بثقافها
وتخلِّصها من مساوئ الأخلاق كما تخلص الفضة البيضاء من خبثها،
وتروِّضها على الأخذ بما فيها من سنة حسنة وسيرة قويمه وأدب كريم وخلق
عظيم، وتصل بها كلامك إذا حاورت وبلاغتك إذا كتبت، وتستنجح بها
حاجتك إذا سألت، وتتلطف في القول إن شفعت، وتخرج من اللوم بأحسن
العذر إذا اعتذرت فإنَّ الكلام مصايد القلوب والسحر الحلال، وتستعمل
آدابها في صحبة سلطانك وتسديد ولايته ورفق سياسته وتدبير حروبه، وتعمُر
بها مجلسك إذا جدَّدت وأهزَلت وتوضح بأمثالها حججك وتبذُّ باعتبارها
خَصَمَك حتى يظهر الحق في أحسن صورة وتبلغ الإرادة بأخف مَؤونة،
وتستولي على الأمد وأنت وادع وتلحق الطريدة ثانياً من عَنانك وتمشي رويداً
وتكون أولاً هذا إذا كانت الغريزة مُؤاتية والطبيعة قابلة والحس منقاداً، فإن لم
يكن كذلك ففي هذا الكتاب، لمن أراه عقله نقص نفسه فأحسن سياستها
وستر بالأناة والروية عيِّها ووضع من دواء هذا الكتاب على داء غريزته وسقاها
بمائه وقدهح فيها بضيائه، ما نعش منها العليل وشَحَذَ الكليل وبعث الوَسنان
وأيقظ الهاجع حتى يُقارب بعون الله رُتَب المطبوعين.

ولم أرَ صواباً أن يكون كتابي هذا وقفاً على طالب الدنيا دون طالب

الآخرة ولا على خواص الناس دون عوامهم^(١) ولا على ملوكهم دون سُوقَتهم، فوَقَّيْتُ كُلَّ فريقٍ منهم قِسْمه ووفَّرت عليه سهمه وأودعته طُرْفاً من محاسن كلام الزهاد في الدنيا وذكر فجائعها والزوال والانتقال وما يتلاقون به إذا اجتمعوا ويتكاثبون به إذا افترقوا في المواعظ والزهد والصبر والتقوى واليقين وأشياء ذلك لعل الله يعطف به صادفاً، ويأطر على التوبة متجانفاً، ويردع ظالماً ويلين برقائقه قسوة القلوب. ولم أخله مع ذلك من نادرة طريفة وفطنة لطيفة وكلمة مُعجبة وأخرى مضحكة لئلا يخرج عن الكتاب مذهب سلكه السالكون وعروض أخذ فيها القائلون، ولأروح بذلك عن القاريء من كد الجَدِّ وإتاعاب الحق فإنَّ الأذن مَجَّاجة والنفس حَمْضَةٌ، والمَرْح إذا كان حقاً أو مقارباً ولأحايينه وأوقاته وأسباب أوجبت مشاكلاً ليس من القبيح ولا من المنكر ولا من الكبائر ولا من الصغائر إن شاء الله.

وسينتهي بك كتابنا هذا إلى باب المزاح والفكاهة وما روى عن الأشراف والأئمة فيهما، فإذا مرَّ بك، أيها المتزمت، حديثٌ تستخفه أو تستحسنه أو تعجب منه أو تضحك له فأعرف المذهب فيه وما أردنا به.

وأعلم أنك إن كنت مُسْتَغْنِياً عنه بتنسِكَ فإن غيرك ممن يترخص فيما تشدَّدت فيه محتاج إليه، وإنَّ الكتاب لم يُعمل لك دون غيرك فيهِياً على ظاهر محبتك، ولو وقع فيه تَوَقَّى المتزمتين لَذَهَبَ شَطْرُ بهائه وشَطْرُ مائه ولأعرض عنه من أحببنا أن يُقبل إليه معك.

وإنما مَثَلُ هذا الكتاب مثل المائدة تختلف فيها مذاقات الطعوم لاختلاف شهوات الأكليين، وإذا مرَّ بك حديث فيه إفصاح بذكر عورة أو فرج

(١) العَوامُّ: ج عامة، وعامة الناس خلاف خاصَّتهم.

أو وصف فاحشة فلا يَحْمِلَنَّ الخشوعُ أو التَّخَاشُعُ على أن تُصَغَّرَ خَدَّكَ وتُعْرَضَ بوجهك فإن أسماء الأعضاء لا تؤثم وإنما المآثم في شتم الأعراض وقول الزُّور والكذب وأكل لحوم الناس بالغيب. قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَعَزَّى بَعَزَاءَ الجاهلية فَأَعْضُوهُ بِهِ»^(١) أبيه ولا تَكْنُوا. وقال أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، لُبْدَيْل بن وَرْقَاء^(٢)، - حين قال للنبي ﷺ: إِنَّ هَؤُلَاءَ لَوْ قَدْ مَسَّهِمْ حَزُّ السِّلَاحِ لِأَسْلَمُوا -: «إِعْضُضْ بِيْظِرِّ اللَّاتِ»^(٣)، أنحن نُسَلِّمُهُ!.. وقال علي بن أبي طالب صلوات الله عليه: «مَنْ يَطْلُ أَيْرُ أَبِيهِ يَنْتَقِ بِه». وقال الشاعر في هذا المعنى بعينه:

فلو شاء ربي كان أيرُ أبيكُم طويلاً كأير الحارث بن سدوس

قال الأصمعي: كان للحارث بن سدوس أحدٌ وعشرون ذكراً، وقيل للشَّعْبِيِّ: إن هذا لا يجيء في القياس، فقال: أيرُ في القياس، الولد ذكرٌ. وليس هذا من شكل ما تراه في شعر جرير والفرزدق لأن ذلك تعبير وأبتهارٌ في الأخوات والأمهات وقذفٌ للمحصنات الغافلات، فتفهَّم الأمرين وافرق بين الجنسين، ولم أترخص لك في إرسال اللسان بالرَّفَث^(٤) على أن تجعله هَجِيرَاك^(٥) على كل حال^(٦) وذيدَنك في كل مقال، بل الترخص مني فيه عند حكاية تحكيها

(١) الهن: الفرج.

(٢) هو بُدَيْل بن وَرْقَاء بن عبد العزى بن لُحَيٍّ، أدهى العرب. أنظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، ص ٢٣٩.

(٣) اللَّات: صنمٌ كان بالطائف لثيف، بني على صخرة ثم هدمه خالد بن الوليد والمغيرة بن شعبه.

المصدر السابق ص ٤٩١.

(٤) الرَّفَث: الفُحْش.

(٥) الهَجِيرَى: الدُّأْب والعادة. يقال: هذا هَجِيرَاك: أي دأبك وشأنك.

(٦) الذَّيْدَن: الدُّأْب والعادة.

أو رواية ترويهما، تنقصها الكناية ويذهب بحلاوتها التعريض، وأحييت أن تجري في القليل من هذا على عادة السلف الصالح في إرسال النفس على السجية والرغبة بها عن لبسة الرياء والتصنع. ولا تستشعر أن القوم قارفوا وتنزّهت وثلّموا أديانهم وتورّعت. وكذلك اللحن إن مرّ بك في حديث من النوادر فلا يذهبنّ عليك أنا تعمّدناه وأردنا منك أن تتعمّده لأن الإعراب ربما سلّب بعض الحديث حسنه وشاطر النادرة خلّاوتها، وسأمثل لك مثلاً: قيل لِمَزِيدَ المَدِينِي - وقد أكل طعاماً كَظُهُ^(١) : قبي؛ فقال: ما أقي، أقي نقاً ولحم جدي! مرّني طالق لو وجدت هذا قياً لأكلته. ألا ترى أن هذه الألفاظ لو وقيت بالإعراب والهمز حقوقها لذهبت طلاوتها ولا استبشعها سامعها وكان أحسن أحوالها أن يكافىء لطف معناها ثقل ألفاظها فيكون مثل المُخْبِر عنها ما قال الأول:

[بسيط]

إِضْرَبْ نَدَى طَلْحَةٍ^(٢) الْخَيْرَاتِ إِنْ فَخَرُوا يُخْلِرُ أَشْعَثَ وَأَسْتَيْتَ وَكُنْ حَكَمًا
تَخْرُجُ خُزَاعَةٌ مِنْ لُؤْمٍ وَمِنْ كَرَمٍ فَلَا تَعُدُّ لَهَا لُؤْمًا وَلَا كَرَمًا

ولمثل هذا قال مالك بن أسماء^(٣) في جارية له:

[خفيف]

أُمَغْطَى مَنِّي عَلَى بَصْرِي لِلدَّ حَبِّ أَمْ أَنْتِ أَكْمَلُ النَّاسِ حُسْنًا؟

(١) كَظُهُ الطَّعَامُ. يَكْظُهُ كَظًا: مَلَأَهُ حَتَّى لَا يَطْبِقَ النَّفْسَ.

(٢) أَعْتَقِدُ أَنَّهُ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيِّ الْقُرَشِيِّ الْمَدَنِيِّ، وَيُقَالُ لَهُ طَلْحَةُ الْجَوْدِ وَطَلْحَةُ الْخَيْرِ وَطَلْحَةُ الْفَيَاضِ. تَوَفَّى سَنَةَ ٣٦ هـ. الْأَعْلَامُ ج ٣ ص ٢٢٩.

(٣) هُوَ أَبُو الْحَسَنِ مَالِكُ بْنُ أَسْمَاءَ الْفَزَارِيِّ، شَاعِرٌ غَزَلَ ظَرِيفَ وَأَخُو هِنْدَ بِنْتَ أَسْمَاءَ زَوْجَةَ الْحَجَّاجِ. وَقَعَ مِنْهُ مَا أَوْجَبَ حَبْسَهُ مَدَّةً طَوِيلَةً. تَوَفَّى حَوَالِي ١٠٠ هـ. الْأَعْلَامُ ج ٥ ص ٢٥٧.

وحديثُ أَلَدُهُ هو مِمَّا يَشْتَهِي النَاعَتُونَ يُوزَنُ وَزْنًا
مَنْطِقُ بَارِعٍ وَتَلَحُّنٌ أَحْيَا نَا وَأَحْلَى الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا^(١)

وإنَّ مرَّ بك خبرٌ أو شعرٌ يتَّضَعُ عن قَدْرِ الْكِتَابِ وما بُني عليه فَأَعْلَمُ أَنَّ
لذلك سببين: أحدهما قلة ما جاء في ذلك المعنى مع الحاجة إليه، والسبب
الآخر أن الحَسَنَ إذا وُصِلَ بمثله نقص نُوراهما ولم يَتَبَيَّنْ فاضل بمفضول.
وإذا وُصِلَ بما هو دونهُ أراك نقصانَ أحدهما من الآخر الرجحانَ، ومدار الأمر
وقيوأمهُ على واحدةٍ تحتاج إلى أن تأخذ نفسك بها وهي أن تُحْضِرَ الكلمة
موضعها وتصلها بسببها ولا ترى غيباً أن يتكلم الناس وأنت ممسك، فإذا رأيتَ
حالاً تُشَاكِلُ ما حضرك من القول أحضرته وفرصة تخاف فوتها أنتهزتها، وكان
يقال: انتهزوا فرصَ القول فإن للقول ساعات يضرُّ فيها الخطأ ولا ينفع فيها
الصواب، وقالوا: ربَّ كلمةٍ تقول: دعني.

وإن وقفتَ على باب من أبواب هذا الكتاب لم ترهُ مُشْبِعاً فلا تَقْضِ
علينا بالإغفال حتى تتصفَّح الكتب كلها، فإنه رُبَّ معنى يكون له موضعان
وثلاثة مواضع فنقسم ما جاء فيه على مواضعه، كالتلطف في القول يقع في
كتاب السلطان ويقع في كتاب الحوائج ويقع في باب البيان، وكالإعتذار يقع
في كتاب السلطان وفي كتاب الإخوان، وكالبخل يقع في كتاب الطبائع وفي
كتاب الطعام، وكالكبر والمشيب يقع في كتاب الزهد، ويقع في كتاب النساء.
وَأَعْلَمُ أَنَّا لم نزل نَتَلَقَّ هذه الأحاديث في الحداثة والإكتهال عمن هو

(١) ذكر الزُّرْكَلي هذا البيت فقط وعُدَّهُ من أبيات مالك السائرة وقال: منطق صائب وتلحن.. الخ.
الأعلام ج ٥ ص ٢٥٧. ومعنى البيت: إنها تُعَوِّضُ في حديثها فتزيله عن جهته كي لا يفهمه
الحاضرون، وخير الحديث ما فهمه صديقك الذي تريد إفهامه وحده، وما خفي على غيره.
وقيل: تلحن: تخطيء في الإعراب؛ وذلك أنه يُسْتَمْلَحُ من الجواري إذا كان خفيفاً.

فوقنا في السنّ والمعرفة وعن جلسائنا وإخواننا ومن كتب الأعاجم وسيرهم وبلاغات الكتاب في فصول من كتبهم وعمّن هو دوننا غير مستكفين أن نأخذ عن الحديث سنّاً لحداثته ولا عن الصغير قدراً لخساسته ولا عن الأمة الوكّعاء لجهلها فضلاً عن غيرها، فإن العلم ضالّة المؤمن من حيث أخذه نفعه، ولن يُزريّ بالحق أن تسمعه من المشركين ولا بالنصيحة أن تُستنبط من الكاشحين، ولا تضيّرُ الحسناء أطمارها ولا بنات الأصداف أصدافها ولا الذهب الإبريزَ تحرجه من كِبَا^(١)، ومن ترك أخذ الحسن من موضعه أضاع الفرصة، والفرص تمرّمرّ السحاب.

حدثني أبو الخطاب قال: حدّثنا أبو داود عن سليمان بن معاذ عن سِمَاك عن عكرمة عن ابن عباس قال: «خذوا الحكمة ممن سمعتموها منه، فإنه قد يقول الحكمة غيرُ الحكيم وتكون الرّميّة من غير الرامي». وهذا يكون في مثل كتابنا لأنه في آداب ومحاسن أقوام ومقايح أقوام والحسن لا يلتبس بالقيح ولا يُخفي على من سمعه من حيث كان. فأما علم الدين والحلال والحرام فإنما هو استعباد وتقليد ولا يجوز أن تأخذه إلا عمّن تراه لك حجة ولا تقدح في صدرك منه الشكوك، وكذلك مذهبنا فيما نختاره من كلام المتأخرين وأشعار المحدثين إذا كان متخيّر اللفظ لطيف المعنى لم يُزِرْ به عندنا تأخر قائله كما أنه إذا كان بخلاف ذلك لم يرفعه تقدّمه فكل قديم حديث في عصره وكل شرف فأوّله خارجيّه، ومن شأن عوامّ الناس رفع المعدوم ووضع الموجود ورفض المبدول وحب الممنوع وتعظيم المتقدّم وغفران زلته وبخس المتأخر والتجنيّ عليه، والعاقل منهم ينظر بعين العدل لا بعين الرضا ويزن الأمور بالقسطاس المستقيم.

(١) الكِبَا: المزبلة والكناسة، مثناها كِبَوَان، والجمع أكْبَاء.

وإني حين قَسَمْتُ هذه الأخبار والأشعار وصنَّفْتُها وجدَّتها على اختلاف فنونها وكثرة عدد أبوابها تجتمع في عشرة كتب بعد الذي رأيت إفراده عنها وهو أربعة كتب متميزة، كل كتاب منها مفرد على حدته، كتاب الشراب، وكتاب المعارف، وكتاب الشعر، وكتاب تأويل الرؤيا.

فالكتاب الأول من الكتب العشرة المجموعة «كتاب السلطان» وفيه الأخبار من محل السلطان واختلاف أحواله وعن سيرته وعما يحتاج صاحبه إلى استعماله من الآداب في صحبته وفي مخاطبته ومعاملته ومشاورته له وما يجب على السلطان أن يأخذ به في اختيار عُمَّالِهِ وقضاةِ وَحُجَّابِهِ وَكُتَّابِهِ وعلى الحكام أن يمثلوه في أحكامهم وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار.

والكتاب الثاني «كتاب الحرب» وهذا الكتاب مشاكِّل لكتاب السلطان فضممته إليه وجعلتهما جزءاً واحداً وفيه الأخبار عن آداب الحرب ومكايدها ووصايا الجيوش وعن العدد والسلاح والكُرَاع^(١) وما جاء في السَّفر والمسير والطَّيرة والفأل وما يؤمر به الغزاة والمسافرون، وأخبار الجبناء والشجعاء وحِيل الحرب وغيرها وشيء من أخبار الدولة والطلبين وأخبار الأمصار وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار.

والكتاب الثالث «كتاب السُّودد» وفيه الأخبار عن مَخَايل السُّودد في الحَدَث^(٢) وأسبابه في الكبير وعن الهمة السامية والخِطَارِ بالنفس لطلب المعالي واختلاف الإرادات والأمانى والتواضع والكبر والعجب والحياء والعقل والحلم والغضب والعز والهبة والذلّ والمروءة واللباس والطيب والمجالسة

(١) الكُرَاع: الخيل والبالغ.

(٢) الحَدَث: الفتى، والجمع أحداث.

والبناء والمُزَاح وترك التصنُّع والتوسط في الأشياء وما يُكرَهُ من الغلو والتقصير واليسار والفقر والتجارة والبيع والشراء والمَدَايِنَة والشريف من أفعال الأشراف والسادة وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار.

والكتاب الرابع كتاب الطبائع والأخلاق وهذا الكتاب مقارب لكتاب السؤدد فضممته إليه وجعلتهما جزءاً واحداً وفيه الأخبار عن تشابه الناس في الطبائع وذمهم وعن مساوئ الأخلاق من الحسد والغيبة والسَّعاية والكذب والقَحَّة وسوء الخلق وسوء الجوار والسُّباب والبخل والحمق ونوادر الحمقى وطبائع الحيوان من الناس والجن والأنعام والسباع والطيور والحشرات وصغار الحيوان والنبات وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار.

والكتاب الخامس «كتاب العلم» وفيه الأخبار عن العلم والعلماء والمتعلمين وعن الكتب والحفظ والقرآن والأثر والكلام في الدين ووصايا المؤدِّبين والبيان والبلاغة. والتلطف في الجواب والكلام وحسن التعريض والخطب والمقامات وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار.

والكتاب السادس «كتاب الزهد» وهذا الكتاب مقارب لكتاب العلم فضممته إليه وجعلتهما جزءاً واحداً وفيه الأخبار عن صفات الزهَّاد وكلامهم في الزهد والدعاء والبكاء والمناجاة وذكر الدنيا والتهجد والموت والكبر والشيب والصبر واليقين والشكر والاجتهاد والقناعة والرضا ومقامات الزهَّاد عند الخلفاء والملوك ومواعظهم وغير ذلك وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار.

والكتاب السابع «كتاب الإخوان» وفيه الحث على اتخاذ الإخوان

وأختيارهم والأخبار عن المودة والمحبة وما يجب للصديق ومخالفته الناس وحسن محاورتهم والتلاقي والزيارة والمعانقة والوداع والتهادي والعيادة والتعازي والتهاني وذكر شرار الإخوان وذكر القربات والولد والاعتذار وعتب الإخوان وتعاديهم وتباغضهم وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار.

والكتاب الثامن «كتاب الحوائج» وهذا الكتاب مقارب لكتاب الإخوان فَصَّمَّمْتُهُ إليه وجعلتهما جزءاً واحداً فيه الأخبار عن استنجاح الحوائج بالكتمان والصبر والجِدِّ والهدية والرشوة ولطيف الكلام ومن يُعْتَمَد في الحاجة ومن يُسْتَسْعَى لها والإجابة إلى الحاجة والرد عنها والمواعيد وتنجزها وأحوال المسؤولين عند السؤال في الطَّلَاقَة والعُبُوس والعادة من المعروف تُقَطَّع والشكر والثناء والتلطف فيهما والترغيب في قضاء الحوائج وأصطناع المعروف والحرص والإلحاح والقناعة والاستعفاف وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار.

والكتاب التاسع «كتاب الطعام»، وفيه الأخبار عن الأطعمة الطيبة والحلواء والسويق^(١) واللبن والتمر والخبائث منها التي يأكلها فقراء الأعراب، ونازلة الفقر وأدب الأكل وذكر الجوع والصوم وأخبار الأكلة والمنهزمين والدعاء إلى المآدب والضيافة وأخبار البخلاء بالطعام وسياسة الأبدان بما يصلحها من الغذاء والحمية وشرب الدواء ومضار الأطعمة منافعها ومصلحتها ونُتِفَ من طبَّ العرب والعجم وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار.

(١) السَّوِيقُ: الناعم من دقيق الحنطة.

والكتاب العاشر «كتاب النساء» وهذا الكتاب مقارب لكتاب الطعام، والعرب تدعو الأكل والنكاح الأطيبين فتقول: قد ذهب منه الأطيبان. تريدهما، فضممته إليه وجعلتهما جزءاً واحداً وفيه الأخبار عن اختلاف النساء في أخلاقهنّ وخلقهنّ وما يُختار منهنّ للنكاح وما يُكره وأختلاف الرجال في ذلك والحسن والجمال والقبح والدّمامة والسواد والعاهات والعجز والمشايخ والمُهور وخِطْب النكاح ووصايا الأولياء عند الهداء وسياسة النساء ومعاشرتهنّ والدخول بهنّ والجماع والولادات ومساويهنّ خلا أخبار عُشاق العرب فإني رأيتُ كتاب الشعراء أولى بها فلم أُودع هذا الكتاب منها إلا شيئاً يسيراً، وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار.

فهذه أبواب الكتب جمعتها لك في صدر أولها لأعفيك من كَد الطلب وتعب التصفُّح وطول النظر عند حدوث الحاجة إلى بعض ما أودعْتُها ولتَقْصِد فيما تريد حين تريد إلى موضعه فتستخرجه بعينه أو ما ينوب عنه ويكفيك منه، فإن هذه الأخبار والأشعار وإن كانت عيوناً مختارة أكثر من أن يُحاط بها أو يُوقَف من ورائها أو تنتهي حتى يُنتهى عنها.

وقد خَفَفْتُ وإن كُنْتُ أَكثَرْتُ، واختَصَرْتُ وإن كُنْتُ أَطْلُتُ، وتَوَقَّيْتُ في هذه النوادر والمضاحك ما يتوقَّاه مَنْ رَضِيَ من الغنيمة فيها بالسلامة ومنْ بَعْد الشُّقَّة بالإياب، ولم أجد بُدّاً من مقدار ما أودعْتُه الكتابَ منها لتتمَّ به الأبواب، ونحن نسأل الله أن يمحو ببعضٍ بعضاً ويغفرَ بخيرٍ شراً وبجدٍّ هزلاً ثم يعود علينا بعد ذلك بفضلِهِ ويتغمدنا بعفوه ويعيدنا بعد طول الأمل فيه وحسن الظنِّ به والرجاء له من الخيبة والحُرمان.

كتاب السلطان

محل السلطان وسيرته وسياسته

حدَّثنا محمد بن خالد بن خدّاش قال: حدَّثنا سلّم بن قُتيبة عن ابن أبي ذئب عن المَقْبُرِيِّ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «سَتَحْرِصُونَ عَلَى الْإِمَارَةِ ثُمَّ تَكُونُ حَسْرَةً وَنَدَامَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَنِعْمَتِ الْمُرْضِعَةُ وَبُسْتِ الْفَاطِمَةِ^(١)».

حدَّثني محمد بن زياد الزياتي قال: حدَّثنا عبد العزيز الدَّارَوَرْدِيُّ قال: حدَّثنا شَرِيك عن عَطَاء بن يَسَار أن رجلاً قال عند النبي ﷺ: بِئْسَ الشَّيْءُ الْأَمَارَةُ^(٢). فقال النبي ﷺ: «نِعَمَ الشَّيْءُ الْإِمَارَةُ لِمَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَحَلَّهَا».

حدَّثني زيد بن أَخْزَمَ الطائي قال: حدَّثنا ابن قُتيبة قال: حدَّثنا أبو المِنْهَال عن عبد العزيز بن أبي بَكْرَةَ عن أبيه قال: لما مات كِسْرَى قيل ذلك للنبي ﷺ فقال: «مَنْ اسْتَخْلَفُوا؟» فقالوا: أَبْنَتُهُ بُورَان، قال: «لَنْ يَفْلَحَ قَوْمٌ أَسْنَدُوا أَمْرَهُمْ إِلَى أَمْرَةٍ».

حدَّثني زيد بن أَخْزَمَ قال: حدَّثنا وَهْب بن جَرِير قال: حدَّثنا أبي قال: سَمِعْتُ أُيُوبَ يَحْدُثُ عَنْ عَكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ زَمَنَ الْحَرَّةِ^(٣)

(١) الْفَاطِمَةُ هِيَ الْمُرْضِعُ الَّتِي تَقْطُمُ رَضِيعَهَا فَتَفْصِلُهُ عَنِ الرُّضَاعِ.

(٢) تَقْدِيرُ الْكَلَامِ: بِئْسَ الشَّيْءُ هُوَ الْإِمَارَةُ.

(٣) زَمَنُ الْحَرَّةِ: أَيُ وَقْعَةُ الْحَرَّةِ. وَسَيَأْتِي ذِكْرُهَا فِيهَا بَعْدَ.

فقال: من أستعمل القوم؟ قالوا: على قريش عبد الله بن مُطِيع، وعلى الأنصار عبد الله بن حَنْظَلَة بن الراهب فقال: أميران! هلك والله القوم.

حدَّثنا محمد بن عُبيد قال: حدَّثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحق عن هشام بن حَسَّان قال: كان الحسن يقول: «أربعة من الإسلام إلى السلطان الحُكْم والفيء والجمعة والجهاد». وحدَّثني محمد قال: حدَّثنا أبو سَلَمَة عن حماد بن سلمة عن أيوب عن أبي قَلَابَة قال: قال كعب: «مَثَلُ الإسلام والسلطان والناس مَثَلُ الفُسْطاطِ والعمود والأُتُنابِ والأوتادِ، فالفُسْطاط الإسلام، والعمود السلطان، والأُتُناب والأوتاد الناس، لا يصلحُ بعضه إلا ببعض» . /

حدَّثني سهل بن محمد قال: حدَّثني الأصمعي قال: قال أبو حازم لسليمان بن عبد الملك: «السلطان سُوقٌ فما نَفَقَ عنده أُتِيَ به». وقرأت في كتاب لابن المقفَّع: «الناس على دين السلطان إلا القليلَ فليكن للبرِّ والمروءة عنده نَفَاقٌ فَسَيَكْسُدُ بذلك الفُجُورُ والدناءة في آفاق الأرض». وقرأت فيه أيضاً: «المُلْكُ ثلاثة: مُلْكُ دين ومُلْكُ حَزْمٍ ومُلْكُ هوى، فأما ملك الدين فإنه إذا أقام لأهله دينهم فكان دينهم هو الذي يعطيهم ما لهم ويلحق بهم ما عليهم، أرضاهم ذلك وأنزل الساخط منهم منزلة الراضي في الإقرار والتسليم. وأما مُلْكُ الحزم فإنه تقوم به الأمور ولا يسلم من الطعن والتسخط ولن يضره طعن الضعيف مع حزم القوي. وأما ملك الهوى فلعب ساعة ودَمَار دهر» .

حدَّثني يزيد بن عمرو عن عِصْمَة بن صُقَيْرِ الباهلي قال: حدَّثنا اسحق ابن نُجَيْج عن ثور بن يزيد عن خالد بن مَعْدان قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله حُرَّاساً فحُرَّاسُهُ في السماء الملائكة وحُرَّاسُهُ في الأرض الذين يأخذون الدِّيوان» .

حدّثني أحمد بن الخليل قال: حدّثني سعيد بن سلّم الباهلي قال: أخبرني شُعْبَةُ عَنْ شَرَقِيٍّ عَنْ عِكْرِمَةَ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(١) قال: «الْجَلَاوِزَةُ»^(٢) يَحْفَظُونَ الْأُمَرَاءَ.

وقال الشاعر:

[طويل]

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً خَلِيّاً مِنْ أَسْمِ اللَّهِ وَالْبَرَكَاتِ

يعني باسم الله، وفيه قول الله ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أي بأمر الله.

وقرأت في كتاب من كتب الهند: «شَرُّ الْمَالِ مَا لَا يُنْفَقُ مِنْهُ وَشَرُّ الْإِخْوَانِ الْخَاذِلُ وَشَرُّ السُّلْطَانِ مَنْ خَافَهُ الْبَرِيُّ» وَشَرُّ الْبِلَادِ مَا لَيْسَ فِيهِ خِصْبٌ وَلَا أَمْنٌ.

وقرأت فيه: «خَيْرُ السُّلْطَانِ مَنْ أَشْبَهَ النَّسْرَ حَوْلَهُ الْجَيْفُ لَا مَنْ أَشْبَهَ الْجَيْفَةَ حَوْلَهَا النَّسُورُ» وهذا معنى لطيف وأشبه الأشياء به قول بعضهم: «سُلْطَانُ تَخَافُهُ الرَّعِيَّةُ خَيْرٌ لِلرَّعِيَّةِ مِنْ سُلْطَانٍ يَخَافُهَا».

حدّثني شيخ لنا عن أبي الأَحْوَصِ عَنْ ابْنِ عَمٍّ لِأَبِي وَائِلٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: «إِذَا كَانَ الْإِمَامُ عَادِلًا فَلَهُ الْأَجْرُ وَعَلَيْكَ الشُّكْرُ، وَإِذَا كَانَ جَائِرًا فَعَلَيْهِ الْوِزْرُ وَعَلَيْكَ الصَّبْرُ».

وأخبرني أيضاً عن أبي قُدَامَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ

(١) سورة الرعد ١٣، آية ١١. ومعنى الآية: إن للإنسان ملائكة تتعقبه قدامه ووراءه ويحفظونه بأمر الله من الجن وغيرهم. تفسير الجلالين.

(٢) الجلاوِزَةُ ج جُلُوزٌ، وهو الشُّرْطِيُّ؛ قيل: سُمِّيَ بِذَلِكَ لِجُلُوزَتِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ أَمِيرِهِ، أَيْ لِحَفَّتِهِ فِي الذَّهَابِ وَالْمَجْيَاءِ. والجلاوِز عند الفقهاء أمين القاضي أو الذي يقال له صاحب المجلس.

الخطاب رضي الله عنه: «ثلاثٌ من الفَوَاقِر^(١): جَارٌ مُقَامَةٍ^(٢)» إن رأى حَسَنَةً سَتَرَهَا وإن رأى سَيِّئَةً أَدَاعَاهَا، وَأَمْرَأَةٌ إِنْ دَخَلَتْ عَلَيْهَا لَسْتُكَ^(٣) وإن غَبَّتْ عَنْهَا لَمْ تَأْمَنْهَا، وَسُلْطَانٌ إِنْ أَحْسَنْتَ لَمْ يَحْمَدَكَ وَإِنْ أَسَأْتَ قَتَلَكَ».

وَقَرَأْتُ فِي الْيَتِيمَةِ: «مَثَلٌ قَلِيلٌ مُضَارٍ السُّلْطَانِ فِي جَنْبِ مَنْفَعِهِ مَثَلُ الْغَيْثِ الَّذِي هُوَ سُقْيَا اللَّهِ وَبَرَكَاتُ السَّمَاءِ وَحَيَاةُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا، وَقَدْ يَتَأَذَى بِهِ السَّفَرُ^(٤)» وَيَتَدَاعَى لَهُ الْبَنِيَانُ وَتَكُونُ فِيهِ الصَّوَاقِقُ وَتَدْرُسُ سَيُولُهُ فَيَهْلِكُ النَّاسُ وَالِدُّوَابُّ وَتَمُوجُ لَهُ الْبِحَارُ فَتَشْتَدُّ الْبَلِيَّةُ مِنْهُ عَلَى أَهْلِهِ فَلَا يَمْنَعُ النَّاسُ، إِذَا نَظَرُوا إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ الَّتِي أَحْيَا وَالنَّبَاتِ الَّذِي أَخْرَجَ وَالرَّزْقِ الَّذِي بَسَطَ وَالرَّحْمَةِ الَّتِي نَشَرَ، أَنْ يُعْظَمُوا نِعْمَةَ رَبِّهِمْ وَيَشْكُرُوهَا وَيُلْغُوا ذِكْرَ خَوَاصِّ الْبَلَايَا الَّتِي دَخَلَتْ عَلَى خَوَاصِّ الْخَلْقِ. وَمَثَلُ الرِّيحِ الَّتِي يَرْسِلُهَا اللَّهُ نُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ فَيَسُوقُ بِهَا السَّحَابَ وَيَجْعَلُهَا لِقَاحًا لِلثَّمَرَاتِ وَأَرْوَاحًا لِلْعِبَادِ يَتَنَسَّمُونَ مِنْهَا وَيَتَقَلَّبُونَ فِيهَا وَتَجْرِي بِهَا مِيَاهُهُمْ وَتَقْدُ بِهَا نِيرَانُهُمْ وَتَسِيرُ بِهَا أَفْلَاكُهُمْ وَقَدْ تَضَرَّرُ بِكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ فِي بَرِّهِمْ وَبَحْرِهِمْ وَيَخْلُصُ ذَلِكَ إِلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ فَيَشْكُوها مِنْهُمْ الشَّاكُونَ وَيَتَأَذَى بِهَا الْمَتَأَذُونَ وَلَا يُزِيلُهَا ذَلِكَ عَنْ مَنَازِلِهَا الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ بِهَا وَأَمْرَهَا الَّذِي سَخَّرَهَا لَهُ مِنْ قَوَامِ عِبَادِهِ وَتَمَامِ نِعْمَتِهِ. وَمَثَلُ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ اللَّذَيْنِ جَعَلَ اللَّهُ حَرَّهُمَا وَبَرْدَهُمَا صِلَاحًا لِلْحَرِّ وَالنُّسْلِ وَتَنَاجًا لِلْحَبِّ وَالثَّمَرِ، يَجْمَعُهَا الْبَرْدُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَحْمِلُهَا وَيُخْرِجُهَا الْحَرُّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيُنْضِجُهَا مَعَ سَائِرِ مَا يَعْرِفُ مِنْ مَنْفَعِهَا وَقَدْ يَكُونُ الْأَذَى وَالضَّرُّ فِي حَرِّهِمَا وَبَرْدِهِمَا وَسَمَائِهِمَا وَزَمَهِرِيَرِهِمَا وَهُمَا مَعَ ذَلِكَ لَا يَنْسَبَانِ إِلَّا إِلَى الْخَيْرِ

(١) ج فاقرة، وهي الداهية التي تكسر الفقار؛ يقال: عَمِلَ بِهِ الْفَاقَرَةُ: أَذَلَّهُ بِهَا.

(٢) المُقَامَةُ بضم الميم وفتحها: المجلس أو الجماعة من الناس، والجمع مقامات.

(٣) لَسَيْتُ: فَصَحْتُ أَوْ تَنَاهَيْتُ فِي الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ.

(٤) السَّفَرُ: ج سافر، وهو المسافر.

والصلاح. ومن ذلك الليل الذي جعله الله سكناً ولباساً وقد يستوحش له أخو
الفقر وينازع فيه ذو البلية والريبة وتعدو فيه السباع وتَنسَابُ فيه الهوام^(١) ويغتنمه
أهل السرقة والسَّلة^(٢) ولا يُزري صغيرُ ضرره بكثير نفعه ولا يلحق به ذمّاً ولا
يضع عن الناس الحق في الشكر لله على ما من به عليهم منه. ومثل النهار
الذي جعله الله ضياءً ونُشوراً وقد يكون على الناس أذى الحر في قَيْظهم
وتَصَبُّحهم فيه الحروب والغارات ويكون فيه النَّصَبُ والشخوص وكثير مما يشكوه
الناس ويستريحون فيه إلى الليل وسكونه. ولو أن الدنيا كان شيء من سرّائها
يعمّ عامة أهلها بغير ضررٍ على بعضهم وكانت نِعْمًاؤها بغير كَدَرٍ وميسورها من
غير معسور كانت الدنيا إذاً هي الجنة التي لا يشوب مسرّتها مكروه ولا فَرَحُها
ترحٌ والتي ليس فيها نَصَبٌ ولا لُغُوبٌ^(٣)، فكلُّ جسيمٍ من أمر الدنيا يكون ضرره
خاصةً فهو نعمة عامة وكل شيء منه يكون نفعه خاصاً فهو بلاء عام.

وكان يقال: «السلطان والدين أخوان لا يقوم أحدهما إلا بالآخر». وكان يقال: «السلطان والدين أخوان لا يقوم أحدهما إلا بالآخر». وقرأت في التاج لبعض الملوك: «هموم الناس صِغارٌ وهموم الملوك كبارٌ وألباب الملوك مشغولة بكل شيء يجلّ وألباب السُّوق^(٤) مشغولة بأيسر الشيء، فالجاهل منهم يَعْدِرُ نفسه بدعة ما هو عليه من الرِّسْلة^(٥) ولا يعذر سلطانه مع شدة ما هو فيه من المؤنة^(٦)، ومن هناك يعزّر الله سلطانه ويرشده وينصره». سمع زيادٌ رجلاً يسبُّ الزمان فقال: «لو كان يدري ما الزمان لعاقبته،

(١) الهوام: ح هامة، وهي الفرس.

(٢) السَّرَقَة: السرقة. والسَّلة: السرقة الخفيفة.

(٣) النَّصَبُ واللُّغُوبُ: التعب والإعياء.

(٤) السُّوق: ح سوقة، وهي الرعية من الناس تحت سياسة الولاة.

(٥) الرِّسْلة: المؤنة والرفق.

(٦) المؤنة: الشدة.

إنما الزمان هو السلطان».

وكانت الحكماء تقول: «عدل السلطان أنفع للرعية من خُصْب الزمان». وروى الهيثم عن ابن عباس عن الشعبي قال: «أقبل معاوية ذات يوم على بني هاشم فقال: يا بني هاشم، ألا تحدّثوني عن أدعائكم الخلافة دون قريش بم تكون لكم أبالرضا بكم أم بالاجتماع عليكم دون القرابة أم بالقرابة دون الجماعة أم بهما جميعاً؟ فإن كان هذا الأمر بالرضا والجماعة دون القرابة فلا أرى القرابة أثبتت حقاً ولا أسست ملكاً، وإن كان بالقرابة دون الجماعة والرضا فما منع العباس عم النبي ﷺ ووارثه وساقى الحجاج وضامن الأيتام أن يطلبها وقد ضمن له أبو سفيان بن عبد مناف، وإن كانت الخلافة بالرضا والجماعة والقرابة جميعاً فإن القرابة خصلة من خصال الإمامة لا تكون الإمامة بها وحدها وأنتم تدعونها بها وحدها، ولكننا نقول: أحق قريش بها من بسط الناس أيديهم إليه بالبيعة عليها ونقلوا أقدامهم إليه للرغبة وطارت إليه أهواؤهم للثقة وقاتل عنها بحقها فأدركها من وجهها. إن أمركم لأمر تضيق بها الصدور، إذا سئلتهم عن اجتماع عليه من غيركم قلتم حق. فإن كانوا اجتمعوا على حق فقد أخرجكم الحق من دعوكم. أنظروا: فإن كان القوم أخذوا حقكم فأطلبوهم، وإن كانوا أخذوا حقهم فسلموا إليهم فإنه لا ينفعكم أن تروا لأنفسكم ما لا يراه الناس لكم. فقال ابن عباس: ندعي هذا الأمر بحق من لولا حقه لم تقعد مقعدك هذا، ونقول كان ترك الناس أن يرضوا بنا ويجمعوا علينا حقاً ضيعوه وحظاً حرّموه، وقد اجتمعوا على ذي فضل لم يخطيء الوردة والصدرة، ولا ينقص فضل ذي فضلٍ فضل غيره عليه. قال الله عز وجل ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾^(١) فأما الذي منعنا من طلب هذا الأمر بعد رسول الله ﷺ فعهد منه إلينا

(١) سورة هود ١١، آية ٣. والمعنى: ويؤتي في الآخرة كل ذي فضل في العمل جزاءه. تفسير الجلالين.

قَبَلْنَا فِيهِ قَوْلَهُ وَدَنَّا بِتَأْوِيلِهِ وَلَوْ أَمَرْنَا أَنْ نَأْخُذَهُ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي نَهَانَا عَنْهُ لَأَخَذْنَاهُ أَوْ أَعْذَرْنَا فِيهِ، وَلَا يِعَابُ أَحَدٌ عَلَى تَرْكِ حَقِّهِ إِنَّمَا الْمَعِيبُ مَنْ يَطْلُبُ مَا لَيْسَ لَهُ، وَكُلُّ صَوَابٍ نَافِعٍ وَلَيْسَ كُلُّ خَطَأٍ ضَارًّا، انْتَهَتْ الْقَضِيَّةُ إِلَى دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ فَلَمْ يُفْهَمْهَا دَاوُدُ وَفُهِمَهَا سُلَيْمَانُ وَلَمْ يَضُرَّ دَاوُدَ. فَأَمَّا الْقَرَابَةُ فَقَدْ نَفَعَتْ الْمَشْرُكَ وَهِيَ لِلْمُؤْمِنِ أَنْفَعُ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْتَ عَمِّي وَصِنُّ أَبِي وَمَنْ أَبْغَضَ الْعَبَّاسَ فَقَدْ أَبْغَضَنِي وَهَجَرْتِكَ آخِرَ الْهَجْرَةِ كَمَا أَنَّ نَبَوْتِي آخِرَ النَّبَوَّةِ». وَقَالَ لِأَبِي طَالِبٍ عِنْدَ مَوْتِهِ: «يَا عَمُّ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَشْفَعُ لَكَ بِهَا غَدًا وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَيْسَتْ آلَتُوهُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ آلَانَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(١).

حَدَّثَنَا الرِّيَاشِيُّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ سَلَامٍ مَوْلَى ذُقَيْفٍ عَنْ مَوْلَى يَزِيدَ بْنِ حَاتِمٍ عَنْ شَيْخٍ لَهُ قَالَ: قَالَ كَسْرَى: «لَا تَنْزِلْ بِلَدٍ لَيْسَ فِيهِ خَمْسَةُ أَشْيَاءَ: سُلْطَانٌ قَاهِرٌ، وَقَاضٍ عَادِلٌ، وَسُوقٌ قَائِمَةٌ، وَطَبِيبٌ عَالِمٌ، وَنَهْرٌ جَارٌّ»..

وَحَدَّثَنَا الرِّيَاشِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ الْفَضْلِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو خَتَّابٍ الْعَجَّاجُ عَنْ الْعَجَّاجِ قَالَ: «قَالَ لِي أَبُو هُرَيْرَةَ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ قَالَ: قُلْتُ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ. قَالَ: يَوْشِكُ أَنْ يَأْتِيكَ بُقْعَانُ^(٢) الشَّامِ

(١) سُورَةُ النِّسَاءِ ٤، آيَةُ ١٨. وَتَفْسِيرُ الْآيَةِ: إِنَّ التَّوْبَةَ تَنْفَعُ وَالْعَمَلَ يُرْفَعُ، وَلَكِنَّهُ طَوْعًا لَا كَرْهًا حَيْثُ يَسَاقُ الْمَحْرُومُ إِلَى الْمَوْتِ. ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ أَيِ الَّذِينَ يَتَوَبُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَيْثُ يَرُونَ النَّارَ.

(٢) حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ هُوَ: «يُوشِكُ أَنْ يَعْمَلَ عَلَيْكُمْ بُقْعَانُ أَهْلِ الشَّامِ» وَالْمُرَادُ خَدْمُهُمْ وَعَبِيدُهُمْ وَمَمَالِكُهُمْ؛ شَبَّهَهُمْ لِبَاضَتِهِمْ وَحُمْرَتِهِمْ أَوْ سَوَادِهِمْ بِالشَّيْءِ الْأَبْقَعِ، وَيَعْنِي بِذَلِكَ الرُّومَ وَالسُّودَانَ. وَبُقْعَانُ: جُ أَبْقَعُ؛ يُقَالُ: غَرَابٌ أَبْقَعُ؛ فِيهِ سَوَادٌ وَبِضَاضٌ.

فياخذوا صدقتك فإذا أتوك فتلقهم بها فإذا دخلوها فكن في أقاصيها وخلّ عنهم وعنهما، وإياك وأن تسبهم فإنك إن سببتهم ذهب أجرك وأخذوا صدقتك وإن صبرت جاءتك في ميزانك يوم القيامة». وفي رواية أخرى أنه قال: «إذا أتاك المصدّق فقل: خذ الحقّ ودع الباطل، فإنّ أبى فلا تمنعه إذا أقبل ولا تلعه إذا أدبر فتكون عاصياً خفّف عن ظالم».

وكان يقال: «طاعة السلطان على أربعة أوجه: على الرغبة، والرغبة، والمحبة، والديانة».

وقرأت في بعض كتب العجم كتاباً لأردشير بن بابك إلى الرعية، نسخته: «من أردشير المؤبد^(١) ذي البهاء ملك الملوك ووارث العظماء، إلى الفقهاء الذين هم حملة الدين، والأساورة الذين هم حفظة البيضة^(٢)، والكتّاب الذين هم زينة المملكة، وذوي الحرث الذين هم عمرة البلاد. السلام عليكم، فإننا بحمد الله صالحون وقد وضعنا عن رعيتنا بفضل رأفتنا إتّاوتها الموظفة عليها. ونحن مع ذلك كاتبون اليكم بوصية: لا تستشعروا الحقد فيدّهمكم العدو، ولا تحتكروا فيشملكم القحط، وتزوّجوا في القرايين فإنه أمس للرجم وأثبت للنسب، ولا تعدّو هذه الدنيا شيئاً فإنها لا تبقى على أحد ولا ترفضوها مع ذلك فإن الآخرة لا تنال إلا بها.

(١) المؤبد والمؤبدان: حاكم المجوس وكاهنهم والفيلسوف والحاظق النحرير، فارسية معربة، والجمع موابدة؛ ومنه قول الحريري من مقامته المراهية: «أنسيتم يا جهابذة النقد وموابدة الحلّ والعقد».

(٢) الأساورة والأساور: ج إسوار، وهو قائد الفرس. والبيضة هي الخوذة، وهي من آلات الحرب وتستعمل لوقاية الرأس.

وقرأت كتاباً من أرسطاطاليس^(١) إلى آلاسكندر وفيه: «أملك الرعية بالإحسان إليها تظفر بالمحبة منها فإن طلبك ذلك منها بإحسانك هو أدوم بقاء منه باعتسافك، وأعلم أنك إنما تملك الأبدان فتخطها إلى القلوب بالمعروف، وأعلم أن الرعية إذا قدرت على أن تقول، قدرت على أن تفعل، فاجهد ألا تقول تسلم من أن تفعل».

وقرأت في كتاب الآيين^(٢) أن بعض ملوك العجم قال في خطبة له: «إني إنما أملك الأجساد لا النيات وأحكم بالعدل لا بالرضا وأفحص عن الأعمال لا عن السرائر».

ونحوه قول العجم: «أسوس الملوك من قاد أبدان الرعية إلى طاعته بقلوبها».

وقالوا: «لا ينبغي للوالي أن يرغب في الكرامة التي ينالها من العامة كرهاً ولكن في التي يستحقها بحسن الأثر وصواب الرأي والتدبير».

حدثنا الرياشي عن أحمد بن سلام عن شيخ له قال: «كان أنوشروان إذا ولّى رجلاً أمر الكاتب أن يدع في العهد موضع أربعة أسطر ليوقع فيه بخطه فإذا أوتي بالعهد وقع فيه: سُس خيار الناس بالمحبة وامزج للعامة الرغبة بالرهبة وسُس سفلة الناس بالإخافة».

(١) هو ابن نيقوماخس بن ماخازن، كان أبوه متطبياً لأبي الإسكندر. وهو من تلاميذ أفلاطون. وعن رأيه كان الإسكندر يمضي الأمور. توفي في أواخر أيام الإسكندر. كتاب الفهرست للنديم صفحة ٣٠٧ - ٣٠٩، تحقيق رضا - تجدد، طهران، ١٩٧١. وسرور النفس، ص ١٦٨. ١٩٢، ٤٠٠ - ٤٠١، تحقيق الدكتور إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠.

(٢) الآيين: كلمة فارسية عربيها العرب واستعملوها بمعنى القانون والعادة، ولابن المقفع تأليف بهذا الإسم ذكره صاحب الفهرست.

قال المدائني: «قدم قادم على معاوية بن أبي سفيان فقال له معاوية: هل من مُغَرَّبَةٍ خبر؟ قال: نعم، نَزَلْتُ بماء من مياه الأعراب فيينا أنا عليه أورد أعرابي إبله فلما شربت ضَرَبَ على جنوبها وقال: عليك زياداً. فقلت له: ما أردت بهذا؟ قال: هي سُدى، ما قام لي بها راعٍ مذ ولي زياد. فسرَّ ذلك معاوية وكتب به إلى زياد».

قال عبد الملك بن مروان: «أنصفونا يا معشر الرعية، تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر! ولا تسيرون فينا ولا في أنفسكم بسيرة رعية أبي بكر وعمر! نسأل الله أن يعين كلاً على كل».

قال عمر بن الخطاب: «إن هذا الأمر لا يصلح له إلا اللين في غير ضعف والقوي في غير عنف».

وقال عمر بن عبد العزيز: «إني لأَجْمَعُ أن أُخْرِجَ للمسلمين أمراً من العدل فأخاف أن لا تحتمله قلوبهم فأخرج معه طمعاً من طمع الدنيا، فإن نَفَرَتِ القلوب من هذا سكنت إلى هذا».

قال معاوية: «لا أضعُ سيفي حيث يكفيني سَوْطِي ولا أضع سَوْطِي حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شَعْرَةً ما آنقطعت، قيل: وكيف ذاك؟ قال: كنت إذا مَدُّوها خَلَّيْتُهَا وإذا خَلَّوْها مَدَدْتُهَا».

ونحو هذا قول الشَّعْبِي فيه: «كان معاوية كالجمال الطَّبَّ^(١)»، إذا سُكِتَ عنه تقدَّم وإذا رُدَّ تأخر». وقول عمر فيه: «احذروا آدم قريش وابن كريمها، من لا ينام إلا على الرضا ويضحك في الغضب ويأخذ ما فوقه من تحته».

(١) الجمال الطَّبَّ: الحاذق بالضرب، وقيل: الجمال الذي لا يضع خُفَّهُ إلا حيث يُبْصِرُ، وخُفُّ الجمال هو بمنزلة الحافر من الحيوان.

وَأَغْلَظْ لَهُ رَجُلٌ فَحَلَمَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ: أَتَحْلُمُ عَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: «إِنِّي لَا أَحُولُ بَيْنَ النَّاسِ وَبَيْنَ أَلْسِنَتِهِمْ مَا لَمْ يَحُولُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سُلْطَانِنَا».

كَانَ يَقَالُ: «لَا سُلْطَانُ إِلَّا بِرِجَالٍ وَلَا رِجَالُ إِلَّا بِمَالٍ وَلَا مَالٌ إِلَّا بِعِمَارَةٍ وَلَا عِمَارَةٌ إِلَّا بِعَدَلٍ وَحَسَنِ سِيَاسَةٍ».

قَالَ زِيَادُ: «أَحْسِنُوا إِلَى الْمَزَارِعِينَ فَإِنَّكُمْ لَا تَزَالُونَ سَمَانًا مَا سَمِنُوا».

وَكَتَبَ الْوَلِيدُ إِلَى الْحِجَاجِ بِأَمْرِهِ أَنْ يَكْتُبَ إِلَيْهِ بِسِيرَتِهِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ: «إِنِّي أَيْقَظْتُ رَأْيِي وَأَنْمَتُ هَوَايَ، فَأَدْنَيْتُ السَّيِّدَ الْمُطَاعَ فِي قَوْمِهِ، وَوَلَيْتُ الْحَرْبَ الْحَازِمَ فِي أَمْرِهِ، وَقَلَّدْتُ الْخِرَاجَ الْمُوقَّرَ لِأَمَانَتِهِ، وَقَسَمْتُ لِكُلِّ خَصْمٍ مِنْ نَفْسِي قِسْمًا يَعْطِيهِ حَقًّا مِنْ نَظْرِي وَلَطِيفَ عَنَائِتِي، وَصَرَفْتُ السَّيْفَ إِلَى النَّطْفِ^(١) الْمَسِيءِ، وَالثَّوَابَ إِلَى الْمُحْسَنِ الْبَرِيِّ فَخَافَ الْمُتْرِبُ صَوْلَةَ الْعِقَابِ، وَتَمَسَّكَ الْمُحْسَنُ بِحُظِّهِ مِنَ الثَّوَابِ».

وَكَانَ يَقُولُ لِأَهْلِ الشَّامِ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ كَالظَّلِيمِ^(٢) الرَّائِحِ عَنْ فِرَاحِهِ يَنْفِي عَنْهَا الْقَذْرَ^(٣) وَيَبَاعِدُ عَنْهَا الْحَجَرَ وَيَكُنُّهَا^(٤) مِنَ الْمَطَرِ وَيَحْمِيهَا مِنَ الضُّبَابِ^(٥) وَيَحْرُسُهَا مِنَ الذُّنَابِ. يَا أَهْلَ الشَّامِ أَنْتُمْ الْجَنَّةُ^(٦) وَالرَّدَاءُ وَأَنْتُمْ الْعُدَّةُ وَالْحِذَاءُ».

فَخَرَّ سُلَيْمٌ مَوْلَى زِيَادَ بَزِيَادَ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: «أَسْكُتْ، مَا أَذْرَكَ صَاحِبُكَ شَيْئًا قَطُّ بِسَيْفِهِ إِلَّا وَقَدْ أَذْرَكْتَ أَكْثَرَ مِنْهُ بِلِسَانِي».

(١) النَّطْفُ: الرَّجُلُ الْمُرِيبُ.

(٢) الظَّلِيمُ: الذَّكَرُ مِنَ النَّعَامِ، وَالْجَمْعُ ظُلْمَانُ.

(٣) الْقَذْرُ: الْوَسَخُ.

(٤) يَكُنُّهَا: يَسْتَرُهَا وَيَصُونُهَا.

(٥) الضُّبَابُ: جُحُشٌ، وَهُوَ دَوَّيَّةٌ مِنَ الْحَشَرَاتِ يَشْبَهُ الْوَزَلَ.

(٦) الْجَنَّةُ: السُّتْرَةُ وَكُلُّ مَا وَقِيَ مِنْ سِلَاحٍ.

وقال الوليد لعبد الملك: يا أبت، ما السياسة؟ قال: «هَيِّةُ الْخَاصَّةِ مَعَ صَدَقِ مَوَدَّتِهَا وَأَقْتِيَادِ قُلُوبِ الْعَامَةِ بِالْإِنْصَافِ لَهَا وَاحْتِمَالِ هَفَوَاتِ الصَّنَائِعِ». وفي كتب العجم: «قُلُوبُ الرِّعْيَةِ خِزَانَتُنْ مُلُوكُهَا فَمَا أَوْدَعَتْهَا مِنْ شَيْءٍ فَلْتَعْلَمْ أَنَّهُ فِيهَا».

ووصف بعض الملوك سياسته فقال: «لَمْ أَهْزَلْ فِي وَعْدٍ وَلَا وَعِيدٍ وَلَا أَمْرٍ وَلَا نَهْيٍ وَلَا عَاقِبَتُ لِلْغَضَبِ وَأَسْتَكْفِيْتُ عَلَى الْجَزَاءِ وَأَثْبْتُ عَلَى الْعَنَاءِ لَا لِلْهَوَى، وَأَوْدَعْتُ الْقُلُوبَ هَيْبَةً لَمْ يَشْبُهَا مَقْتُ وَوَدًّا لَمْ تَشْبُهَا جُرْأَةً وَعَمَمْتُ بِالْقَوْتِ وَمَنَعْتُ الْفُضُولَ».

وقرأت في كتاب التاج: «قَالَ أَبْرُويزُ^(١) لِابْنِهِ شِيرَوِيَهْ وَهُوَ فِي حَبْسِهِ: «لَا تُوسِعَنَّ عَلَى جُنْدِكَ فَيَسْتَغْنَوْا عَنْكَ وَلَا تَضِيقَنَّ عَلَيْهِمْ فَيُضْجَبُوا مِنْكَ، أَعْطِهِمْ عَطَاءً قَصْدًا وَأَمْنَهُمْ مَنَعًا جَمِيلًا وَوَسَّعْ عَلَيْهِمْ فِي الرِّجَاءِ وَلَا تَوَسَّعْ عَلَيْهِمْ فِي الْعَطَاءِ». وَنَحْوَهُ قَوْلُ الْمُنْصَرِرِ فِي مَجْلِسِهِ لِقَوَّادِهِ: صَدَقَ الْأَعْرَابِيُّ حَيْثُ يَقُولُ: أَجْعُ كَلْبَكَ يَتَّبِعُكَ. فَقَامَ أَبُو الْعَبَّاسِ الطُّوسِيُّ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخْشَى أَنْ يَلْوَحَ لَهُ غَيْرُكَ بِرَغِيفٍ فَيَتَّبِعَهُ وَيَدْعَكَ».

وكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري: «أما بعد، فإن للناس نَفْرَةً عَنْ سُلْطَانِهِمْ فَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تَدْرِكَنِي وَإِيَّاكَ عَمِيَاءُ^(٢) مَجْهُولَةٌ وَضَعَائِنُ مَحْمُولَةٌ، أَقِمِ الْحُدُودَ وَلَوْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَإِذَا عَرَضَ لَكَ أَمْرَانِ: أَحَدُهُمَا لِلَّهِ، وَالْآخَرُ لِلدُّنْيَا فَاتَّخِذْ نَصِيحَتَكَ مِنَ اللَّهِ فَإِنَّ الدُّنْيَا تَنْفَدُ وَالْآخِرَةُ تَبْقَى، وَأَخِيفُوا الْفُسَّاقَ وَاجْعَلُوهُمْ يَدًا يَدًا وَرَجُلًا رَجُلًا، وَعُدْ^(٣) مَرْضَى الْمُسْلِمِينَ وَأَشْهَدْ جَنَائِزَهُمْ وَأَنْتَحِ لَهُمْ

(١) هُوَ أَبْرُويزُ بْنُ هُرْمُزُ بْنُ كِسْرَى، أَحَدُ مُلُوكِ الْفَرَسِ، وَهُوَ مِنْ بَنِي سَاسَانَ بْنِ بَهْمَنَ. جُمُورَةُ أَنْسَابِ الْعَرَبِ ص ٥١١.

(٢) الْعَمِيَاءُ: الْغَوَايَةُ وَاللَّجَاجَةُ فِي الْبَاطِلِ أَوْ الضَّلَالَةُ وَالْجَهَالَةُ.

(٣) عُدَ الْمَرْضَى: رَزَّمَهُمْ، مِنْ فَعَلَ عَادَ الْمَرِيضُ يَعُودُهُ عَوْدًا.

بابك وياشُرْ أمورهم بنفسك فإنما أنت رجل منهم غير أن الله جعلك أثقلهم جِملًا، وقد بلغني أنه قد فشا لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها، فيايك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة مَرَّت بوادٍ خصيب فلم يكن لها همٌّ إلا السَّمَن وإنما حَتَفُها في السمن، وأعلم أن العامل إذا زاغ زاغت رعيته، وأشقى من شقي الناسُ به والسلام».

هشام بن عُروة قال: «صلى يوماً عبدُ الله بن الزُّبير فَوَجَمَ بعد الصلاة ساعة فقال الناس: «لقد حَدَّثَ نفسه. ثم التفت إلينا فقال: لا يَبْعُدَنَّ ابْنُ هندا! إن كانت فيه لمخارج لانجدها في أحد بعده أبداً، والله إن كنا لَنُفَرِّقُهُ، وما الليثُ الحَرْبُ^(١) على برائه بأجراً منه فَيَتَفَارَقُ لنا. وإن كنا لَنُخَدِّعُهُ، وما أبْنُ ليلةٍ من أهل الأرض بأدهى منه فَيَتَخَادَعُ لنا، والله لوددت أنا مُتَعَنَّا به ما دام في هذا حجر (وأشار إلى أبي قبيس) لا يُتَخَوَّنُ له عقل ولا تَنْتَقِصُ له قوَّة، قلنا: أَوْجَسَ والله الرجلُ. ح: وكان يَصُلُّ بهذا الحديث: كان والله كما قال العُدْري^(٢):

[مقارب]

رَكُوبُ المناير وثأبها مِعْنُ بخطبته مَجْهَرُ
تُرِيْعُ إليه هوادي الكلام إذا خَطَلَ الشَّرُّ المِهْمَرُ^(٣)

حَدَّثَنِي أبو حاتم قال: حَدَّثَنَا الأصمعي قال: حَدَّثَنَا جَدُّ سُرَانَ وَسُرَانُ عَمِّ الأصمعي قال: «كَلَّمَ الناسُ عَبْدَ الرحمن بن عوف أن يَكَلِّمَ عمر بن الخطاب في أن يَلِيَنَّ لهم فإنه قد أخافهم حتى إنه قد أخاف الأبكار في

(١) الحَرْبُ: الشديد الغضب، والجمع: حَرْبَى.

(٢) هو عُروَةُ بن حِزام، من بني عُذْرَةَ، قضى حباً فمات سنة ٣٠ هـ بسبب عدم زواجه من ابنة عمه

عفراء التي زَوَّجها أهلها أمويًّا من الشام. الأعلام ج ٤ ص ٢٢٦.

(٣) المِهْمَر: المُكْثِر.

خُذُوهُمْ. فقال عمر: إني لا أجد لهم إلا ذلك، إنهم لو يعلمون ما لهم عندي لأخذوا ثوبي عن عاتقي».

قال: وتقدمت إليه امرأة فقالت: «يا أبا حفص، الله لك، فقال: ما لك أعقرت؟»^(١) فقالت: صلبت فرقتك^(٢).

قال أشجع السلمي^(٣) في إبراهيم بن عثمان: [كامل]

لا يُصلِحُ السلطانُ إلا شِدَّةً تَغْشَى البريَّ بفضْلِ ذَنْبِ الْمُجْرِمِ
وَمِنَ السُّلَاطَةِ مُقَحَّمٌ لَا يُتَّقَى وَالسَيْفُ تَقْطُرُ شَفَرَتَاهُ مِنَ الدَّمِ
مَنْعَتْ مَهَابَتُكَ النُّفُوسَ حَدِيثَهَا بِالْأَمْرِ تُكْرِهُهُ وَإِنْ لَمْ تَعْلَمْ.

كان يقال: «شرُّ الأمراء أبعدهم من القراء وشرُّ القراء أقربهم من الأمراء». كتب عامل لعمر بن عبد العزيز على حمص إلى عمر: «إن مدينة حمص قد تهدم حصنها، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في إصلاحه» فكتب إليه عمر «أما بعد، فحَصِّنْهَا بِالْعَدْلِ، وَالسَّلَام».

ذكر أعرابي أميراً فقال: «كان إذا ولي لم يطابق بين جفونه وأرسل العيون على عيونه، فهو غائب عنهم شاهد معهم، فالمحسن راجٍ والمسيء خائف».

كان جعفر بن يحيى يقول: «الخراج عمود الملك وما استغزر بمثل العدل ولا استنزر بمثل الظلم».

(١) أُعْقِرَتْ: دُهِشَتْ، يقال: عَقَرَ الرَّجُلُ يَعْقَرُ: دُهِشَ.

(٢) أصل القول: فَرَقْتُ صَلْعَتَكَ أَيِ فَرَعْتُ، يقال: فَرَّقَ الرَّجُلُ يَفَرِّقُ فَرَقًا: فَرَعَ.

(٣) هو أشجع بن عمرو السلمي، من بني سليم، شاعر فحل، مدح البرامكة وانقطع إلى جعفر بن يحيى البرمكي فقرَّبَه من الرشيد. توفي سنة ١٩٥ هـ. الأعلام ج ١ ص ٣٣١.

وفي كتاب من كتب العجم أن أردشير قال لابنه: «يا بني، إن الملك والدين أخوان لا غنى بأحدهما عن الآخر، فالدين أس والملك حارس، وما لم يكن له أس فمهدوم وما لم يكن له حارس فضائع، يا بني، إجعل حديثك مع أهل المراتب وعطيتك لأهل الجهاد وبشرك لأهل الدين وسرك لمن عنه ما عناك من أرباب العقول».

وكان يقال: «مهما كان في المَلِك فلا ينبغي أن تكون فيه خصال خمس: لا ينبغي أن يكون كذاباً فإنه إذا كان كذاباً فوعد خيراً لم يُرج أو أوعد بِشراً لم يُخَف، ولا ينبغي أن يكون بخيلاً فإنه إذا كان بخيلاً لم يناصحه أحدٌ ولا تصلح الولاية إلا بالمناصحة ولا ينبغي أن يكون حديداً فإنه إذا كان حديداً مع القدرة هلكت الرعية ولا ينبغي أن يكون حسوداً فإنه إذا كان حسوداً لم يشرف أحداً ولا يصلح الناس إلا على أشرافهم، ولا ينبغي أن يكون جباناً فإنه إذا كان جباناً ضاعت ثغوره وأجترأ عليه عدوه».

وقدم معاوية المدينة فدخل دار عثمان فقالت عائشة بنت عثمان: وأبتاه، وبكت، فقال معاوية: «يا أبنه أخي إن الناس أعطونا طاعة وأعطيناهم أماناً وأظهرنا لهم حِلماً تحتَه وأظهروا لنا طاعة تحتها حِقْدٌ ومع كل إنسان سيفه وهو يرى مكان أنصاره فإن نكثنا بهم نكثوا بنا ولا ندري أعليتنا تكون أم لنا، ولأن تكوني بنت عم أمير المؤمنين خيراً من أن تكوني امرأة من عُرض المسلمين».

كتب عبد الله بن عباس إلى الحسن بن علي: «إن المسلمين ولؤك أمرهم بعد علي فشمّر للحرب وجاهد عدوك ودار أصحابك واشتر من الظَّيْن^(١)

(١) الظَّيْن: المُتَمِّم والمُعادي لسوء ظنّه وسوء الظن به.

دِينَهُ بما لَا يَثْلُمُ دِينَكَ وولَّ أَهْلَ الْبُيُوتَاتِ وَالشَّرَفَ تَسْتَصْلِحُ بِهِمْ عَشَائِرَهُمْ حَتَّى تَكُونَ الْجَمَاعَةُ فَإِنْ بَعْضُ مَا يَكْرَهُ النَّاسُ، مَا لَمْ يَتَعَدَّ الْحَقَّ وَكَانَتْ عَوَاقِبُهُ تَوْدِي إِلَى ظُهُورِ الْعَدْلِ وَعِزِّ الدِّينِ، خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِمَّا يَحْبُونَ إِذَا كَانَتْ عَوَاقِبُهُ تَدْعُو إِلَى ظُهُورِ الْجَوْرِ وَوَهْنِ الدِّينِ».

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ عَنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: «كَانَ عُمَرُ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِ الْوُفْدَ سَأَلَهُمْ عَنْ حَالِهِمْ وَأَسْعَارِهِمْ وَعَمَّنْ يَعْرِفُ مِنْ أَهْلِ الْبِلَادِ وَعَنْ أَمِيرِهِمْ هَلْ يَدْخُلُ عَلَيْهِ الضَّعِيفُ؟ وَهَلْ يَعُودُ الْمَرِيضُ؟ فَإِنْ قَالُوا نَعَمْ، حَمْدُ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنْ قَالُوا لَا، كَتَبَ إِلَيْهِ: «أَقْبَلْ».

اختيار العمال

رُوي أَنَّ أَبَا بَكْرَ الصَّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ كَتَبَ عَهْدًا فِيهِ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا مَا عَهْدُ أَبِي بَكْرٍ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ عِنْدَ آخِرِ عَهْدِهِ بِالْدُنْيَا وَأَوَّلِ عَهْدِهِ بِالْآخِرَةِ، فِي الْحَالِ الَّتِي يُؤْمِنُ فِيهَا الْكَافِرُ وَيَنْتَقِي فِيهَا الْفَاجِرُ: إِنِّي اسْتَعْمَلْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَإِنْ بَرَّ وَعَدَلْ فَذَلِكَ عَلَمِي بِهِ وَإِنْ جَارَ وَبَدَّلْ فَلَا عِلْمَ لِي بِالْغَيْبِ، وَالْخَيْرَ أَرَدْتُ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ مَا اكْتَسَبَ ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾»^(١).

وَفِي التَّاجِ أَنَّ أَيْرُوزَ كَتَبَ إِلَى ابْنِهِ شِيرَوَيْهِ مِنَ الْحَبْسِ: «لِيَكُنْ مِنْ تَخْتَارِهِ لَوْلَايَتِكَ أَمْرًا كَانَ فِي ضَعْفَةِ فَرْفَعَتِهِ، أَوْذَا شَرَفَ وَجَدْتَهُ مُهْتَضِمًا فَأَصْطَنَعْتَهُ، وَلَا تَجْعَلْهُ أَمْرًا أَصَبَتْهُ بِعَقُوبَةٍ فَأَتَضَّعَ عَنْهَا وَلَا أَمْرًا أَطَاعَكَ بَعْدَ مَا أَذَلَّتْهُ وَلَا أَحَدًا مِمَّنْ يَقَعُ فِي خَلْدِكَ أَنَّ إِزَالََةَ سُلْطَانِكَ أَحَبُّ لَهُ مِنْ ثُبُوتِهِ، وَإِيَّاكَ

أن تستعمله ضرعاً غمراً كثر إعجابه بنفسه وقلَّت تجاربه في غيره، ولا كبيراً مُدبراً قد أخذ الدهر من عقله كما أخذت السنُّ من جسمه».

[بسيط]

وقال لَقِيط^(١) في هذا المعنى :

فَقَلَّدُوا أَمْرَكُمْ اللَّهُ دَرْكُمْ رَحَبَ الذَّرَاعِ بِأَمْرِ الْحَرْبِ مُضْطَلِعَا
لَا مُتَرَفًّا إِنْ رَخَاءَ الْعَيْشِ سَاعِدُهُ وَلَا إِذَا عَضَّ مَكْرُوهٌ بِهِ خَشَعَا
مَا زَالَ يَحْلُبُ دَرَّ الدَّهْرِ أَشْطَرَهُ يَكُونُ مَتْبِعاً يَوْمًا وَمَتَّبِعَا
حَتَّى آسَمَرَتْ عَلَى شَرْزٍ مَرِيرَتُهُ مُسْتَحْكِمَ السَّنِّ لَا قَحْماً وَلَا ضَرَعاً^(٢)

ويقال في مثل: «رأي الشيخ خير من مَشْهَد الغلام» ومن أمثال العرب أيضاً في المجرب «العَوَانُ لَا تُعْلَمُ الْخِمْرَةَ»^(٣).

قال بعض الخلفاء: دُلُونِي عَلَى رَجُلٍ اسْتَعْمَلَهُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ أَهْمَنِي.
قالوا: كيف تريده؟ قال: «إِذَا كَانَ فِي الْقَوْمِ وَلَيْسَ أَمِيرُهُمْ كَانَ كَأَنَّهُ أَمِيرُهُمْ
وَإِذَا كَانَ أَمِيرُهُمْ كَانَ كَأَنَّهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ» قالوا: لَا نَعْلَمُهُ إِلَّا الرِّبْعَ بْنَ زِيَادِ
الْحَارِثِيِّ. قال صدقتم، هو لها.

وروى الهيثم عن مُجَالِدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: قَالَ الْحَجَّاجُ: دُلُونِي عَلَى

(١) هو لَقِيطُ بْنُ زُرَّارَةَ الدَّارِمِيُّ، رَئِيسُ قَبِيلَةِ تَمِيمٍ وَفَارِسَهَا وَشَاعَرَهَا. قَتَلَهُ شَرِيعُ بْنُ الْأَحْوَصِ يَوْمَ جَبَلَةِ سَنَةِ ٥٣ ق. هـ. جُمُورَةُ أَنْسَابِ الْعَرَبِ ص ٢٣٢، ٢٨٤، ٢٦١، ٤٩١، وَالْأَعْلَامُ ج ٥ ص ٢٤٤.

(٢) الشَّرْزُ: الشَّدَّةُ وَالصَّعُوبَةُ. وَالْقَحْمُ: الْكَبِيرُ السَّنُّ جَدًّا. وَالضَّرْعُ: الصَّغِيرُ السَّنُّ الضَّعِيفُ.
(٣) الْعَوَانُ مِنَ النِّسَاءِ: الَّتِي كَانَ لَهَا زَوْجٌ. وَالْخِمْرَةُ: هَيْئَةُ الْإِخْتِمَارِ. وَمَعْنَى هَذَا الْمَثَلِ أَنَّ الْمَرْأَةَ الَّتِي تَزَوَّجَتْ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى لَا تَحْتَاجُ مِنْ يَعْلَمُهَا كَيْفَ تَلْبَسُ الْخِمَارَ؛ لِأَنَّهَا قَدْ عَرَفَتْ ذَلِكَ بِالِاسْتِعْمَالِ، وَهُوَ مِثْلُ يَضْرِبُ لِلْمَجْرُبِ الْعَارِفِ.

رجل للشرط^(١) فقيل: أي الرجال تريد؟ فقال: «أريده دائم العُبوس طويل الجلوس سمين الأمانة أعجف الخيانة لا يُحِقُّ في الحق على جرّة^(٢) يهون عليه سبّال الأشراف في الشفاعة» فقيل له: عليك بعبد الرحمن بن عبيد التميمي. فأرسل إليه يستعمله، فقال له: لست أقبلها إلا أن تكفيني عيالك، وولّدك وحاشيتك. قال: يا غلام، ناد في الناس: من طلب إليه منهم حاجة فقد برئت منه الذمّة. قال الشعبي: فوالله ما رأيت صاحب شرطة قط مثله، كان لا يحبس إلا في دين، وكان إذا أتى برجل قد نَقَبَ على قوم وضع منقبته^(٣) في بطنه حتى تخرج من ظهره، وإذا أتى بنباش حفر له قبراً فدفنه فيه، وإذا أتى برجل قاتل بحديدة أو شَهَرَ سلاحاً قطع يده، وإذا أتى برجل قد أحرق على قوم منزلهم أحرقه، وإذا أتى برجل يشكُّ فيه وقد قيل إنه لص ولم يكن منه شيء ضربه ثلثمائة سوط. قال: فكان ربما أقام أربعين ليلة لا يؤتَى بأحد فضم إليه الحجاج شرطة البصرة مع شرطة الكوفة.

وقرأت في كتاب أبرويز إلى ابنه شيرويه: «انتخب لخراجك أحد ثلاثة: إما رجلاً يُظهر زُهداً في المال ويدّعي ورعاً في الدين فإنّ مَنْ كان كذلك عدل على الضعيف وأنصف من الشريف ووفر الخراج وأجتهّد في العِمارة، فإنّ هو لم يرع ولم يعفّ إبقاءً على دينه ونظراً لأمانته كان حريّاً أن يخون قليلاً ويوفر كثيراً استسراً بالرياء واكتتاماً بالخيانة، فإنّ ظهرت^(٤) على ذلك منه عاقبته

(١) الشرط: ج شرطي بفتح الراء وسكونها.

(٢) أحنق الرجل يُحنق: حَقَدَ حَقْدًا لَا يَنْحَلُّ. والجرّة: الرعيّة؛ وفي حديث عمر: «لَا يَصْلُحَ هَذَا

الأمْرُ إِلَّا لِمَنْ لَا يُحْنِقُ عَلَى جِرَّتِهِ» أي لَا يَحْقِدُ عَلَى رَعِيَّتِهِ. لسان العرب، مادة (حنق).

(٣) نَقَبَ عَلَى الْقَوْمِ يَنْقُبُ: صَارَ نَقِيًّا عَلَيْهِمْ. وَالْمَنْقَبَةُ: آلَةُ النَّقَبِ.

(٤) ظَهَرَتْ عَلَى ذَلِكَ: أَطْلَعَتْ عَلَيْهِ.

على ما خان ولم تحمده على ما وفر، وإن هو جَلَحَ^(١) في الخيانة وبارز بالرياء نَكَلَتْ به في العذاب واستنظفت ماله مع الحبس. أو رجلاً عالماً بالخراج غنياً في المال مأموناً في العقل فيدعوه علمه بالخراج إلى الاقتصاد في الحلب والعمارة للأرضين^(٢) والرفق بالرعية، ويدعوه غناه إلى العفة ويدعوه عقله إلى الرغبة فيما ينفعه والرغبة مما يضره. أو رجلاً عالماً بالخراج مأموناً بالأمانة مُقْتَرّاً من المال فتوسّع عليه في الرزق فيغتنم لحاجته الرزق ويستكثر لفاقته اليسير، ويُزجي^(٣) بعلمه الخراج، ويعفّ بأمانته عن الخيانة.

استشار عمر بن عبد العزيز في قوم يستعملهم، فقال له بعض أصحابه: عليك بأهل العُذر. قال: ومن هم؟ قال: الذين إن عدلوا فهو ما رجوت منهم وإن قصّروا قال الناس: قد اجتهد عمر.

قال عدي بن أرطاة^(٤) لإياس بن معاوية: دُلّني على قوم من القراء أولهم. فقال له: القراء ضربان: ضَرَبٌ يعملون للأخرة ولا يعملون لك، وضرب يعملون للدنيا، فما ظنك بهم إذا أنت وليتهم فمكنتهم منها؟ قال: فما أصنع؟ قال: عليك بأهل البيوتات الذين يستحيون لأحسابهم فولّهم.

أحضر الرشيد رجلاً ليولّيه القضاء فقال له: إني لا أحسن القضاء ولا أنا فقيه. قال الرشيد: فيك ثلاث خلال: لك شرف والشرف يمنع صاحبه من الدناءة. ولك حلم يمنعك من العجلة، ومن لم يعجل قلّ خطؤه. وأنت رجل

(١) جَلَحَ في الخيانة: أقدم عليها.

(٢) الْأَرْضُونَ: ج أرض.

(٣) يُزجي الخراج: جعله يستقيم.

(٤) هو عدي بن أرطاة الفزاري، الذي ولي البصرة لعمر بن عبد العزيز سنة ٩٩ هـ، وأستمر في ذلك إلى أن قتله معاوية بن يزيد بن المهلب عام ٥١٠٢. جمهرة أنساب العرب ص ٢١٢، ٢٥٦، والأعلام ج ٤ ص ٢١٩.

تشاورُ في أمرك ومن شاورَ كَثُرَ صوابه، وأما الفقه فسينضم إليك من تَفَقَّه به .
فولي فما وجدوا فيه مطعناً.

حدّثني سهل بن محمد قال: حدّثنا الأصمعي قال: حدّثني صالح بن
رُستَم أبو عامر الخزّاز قال: قال لي إياس بن معاوية المُرَنيّ: أرسل إليّ عمرُ
ابن هُبيرة فأتيتُه فساكتني فسكْتُ، فلما أطلتُ قال: إيه . قلت: بل عما بدا
لك . قال: أتقرأ القرآن؟ قلت نعم . قال: هل تفرّضُ الفرائض؟ قلت نعم .
قال: فهل تعرف من أيام العرب شيئاً؟ قلت نعم . قال: فهل تعرف من أيام العجم
شيئاً؟ قلت: أنا بها أعلم . قال: إني أريد أن أستعين بك . قلت: إن في ثلاثاً
لا أصلح معهن للعمل . قال: ما هن؟ قلت: أنا دميم كما ترى، وأنا حديد،
وأنا عيٌّ^(١) . قال: أما الدمامة فإني لا أريد أن أحاسن بك الناس، وأما العيُّ فلإني
أراك تعبر عن نفسك، وأما سوء الخُلُق فيقومك السُّوط . قم، قد وليتك . قال:
فولّاني وأعطاني ألفي درهم فهما أول مال تمولته .

قرأت في كتاب للهند: «السلطان الحازم ربما أحبَّ الرجلَ فأقصاه
وأطرحه مخافة ضرّه، ففعل الذي تلسع الحية إصبعه فيقطعها لئلا ينتشر سمُّها
في جسده، وربما أبغض الرجلَ فأكره نفسه على توليته وتقريبه لغناء يجده
عنده كَتَكَارُهُ المرء على الدواء البَشِيع لنفعه» .

حدّثني المَعْلَى بن أيوب قال سمعت المأمون يقول: «من مدح لنا رجلاً
فقد تضمّن عيبه» .

(١) عيٌّ: خَصِرٌ، يقال: عَيِيَ في المنطق: خَصِرَ وأتى بكلام لا يُهْتَدَى له .

باب صحبة السلطان وآدابها وتغير السلطان وتلوّنه

حدّثني محمد بن عُبَيْد قال: حدّثنا أبو أُسامة عن مجالد عن الشَّعْبِي عن عبد الله بن عباس قال: قال لي أبي: «يا بُنَيَّ إني أرى أمير المؤمنين يَسْتَخْلِيكَ^(١) ويستشيرك ويقدمك على الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ، وإني أوصيك بخلال أربع: لا تفشينَّ له سرّاً، ولا تجربنَّ عليك كذباً، ولا تغتابنَّ عنده أحداً، ولا تطوِّر عنه نصيحة» قال الشَّعْبِي: قلت لابن عباس: كل واحدة خير من ألف. قال: إي والله ومن عشرة آلاف.

كان يقال: «إذا جعلك السلطان أخاً فأجعله أباً، وإن زادك فزده».

قال زياد لابنه: «إذا دخلتَ على أمير المؤمنين فادعُ له ثم أصفح صفحاً جميلاً، ولا يَرَيْنَ منك تهالكاً عليه ولا أنقباضاً عنه».

قال مسلم بن عمرو: «ينبغي لمن خدم السلاطين ألا يغترَّ بهم إذا رَضُوا عنه ولا يتغيرَ لهم إذا سخطوا عليه ولا يستثقلَ ما حمّلوه ولا يُلحِفَ في مسألتهم^(٢)».

وقرأت في كتاب للهند: «صحبة السلطان على ما فيها من العز والثروة

(١) يستخليك: يجتمع بك في خلوة.

(٢) يُلحِف في مسألتهم: يَصْرُ بها؛ يقال: ألحف به؛ أضر به؛ وألحف السائل: ألح في السؤال.

عظيمة الخطار، وإنما تُشَبَّه بالجبل الوعر فيه الثمار الطيبة والسُّباع العادية، فالإرتقاء إليه شديد والمقام فيه أشدُّ، وليس يتكافأ خيرُ السلطان وشره لأنَّ خير السلطان لا يعدو مزيد الحال، وشر السلطان قد يُزِيل الحال ويتلف النفوس التي لها طلب المزيد، ولا خير في الشيء الذي في سلامته مال وجاه وفي نكبته الجائحة^(١) والتلف.

وقرأت فيه: «من لزم باب السلطان بصبر جميل وكَظْم للغِيظ وأَطْرَاحٍ للأنفة، وصل إلى حاجته».

وقرأت فيه: «السلطان لا يتوَحَّى بكرامته الأفضل فالأفضل ولكن الأدنى فالأدنى كالكرم لا يتعلق بأكرم الشجر ولكن بأدناها منه».

وكانت العرب تقول: «إذا لم تكن من قُرْبَان الأمير فكن من بُعْدَانِه». وقرأت في آداب ابن المقفع: «لا تكونَنَّ صحبَتَكَ للسلطان إلا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم في المكروه عندك وموافقتهم فيما خالفك وتقدير الأمور على أهوائهم دون هواك، فإن كنت حافظاً إذا وَلَوْكَ، حَذِراً إذا قُرْبُوك، أميناً إذا أَتَمَنُوك، تُعَلِّمُهُم وكأنك تتعلم منهم، وتؤدِّبُهُم وكأنك تتأدب بهم، وتشكر لهم ولا تكلفهم الشكر، ذليلاً إن صَرْمُوك، راضياً إن أسخطوك، وإلا فالبعد منهم كلُّ البعد والحذر منهم كلُّ الحذر. وإن وجدت عن السلطان وصحبته غنى فاستغن به فإنه من يخدم السلطان بحقه يحُلُّ بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة، ومن يخدمه بغير حقه يحتمل الفضيحة في الدنيا والورْز في الآخرة».

وقال: «إذا صحبت السلطان فعليك بطول الملازمة في غير طول

(١) الجائحة: المصيبة العظيمة التي تحتاج المال وتستأصله كله، أو ما يحتاج الإنسان من الدواهي

المعاقبة، وإذا نَزَلَتْ منه منزلة الثقة فأعزل عنه كلام المَلَق ولا تكثرنَّ له في الدعاء إلا أن تكلمه على رؤوس الناس ولا يكوننَّ طلبك ما عنده بالمسألة ولا تستبطنه إن أبطأ. أطلبه بالاستحقاق ولا تخبرنه أن لك عليه حقاً وأنك تعتدُّ عليه بيلاء. وإن استطعت ألا ينسى حقك وبلاءك بتجديد النصيح والاجتهاد فافعل. ولا تعطينه المجهود كله في أول صحبتك له فلا تجدَ موضعاً للمزيد ولكن دَعِّ للمزيد موضعاً. وإذا سأل غيرك فلا تكن المجيب. وأعلم أن استلابك للكلام خِفةً بك واستخفاف منك بالسائل والمسؤول. فما أنت قائل إن قال لك السائل: ما إياك سألت، وقال لك المسؤول: أجب أيها المعجب بنفسه المستخفُّ بسلطانه؟».

وقال: «مَثَلُ صاحب السلطان مثل راكب الأسد يهابه الناس وهو لمركبه أهيب».

وقال عبد الملك بن صالح لمؤدِّب ولده بعد أن اختصَّه لمجالسته ومحادثته: «كن على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام فإنهم قالوا: إذا أعجبك الكلام فاضمت وإذا أعجبك الصمت فتكلم. يا عبد الرحمن، لا تساعدني على ما يقبَح ولا تردَّن عليَّ الخطأ في مجلسي ولا تكلفني جواب التشميت والتهنئة ولا جواب السؤال والتعزية ودع عنك كيف أصبح الأمير وأمسى. وكلمني بقدر ما استنطقتك وأجعل بدل التقرير لي حسن الاستماع مني. وأعلم أن صواب الاستماع أقل من صواب القول. وإذا سمعتني أتحدَّث فأرني فهمك في طَرَفِكَ وتوفُّك ولا تجهد نفسك في تَطْرِية صوابي ولا تستدع الزيادة من كلامي بما تُظهر من استحسان ما يكون مني، فمن أسوأ حالاً ممن يستكذُّ الملوك بالباطل فيدلُّ على تهاونه، وما ظنك بالملك وقد أحلك محلَّ المعجب بما تسمع منه وقد أحلَّته محل من لا يسمع

منه؟ وأقل من هذا يُحِبُّ إحسانك ويُسقط حقَّ حرمةٍ إن كانت لك. إني جعلتك مؤدباً بعد أن كنت معلماً وجعلتك جليساً مقرباً بعد أن كنت مع الصبيان مباعداً. ومتى لم يعرف نقصان ما خرجت منه لم تعرف رجحان ما دخلت فيه، ومن لم يعرف سوء ما يولى لم يعرف حسن ما يلى.

دخل أبو مسلم على أبي العباس وعنده أبو جعفر فسلم على أبي العباس فقال له: يا أبا مسلم، وهذا أبو جعفر! فقال: يا أمير المؤمنين، هذا موضع لا يُقضى فيه إلا حقك.

قال الفضل بن الربيع: «مسأله الملوك عن أحوالهم من تحيات النوكى»^(١)، فإذا أردت أن تقول: كيف أصبح الأمير، فقل: صبح الله الأمير بالكرامة. وإذا أردت أن تقول: كيف يجد الأمير نفسه، فقل: أنزل الله على الأمير الشفاء والرحمة، فإن المسألة توجب الجواب فإن لم يجبك أشتد عليك وإن أجابك أشتد عليه.

وقرأت في آداب ابن المقفع: «جانب المسخوط عليه والظنين عند السلطان ولا يجمعنك وإياه مجلس ولا منزل ولا تظهرن له عُذراً ولا تُثنِ عليه عند أحد، فإذا رأيت قد بلغ في الانتقام ما ترجو أن يلين بعده فاعمل في رضاه عنك برفق وتلطّف، ولا تُسارَّ^(٢) في مجلس السلطان أحداً ولا توميء إليه بجفئك وعينك فإن السّرار يخيل إلى كل من رآه من ذي سلطان وغيره أنه المراد به، وإذا كلمك فأصغِر إلى كلامه ولا تشغل طرفك عنه بنظر ولا قلبك بحديث نفس».

(١) النوكى: ج أنوك، وهو الأحق.

(٢) لا تُسارَّ: لا تُناج؛ يقال سارّه في أذنه سيراً: ناجاه.

وقرأت في كتاب للهند أنه أُهْدِي لملك الهند ثياب وحلي فدعا بأمراءتين له وخير أحظاهما عنده بين اللباس والحلية، وكان وزيره حاضراً، فنظرت المرأة إليه كالمستشارة له فغمزها باللباس تَغْضِيئاً بعينه، وَلَحَظَهُ الملكُ، فأختارت الحلية لئلا يَقْطَنَ للغمزة، ومكث الوزير أربعين سنة كاسراً عينه لئلا تَقَرَّ تلك في نفس الملك وليظنَّ أنها عادة أو خِلْقة وصار اللباس للأخرى فلما حضرت الملك الوفاة قال لولده: توصَّ بالوزير خيراً فإنه أعتذر من شيء يسير أربعين سنة.

قال شَيْبُ بن شَيْبَةَ: «ينبغي لمن سائر خليفة أن يكون بالموضع الذي إذا أراد الخليفة أن يسأله عن شيء لم يحتجْ إلى أن يلتفت، ويكون من ناحية إن التفت لم تستقبله الشمس، وإن سار بين يديه أن يحيد عن سَنَنِ الريح التي تُوْدِي الغبار إلى وجهه.

قال رجل من النُّسَّاك لآخر: «إن آبتليت بأن تدخل إلى السلطان مع الناس فأخذوا في الشناء فعليك بالدعاء».

قال ثُمَامَةُ: كان يحيى بن أَكْثَمَ يَمَاشِي المأمون يوماً في بستان موسى والشمس عن يسار يحيى والمأمون في الظل وقد وضع يده على عاتق يحيى وهما يتحداثان حتى بلغ حيث أراد ثم كرَّ راجعاً في الطريق التي بدأ فيها فقال ليحيى: كانت الشمس عليك لأنك كنت عن يساري وقد نالت منك فكن الآن حيث كنتُ وأتحوَّل أنا إلى حيث كنتَ. فقال يحيى: والله يا أمير المؤمنين لو أمكنني أن أَقْبِكَ هَوْلَ المطلع بنفسي لفعلت. فقال المأمون: لا والله ما بُدُّ من أن تأخذ الشمس مني مثل ما أخذت منك. فتحوَّل يحيى وأخذ من الظل مثل الذي أخذ منه المأمون.

وقال المأمون: «أَوَّلُ العدل أن يَعدِلَ الرجلُ على بَطَانَتِهِ ثم على الذين

يَلُونَهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْعَدْلُ الطَّبَقَةَ السُّفْلَى .

المدائني قال: قال الأحنف: «لا تنقبضوا عن السلطان ولا تهالكوا عليه فإنه مَنْ أَشْرَفَ لِلسُّلْطَانِ أَذْرَاهُ وَمَنْ تَضَرَّعَ لَهُ أَحْظَاهُ» .

حدَّثني يزيد بن عمرو قال: حدَّثني محمد بن عمرو الرومي قال: حدَّثنا زُهَيْرُ بْنُ مَعَاوِيَةَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ زَيْدِ بْنِ يَثِيعَ قَالَ: قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ: «مَا مَشَى قَوْمٌ قَطُّ إِلَى سُلْطَانِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ لِيُذِلُّوهُ إِلَّا أَذَلَّهُمُ اللَّهُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتُوا» .

وفي أخبار خالد بن صَفْوَانَ أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَاسْتَدْنَانِي حَتَّى كُنْتُ أَقْرَبَ النَّاسِ مِنْهُ فَتَنَفَّسَ ثُمَّ قَالَ: يَا خَالِدُ، لَرُبِّ خَالِدٍ قَعْدٌ مَقْعَدُكَ هَذَا أَشْهَى إِلَيَّ حَدِيثاً مِنْكَ فَعَلِمْتُ . أَنَّهُ يَعْنِي خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ . فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَفَلَا تَعِيدُهُ؟ فَقَالَ: إِنْ خَالِداً أَذَلَّ فَأَمَلُّ وَأَوْجَفُ فَأَعْجَفُ وَلَمْ يَدْعُ لِرَاجِعٍ مَرْجِعاً، عَلَى أَنَّهُ مَا سَأَلَنِي حَاجَةً . فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ذَاكَ أَحْرَى، فَقَالَ: هِيَاتِ [طويل]

إِذَا أَنْصَرَفْتَ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تَكُنْ إِلَيْهِ بِوَجْهِ آخِرِ الدَّهْرِ تُقْبَلُ

حدَّثنا الفضل بن محمد بن منصور بمعنى هذا الحديث، وبعضه نَهَيْكَ: اعْتَلَّ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ^(١) فَبِعَثَ إِلَى مَنَكَةَ^(٢) الْهِنْدِيِّ فَقَالَ لَهُ: مَا تَرَى فِي

(١) هو يحيى بن خالد بن برمك، الوزير الجواد، سيد بني برمك ومؤدب الرشيد العباسي . مات في السجن في أيام الرشيد . الأعلام ج ٨ ص ١٤٤ .

(٢) كان منكة الهندي في جملة إسحاق بن سليمان ابن عباس، الهاشمي العباسي وأحد أمراء الدولة العباسية . عمل منكة مع إسحاق على نقل معارف الهند، ولا سيما الطب، من الهندية إلى العربية . أنظر كتاب الفهرست ص ٣٠٥ والأعلام ج ١ ص ٢٩٥ .

هذه العلة؟ فقال منكبة: داؤك كبير ودواؤه يسير وأيسر منه الشكر، وكان متفتناً، فقال له يحيى: ربما ثقل على السمع خَطَرَةُ الحقِّ به، فإذا كان ذلك كانت الهجرة له ألزم من المفاوضة فيه. قال منكبة: صدقت، ولكني أرى في الطوالع أثراً والأمدُّ فيه قريب وأنت قسيم في المعرفة وقد بُهِّتْ، وربما كانت صورة الحركة للكوكب عقيمة ليست بذات نتاج ولكنَّ الأخذ بالحزم أوفر حظ الطالبين. قال يحيى: للأمور منصرفٌ إلى العواقب وما حُتِمَ لا بُدَّ من أن يقع، والمنعة بمُسَالَمَةِ الأيام نزهة فأقصد لما دعوتك له من هذا الأثر الموجود بالمزاج. قال منكبة: هي الصفراء مازجتها مائيةٌ من البلغم فَحَدَّثَ لها بذلك ما يحدث للهِبِ عند مِمَاسَّتِهِ رطوبة المادة من الاشتعال فخذ ماء رُمَانَتَيْنِ فَدَقُّهُمَا بِإِهْلِيلِجَةٍ^(١) سوداء تُنْهَضُكَ مجلساً أو مجلسين وتسكُنُ ذلك التوقُّدُ الذي تَجِدُ^(٢) إن شاء الله. فلما كان من حديثهم الذي كان، تَلَطَّفَ منكبة حتى دخل على يحيى في الحبس فوجده جالساً على لُبْدٍ^(٣) ووجد الفضل بين يديه يَمْنَهُنَّ أي يخدم فاستعبر منكبة وقال: قد كنت ناديت لو أُعِزَّتُ الإجابة. قال له يحيى: أترأك عِلِمَتَ من ذلك شيئاً جَهْلَتُهُ؟ كلا ولكنه كان الرجاء للسلامة بالبراءة من الذنب أغلب من الشَّفَقِ وكان مزايلةُ القَدَرِ الخطيرِ عِبْثاً قلَّما تنهض به الهمة. وبعدُ فقد كانت نَعَمْ أرجو أن يكون أولُّها شكراً وآخرُها أجراً. فما تقول في هذا الداء؟ قال له منكبة: ما أرى له دواء أنجع من الصبر، ولو كان يُفْدَى بمال أو مفارقة عضو كان ذلك مما يجب لك. قال يحيى: قد شكرتُ لك ما ذكَّرتَ فإنَّ أمكنك تَهْدُنَا فافعل. قال منكبة: لو أمكنني تخليف الروح عندك ما بَخِلْتُ بذلك، فإنما كانت الأيام تحسن لي بسلامتك. قال الفضل:

(١) الإِهْلِيلِجَةُ والإِهْلِيلِج: عَقِيرٌ من الأدوية معروف، وهو مُعَرَّبٌ.

(٢) الذي تجد: الذي تكره. يقال: أوجده الله على الأمر: أكرهه عليه.

(٣) اللَّبْد: كل شعر أو صوف متلبَّد سُمِّيَ به للصوق بعضه ببعض، والجمع ألباد ولَبُودٌ.

كان يحيى يقول: دخلنا في الدنيا دخولاً أُخرجنا منها.

وقرأت في كتاب للهند: «إنما مثْلُ السلطان في قلة وفائه للأصحاب وسخاء نفسه عمن فُقد منهم مثْلُ البغيِّ والمُكْتَب^(١)، كلما ذهب واحد جاء آخر».

والعرب تقول: «السلطان ذو عَدَوَانٍ^(٢) وذو بَدَوَانٍ وذو تُدْرٍا» يريدون أنه سريع الإنصراف كثير البَدَوَات هَجُومٌ على الأمور.

قال معاذ بن مسلم: رأيت أبا جعفر وأبا مسلم دخلا الكعبة فترع أبو جعفر نعله فلما أراد الخروج قال: يا عبد الرحمن، هات نعلي. فجاء بها، فقال: يا معاذ ضَعْها في رجلي. فألبسته إياها فحقد ذلك أبو مسلم، ووجه أبو جعفر يَقْطِينُ^(٣) بن موسى إلى أبي مسلم لإحصاء الأموال فقال أبو مسلم: أَفَعَلْها ابنُ سلامةَ الفاعلة؟ لا يَكْنِي. فقال يقطين. عَجَلَتْ أيها الأمير، قال: وكيف؟ قال: أمرني أن أحصي الأموال ثم أَسَلَمَها إليك لتعمل فيها برأيك. ثم قدم يقطينُ على المنصور فأخبره. فلما قدم أبو مسلم المدائن في اليوم الذي قتل فيه جعل يضرب بالسُّوطَ مَعْرِفَةَ بَرْدَوْنَهُ^(٤) ويقول بالفارسية كلاماً معناه: ما تُغْنِي المعرفة إذا لم يَقْدِرْ على دفع المحتوم. ثم قال: جَارَةٌ ذَيْلُها، تدعو يا وَيْلُها، بدجلة أو حولها، كأننا بعد ساعة، قد صرنا في دجلة.

(١) المُكْتَب: معلم الكتابة. والبغيُّ هو الأَمة أو الحرّة الفاجرة.

(٢) ذو عَدَوَانٍ: سريع الإنصراف والمَلال، يقال: ما عَدَاك أي ما صَرَفَكَ، والرجل العَدَوَان: الشديد العدو. وذو بَدَوَانٍ: كثير البَدَوَات لا يزال يبدو له رأي جديد، والبَدَوَات ج بدآء، وهي ما بدا من الرأي؛ ورجل ذو بَدَوَات: ذو آراء مختلفة. وذو تُدْرٍا: ذو عزة ومنعة وقوة.

(٣) هو داعية عباسي وعارف بالحروب والوقائع، ولآه المهدي سنة ١٦٧ هـ بناء الزيادة الكبرى في المسجد الحرام. توفي سنة ١٨٦ هـ. الأعلام ج ٨ ص ٢٠٧.

(٤) البرْدَوْن: الفرس غير الأصل. والمَعْرِفَة: موضع العُرْف من الفرس، والجمع معارف، والعُرْف شعر عُنُق الفرس.

قال المنصور: «ثلاثُ كَنٍّ في صدري شفى الله منها: كتاب أبي مسلم إليَّ وأنا خليفة: عافانا الله وإياك من سوء، ودخولُ رسوله علينا وقوله: أَيُّكُمْ أبْنُ الحارثية؟. وضَرْبُ سليمان بن حبيب ظهري بالسياط».

قال المنصور لِسَلَمَ بن قتيبة: ما ترى في قتل أبي مسلم؟ فقال سَلَمَ: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ فقال حسبك يا أبا أمية.

قال أبو دَلَامَة^(١): [طويل]

أبا مُسْلِمَ ما غيَّرَ اللهُ نعمةً على عبده حتى يُغيِّرَها العبدُ
أفي دولة المَهْدِيِّ حاولتْ غَدْرَةٌ ألا إنَّ أهلَ الغَدْرِ آباؤُك الكُرْدُ
أبا مسلمَ خوَّفْتَنِي القتلَ فانتحى عليك بما خوَّفْتَنِي الأسدُ الورْدُ^(٢)

قال مَرْوان^(٣) بن محمد لعبد الحميد حين أيقن بزوال ملكه: «قد احتججتُ إلى أن تصير مع عدوِّي وتظهر الغَدْرَ بي، فإنَّ إعجابهم بأدبك وحاجتهم إلى كتابتك تدعوهم إلى حسن الظن بك، فإن استطعت أن تنفعني في حياتي وإلا لم تَعَجِزَ عن حفظ حُرمتي بعد وفاتي» فقال عبد الحميد: إن الذي أمرتني به أنفعُ الأمرين لك وأقبحهما بي وما عندي إلا الصبر حتى يفتح الله لك أو أُقتلَ معك. وقال: [طويل]

(١). أبو دَلَامَة هو زَنْد بن الجَوْن الأسدي، كان عبداً حبشياً، نبغ في أيام بني العباس، وكان شاعراً مطبوعاً كثير النوادر، مدح المنصور وذكر قتله أبا مسلم من جملة قصيدة ذكر فيها الأبيات الثلاثة الواردة أعلاه. توفي سنة ١٦١ هـ. وفيات الأعيان لابن خلكان (ج ٢ ص ٣٢٠ - ٣٢٧) تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر بيروت، والأعلام ج ٣ ض ٤٩ - ٥٠.

(٢) الأسدُ: فاعل أنتحى. والورْدُ: الجريء. وهنا يشبه المنصورُ بالأسد لشجاعته وبطشه بالأعداء.

(٣) هو آخر خلفاء بني أمية بالشام، قتل على يد العباسيين سنة ١٣٢ هـ.

أَسِرُّ وفاءً ثم أظْهَرُ غَدْرَةً فمن لي بِعُذْرِ يَوْسَعِ النَّاسِ ظَاهِرَةً

المشاورة والرأي

حَدَّثَنَا الزِّيَادِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا حماد بن زيد عن هشام عن الحسن قال: «كان النبي ﷺ يستشير حتى المرأة فتشيرُ عليه بالشيء فيأخذُ به».

وقرأت في التاج أن بعض ملوك العجم استشار وزراءه، فقال أحدهم: «لا ينبغي للملك أن يستشير منا أحداً إلا خالياً به، فإنه أَمُوتُ للسر وأحزم للرأي وأجدر بالسلامة وأعفى لبعضنا من غائلة بعض، فإن إفشاء السرِّ إلى رجل واحد أوثق من إفشائه إلى اثنين، وإفشاءه إلى ثلاث كإفشائه إلى العامة لأن الواحد رهن بما أفشي إليه والثاني يطلق عنه ذلك الرهن والثالث علاوة فيه، وإذا كان سر الرجل عند واحد كان أخرى ألا يُظهره رهبةً منه ورغبة إليه، وإذا كان عند اثنين دخلت على الملك الشبهة واتسعت على الرجلين المعاريض، فإن عاقبهما عاقب اثنين بذنب واحد، وإن آتاهما آتاهم بريئاً بجناية مجرم، وإن عفا عنهما كان العفو عن أحدهما ولا ذنب له عن الآخر ولا حجة معه».

وقرأت في كتاب للهند أن ملكاً استشار وزراء له، فقال أحدهم: «الملك الحازم يزداد برأي الوزراء الحزمة كما يزداد البحر بمواده من الأنهار، وينال بالحزم والرأي ما لا يناله بالقوة والجنود، وللأسرار منازل: منها ما يدخل الرهط فيه، ومنها ما يستعان فيه بقوم، ومنها ما يُستغنى فيه بواحد. وفي تحصين السر الطفرُّ بالحاجة والسلامة من الخلل. والمستشير وإن كان أفضل رأياً من المشير، فإنه يزداد برأيه. رأياً كما تزداد النار بالسليط ضوءاً. وإذا كان

الملك محصناً لسهه بعيداً من أن يُعرف ما في نفسه متخيراً للوزراء مهيباً في أنفـس العامة كافياً بحسن البلاء لا يخافه البريء ولا يأمنه المريب مقدراً لما يُفيد وينفق، كان خليقاً لبقاء ملكه. ولا يصلح لسرنا هذا إلا لسانان وأربع آذان. ثم خلا به.

قال أبو محمد: كتبت إلى بعض السلاطين كتاباً وفي فصل منه: «لم يزل حَزْمَةُ الرجال يَسْتَحْلُونَ مرارة قول النصحاء وَيَسْتَهْدُونَ العيوب وَيَسْتَشِير صواب الرأي من كُلِّ حَتَّى الأَمَةِ الوُكُعاء، ومن آحتاج إلى إقامة دليل على ما يدّعيه من مودته ونقاء طوبّيته فقد أغناني الله عن ذلك بما أوجبه الاضطرار إذ كنت أرجو بدوام نعمتك وارتفاع درجتك وأنبساط جاهك ويدك زيادة الحال».

وفي فصل آخر: «وقد تحملتُ في هذا الكتاب بعض العتب وخالفت ما أعلم إذ عرضت بالرأي ولم أَسْتَشِرْ وأحللت نفسي محل الخواصّ ولم أُحِلَّ ونزعتُ بي النفس، حين جاشت وضائق بما تسمع، عن طريق الصواب لها إلى طريق الصواب لك، وحين رأيت لسان عدوك منبسطاً بما يدّعيه عليك وسهامه نافذة فيك، ورأيت وليك معكوماً عن الاحتجاج إذ لا يجد العذر ورأيت عوامّ الناس يخوضون بضروب الأقاويل في أمرك، ولا شيء أضّرّ على السلطان في حال ولا أنفع في حال منهم. وبما يُجرّيه الله على ألسنتهم تسير الركبان وتبقى الأخبار ويخلد الذكر على الدهر وتشرف الأعقاب، وظاهر الخبر عندهم أعدل من شهادة العدول الثقات».

وفي فصل منه: «وسائسُ الناس ومدبر أمورهم يحتاج إلى سعة الصدر وآستشعار الصبر واحتمال سوء أدب العامة وإفهام الجاهل وإرضاء المحكوم عليه والممنوع مما يسأل بتعريفه من أين منع، والناس لا يجمعون على الرضا إذا جُمع بهم كل أسباب الرضا فكيف إذا مُنعوا بعضها، ولا يعذرون بالعذر

الواضح فكيف بالعدر الملتبس، وأخوك من صدقك وأرتمض لك لا من تابعك على هواك ثم غاب عنك بغير ما أحضرك».

قال زياد لرجل يشاوره: «لكل مستشير ثقة ولكل سر مستودع، وإن الناس قد أبدعت بهم خصلتان: إضاعة السر، وإخراج النصيحة. وليس موضع السر إلا أحد رجلين: رجل آخرة يرجو ثواب الله، أو رجل دنيا له شرف في نفسه وعقل يصون به حسبه، وقد عجمتهما لك».

وكتب بعض الكتاب: «إعلم أن الناصح لك المشفق عليك مَنْ طالع لك ما وراء العواقب برويته ونظره، ومثل لك الأحوال المخوفة عليك، وخلط لك الوعر بالسهل من كلامه ومشورته ليكون خوفك كُفناً لرجائك وشكرك إزاء النعمة عليك. وأن الغاش لك الحاطب عليك من مدّ لك في الاغترار ووطأ لك مهاد الظلم وجرى معك في عنانك منقاداً لهواك».

وفي فصل: «إني وإن كنت ظنيناً عندك في هذه الحال ففي تدبرك صفحات هذه المشورة ما ذلك على أن مخرجها عن صدق وإخلاص».

إبراهيم بن المنذر قال: استشار زياد بن عبيد الله الحارثي عبيد الله بن عمر في أخيه أبي بكر أن يوليّه القضاء، فأشار عليه به، فبعث إلى أبي بكر فامتنع عليه، فبعث زياد إلى عبيد الله يستعين به على أبي بكر، فقال أبو بكر لعبيد الله: أنشدك بالله أترى لي أن أليّ القضاء؟ قال: اللهم لا. قال زياد: سبحان الله! استشرت عليّ به ثم أسمعك تنهاه! قال: أيها الأمير، استشرتني فاجتهدت لك رأيي ونصحتك، واستشارني فاجتهدت له رأيي ونصحتة.

كان نصر بن مالك على شرط أبي مسلم، فلما جاءه إذن أبي جعفر في القدوم عليه استشاره فنهاه عن ذلك وقال: لا آمنه عليك. قال له أبو جعفر لما

صار اليه: إستشارك أبو مسلم في القدوم عليّ فنهيته؟ قال نعم: قال وكيف ذلك؟ قال: سمعت أخاك إبراهيم الإمام يحدث عن أبيه محمد بن عليّ قال: «لا يزال الرجل يزداد في رأيه ما نصح لمن أستشاره» وكنت له كذلك وأنا اليوم لك كما كنت له.

قال معاوية: «لقد كنت ألقى الرجل من العرب أعلم أن في قلبه عليّ ضغنا فاستشيره، فيشير إليّ منه بقدر ما يجده في نفسه فلا يزال يوسعني شتماً وأوسع جُلماً حتى يرجع صديقاً أستعين به فيعيني وأستجده فينجدني».

وقرأت في كتاب إبرويز إلى ابنه شيرويه وهو في حبسه: «عليك بالمشاورة فإنك واجد في الرجال من ينضج لك الكي ويحسم عنك الداء ويخرج لك المستكن ولا يدع لك في عدوك فرصة إلا أنتهزها ولا لعدوك فيك فرصة إلا حصنها، ولا يمنعك شدة رأيك في ظنك ولا علو مكانك في نفسك من أن تجمع إلى رأيك رأي غيرك فإن أحمدت آجتيت وإن أذممت نفيت، فإن في ذلك خصلاً: منها أنه إن وافق رأيك آزداد رأيك شدة عندك، وإن خالف رأيك عرضته على نظرك، فإن رأيته معتلياً لما رأيت قبلت، وإن رأيته متضعباً عنه أستغنيت، ومنها أنه يجدد لك النصيحة ممن شاورت وإن أخطأ لك مودته وإن قصر».

وفي كتاب للهند: «من آلتبس من الإخوان الرخصة عند المشورة ومن الأطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة، أخطأ الرأي وآزداد مرضاً وحمل الوزر».

وفي آداب ابن المقفع: «لا يُقذَفَنَّ في رُوعك^(١) أنك إن آستشرت

(١) الرُوع: العقل أو القلب.

الرجال ظهر للناس منك الحاجة إلى رأي غيرك، فيقطعك ذاك عن المشاورة، فإنك لا تريد الرأي للفخر به ولكن للانتفاع به. ولو أنك أردت الذكرَ كان أحسنُ الذكر عند الألباء أن يقال: لا ينفرد برأيه دون ذوي الرأي من إخوانه.

قال عمر بن الخطاب: «الرأي الفرد كالخيطة السَّحِيل، والرأيان كالخيطين المبرمين، والثلاثة مِرار^(١) لا يكاد ينتقض». وقال أشجع^(٢): [بسيط]

رأي سرى وعيون الناس هاجعةٌ ما آخرَ الخزم رأيي قدّم الحذرا

كتب الحجاج إلى المهلب يستعجله في حرب الأزارقة، فكتب إليه المهلب: «إنَّ من البلاء أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يبصره». وقيل لعبد الله بن وهب الراسي يوم عقدت له الخوارج: تكلم. فقال: ما أنا والرأي الفطير والكلام القضيب. وقال أيضاً: خمير الرأي خير من فطيره، ورُبَّ شيء غابُه خير من طريه، وتأخيره خير من تقديمه. وقيل لآخر: تكلم. فقال: ما أشتهي الخبز إلا بائناً.

كان ابن هبيرة يقول: «اللهم إني أعوذ بك من صحبة من غايته خاصة نفسه والانحطاط في هوى مستشيريه، ومن لا يلتمس خالص مودتك إلا بالتأني لموافقة شهوتك، ومن يساعدك على سرور ساعتك ولا يفكر في حوادث غدك». وكان يقال: «من أُعطي أربعاً لم يُمنع أربعاً: من أُعطي الشكر لم يُمنع المزيد، ومن أُعطي التوبة لم يمنع القبول، ومن أُعطي المشورة لم يمنع الصواب، ومن أُعطي الاستخارة لم يُمنع الخيرة». وكان يقال: لا تَسْتَشِرْ معلماً ولا راعي الغنم ولا كثير القعود مع النساء. وكان يقال:

(١) المِرار: الحبل الذي أُجيد فتله.

(٢) مرّ التعريف به.

لا تشاور صاحب حاجة يريد قضاءها ولا جائعاً ولا حاقن بول وقالوا «لا رأي لحاقن ولا لحازق»^(١) وهو الذي ضغطه الخُفُّ «ولا لحاقب» وهو الذي يجد رِزاً في بطنه. وقالوا أيضاً: لا تشاور من لا دقيق عنده.

وكان بعض ملوك العجم إذا شاور مَرَاذِيَتَهُ^(٢) فقَصَّروا في الرأي دعا الموكِّلين بأرزاقهم فعاقبهم، فيقولون: تخطيء مَرَاذِيَتُكَ وتعاقبن! فيقول نعم، إنهم لم يخطئوا إلا لتعلق قلوبهم بأرزاقهم وإذا آهتوا أخطأوا. وكان يقال: إنَّ النفس إذا أحرزت قوتها ورزقها أطمأنت.

وقال كعب: لا تستشيروا الحاكة فإن الله سلبهم عقولهم ونزع البركة من كسبهم. قال الشاعر:

وأنفع مَنْ شاورتَ مَنْ كان ناصحاً شفيقاً فأبصر بعدها مَنْ تشاور
وليس بشافيك الشفيق ورأيه عَزِيبٌ^(٣) ولا ذوا الرأي والصدر وأغر

ويقال: علامة الرشد أن تكون النفس مشتاقة. وقال آخر [طويل]

إذا بلغ الرأي النصيحة فاستعن برأي نصيحٍ أو نصيحة حازم
ولا تحسب الشورى عليك غضاضةً فإنَّ الخوافي^(٤) رافدات القوادم

(١) الحاقن: من أمسك بوله حتى ثقل عليه، ومعنى هذا المثل: من اشتدَّ احتقان بوله يغلبه فلا يكون مُخَيَّرًا بين حبسه وإطلاقه، يُضْرَبُ للمضطرِّ الذي لا يملك أمر نفسه في الصبر. والحازق: من ضاق خُفُّه على رِجْلِهِ حتى أنضعت منه، ومعنى هذا المثل: لا يملك أمر نفسه في سرعة المشي، وهو مثل يضرب في الاضطراب والعجز.

(٢) المَرَاذِيَةُ: ج مَرَزَبَان، وهو رئيس القُرس.

(٣) رأي عَزِيب: رأي بعيد غير مصيب؛ يقال: عزب عني فلان: غاب وبعد.

(٤) الخوافي: ريشات إذا ضُمَّ الطائر جناحيه خفيت، واحدها خافية؛ وقولهم في المثل: ليس القوادم كالخوافي نظير قولهم: ليس الرأس كالذنب.

وخلُّ الهَوْنِ لِلضَّعِيفِ وَلَا تَكُنْ نَوْماً فَإِنَّ الْحَزْمَ لَيْسَ بِنَائِمٍ
وَأَذِنُ مِنَ الْقَرِيبِ الْمُقَرَّبِ نَفْسُهُ وَلَا تُشْهِدِ الشُّورَى أَمراً غَيْرَ كَاتِمٍ
وَمَا خَيْرُ كَفِّ أَمْسِكَ الْغُلُّ أَخْتَهَا وَمَا خَيْرُ سَيْفٍ لَمْ يُؤَيِّدْ بِقَائِمٍ
فَإِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِرِدَ الْهَمَّ بِالْمُنَى وَلَنْ تَبْلُغَ الْعُلْيَا بِغَيْرِ الْمَكَارِمِ

قال أعرابي: مَا غُبِنْتُ قَطُّ حَتَّى يُغَبَّنَ قَوْمِي. قيل: وكيف ذلك؟ قال: لَا أَفْعَلُ شَيْئاً حَتَّى أَشَاوِرَهُمْ. وقيل لرجل من بني عَبَسَ: مَا أَكْثَرَ صَوَابَكُمْ! فقال: نحن ألف رجل وفينا حازم واحد ونحن نطيعه، فكأننا ألف حازم. ويقال: «ليس بين الملك وبين أن يملك رعيته أو تملكه إلا حزم أو توان».

وقال القُطامي^(١) في معصية الناصح: [وافر]

ومعصية الشفيق عليك مما يزيدك مَرَّةً مِنْهُ آسْتَمَاعَا
وخَيْرُ الْأَمْرِ مَا اسْتَقْبَلَتْ مِنْهُ وَلَيْسَ بِأَنْ تَتَّبِعَهُ أَتْبَاعَا
كَذَاكَ وَمَا رَأَيْتُ النَّاسَ إِلَّا إِلَى مَا جَرَّ غَاوِيهِمْ سِرَاعَا
تَرَاهُمْ يَغْمَزُونَ مِنْ أَسْتَرْكُوا وَيَجْتَنِبُونَ مَنْ صَدَقَ الْمِصَاعَا

وقال آخر، أَنَشِدْنِيهِ الرَّيَاشِي: [طويل]

ومولَى عَصَانِي وَأَسْتَبِدَّ بِرَأْيِهِ كَمَا لَمْ يُطْعَ بِالْبَقَّتَيْنِ قَصِيرٌ^(٢)

(١) هو عُمَيْرُ بْنُ شَيْثَمَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَبَادٍ، التَّغْلَبِيُّ الْمَلَقَبُ بِالْقُطَامِيِّ. شَاعِرٌ غَزَلَ فُحْلًا، جَعَلَهُ ابْنُ سَلَامٍ فِي الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْإِسْلَامِيِّينَ. كَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ١٣٠ هـ. الْأَعْلَامُ ج ٥ ص ٨٨ - ٨٩.
(٢) الْبَقَّتَانِ: مَثْنِي بَقَّةٌ، وَهِيَ مَوْضِعٌ بِالْعِرَاقِ قَرِيبٌ مِنَ الْحِيرَةِ كَانَ بِهِ جَذِيمَةُ الْأَبْرَشِ؛ قِيلَ: إِنَّهُ عَلَى شَاطِئِ الْفَرَاتِ وَقِيلَ: بَقَّةٌ أَسْمُ حَصْنٍ. وَمِنْهُ الْمَثَلُ: خَلَقْتُ الرَّأْيَ بَقَّةً، وَهَذَا قَوْلُ قَصِيرِ بْنِ سَعْدٍ اللَّخْمِيِّ لِجَذِيمَةِ الْأَبْرَشِ حِينَ أَشَارَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَسِيرَ إِلَى الرِّبَاءِ، فَلَمَّا نَدِمَ عَلَى سِيَرِهِ قَالَ قَصِيرٌ ذَلِكَ. وَالرِّبَاءُ لَقَبٌ لِهَنْدِ بِنْتِ الرِّبَّانِ الْغَسَّانِيِّ مَلِكَةِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، كَانَ يَضْرِبُ بِهَا الْمَثَلَ فِي =

فَلَمَّا رَأَى أَنْ غَبَّ أَمْرِي وَأَمْرَهُ وولّت بأعجاز الأمور صُدُورُ
تَمْنَى نَيْشاً^(١) أَنْ يَكُونَ أَطَاعَنِي وقد حَدَّثْتُ بعدَ الأمور أُمُورُ

وقال سبيع لأهل اليمامة «يا بني حنيفة، بُعداً كما بُعدت عاد وثمود^(٢)، أما والله لقد أنبأتكم بالأمر قبل وقوعه كأني أسمع جرسه وأبصر غيبه ولكنكم أبيتم النصيحة فأجنتنتم الندم، وأصبحتم وفي أيديكم من تكذيبي التصديق ومن تهمتي الندامة، وأصبح في يدي من هلاككم البكاء ومن ذلكم الجزع، وأصبح ما فات غير مردود وما بقي غير مأمون. وإني لمّا رأيتم تتهمون النصيح وتسفّهون الحليم استشعرت منكم اليأس وخِفْتُ عليكم البلاء. والله ما منعكم الله التوبة ولا أخذكم على غِرّة ولقد آمهلكم حتى ملّ الواعظ وهن الموعوظ وكنتم كأنما يُعْنَى بما أنتم فيه غيركم».

وأشار رجل على صديق له برأي، فقال له: «قد قلت ما يقول الناصح الشفيق الذي يخلط حُلُو كلامه بمُرّه وحَزْنه^(٣) بسهله ويحرّك الإشفاق منه ما هو

= العز والمنعة؛ لأنها كانت متحصنة بمدينة عمان. وكان جذيمة قد خطبها لنفسه طمعاً في إضافة ملكها إلى ملكه، فلما حضر إليها أمرت بفضده حتى نزع دمه ومات. وكان قد رأى عليها شعراً كثيراً فقال: إنها لعروس زباء فلقت بذلك. وكان معه قصير بن سعد؛ فلما أحسّ بقتله ابتدر منهزماً، ثم احتال عليها قصير حتى أدخل ابن أخته غمراً إلى قصرها ليلاً ومعه رجال في الصناديد فنهضوا عليها وقد تفرقت جنودها للنام. وكان عمرو قد ألتقاها بسيفه، وكان في يدها خاتم قد سقى سم ساعة فمضته وقالت: بيدي لا بيد عمرو وسقطت ميتة، فذهب قولها مثلاً يضرب لمن يقتص من من نفسه ولا يُمكن العدو منه. أنظر لسان العرب، مادة (بقر) ومحيط المحيط البستاني، مادة (الزباء).

(١) هذه الأبيات لنَهْشَل بن حَرِّي بن صُمْرَةَ الدارمي كما ورد في معجم البلدان لياقوت الحموي (ج ١ ص ٧٠٢ طبع أوروبا) وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية وعاش في الإسلام، وكان من خير بيوت بني دارم. أسلم ولم ير النبي ﷺ، وصحب علياً عليه السلام في حروبه وكانت وفاته سنة ٤٥ هـ. الأعلام ج ٨ ص ٤٩.

(٢) عاد وثمود قبيلتان من العرب العاربة. جمهرة أنساب العرب ص ٩ و٤٨٦.

(٣) الحزن: خلاف السهل، وهو ما غلظ من الأرض، والجمع حزون.

ساكن من غيره، وقد وعيتُ النصح فيه وقبلته إذ كان مصدره من عند من لا يُشكُّ في مودته وصافي غيبه، وما زلت بحمد الله إلى كل خير طريقاً منهجاً ومهيئاً^(١) واضحاً.

وكتب عثمان إلى عليّ حين أحيط به: «أما بعد، فإنه قد جاوز الماء الزُّبى وبلغ الحَزْمُ الطُّبَّيْنِ^(٢) وقد تجاوز الأمرُ بي قدره: [طويل]

فإن كنتُ مأكولاً فكنْ خير آكل وإلا فادركني ولما أمزق»

وقال أوس^(٣) بن حجر: [طويل]

وقد أعتبُ ابنَ العم إن كنتُ ظالماً وأغفرُ عنه الجهلَ إن كان أجهلاً
وإن قال لي ماذا ترى؟ يستشيرني يجذني ابنَ عمٍّ مَخْلَطُ الأمرِ مِزِيلًا^(٤)
أقيمُ بدار الحَزْمِ ما دام حَزْمُها وأخري إذا حالت بأنْ أتحوّلا
وأستبدلُ الأمرَ القويَّ بغيره إذا عقد مأفون^(٥) الرجال تحلّلا

وكان يقال: «أناةٌ في عواقبها دركٌ، خير من معاجلةٍ في عواقبها فوت». وأنشدني الرياشي: [بسيط]

(١) المَهَيَّع: الطريق الواسع البين، والجمع مهايح.
(٢) الزُّبى: ج زُبَيَّة، وهي الرابية لا يعلوها ماء. والمثل هو: بلغ السيلُ الزُّبى، والمعنى اشتدَّ الأمر حتى انتهى إلى غاية بعيدة. والطُّبَّيان مثنى طُطْبِي، وهو حلمات الضَّرْع التي من خُفِّ وظلف وحافر وأكثر ما يكون الطُّطْبِي للسباع، والجمع أطباء. ومعنى هذا المثل: اشتدَّ الأمر وتفاقم.
(٣) هو أبو شُرَيْح أوس بن حَجَر بن مالك التميمي، شاعر تميم في الجاهلية وزوج أم زهير بن أبي سلمى. في شعره حكمة ورقة، كان غَزْلاً مغرماً بالنساء وكانت وفاته سنة ٢ ق.هـ. الاعلام ج ٢ ص ٣١.

(٤) المِزِيلُ: الكَيْس اللطيف.

(٥) مأفون الرجال: ضعيفو الرأي والعقل.

وعاجزُ الرأي مضياعُ لفرصته حتى إذا فات أمرُ عائب القَدَرِ (١)

وكان يقال: «رؤٌ بحزم فإذا استوضحت فاعزم».

الإصابة بالظن والرأي

كان ابن الزبير يقول: «لا عاش بخير من لم ير برأيه ما لم ير بعينه». وسئل بعض الحكماء: ما العقل؟ فقال: «الإصابة بالظن ومعرفة ما لم يكن بما كان». وكان يقال: «كفى مُخْبِراً عما مضى ما بقي، وكفى عِبْراً لأولي الألباب ما جربوا». وكان يقال: «كل شيء محتاج إلى العقل، والعقل محتاج إلى التجارب». ويقال: «من لم ينفعك ظنه لم ينفعك يقينه». وقال أوس بن حَجَر: [منسرح]

الْأَلْمَعِيُّ الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظَّ مَنْ كَأَنَّ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا

وقال آخر: [طويل]

وَأَبْغَى صَوَابَ الظَّنِّ أَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا طَاشَ ظَنُّ الْمَرْءِ طَاشَتْ مَقَادِرُهُ

وقال علي بن أبي طالب صلوات الله عليه في عبد الله بن عباس: «إنه لَيَنْظُرُ إِلَى الْغَيْبِ مِنْ سِتْرِ رَقِيقٍ». ويقال: «ظنُّ الرجل قطعة من عقله». ويقال: «الظنون مفاتيح اليقين». وقال بعض الكتاب: [وافر]

أَصُونُكَ أَنْ أَظُنَّ عَلَيْكَ ظَنًّا لِأَنَّ الظَّنَّ مِفْتَاحُ الْيَقِينِ

(١) سيذكر هذا البيت في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

وقال الكميت^(١): [بسيط]

مِثْلُ التَّدْبِيرِ فِي الْأَمْرِ أَتَنَافَكُهُ وَالْمَرْءُ يَعْجِزُ فِي الْإِقْدَامِ لَا الْحِيلَ^(٢)

وقال آخر: [طويل]

وَكُنْتُ مَتَى تُهَزِّزُ لِخَطْبٍ تُعَشِّهِ ضَرَائِبَ أَمْضَى مِنْ رِقَاقِ الْمَضَارِبِ^(٣)
تَجَلَّلَتْهُ بِالرَّأْيِ حَتَّى أَرَيْتُهُ بِهِ مُلْءَ عَيْنِيهِ مَكَانَ الْعَوَاقِبِ

وقال آخر يصف عاقلاً: [طويل]

بَصِيرٌ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ كَأَنَّمَا يَرَى بِصَوَابِ الرَّأْيِ مَا هُوَ وَاقِعٌ

وقال آخر في مثله: [طويل]

عَلِيمٌ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ بِرَأْيِهِ كَأَنَّ لَهُ فِي الْيَوْمِ عَيْنًا عَلَى الْغَدِ

وقال آخر يصف عاقلاً: [طويل]

بَصِيرٌ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ كَأَنَّمَا يَخَاطِبُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَوَاقِبُهُ

وقال جثامة بن قيس^(٤) يهجو قوماً: [بسيط]

أَنْتُمْ أَنْاسُ عِظَامٍ لَا قُلُوبَ لَكُمْ لَا تَعْلَمُونَ أَجَاءَ الرُّشْدُ أَمْ غَابَا؟

(١) هو الكميت بن زيد بن خنيس الأسدي، شاعر الهاشميين، من أهل الكوفة. كان متعصباً للمضرية على القحطانية؛ وأشهر شعره «الهاشميات» وهي عدة قصائد في مدح الهاشميين. توفي سنة ١٢٦ هـ. الأعلام ج ٥ ص ٢٣٣.

(٢) معنى هذا البيت: قد يتساوى أتنافك الأمر وتدبرك له، ولكنه إذا عجزت في الإقدام على عدوك فإنك، في معظم الأحيان، تنجح إذا استعملت الحيلة والمكايدة.

(٣) الضرائب: ج ضرب، وهو الرأس، والمقصود هنا العقل. والمضارب ج مضرب، وهو حد السيف. ومعنى البيت: إذا دهمت عواقب الدهر وحداثته، فإنك تتخلص منها بعقل مدبر أكثر مضاء من حد السيوف.

(٤) جثامة بن قيس بن عبد الله بن الشدأخ بن كنانة أخو الشاعر الفارس بلعاء بن قيس. جهمرة أنساب العرب ص ١٨١.

وتبصرون رؤوس الأمر مقبلةً ولا تَرَوْنَ وقد وَلَّيْنَ أذنابا
وقلَّما يفجأ المكروهُ صاحبه إذا رأى لوجوه الشر أسبابا

وقال آخر: [طويل]

فلا يَحْذَرُونَ الشرَّ حتى يُصِيبَهُمْ ولا يعرفون الأمر إلا تَدْبُرًا^(١)

ويقال: «ظن العاقل كهانة». وفي كتاب للهند: «الناس حازمان وعاجز، فأحد الحازمين الذي إذا نَزَلَ به البلاء لم يبْطُر وتلقاه بحيلته ورأيه حتى يخرج منه، وأحزم منه العارف بالأمر إذا أقبل فيدفعه قبل وقوعه، والعاجز في تردّد وتثَنٍّ حائرٌ بائرٌ لا ياتمر رُشداً ولا يطيع مُرشدًا».

وقال الشاعر: [طويل]

وإني لأَرْجُو الله حتى كَأَنِّي أرى بجميل الظن ما الله صانعُ

وقال آخر: [وافر]

وَعِرةٌ مرّةً مِنْ فِعْلٍ غَيْرٍ^(٢) وَغِرةٌ مرّتين فِعَالٌ مُوقٍ
فلا تفرحُ بأمرٍ قد تدنّى ولا تأيسُ من الأمرِ السَّحِيقِ
فإن القربَ يبعُدُ بعد قُرْبٍ ويدنو البعدُ بالقَدَرِ المَسُوقِ
ومن لم يتقِ الضُّحْضَاحَ^(٣) زَلَّتْ به قَدَمَاهُ في البحر العميقِ

(١) هذا البيت لجرير، ولقد ورد في لسان العرب، مادة (دبر) هكذا:

ولا تَتَقَوْنَ الشرَّ حتى يُصِيبُكُمْ ولا تعرفون الأمر إلا تَدْبُرًا
يقال: عرف الأمر تدبُّراً: أي بآخِرة.

(٢) العِرة: الغفلة والجمع غِرَرٌ. والغِرُّ: الشاب الذي لا تجربة له والشابة كذلك؛ يقال: شاب غِرٌّ وشابة غِرةٌ، والجمع أغرار.

(٣) الضُّحْضَاح: الماء اليسير أو إلى الكعبين أو الكثير بلغة هذيل.

وما آتسبَ المحامدَ طاليوها بمثل البشر وألوجه الطلّيق
وقال مروان بن الحكم لحُبَيْش بن دَلْجَة: أظنك أحقق. قال: «أحمق
ما يكون الشيخ إذا عمل بظنّه». ونقش رجل على خاتمه: «الخاتم خير من
الظن». ومثله: «طينة خير من ظنة».

اتباع الهوى

كان يقال: الهوى شريك العمى. وقال عاير بن الطّرب: الرأي نائمٌ
والهوى يقظانٌ، ولذلك يغلبُ الرأيُ الهوى. وقال آبن عباس: «الهوى إله معبود»
وقرأ: «أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ»^(١). وقال هشام بن عبد الملك، ولم يقل
غَيْرَهُ:

إذا أنت لم تَعْصِ الهوى قادك الهوى إلى بعض ما فيه عليك مقال

وقال بُزْرَجَمَهْر^(٢): «إذا آشتبه عليك أمران فلم تسدّر في أيهما الصواب،
فانظر أقربهما إلى هواك فأجتنبه».

كان عمرو بن العاص صاحبَ عُمارة بن الوليد إلى بلاد الحبشة ومع
عمرو أمراته فوقعت في نفس عُمارة فدفَع عمرواً في البحر فتعلق بالسفينة
وخرج، فلما ورد بلاد الحبشة سعى عمرو بعُمارة إلى النّجاشي وأخبره أنه
يُخَالِف إلى بعض نسائه فدعا النّجاشي بالسواحر فنفخن في إحليله فهام مع
الوحش، وقال عمرو في ذلك:

تعلّم عُماراً أن من شرّ شيمَةٍ لمثلك أن يُدعى ابنُ عمٍّ له أبنا

(١) سورة الجاثية ٤٥، آية ٢٣. والمعنى: من اتخذ دينه دنياه، وتلّفه عقله وهواه. التفسير
المبين.

(٢) بُزْرَجَمَهْر وبذر جمهر عالم حكيم. الفهرست ص ١٣ و ٣٦٤.

وإن كنت ذابُرْدَيْنَ أَحَوَى مُرَجَّلًا فلست براء لابن عمك مَحْرَمًا
 إذا المرء لم يترك طعاماً يحبه ولم يَعْصِ قلباً غاوياً حيث يَمَّا
 قضى وطراً^(١) منه يسيراً وأصبحت إذا ذُكِرَتْ أمثاله تَمَلُّاً أَلْفَمَا
 وقال حاتم طي^(٢) في مثله:
 وإنك إن أعطيت بطنك سُؤْلَهُ وفَرَجَكَ نالاً مُتَهَي الذَّمِ أَجْمَعَا
 وقال آخر:
 جَارَ الْجُنَيْدُ عَلَيَّ مُحْتَكِمًا جُهْلًا وَلَسْتُ بِمَوْضِعِ الظُّلَمِ^(٣)
 أَكَلُ الْهُوَى حُجْجِي وَرَبُّ هَوَى مِمَّا سَيَأْكُلُ حُجَّةَ الْخَصْمِ
 وقال أعرابي: «الهُوَى هَوَانٌ»^(٤)، ولكن غُلِطَ بِأَسْمِهِ.
 وقال الزبير بن عبد المطلب^(٥):
 وَأَجْتَنِبُ الْمَقَادِيعَ حَيْثُ كَانَتْ وَأَتْرُكُ مَا هَوَيْتُ لَمَّا خَشِيتُ
 وقال البريق^(٦) الهذلي:
 أَبْنُ لِي مَا تَرَى وَالْمَرْءُ تَأْبَى عَزِيمَتُهُ وَيَغْلِبُهُ هَوَاهُ
 فَيَعْمَى مَا يُرَى فِيهِ عَلَيْهِ وَيَحْسَبُ مَا يَرَاهُ لَا يَرَاهُ

(١) الوَطْرُ: الحاجة.

(٢) حاتم بن عبد الله الطائي القحطاني فارس شاعر جواد، يضرب المثل بجوده. له شعر كثير ضاع معظمه. توفي سنة ٤٦ ق هـ. الأعلام ج ٢ ص ١٥١.

(٣) الجُنَيْدُ: تصغير جُنْد، والجُهْلُ: ج جاهل.

(٤) الهَوَانُ: الدُّلُ.

(٥) الزبير بن عبد المطلب بن هاشم أكبر أعمام النبي ﷺ، أدركه النبي في طفولته، وكان الزبير يعدُّ من شعراء قريش إلّا أنَّ شعره قليل. الأعلام ج ٣ ص ٤٢.

(٦) هو عياض بن خويلد الهذلي، ويلقب بالبريق، حجازي مخضرم، وله مع عمر بن الخطاب حديث. معجم الشعراء للمرزباني دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٢، صفحة ٢٦٨.

وكان يقال: «أخوك مَنْ صَدَقَكَ وأتاك من جهة عقلك لا من جهة هواك».

السِّرُّ وَكِتْمَانُهُ وَإِعْلَانُهُ

حدَّثني أحمد بن الخليل قال: حدَّثنا محمد بن الحُصَيْب قال: حدَّثني أوس بن عبد الله بن بُريدة عن أخيه سهل عن بُريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «استعينوا على الحوائج بالكتمان فإنَّ كلَّ ذي نعمة مُحْسود». وكانت الحكماء تقول: «سِرُّك من دمك». والعرب تقول: «من آرتاذ لسره موضعاً فقد أذاعه».

حدَّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن قُرَيْب عن عمِّه الأصمعي قال: أخبرني بعض أصحابنا قال: دخل ابن أبي مُحَجَّج^(١) الثقفي على معاوية، فقال له معاوية: أبوك الذي يقول:

[طويل]

إِذَا مِتُّ فَأَدْفُنِّي إِلَى أَصْلِ كَرَمَةٍ تُرَوِّي عِظَامِي بَعْدَ مَوْتِي عُروْقَهَا
وَلَا تَدْفُنِّي فِي الْفَلَاةِ فَإِنِّي أَخَافُ وَرَاءَ الْمَوْتِ أَنْ لَا أَذُوقَهَا

فقال ابن أبي مُحَجَّج: لو شِئْتُ ذَكَرْتُ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا مِنْ شَعْرِهِ. فقال

معاوية: وما ذاك؟ قال قوله:

[بسيط]

لَا تَسْأَلِي الْقَوْمَ مَالِي وَمَا حَسْبِي وَسَأَلِي الْقَوْمَ مَا حَزَمِي وَمَا خُلْقِي
الْقَوْمُ أَعْلَمُ أَنِي مِنْ سَرَائِهِمْ إِذَا تَطْيِشُ يَدُ الرَّعْدِيَّةِ الْفَرْقِ^(٢)
أَعْطِي السَّنَانَ غَدَاةَ الرُّوعِ حِصَّتَهُ وَعَامِلِ الرُّمَحِ أَرْوِيهِ مِنَ الْعَلَقِ^(٣)
قَدْ أَرَكَبُ الْهَوَلَ مَسْدُولاً عَسَاكِرُهُ وَأَكْتُمُ السَّرَّ فِيهِ ضَرْبَةَ الْعُنُقِ

(١) هو عمرو بن حبيب بن عوف، أحد الأبطال الشعراء الكرماء. أسلم سنة ٩ هـ. ولكنه كان منهمكاً في شرب النبيذ فحذَّه عمر مراراً فترك النبيذ. توفي سنة ٣٠ هـ. الأعلام ج ٥ ص ٧٦.

(٢) ج سَرِي، وهو السيد الشريف السخي. والرَّعْدِيَّة: الجبان. والفَرْق: الشديد الفزع.

(٣) الْعَلَقُ: الدم.

وَأُنْشِدْنِي لِلصَّلَتَانِ الْعَبْدِي^(١) : [مقارب]
وَسِرُّكَ مَا كَانَ عِنْدَ أَمْرِي وَسِرُّ الثَّلَاثَةِ غَيْرُ الْخَفِيِّ
وَكَانَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَتِمَثَّلُ بِهِذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

[مقارب]
وَلَا تُفْشِرْ سِرُّكَ إِلَّا إِلَيْكَ فَإِنَّ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحًا
فَإِنِّي رَأَيْتُ غَوَاةَ الرَّجَا لَ لَا يَتْرَكُونَ أَدِيمًا صَحِيحًا

وقال الشاعر: [كامل]
وَمُرَاقِبَيْنِ تَكَاتَمَا بِهِمَا جَعَلَا الْقُلُوبَ لَمَّا تُجِنُّ قُبُورًا
يَتَلَحُّظَانِ تَلَحُّظًا فَكَأَنَّمَا يَتَنَاسَخَانِ مِنَ الْجَفُونِ سَطُورًا^(٢)

وقال مسكين الدارمي^(٣) : [طويل]
أَوَاخِي رِجَالًا لَسْتُ أَطْلُعُ بَعْضَهُمْ عَلَى سِرٍّ بَعْضٍ غَيْرَ أَنِّي جَمَاعُهَا
يُظَلُّونَ شَتَّى فِي الْبِلَادِ وَسِرُّهُمْ إِلَى صَخْرَةٍ أَعْيَا الرِّجَالِ أَنْصِدَاعُهَا

وقال آخر: [بسيط]
وَلَوْ قَدَرْتُ عَلَى نِسْيَانِ مَا أَشْتَمَلْتُ مِنِّي الضُّلُوعُ مِنَ الْأَسْرَارِ وَالْخَبَرِ

(١) الصَّلَتَانِ العبدِي هو قَتَمُ بْنُ حَبِيبَةَ، مِنْ بَنِي مُحَارِبٍ بْنِ عَمْرٍو، شَاعِرٌ حَكِيمٌ. تَوَفَّى نَحْوَ ٨٠ هـ. الأعلام ج ٥ ص ١٩٠.

أَشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْكَبِيرَ كَرُّ الْغَدَاةِ وَمَرُّ الْعَشِيِّ

(٢) سِذَكَرَ هَذَانِ الْبَيْتَانِ فِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ.

(٣) هُوَ رُبَيْعَةُ بْنُ عَامَرَ بْنِ أَتَيْفَ بْنِ شَرِيحٍ الدَّارِمِيُّ التَّمِيمِيُّ، شَاعِرٌ عِرَاقِيٌّ شَجَاعٌ. لَقِبَ مَسْكِينًا لِأَبْيَاتِ قَالِ فِيهَا (رَمَلٌ).

أَنَا مَسْكِينٌ لِمَنْ أَنْكَرَنِي

تَوَفَّى سَنَةَ ٨٩ هـ. الأعلام ج ٣ ص ١٦.

لَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ يَنْسَى سِرَّائِهِ إِذْ كُنْتُ مِنْ نَشْرِهَا يَوْمًا عَلَى خَطَرٍ
أَسْرَ رَجُلٌ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ حَدِيثًا فَلَمَّا اسْتَقْصَاهُ قَالَ لَهُ : أَفْهِمْتُ؟ قَالَ :
لا، بل نَسِيتُ.

قِيلَ لِأَعْرَابِي : كَيْفَ كِتْمَانِكَ لِلسَّرِّ؟ قَالَ : «مَا قَلْبِي لَهُ إِلَّا قَبْرٌ». وَقِيلَ
لِمُزَيْدٍ : أَيُّ شَيْءٍ تَحْتَ حَضَنِكَ؟ فَقَالَ : يَا أَحْمَقُ، لِمَ خَبَّأْتُهُ. وَقَالَ الشَّاعِرُ :
[وافر]

إِذَا مَا ضَاقَ صَدْرُكَ عَنْ حَدِيثٍ فَأَفْشَيْتَهُ الرِّجَالُ فَمَنْ تَلَوْمْ؟
إِذَا عَاتَبْتَ مَنْ أَفْشَى حَدِيثِي وَسَرَّيَ عِنْدَهُ فَأَنَا الظَّلْمُ
وَإِنِّي حِينَ أَسْأَلُ حَمَلَ سَرِّي وَقَدْ ضَمَّنْتُهُ صَدْرِي، سَوْؤُومٍ
قِيلَ لِرَجُلٍ : كَيْفَ كِتْمَانِكَ لِلسَّرِّ؟ قَالَ : «أَجْحَدُ الْمُخْبِرِ وَأَحْلِفُ
لِلْمُسْتَخْبِرِ». وَكَانَ يَقَالُ : «مِنْ وَهْيِ الْأَمْرِ إِعْلَانُهُ قَبْلَ إِحْكَامِهِ». وَقَالَ
الشَّاعِرُ :
[طويل]

إِذَا أَنْتَ حَمَلْتَ الْخَوْفَ أَمَانَةً فَإِنَّكَ قَدْ أَسْنَدْتَهَا شَرًّا مُسْنَدٍ
وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : «مَا اسْتَوْدَعْتُ رَجُلًا سِرًّا فَأَفْشَاهُ فَلِمَتُهُ، لِأَنِّي
كُنْتُ أَضِيقُ صَدْرًا حِينَ اسْتَوْدَعْتَهُ». وَقَالَ :
[طويل]
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَحْفَظْ لِنَفْسِكَ سِرَّهَا فَسَرُّكَ عِنْدَ النَّاسِ أَفْشَى وَأَضْيَعُ
وَكَانَ يَقَالُ : «مَنْ ضَاقَ قَلْبُهُ اتَّسَعَ لِسَانُهُ».

وَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ لِأَبِيهِ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسْرَأَ إِلَيَّ حَدِيثًا وَلَا أَرَاهُ
يَطْوِي عَنْكَ مَا يَسْطُهُ لَغَيْرِكَ، أَفَلَا أَحَدَّثَكَ بِهِ؟ قَالَ : لَا يَا بُنَيَّ «إِنَّهُ مَنْ كَتَمَ
سِرَّهُ كَانَ الْخِيَارَ لَهُ، وَمَنْ أَفْشَاهُ كَانَ الْخِيَارَ عَلَيْهِ، فَلَا تَكُونَنَّ مَمْلُوكًا بَعْدَ أَنْ
كُنْتُ مَالِكًا» قَالَ : قَبِلْتُ : وَإِنَّ هَذَا لَيَجْرِي بَيْنَ الرَّجُلِ وَأَبِيهِ؟ قَالَ : لَا، وَلَكِنِّي

أكره أن تُدَلَّلَ لسانك بأحاديث السر. فحدَّثت به معاوية فقال: يا وليد، أعتَقَكَ أخِي من رِقِّ الخطأ.

وفي كتب العجم أن بعض ملوك فارس قال: «صونوا أسراركم فإنه لا سرٌّ لكم إلا في ثلاثة مواضع: مَكِيدَةٌ تُحَاوَلُ أو مَنَزِلَةٌ تُزَاوَلُ أو سَرِيرَةٌ مَدْخُولَةٌ تُكْتَمُ، ولا حاجة بأحد منكم في ظهور شيء منها عنه». وكان يقال: «ما كنتُ كاتِمَهُ مِنْ عَدُوِّكَ فلا تُظْهِرْ عليه صديقك».

وقال جَمِيل بن مَعَمَرٍ: [طويل]
أَمُوتُ وَأَلْقَى اللّٰهَ يَا بَنُّنُ^(١) لَمْ أُبْخَ بِسَّرِّكَ وَالْمُسْتَخْبِرُونَ كَثِيرٌ

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي: [طويل]
ولما تلاقينا عَرَفْتُ الَّذِي بَها كَمِثْلَ الَّذِي بِي جَذَوْتُكَ النِّعْلَ بِالنِّعْلِ
فَقَالَتْ وَأَرْخَتْ جَانِبَ السِّتْرِ إِنَّمَا مَعِيَ فَتَكَلَّمْ غَيْرَ ذِي رِقْبَةٍ أَهْلِي^(٢)
فَقُلْتُ لَهَا مَا بِي لَهُمْ مِنْ تَرْقُبٍ وَلَكِنْ سَرِّي لَيْسَ يَحْمِلُهُ مِثْلِي
يريد أنه ليس يحمله أحد مثلي في صيانتها وستره، أي فلا أبذيه لأحد.

وقال زهير^(٣): [كامل]

السِّتْرُ دُونَ الْفَاحِشَاتِ وَلَا يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِتْرِ

وقال آخر: [طويل]
فَسِرِّي كإِعْلَانِي وَتِلْكَ خَلِيقَتِي وَظُلْمَةٌ لَيْلِي مِثْلُ ضَوْءِ نَهَارِيَا

وقال آخر لأخٍ له وَحَدَّثَهُ بِحَدِيثٍ: إَجْعَلْ هَذَا فِي وَعَاءٍ غَيْرِ سَرَبٍ.

(١) بَنُّنُ: منادى مرَّحَم، وأصل الكلام: يَا بَنُّنَةُ.

(٢) أي تَكَلَّمْ بحرية؛ فإنك غير مراقب من قبل أهلي. والرَّقْبَةُ هي الحراسة والتحفظ والفزع.

(٣) هو زهير بن أبي سلمى الشاعر الشهير، وسيرد بيته المذكور في هذا الجزء من هذا الكتاب.

والسَّرب السائل. وكان يقال: «للقائل على السامع جَمْعُ البال والكتمان وبَسْطُ العذر». وكان يقال: «الرعاية خير من الاسترعاء».

أتى رجلٌ عُبِيدَ الله بن زياد فأخبره أن عبد الله بن هَمَّام السَّلُولي^(١) سَبَّه، فأرسل إليه فأتاه فقال: يا أبن هَمَّام، إن هذا يزعم أنك قلت: كذا وكذا. فقال أبن هَمَّام:

[طويل]

فأنتَ أمرؤ إمَّا أَتَمَمْتُكَ خَالِيًّا فحُنتَ، وإمَّا قُلْتَ قولاً بلا عِلْمٍ

وإنك في الأمر الذي قد أَتَيْتَهُ لفي منزلٍ بين الخيانة والإثم

[خفيف]

وقال آخر:

إخْفِضِ الصَّوْتَ إِنْ نَطَقْتَ بَلِيلٍ وَالْتَفِتْ بِالنَّهَارِ قَبْلَ الْكَلَامِ

[طويل]

وقال بعض الأعراب:

ولا أَكْتُمُ الأسرارَ لَكِنْ أَنَّمُهَا ولا أَدْعُ الأسرارَ تَغْلِي على قلبي

وإنَّ قليلَ العقلِ مَنْ باتَ ليلَهُ تُقْلِبُهُ الأسرارُ جَنْباً إلى جنب

[بسيط]

وقال أبو الشَّيْصِ^(٢):

ولا تَأْمَنَنَّ على سِرِّي وَسِرِّكُمْ غيريَ وغيرَكَ أَوْطِيَّ القَرَّاطِيسِ

أو طائرٍ^(٣) سَاحِلِيهِ وَأَنْعَتُهُ ما زال صاحبُ تَنْقِيرٍ وتأسيس

(١) عبد الله بن همام السلولي شاعر إسلامي، يقال: هو الذي بعث يزيد بن معاوية على البيعة لابنه معاوية. وكان يقال له «العطار» لحسن شعره. توفي نحو ١٠٠ هـ. الأعلام ج ٤ ص ١٤٣ والشعر والشعراء لابن قتيبة.

(٢) قال في سرور النفس: «أبو الشَّيْصِ في الهُدُود» وأبو الشَّيْصِ هو محمد بن علي بن رزين الخزاعي، من أهل الكوفة، شاعر مطبوع، سريع البديهة وبارع في وصف الشراب. وأبو الشَّيْصِ لقب، وكنية أبو جعفر. وهو ابن عم دُجَبل الخزاعي. توفي سنة ١٩٦ هـ. الأعلام ج ٦ ص ٢٧١ ومعجم الحماسة ص ١١٤، الدكتور عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، الرياض، دار المريخ، ١٤٠٢ هـ.

(٣) هذا الطائر هو هُدُود النبي سليمان بن داود عليهما السلام، ويروى أنه كان تعلم منطق الطير، ولا سيما الهُدُود، وفهم أصواته.

سُودِ بَرَاثِنُهُ مِثْلَ ذَوَائِبِهِ صُفْرِ حَمَالِقِهِ فِي الْحَسَنِ مَغْمُوسٍ
 قَدْ كَانَ هَمٌّ سَلِيمَانٌ لِيَذْبَحَهُ لَوْلَا سَعَايَتُهُ يَوْمًا يَلْقَيْسُ^(١)
 وَقَالَ أَيْضًا:

أَفْضَى أَلَيْكَ بِسَرِّهِ قَلَمٌ لَوْ كَانَ يَعْرِفُهُ بِكَيِّ قَلَمُهُ
 وَقَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ^(٢) فِي الْكِتَابِ يَأْتِيكَ فِيهِ السَّرُّ: [بسيط]
 الْحَزْمُ تَخْرِيقُهُ إِنْ كُنْتَ ذَا حَذَرٍ وَإِنَّمَا الْحَزْمُ سُوءُ الظَّنِّ بِالنَّاسِ
 إِذَا أَتَاكَ وَقَدْ أَدَّى أَمَانَتَهُ فَاجْعَلْ صِيَانَتَهُ فِي بَطْنِ أَرْمَاسٍ^(٣)
 وَقَالَ آخَرُ: [طويل]

سَأَكْتُمُهُ سَرِّي وَأَحْفَظُ سَرَّهُ وَلَا غَرَّنِي أَنِي عَلَيْهِ كَرِيمٌ
 خَلِيمٌ فَيَنْسَى أَوْ جَهُولٌ يُشِيعُهُ وَمَا النَّاسُ إِلَّا جَاهِلٌ وَحَلِيمٌ

الْكِتَابُ وَالْكِتَابَةُ

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ عَنْ وَهْبِ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ

(١) قَالَ ابْنُ حَزْمٍ فِي الْجُمُهِرَةِ ص ٤٣٧ وَ ٤٣٩ مَا مَعْنَاهُ: يَلْقَيْسُ هِيَ بِنْتُ إِيلِيٍّ أَشْرَحَ بَنُ ذِي جَدَدٍ ابْنُ إِيلِيٍّ أَشْرَحَ بَنُ قَيْسِ بْنِ صَيْفِيٍّ. ابْنُ مَنْظُورٍ فِي اللِّسَانِ، مَادَّةُ (هَدَدٌ) أَنَّهَا بَلَقَةٌ أَوْ بَلْقَيْسُ بِنْتُ بَلْبُشْرَحَ، وَأَنَّ سَلِيمَانَ بْنَ دَاوُدَ زَوَّجَهَا هَدَدَ بْنَ هَمَّالٍ أَحَدَ مَلُوكِ حَمِيرٍ. وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ الْأَرْبَعَةُ فِي سُرُورِ النَّفْسِ ص ١٠٤ بِاخْتِلَافٍ يَسِيرٍ عَمَّا هُنَا.

(٢) هُوَ الْمَعْرُوفُ بِصَرِيحِ الْغَوَانِي، شَاعِرُ غَزَلٍ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَكْثَرَ مِنَ الْبَدِيعِ وَتَبِعَهُ الشُّعْرَاءُ فِيهِ. لَقَّبَهُ الرَّشِيدُ الْعَبَّاسِيُّ بِصَرِيحِ الْغَوَانِي؛ لِأَنَّهُ أَنْشَدَهُ هَذَا الْبَيْتَ (طَوِيلٌ).

مِمَّا الْعَيْشَ إِلَّا أَنْ تَرُوحَ مَعَ الصَّبَا وَتَغْدُو صَزِيعَ الْكَأْسِ وَالْأَعْيُنِ التُّجَلَّ
 تُوَفِّي سَنَةَ ٢٠٨ هـ. الْأَعْلَامُ ج ٧ ص ٢٢٣.

(٣) الْأَرْمَاسُ: جُزْءٌ مِنَ الْقَبْرِ، وَهُوَ الْقَبْرُ. وَالْمَعْنَى: إِحْفَظُ السَّرَّ حَتَّى الْمَمَاتِ.

عن الحسن عن عمرو بن ثعلب عن النبي ﷺ قال: «من أشرط الساعة أن يفيض المال ويظهر القلم وتفشو التجار» قال عمرو: إن كنا نلتبس في الجِواء^(١) العظيم الكاتب، ويبيع الرجل البيع فيقول: حتى أستأمن تاجر بني فلان.

حدَّثنا أحمد بن الخليل عن إسماعيل بن أبان عن عُبَيْسَةَ بن عبد الرحمن القُرشي عن محمد بن زاذان عن أم سعد عن زيد بن ثابت قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يُملي في بعض حوائجه فقال: «ضع القلم على أذنك فإنه أذكر للمُملِّي به».

وحدَّثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب قال: «كان إدريس النبي عليه السلام أول من خطَّ بالقلم وأول من خاط الثياب ولبسها، وكانوا من قبله يلبسون الجلود».

حدَّثنا إسحاق بن راهويه قال: أخبرنا جرير عن يزيد بن أبي زياد عن عياض بن أبي موسى أن عمر بن الخطاب قال لأبي موسى: ادع لي كاتبك ليقرأ لنا صُحُفاً جاءت من الشام. فقال أبو موسى: إنه لا يدخل المسجد: قال عمر: أيه جنابة؟ قال: لا، ولكنه نصراني. قال: فرفع يده، فضرب فخذه حتى كاد يكسرها ثم قال: ما لك! قاتلك الله! أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾^(٢)! ألا اتخذت رجلاً جنيافاً؟ فقال أبو موسى: له دينه ولي كتابته. فقال عمر: «لا أكرمهم إذ أهانهم الله ولا أعزهم إذ أذلهم ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله».

(١) الجِواء: جماعة البيوت المتدانية وهي من الوبر، والجمع أحوية.

(٢) سورة المائدة ٧٥ آية ٥١. والمعنى: لا تتخذوهم أصدقاء إذا نصبوا لكم العداء وكانوا حرباً عليكم.

حدَّثنا إِسحاق بن رَاهُوِيَه قال: أَخْبَرنا عيس بن يونس قال: حدَّثنا أَبُو حَيَّان التَّيْمِي عن أَبِي زُبَّاع عن أَبِي الدَّهْقَانَة قال: ذَكَرَ لِعمر بن الخطَّابِ غلامٌ كاتبٌ حافظٌ من أَهل الحِيرة وكان نصرانياً، فقليل له: لو آتخذته كاتباً. فقال: «لقد آتخذتُ إِذاً بِطانةً من دون المؤمنين».

حدَّثني أَبُو حاتم قال: مُرَامِر بن مَرْوَة^(١) من أَهل الأَنْبار وهو الذي وضع كتابَ العَرَبِيَّة، ومن الأَنْبار انتشرت في الناس.

حدَّثني أَبُو سهل عن الطَّنَافِسي عن المُنْكَدِر بن مُحَمَّد عن أبيه مُحَمَّد ابن المُنْكَدِر قال: جاء الزُّبَيْر بن العَوَّام إلى النبي ﷺ فقال: كيف أصبحت؟ جعلني الله فِداك! قال: «ما تركتُ أَعرابِيَّتَكَ بعد».

قال عبد الملك بن مروان لأخيه عبد العزيز حين وجَّهه إلى مصر: «تفقَّد كاتبك وحاجبتك وجليستك، فإنَّ الغائب يخبره عنك كاتبك، والمتوسَّم يعرفك بحاجبتك، والداخلُ عليك يعرفك بجليستك».

ابن أبي الزُّناد عن أبيه قال: كنت كاتباً لِعمر بن عبد العزيز فكان يكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطَّاب في المظالم فيراجعه، فكتب إليه: «إِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيَّ أَنِّي لو كتبتُ إِلَيْكَ أن تُعْطِيَ رجلاً شاةً لكتبتُ إِلَيْهِ: أَضْأَنُ أم ماعِز؟ ولو كتبتُ إِلَيْكَ بأحدهما لكتبتُ: أَذْكَرُ أم أنثى؟ ولو كتبتُ إِلَيْكَ بأحدهما لكتبتُ: أَصْغِيرُ أم كَبِير؟ فإذا أتاك كتابي هذا فلا تُراجِعْني في مَظْلَمَةٍ».

وكتب أَبُو جعفر إلى سَلَم بن قُتَيْبَة يأمره بهدم دُورٍ من خرج مع إبراهيم

(١) ترجم له الزركلي في الأعلام (ج ٧ ص ٢٠٠) وذكر اسمه مُرامِر بن مَرْوَة الطائي وقال: أحد من يقال إنهم وضعوا الخط العربي أو نقلوه من طريقة إلى أخرى، في الجاهلية.

وعَقَر نخلهم. فكتب إليه: بأي ذلك نبداً أبالنخل أم بالدُّور؟ فكتب إليه أبو جعفر: «أما بعد، فإنني لو أمرتُك بإفساد ثمرهم لكتبتُ إليّ تستأذنُ في أيّ تبدأ أبالبرنيّ أم بالشَّهْرِيْز^(١)؟» وعزله، ووَلَّى محمد بن سليمان. وكان يقول: «للكاتب على الملك ثلاثة، رَفَعُ الحِجَاب عنه، وأتَّهَام الوشاة عليه، وإفشاء السرِّ إليه».

كانت العَجَم تقول: «من لم يكن عالماً بإجراء المياه وبحفر فُرُص الماء والمسارب ورَدَم المَهاوي ومَجاري الأيام في الزيادة والنقصان وأستهلال القمر وأفعاله ووزن الموازين وذَرَع المُثَلَّث والمُرْبِع والمُخْتَلِف الزوايا ونَصَب القناطر والجُسُور والدوالي والنواعير على المياه وحال أدوات الصُّنَاع ودقائق الحساب كان ناقصاً في حِال كتابته».

قال مَيْمُون بن مَيْمُون: «إذا كانت لك إلى كاتب حاجةٌ فليكن رسولُك إليه الطَّمَع». وقال: «إذا أَخِيَتْ الوزير فلا تَخْشَ الأمير».

وفي كتاب للهند: «إذا كان الوزير يُساوي المَلِك في المال والهِبَة والطاعة من الناس فَلْيُضَرِّعهُ المَلِكُ، وإن لم يفعل فليعلم أنه هو المصروع».

المدائني قال: خلا زياد يوماً في أمر ينظر فيه وعنده كاتب له يكتب وأبنة عُبَيْد الله، فنَعَس زياد فقال لعبيد الله: تعهّد هذا لا يكتب شيئاً. ونام، فوجد عبید الله مَسّاً^(٢) من البول فكَّره أن يُوقِظ أباه وكره أن يُخَلِّي الكاتب فشدَّ إِبْهَامَيْه بخيط وختَمَه وقام لحاجته.

(١) البرني أي التمر البرني، وهو من أجود التمور، معرَّب بَرِيْنِك بالفارسية، ومعناه الحمل الجيد. والتمر الشَّهْرِيْز كتمر سَهْرِيْز بالسين المهملة، وهو نوع من التمر مشهود؛ يقال: تمر شهريز وسهريز على النعت.

(٢) المَسُّ من البول: أول ما ناله منه.

وقال أبو عبّاد الكاتب: ما جلس أحد قط بين يديّ إلا تخيل إليّ أني

جالس بين يديه.

وقرأت في التاج أن أبرّيز قال لكاتبه: «أُكْتِمِ السِّرَّ وَأَصْدُقِ الْحَدِيثَ
وَأَجْتَهِدْ فِي النَّصِيحَةِ وَأَحْتَرَسْ بِالْحَذَرِ، فَإِنَّ لَكَ عَلَيَّ أَنْ لَا أَعْجَلَ بِكَ حَتَّى
أُسْتَأْنِي لَكَ وَلَا أَقْبَلَ عَلَيْكَ قَوْلًا حَتَّى أُسْتَيْقِنَ وَلَا أُطْمَعَ فِيكَ أَحَدًا فَيَغْتَالَكَ.
وَأَعْلَمْ أَنَّكَ بِمَنْجَاةٍ رَفْعَةٍ فَلَا تَحْطِنُهَا وَفِي ظِلِّ مَمْلَكَةٍ فَلَا تَسْتَزِيلُنَّه، وَقَارِبِ
النَّاسَ مَجَامِلَةً عَنْ نَفْسِكَ وَبَاعِدِ النَّاسَ مُشَايَحَةً^(١) مِنْ عَدُوِّكَ وَأَقْصِدْ إِلَى
الْجَمِيلِ آدْرَاعًا لَعْدُكَ وَتَحَصَّنْ بِالْعَفَافِ صَوْنًا لِمَرْوَتِكَ وَتَحَسَّنْ عِنْدِي بِمَا
قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ حَسَنِ وَلَا تُشْرَعَنَّ الْأَلْسَنَةَ فِيكَ وَلَا تَقْبَحَنَّ الْأَحْدُوثةَ عَنْكَ وَصُنْ
نَفْسَكَ صَوْنَ الدُّرَّةِ الصَّافِيَةِ وَأَخْلِصْهَا إِخْلَاصَ الْفِضَّةِ الْبَيضاءِ وَعَاتِبْهَا مَعَاتِبَةَ
الْحَذَرِ الْمُشْفِقِ وَحَصِّنْهَا تَحَصِينَ الْمَدِينَةِ الْمَنِيعَةِ. لَا تَدْعَنَّ أَنْ تَرْفَعَ إِلَيَّ
الصَّغِيرَ، فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الْكَبِيرِ وَلَا تَكْتُمَنَّ الْكَبِيرَ فَإِنَّهُ لَيْسَ شَاغِلِي عَنِ الصَّغِيرِ.
هَذِّبْ أُمُورَكَ ثُمَّ أَلْقِنِي بِهَا وَأَحْكَمْ لِسَانَكَ ثُمَّ رَاجِعْنِي بِهِ وَلَا تَجْتَرِئَنَّ عَلَيَّ
فَأَمْتَعِضَ وَلَا تَنْقَبِضَ مِنِّي فَاتَّهَمَ وَلَا تُمَرِّضَنَّ مَا تَلْقَانِي بِهِ وَلَا تُخْدِجَنَّهُ. وَإِذَا
فَكَّرْتَ فَلَا تَعْجَلْ وَإِذَا كَتَبْتَ فَلَا تُعْذِرْ، وَلَا تَسْتَعِينَنَّ بِالْفُضُولِ فَإِنَّهَا عِلَاوَةٌ عَلَى
الْكَفَايَةِ وَلَا تُقْصِرَنَّ عَنِ التَّحْقِيقِ فَإِنَّهَا هُجْنَةٌ بِالْمَقَالَةِ وَلَا تَلْسَنَّ كَلَامًا بِكَلَامٍ وَلَا
تَبَاعِدَنَّ مَعْنِي عَنْ مَعْنَى. أَكْرَمُ كِتَابِكَ عَنْ ثَلَاثٍ: خُضُوعٍ يَسْتَخْفُهُ، وَأَنْتِشَارٍ
يُشَبِّحُهُ، وَمَعَانٍ تَقْعُدُ بِهِ، وَأَجْمَعَ الْكَثِيرِ مِمَّا تَرِيدُ فِي الْقَلِيلِ مِمَّا تَقُولُ، وَلَيْكِنْ
بَسْطَةُ كِتَابِكَ عَلَى السُّوْقَةِ كَبْسُطَةِ مَلِكِ الْمُلُوكِ عَلَى الْمُلُوكِ، وَلَا يَكُنْ مَا تَمْلِكُ
عَظِيمًا وَمَا تَقُولُ صَغِيرًا فَإِنَّمَا كَلَامُ الْكَاتِبِ عَلَى مَقْدَارِ الْمَلِكِ فَأَجْعَلْهُ عَالِيًا
كَعِلْوِهِ وَفَائِقًا كَفَوْقِهِ. وَأَعْلَمْ أَنَّ جُمَاعَ الْكَلَامِ كُلَّهُ خِصَالُ أَرْبَعٍ: سَوَالُكَ

(١) مشايحة: محاذرة.

الشيء، وسؤالك عن الشيء، وأمرك بالشيء، وخبرك عن الشيء فهذه
الخلال دعائم المقالات إن ألتمس لها خامس لم يُوجد وإن نُقص منها رابع
لم تتم، فإذا أمرت فأحكم وإذا سألت فأوضح وإذا طلبت فأسجح وإذا
أخبرت فحقق فإنك إذا فعلت ذلك أخذت بحزامير^(١) القول كله فلم يشبهه
عليك وارده ولم يُعجزك منه صادره. أثبت في دواوينك ما أدخلت وأحص
فيها ما أخرجت وتيقظ لما تأخذ وتجرّد لما تعطي ولا يغلبنك النسيان عن
الإحصاء ولا الأناة عن التقدّم ولا تُخرجن وزن قيروط في غير حق ولا تعظمن
إخراج الكثير في الحق، وليكن ذلك كله عن مؤامرتي.

قال رجل لبيه: «يا بني، تزيوا بزّي الكتاب فإن فيهم أدب الملوك
وتواضع السوقة».

قال الكسائي: «لقيت أعرابياً فجعلت أسأله عن الحرف بعد الحرف
وعن الشيء بعد الشيء أقرّنه بغيره فقال: يا لله! ما رأيت رجلاً أقدر، على
كلمة إلى جنب كلمة أشبه شيء بها وأبعد شيء منها، منك!»
وقال ابن الأعرابي: «رآني أعرابي وأنا أكتب الكلمة بعد الكلمة من
ألفاظه فقال: إنك لحتف الكلمة الشرود».

وقال رجل من أهل المدينة: «جلست إلى قوم ببغداد فما رأيت أوزن من
أحلامهم ولا أطيش من أعلامهم».

وكتب بعض الكتاب إلى صديق له: «وصل إليّ كتابك فما رأيت كتاباً
أسهل فنوناً ولا أملس مُتوناً ولا أكثر عيوناً ولا أحسن مقاطع ومطالع ولا أشدّ

(١) الحزامير: ج حُزْمُور، وهو كالحُذْفُور زنة ومعنى. والحذفور هو الجانب وعبارة: أَخَذَتْهُ
بحزاميره أو بحذافيره تعني: أخذته بأسره أو بجوانبه أو بأغاليه.

على كل مفصل حرّاً منه . أنجزت فيه عدّة الرأي وبشرى الفِراسة وعاد الظنُّ بك يقيناً والأمل فيك مبلوغاً .

ويقال : «عقول الرجال في أطراف أعلامها» .

ويقال : «القلم أحد اللسانين وخفة العيال أحد اليسارين وتعجيل اليأس أحد الظفّريّين وإملاك العجين أحد الرّيعيّين وحسن التقدير أحد الكاسيّين واللّبن أحد اللّحميّين» . وقد يقال : المرق أحد اللحمين .

قيل لبعضهم : إن فلاناً لا يكتب ، فقال : تلك الرّمانة^(١) الخفيّة . وقرأت في بعض كتب العجم أن مُوبَذان مُوبَذ وصف الكُتّاب فقال : «كُتّاب الملوك عيّبتهم المصونة عندهم وآذانهم الواعية وألسنتهم الشاهدة ، لأنه ليس أحد أعظم سعادةً من وزراء الملوك إذا سَعِدَت الملوك ، ولا أقرب هلكة من وزراء الملوك إذا هَلِكَتِ الملوك ، فُترَفَع التهمة عن الوزراء إذا صارت نصائحهم للملوك نصائحهم لأنفسهم ، وتعظم الثقة بهم حين صار اجتهداهم للملوك اجتهداهم لأنفسهم فلا يُتَّهَم روح على جسده ولا يتهم جسد على روحه لأن زوال ألْفَتَهما زوال نعمتهما ، وأنّ أَلْتِثَام ألْفَتَهما صلاح خاصّتهما» .

[بسيط]

وقال :

لَيْنُ ذَهَبْتُ إِلَى الْحَجَّاجِ يَقْتُلُنِي إِنِّي لِأَحْمَقُ مَنْ تَخَذِي بِهِ الْعَيْرُ^(٢)
مُسْتَحْقِباً^(٣) صُحْفاً تُدْمِي طَوَابِعُهَا وَفِي الصَّحَائِفِ حَيَاتٌ مَنَاكِيرُ

(١) الرّمانة : العاهة .

(٢) أحقه : وجده أحق . والعير : الإبل أو كل ما أمتير عليه إبلاً كانت أو حميراً أو بغالاً ، والجمع عيرّات . وتخذى : تسرع ؛ يقال : خذى الفرس والبعير يخذي خذياً : أسرع وزجّ بقوائمه . والمعنى : إن من تخذي به العير فهو بنظري أحق .

(٣) مُسْتَحْقِباً : مُدْجِراً .

وقال بعض الشعراء في القلم: [طويل]

عَجِبْتُ لَدِي سِنَّينَ فِي المَاءِ نَبْتُهُ لَهُ أَثَرٌ فِي كُلِّ مِصْرٍ وَمَعْمَرٍ

وقال بعض المحدثين في القلم: [متقارب]

ضَيْلُ الرُّوَاءِ كَبِيرُ الغَنَاءِ مِنْ البَحْرِ فِي المَنْصِبِ الأَخْضَرِ^(١)
كَمَثَلِ أَخِي العُشْقِ فِي شَخْصِهِ وَفِي لَوْنِهِ مِنْ بَنِي الأَصْفَرِ^(٢)
يَمُرُّ كَهَيْئَةِ مَرِّ الشُّجَا ع فِي دِعْصٍ مَحْنِيَةٍ أَغْفِرِ^(٣)
إِذَا رَأْسُهُ صَحَّ لَمْ يَنْبَعَثْ وَجَازَ السَّبِيلَ وَلَمْ يَبْصُرِ
وَإِنْ مُدِيَّةٌ صَدَعَتْ رَأْسَهُ جَرَى جَرِي لَا هَائِبٌ مُقْصِرِ^(٤)
يُقْضَى مَآرِبُهُ مُقْبَلًا وَيُخْسِمُهَا هَيْئَةُ المُذْبِرِ
تَجُودُ بِكَفِّ فَتَى كَفِّهِ تَسُوقُ الثَّرَاءَ إِلَى المَعْسِرِ

وقال حبيب^(٥) الطائي يصف القلم: [طويل]

لَكَ القَلَمُ الأَعْلَى الَّذِي بَشَبَاتِهِ يُصَابُ مِنَ الأَمْرِ الكُلَى المَفَاصِلُ^(٦)

(١) ضَيْلُ الرُّوَاءِ: صغير الشكل، والرُّوَاءُ: حُسْنُ المنظر. وكبير الغناء: كبير الفائدة، والغناء هو ما يُغْتَنَى بِهِ.

(٢) بنو الأصفر هم ملوك الروم أولاد الأصفر بن روم بن يعصو بن إسحاق، وقيل: سُمُّوا بذلك لأن جِشًا من الحبش غلب عليهم فوطئ نساءهم فَوَلَّدَ لَهُمْ أولاد أصفر.

(٣) الدِّعْصُ: قطعه من الرمل مستديرة أو الكُثيب منه المجتمع أو الصغير. والدِّعْصُ الأعفر: الدعص الأبيض الذي لم يُوطَأ.

(٤) المُدِيَّةُ: الشفرة، والمقصود شفرة القوس. ومعنى البيت: إنه يجري مجرى الشجاع الذي لا يهاب الموت.

(٥) هو أبو تمام الشاعر المشهور.

(٦) شَبَاةُ القلم: حَدُّ طرفه، و الجمع شَبَا وشَبَوَات. والكُلَى: ج كَلِيَّة. و المفاصل: ج مَفْصِل. ومعنى البيت: إن للقلم حَدًّا يفعل فعل شَبَاةِ السيف في إصابة كلى ومفاصل الأعداء.

لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ وَأَرْيُ الْجَنَى أَشْتَارَتُهُ أَيْدٍ عَوَاسِلُ^(١)
 لَهُ رَيْقَةٌ طُلُّ وَلَكِنْ وَقَعَهَا بَأَثَارُهُ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَابِلُ
 فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقَتْهُ وَهُوَ رَاكِبٌ وَأَعْجَمٌ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاجِلُ
 إِذَا مَا أَمْتَطَى الْخَمْسَ اللَّطَافَ وَأَفْرِغَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ الْفِكْرِ وَهِيَ حَوَافِلُ^(٢)
 تَرَاهُ جَلِيلًا شَأْنُهُ وَهُوَ مُرْهَفٌ ضَنْئٌ وَسَمِينًا خَطْبُهُ وَهُوَ نَاحِلُ

وقال محمد^(٣) بن عبد الملك بن صالح الهاشمي يصف القلم:

[طويل]

وَأَسْمَرَ طَاوِيَّ الْكَشْحِ أَخْرَسَ نَاطِقٍ لَهُ دَمْلَانٌ فِي بَطُونِ الْمَهَارِقِ^(٤)
 إِذَا اسْتَعَجَلَتْهُ الْكَفُّ أَمَطَرَ خَالَهُ بِلَا صَوْتٍ إِرْعَادٍ وَلَا ضَوْءٍ بَارِقِ^(٥)
 كَأَنَّ اللَّالِيَّ وَالزَّبَرَ جَدَّ نَطْفُهُ وَنَوْرُ الْخُزَامِيِّ فِي بَطُونِ الْحَدَائِقِ^(٦)

[كامل]

وقال بعض المحدثين يمدح كاتباً:
 وَإِذَا تَأَلَّقَ فِي النَّدِيِّ كَلَامُهُ آلَ مِنْظُومٌ خِلَتْ لِسَانَهُ مِنْ عَضْبِهِ^(٧)
 وَإِذَا دَجَّتْ أَقْلَامُهُ ثُمَّ أَنْتَجَتْ بَرَقَتْ مَصَابِيحُ الدُّجَى فِي كُتْبِهِ

(١) الأُري: العسل. وأيدٍ عواسل: أيدٍ تهترُّ ليناً، ومفردها عاسل وعاسلة. وأستشار العسل: شاره، أي جناه واستخرجه من الوَقْبَةِ. والوقبة نقرة في الصخرة.

(٢) الخمسُ اللطاف: الأنامل الخمس.

(٣) هو شاعر مشهور، كان ينزل قنسرين من أرض الشام، وله مع المأمون خبر، وبقي إلى أيام الفتوكل ووجرت بينه وبين أبي تمام والبحثري مخاطبات. معجم الشعراء للمرزباني ص ٤١٩، ٤٢٤. وقد وردت أبيته الثلاثة في نفس المصدر ص ٤٢٤ وفي العقد الفريد (ج ٤ ص ١٩١).

(٤) الدَّمْلَان: السَّيْر اللِّين، يقال: دَمَلُ البعير يَدْمُلُ: سار سيراً ليناً. والمهاريق: ج مُهْرَق، وهو الصحيفة، فارسي مُعَرَّب.

(٥) الخال: سَحَابٌ لَا يَخْلَفُ مَطَرُهُ، والمقصود هنا المَدَاد.

(٦) الخُزَامِي: نبت زهره أطيّب الأزهار نفحةً يَتِمَثَّلُ به في الطَّيْب.

(٧) النعضب: السيف القاطع، والندى: النادي للمجلس المذكور.

باللفظ يقرب فهمه في بعده منا ويبعد نيله في قربه
حكم فسائحها خلال بنانه متدفق وقلبيها في قلبه^(١)
كالروض مؤتلف بحمرة نوره وبياض زهرته وخضرة عشبته

وقال سعيد^(٢) بن حميد يصف العود: [بسيط]
وناطقٍ بلسانٍ لا ضمير له كأنه فخذٌ نبطٌ إلى قدمٍ
يُبدى ضميرٍ سواه في الكلام كما يُبدى ضميرٍ سواه منطوق القلم
بعث الطائي إلى الحسن بن وهب بدواة أبنوس^(٣) وكتب إليه [خفيف]
قد بعثنا إليك أم المنايا والعطايا زنجية الأحساب
في حشاها من غير حربٍ جرابٍ هي أمضى من مُرهفات الحراب

وقال ابن أبي كريمة^(٤) يصف الدواة والقلم: [طويل]
ومُسودّة الأرجاء قد خضت ماءها ورؤيت من قعر لها غير مُنبط^(٥)
خميص^(٦) الحشا يُروى على كل مشربٍ أميناً على سير الأمير المُسلط
وقال بعض أهل الأدب: إنما قيل: ديوان لموضع الكتبة والحساب لأنه

-
- (١) هاء الضمير في «فسائحها» تعود على الأقلام. والقليب: البثر، والمقصود قعر الدواة.
(٢) هو شاعر رقيق نحى في شعره منحى ابن أبي ربيعة. قلده المستعين العباسي ديوان رسائله. توفي سنة ٢٥٠ هـ. الأعلام ج ٣ ص ٩٣ - ٩٤.
(٣) الأبنوس، بفتح الهمزة وضمها، شجر يعظم كالجوز، له تمر كالغلب. وخشبه شديد الصلابة أسود.
(٤) هو مسلم بن أبي كريمة التميمي بالولاء، البصري، فقيه من علماء الإباضية، توفي سنة ١٤٥ هـ. الأعلام ج ٧ ص ٢٢٢ - ٢٢٣.
(٥) غير مُنبط: أي قلم خالٍ من الحبر؛ يقال: نبط فلان البثر يُنبطها: إستخرج ماءها.
(٦) خميص الحشا: ضامر البطن، وهنا يصف القلم، وقد جاءت كلمة «خميص» مفعولاً به لفعل «رؤيت».

يقال: للكتاب بالفارسية «ديوان» أي شياطين، لِحَدَقَهُم بِالْأُمُور وَلَطَفَهُمْ فَسَمِّيَ موضعهم بِأَسْمِهِمْ.

وقال آخر: إنما قيل لمدير الأمور عن الملك «وزير» من الوزر وهو الحمل يراد أنه يحمل عنه من الأمور مثل الأوزار وهي الأحمال، قال الله عز وجل: ﴿وَلَكِنَّا حُمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾^(١) أي أحمالاً من حلهم، ولهذا قيل للإثم: وزر، شُبّهَ بالحمل على الظهر، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾^(٢).

وكان الناس يستحسنون لأبي نواس قوله: [طويل]

يا كاتباً، كَتَبَ الغداة يُسَبِّحُنِي مَنْ ذَا يُطِيقُ براعة الكتاب؟
لم تَرْضَ بالإعجام حين سَبَّيْتَنِي حتى شَكَلَتْ عليه بالإعراب
أوردت إفهامي فقد أفهممتني وصدقت فيما قلت غير مُحَابِي^(٣)

وقال آخر: [سريع]

يا كاتباً تنشر أقلامه مِنْ كَفِّهِ دُرّاً على الأسطر

وقال عدي^(٤) بن الرِّقَاع: [كامل]

صلى الاله على امرئٍ ودَعَّعْتُهُ وأتمَّ نِعْمَتَهُ عليه وزادها

(١) سورة طه ٢٠، آية ٨٧. والمراد بالأوزار: الأثقال، وزينة القوم: حلي النساء الفرعونيات التي استعاروها للعريس أو للعيد، وحملوها معهم.

(٢) سورة الإنشراح ٩٤، الأيتان ٢ و ٣. الحمل الثقيل. وأنقض: أثقل. والمراد بالحمل هنا هم النبي وغمه مما كان عليه قومه، فأزاح سبحانه هذا الغم والهم عن نبيه بالقرآن. المصدر السابق.

(٣) المحابي: من حابه؛ يقال: حابه محابة. نصره ومال إليه. وأصل الكلام: غير مُحَابٍ؛ لأنها أسم منقوص منون في حالة الجر. والمنقوص المنون إذا لم يعرف بآل التعريف حذفت ياءه في الجر والرفع وبقيت في حالة النصب.

(٤) عدي بن الرِّقَاع شاعر كبير، من أهل دمشق عصر جرير وهجاء. مدح بني أمية ولا سيما=

ومنه أخذ الكتاب : وأتم نعمته عليك وزاد فيها عندك .

وقال حاتم طيء في معنى قولهم : مُتُّ قبلك : [طويل]

إذا ما أتى يومٌ يفرِّق بيننا يموتُ فكن أنت الذي تتأخَّرُ

وقال جرير في معناه : [بسيط]

رُدِّي فؤادي وكوني لي بمنزلي يا قبل نفسك لاقى نفسي التَّفُ

كتب بعض الملوك إلى بعض الكتاب كتاباً دعا له فيه «بأمتع الله بك» ،

فكتب إليه ذلك الكاتب^(١) :

[منسرح]

أحلَّت عما عهدتُ من أدبك أم نلتَ مُلكاً فتهتَ في كُتُبك؟

أم هل ترى أن في التواضع لـ لإخوانٍ نقصاً عليك في حَسبك؟

أم كان ما كان منك عن غضبٍ فأئِ شيءٌ أذناك من غضبك؟

إن جَفَاء كتابِ ذي مِقَّةٍ^(٢) يُكتبُ في صدره : وأمتع بك

= الوليد بن عبد الملك . مات بدمشق نحو ٩٠ هـ . وبيته المذكور من قصيدة قالها أمام عبد الملك وبحضور جرير . المؤلف والمختلف ص ١١٦ ومعجم الشعراء ص ٢٥٣ والأعلام ج ٤ ص ٢٢١ . وورد منها ثلاثة أبيات في البيان والتبيين (ج ٣ ص ٥٠٤) نذكر منها هذا البيت :

وقصيدة قد بت أجمع بينها حتى أقوم ميلها وسنادها

(١) هو عبد الله بن ظاهر بن زريق الخزاعي ، أمير خراسان في عهد المأمون العباسي ، وظهرت كفايته فكانت له طبرستان وكرمان والري والسواد وخراسان واستمر إلى أن توفي بنيسابور سنة ٢٣٠ هـ . وللشعراء فيه مرث كثيرة . الأعلام ج ٤ ص ٩٢ - ٩٤ . ولقد كتب عبد الله هذه الأبيات إلى محمد بن عبد الملك الزيات ، وزير المعتصم وابنه الوثاق وأحد بلغاء الكتاب والشعراء . الأعلام ج ٦ ص ٢٤٨ . وفي العقد (ج ٤ ص ١٨٢) شرح أحمد الزين وأحمد أمين وإبراهيم الأبياري ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ذكر ابن عبد ربه هذه الأبيات مع اختلاف يسير في بعض الكلمات عما هنا ، حاذفاً البيت الثالث ومضيفاً بيتاً بعد الرابع . كما ذكر في نفس المصدر والصفحة أربعة أبيات كتبها الزيات ردّاً على شعر ابن ظاهر على نفس الوزن والقافية .

(٢) المِقَّة : المحبة ؛ يقال : وَمَقَّةٌ يَمَقُّهُ وَمَقًّا وَمَقَّةٌ : أحبه .

وقال الأصمعي^(١) في البرامكة:

[مقارب]

إذا ذُكِرَ الشُّرْكُ في مجلس أنارت وجوه بني بَرْمَك
وإن تُليّت عندهم آية أتوا بالأحاديث عن مَزْدَك^(٢)

وقال آخر:

[مجث مجزوء]

إن الفراغ دعاني إلى آبتاء المساجد^(٣)
وإن رأيي فيها كراي يحيى بن خالد

[كامل]

مرّ عبد الله بن المقفّع بيت النار، فقال:

(١) هو عبد الملك بن قُرَيْب بن علي بن أصمع الباهلي، راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. والأصمعي نسبة إلى جده أصمع. وكان الرشيد يسميه شيطان الشعر. قال الأخفش: ما رأينا أحداً أعلم بالشعر من الأصمعي. توفي بالبصرة سنة ٢١٦ هـ. الأعلام ج ٤ ص ١٦٢.

(٢) ظهر مَزْدَك بعد ماني بنحو ثلاثة قرون، وذلك في زمن الملك الساساني (ملك إيران). قباز بن فيروز بن يَزْدَجَرْد (٤٨٨ - ٥٣١ م) وقد استطاع مَزْدَك أن يحدث ثورة إجتماعية تسعى إلى إقرار السلام في الدنيا. اعتنق قبان هذه المبادئ وأيدها؛ قيل إنه أراد باعتناقها التخلص من سلطة النبلاء ورجال الدين. ولكنه هذه الحركة التي اعتنقها غوغاء الناس وعامتهم أدت إلى انتشار الفوضى في البلاد، وأنتهت الإضطرابات بخلع الملك المذكور. ولكنه هذا الملك استطاع استعادة ملكه، وحين عاد إلى عرش إيران، أصبح له موقف من المزدكية غير موقفه السابق، بحيث دعا مَزْدَك وأتباعه إلى الإجتماع بالقصر فذبح مَزْدَك وأتباعه وذلك في عام ٥٢٨ م. وعلى الرغم من ذلك عادت المزدكية حركة سرية وعادت إلى الحياة في صور مختلفة خلال العصر العباسي. ولقد انتهت ثورة مَزْدَك بانتظار الزردشتية وعودة إيران إلى دينها القديم في ظل ملك قوي عادل هو كسرى أنوشروان. أنظر في ذلك «في أدب الفرس وحضارتهم ص ٢٢٧ - ٢٢٩»، تأليف الدكتور محمد عبد السلام كفاقي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٠.

يا بيتَ عاتكةَ الذي أتعزَّلُ حذرَ العدا وبه الفؤادُ موَكَّلُ^(١)

وقال دُعْبِلُ^(٢) في أبي عباد: [كامل]

أُولَى الأمورِ بضِيعَةٍ وفسادٍ أَمْرٌ يُدَبِّرُهُ أبو عَبادٍ
حَنِقٌ عَلَى جلسائِهِ بدواتِهِ فَمُرْمَلٌ وَمُضْمَخٌ بِمِدادٍ^(٣)
وكانه من دِيرِ هِرْقِلَ مُفْلِتٌ حَرْدٌ يَجْرُ سِلَاسِلَ الأقيادِ

خِائاناتُ العمال

حدَّثنا إِسحاقُ بنُ رَاهويَه قال: ذَكَرَ لَنَا أَنَّ امرأةً من قريشٍ كانَ بينها وبين رجلٍ خِصومةً فأرادَ أنْ يخاصمَها إلى عمرٍ فأهدتِ المرأةَ إلى عمرٍ فخذَ جَزورَ ثم خاصمته إليه فوجَّهَ القضاءَ عليها، فقال: يا أميرَ المؤمنين، إفْصِلِ القضاءَ بيننا كما يُفْصَلُ فخذَ الجَزورَ^(٤). فقضىَ عليها عمرٌ وقال: إياكم والهدايا. وذكر القصة.

قال إِسحاق: كانَ الحجاجُ أَسْتَعْمَلَ المَغيرةَ بنَ عبدِ اللهِ الثَّقَفيَّ على الكوفةِ فكانَ يَقْضِي بينَ الناسِ، فأهدى إليه رجلٌ سِراجاً من شَبَهٍ^(٥) وبلغَ ذلكَ خصمه فبعثَ إليه ببغلةٍ. فلما أَجْتَمَعَا عندَ المَغيرةِ جعلَ يَحْمِلُ على صاحِبِ

(١) أتعزَّلُ: أتَنَحَّى، والإسمُ العزلة. والبيت لعبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصاري، الشاعر الهجاء الملقب بالأحوص لضيق في مؤخر عينه. توفي بدمشق سنة ١٠٥ هـ.

(٢) هو دُعْبِلُ بن علي بن رزين الخُزاعي، الشاعر الهجاء. هجا الرشيد والمأمون والمعتصم والوائق. توفي سنة ٢٤٦ هـ. الأعلام ج ٢ ص ٣٣٩.

(٣) مُرْمَلٌ وَمُضْمَخٌ: مُلَوَّثٌ وَمُلَطَّخٌ. والمِداد: الحبر.

(٤) الجَزُورُ: ما يُذْبَحُ من الشاء، واحداً جَزْرَةٌ.

(٥) الشَبَهُ: النحاس الأصفر.

السراج وجعل صاحب السراج يقول: إِنَّ أَمْرِي أَضْوَأُ مِنَ السَّراج. فلما أَكْثَرَ عليه قال: ويحك إن البغلة رَمَحَتْ^(١) السراج فكسرتة.

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ قَالَ: حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ الْجُرَيْرِيِّ عَنْ أَبِي بَصْرَةَ عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ زِيَادِ الْحَارِثِيِّ أَنَّهُ وَفَدَ إِلَى عُمَرَ فَأَعْجَبَتْهُ هَيْئَتُهُ وَنَحْوُهُ، فَشَكَا عُمَرَ طَعَاماً غَلِيظاً يَأْكُلُهُ. فَقَالَ الرَّبِيعُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ أَحَقَّ النَّاسَ بِمَطْعَمٍ طَيِّبٍ وَمَلْبَسٍ لَيِّنٍ وَمَرْكَبٍ وَطِيءٍ لَأَنْتَ. فَضَرَبَ رَأْسَهُ بِجَرِيدَةٍ وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أُرَدْتُ بِهَذَا إِلَّا مِقَارِبَتِي، وَإِنْ كُنْتُ لِأَحْسِبَ أَنَّ فِيكَ خَيْراً. أَلَا أَخْبِرُكَ بِمَثَلِي وَمَثَلِ هَؤُلَاءِ؟ إِنَّمَا مَثَلُنَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَافَرُوا فَدَفَعُوا نَفَقَاتِهِمْ إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ وَقَالُوا أَنْفَقْهَا عَلَيْنَا. فَهَلْ لَهُ أَنْ يَسْتَأْثِرَ عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ؟ قَالَ الرَّبِيعُ: لَا.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سَفِيَّانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ أَبِي نَجِيعٍ قَالَ: لَمَّا أَتَى عُمَرَ بَتَاجٍ كَسْرِي وَسَوَارِيهِ جَعَلَ يَقْلُبُهُ بَعُودَ فِي يَدِهِ وَيَقُولُ: وَاللَّهِ إِنْ الَّذِي أَدَّى إِلَيْنَا هَذَا لِأَمِينٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْتَ أَمِينُ اللَّهِ يُوَدُّونَ إِلَيْكَ مَا أَذَيْتَ إِلَى اللَّهِ فَإِذَا رَتَعْتَ رَتَعُوا. قَالَ: صَدَقْتَ.

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ: لَمَّا أَتَى عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْمَالِ أَقْعَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ الْوِزَانَ وَالنَّقَادَ فَكُوِّمَ كُوْمَةً مِنْ ذَهَبٍ وَكُوْمَةً مِنْ فِضَّةٍ وَقَالَ:

يَا حُمْرَاءُ وَيَا بَيْضَاءُ إِحْمَرِّي وَأَبْيَضِي وَغُرِّي غَيْرِي. وَأَنْشَدَ: [سريع]

هَذَا جَنَائِي وَخِيَارُهُ فِيهِ إِذْ كُلَّ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فِيهِ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ عَنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ

(١) رَمَحَتْ السَّراج: رَفَسَتْهُ.

إسماعيل بن أبي خالد عن عاصم قال: كان عمر بن الخطاب إذا بعث عاملاً يشترط عليه أربعاً: ألا يركب البراذين^(١)، ولا يلبس الرقيق، ولا يأكل^(٢) النقي، ولا يتخذ بواباً. ومر ببناء يبني بحجارة وجص فقال: لمن هذا؟ فذكروا عاملاً له على البحرين فقال: «أبت الدراهم إلا أن تُخرج أعناقها» وشاطره ماله. وكان يقول: «لي على كل خائن أمينان: الماء والطين».

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال: حدثنا قريش بن أنس عن سعيد عن قتادة قال: جاء كتاب عمر بن عبد العزيز إلى واليه: أن دُع لأهل الخراج من أهل الفرات ما يتختمون به الذهب ويلبسون الطيالة ويركبون البراذين وخذ الفضل.

حدثنا محمد بن عبيد عن هُوذة عن عوف عن ابن سيرين وإسحاق عن النضر بن شميل عن ابن عون عن ابن سيرين بمعناه قال: لما قدم أبو هريرة^(٣) من البحرين قال له عمر: يا عدو الله وعدو كتابه، أَسْرَقْتَ مال الله؟ قال أبو هريرة: لست بعدو الله ولا عدو كتابه ولكني عدو من عاداهما ولم أسرق مال الله. قال: فمن أين آجتمعت لك عشرة آلاف درهم؟ قال: خيلي تناسلت وعطائي تلاحق وسهامي تتابع فقبضتها منه. قال أبو هريرة: فلما صَلَّيْتُ الصبحَ أَسْتَغْفِرْتُ لأمير المؤمنين ثم قال لي عمر بعد ذلك: ألا تعمل؟ فقلت: لا. قال: قد عمل من هو خير منك، يوسف. فقلت: يوسف نبي ابن نبي وأنا

(١) البراذين: يَرْدُونَ بكسر الباء وضمها، وهي الدابة أو الفرس غير الاصيل، وقيل التركي من الخيل، وخلافها العراب، والأنثى يَرْدُونَة.

(٢) النقي: مُخ العظم، والجمع أنقاء.

(٣) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي، وأبو هريرة لقب له. هو أكثر الصحابة حفظاً للحديث

ورواية له. نشأ يتيماً في الجاهلية. قدم المدينة فأسلم سنة ٧ هـ ولزم صحبة النبي ﷺ،

فروى عنه ٥٣٧٤ حديثاً. توفي بالمدينة سنة ٥٩ هـ. الأعلام ج ٣ ص ٣٠٨.

أَبْنُ أُمَيْمَةَ^(١) أَخْشَى ثَلَاثًا وَأَثْنَتَيْنِ. قَالَ: فَهَلَا قُلْتَ خَمْسًا؟ قُلْتُ: أَخْشَى أَنْ أَقُولَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَأَحْكَمَ بِغَيْرِ حِلْمٍ، وَأَخْشَى أَنْ يُضْرَبَ ظَهْرِي، وَيَشْتَمَ عَرْضِي، وَيَنْزِعَ مَالِي.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ عَنْ نَصْرِ بْنِ قُدَيْدٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُبَارَكِ عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى بِلَالِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ وَهُوَ أَمِيرُ الْبَصْرَةِ فَقَالَ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، إِنِّي قَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ: «مَنْ أَحَقَّقَ مِنَ السُّلْطَانِ وَمَنْ أَجْهَلَ مِمَّنْ عَصَانِي وَمَنْ أَعَزَّ مِمَّنْ أَعَزَّنِي. أَيَا رَاعِي السُّوءِ، دَفَعْتُ إِلَيْكَ غَنَمًا سِمَانًا سِحَاحًا^(٢) فَأَكَلْتُ اللَّحْمَ وَشَرِبْتُ اللَّبَنَ وَأَتْتَدَمْتُ^(٣) بِالسَّمْنِ وَلَبَسْتُ الصُّوفَ وَتَرَكْتُهَا عِظَامًا تَتَقَعَّقُ^(٤)».

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ شَبَابَةَ عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ الْحَكَمِ الْعُرْنِيِّ الْقَاضِي قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ عِيَّاشٍ عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْقُرَشِيِّ عَنْ رَجَاءِ بْنِ حَبِيبَةَ عَنْ أَبِي نَحْرَةَ قَالَ: إِنِّي لَتَحْتَ مَنبَرِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْجَابِيَةِ حِينَ قَامَ فِي النَّاسِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، اقْرَأُوا الْقُرْآنَ تُعَرِّفُوا بِهِ وَأَعْمَلُوا بِهِ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهِ. إِنَّهُ لَنْ يَبْلُغَ ذُو حَقٍّ فِي حَقِّهِ أَنْ يُطَاعَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ. أَلَا إِنَّهُ لَنْ يَبْعُدَ مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَنْ يَقْرُبَ مِنْ أَجَلٍ أَنْ يَقُولَ الْمَرْءُ حَقًّا وَأَنْ يَذْكُرَ بَعْظِيمًا. أَلَا وَإِنِّي مَا وَجَدْتُ صِلَاحًا مَا وَلَّانِي اللَّهَ إِلَّا بِثَلَاثٍ: أَدَاءُ الْأَمَانَةِ، وَالْأَخْذُ بِالْقُوَّةِ، وَالْحَكْمُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ. أَلَا وَإِنِّي مَا وَجَدْتُ صِلَاحًا هَذَا الْمَالُ

(١) أغلب الظن أنها أميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف، من قريش، شاعرة جاهلية اشتهرت في أيام «حرب الفجار» بين قريش وقيس عيلان. ولأميمة شعر في بعض وقائعها. الأعلام ج ٢ ص ١٤.

(٢) عنم سحاح: في غاية السمن، ومفردها سائح وساحة.

(٣) اتدم بالسمن: أكل الخبز بالسمن.

(٤) تتقعق: تضطرب وتتحرك.

إلا بثلاث: أن يؤخذ من حق، ويُعطى في حق، ويُمنع من باطل. ألا وإنما أنا في مالكم هذا كوالي اليتيم إن استغنيْتُ استعففت وإن افتقرتُ أكلت بالمعروف، تقرُّم البهمة^(١).

بلغني عن محمد بن صالح عن بكر بن خنيس عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال: «كان زياد إذا ولى رجلاً قال له: خذ عهدك وسِرَّ إلى عملك وأعلم أنك مصروفٌ رأس ستك وأنتك تصير إلى أربع خلال فأختر لنفسك: إنا إن وجدناك أميناً ضعيفاً استبدلنا بك لضعفك وسلَّمْتُك من معرتنا^(٢) أمانتك، وإن وجدناك خائناً قوياً استهنا بقوتك وأحسنَّا على خيانتك أدبك فأوجعنا ظهرك وأثقلنا غرمك، وإن جمعت علينا الجُرْمَيْنِ جمعنا عليك المضرتين^(٣)، وإن وجدناك أميناً قوياً زدناك في عملك ورفعنا لك ذكرك وكثرنا مالك وأوطأنا عقبك».

قال العتيبي: بُعث إلى عمر بِحُلَلٍ فَقَسَّمَهَا فَأَصَابَ كُلَّ رَجُلٍ ثَوْبَ فَصْعَدِ الْمَنْبَرِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، والحلة ثوبان، فقال: أيها الناس ألا تسمعون؟ فقال سليمان: لا نسمع. قال: ولم يا أبا عبد الله؟ قال: لأنك قَسَّمْتَ عَلَيْنَا ثَوْباً ثَوْباً وَعَلَيْكَ حَلَةٌ. قال: لا تعجل يا أبا عبد الله. ثم نادى: يا عبد الله، فلم يجبه أحد، فقال: يا عبد الله بن عمر. قال: لَبَّيْكَ يا أمير المؤمنين. قال: نشدتك بالله. الثوب الذي آتَازْتُ بِهِ هُوَ ثَوْبُكَ؟ قال: اللهم نعم. فقال سليمان رضي الله عنه: أَمَا الْآنَ فَقُلْ نَسْمَعُ.

(١) تَقَرُّمُ البهمة: أي كما تتناول البهمة الحشيش في أول أكله، والبهمة أولاد والمعز والبقر، والجمع بَهْمٌ وبِهَامٌ، وجمع الجمع بهامات.

(٢) الْمَعْرَةُ: الخيانة والأذى.

(٣) الْمَضْرَّة: خلاف النعمة. والجُرْمُ: الذنب. والمعنى: إن عاملتنا بالشؤء عاملناك بالأسوأ.

بلغني عن حفص بن عمران الرازي عن الحسن بن عُمارة عن المُنْهَالِ
ابن عمرو قال: قال معاوية لشداد بن عمرو بن أوس: قُمْ فَأَذْكَرْ عَلِيًّا فَتَنْقُضْهُ
فقام شَدَاد فقال: «الحمد لله الذي أقرض طاعته على عباده وجعل رضاه عند
أهل التقوى أثر من رضا غيره. على ذلك مضى أولهم وعليه يمضي آخرهم.
أيها الناس، إن الآخرة وَعَدٌ صادق يحكم فيها ملك قادر، وإن الدنيا عَرَضٌ
حاضر يأكل منها البرُّ والفاجر، وإن السامع المطيع لا حِجَّةَ عليه وإن السامع
العاصي لا حجة له. وإن الله، جل وعزَّ، إذا أراد بالناس صلاحاً عَمَلَ عليهم
صُلَحَاءَهُمْ^(١) وقَضَى بينهم فقهاءهم وجعل المال في سُمَحَائِهِمْ، وإذا أراد
بالعباد شراً عَمَلَ عليهم سفهاءهم وقَضَى بينهم جهلاءهم وجعل المال عند
بخلائهم. وإن من صلاح الولاية أَنْ يَصْلُحَ قُرْنَاؤُهَا^(٢). نَصَحَكَ، يا معاوية، مَنْ
أَسْخَطَكَ بالحق وَغَشَّكَ مَنْ أَرْضَاكَ بالباطل» فقال له معاوية: إجلس. وأمر له
بمال، وقال: أَلَسْتُ مِنَ السُّمَحَاءِ؟ فقال: إن كان مالك دون مال المسلمين
تَعَمَّدَتْ جمعه مخافة تبعته فأصَبْتَهُ حِلَالاً وَأَنْفَقْتَهُ إِفْضَالاً، فنعيم. وإن كان مما
شارك فيه المسلمون فَأَحْتَجَّتْهُ^(٣) دونهم، أَصَبْتَهُ آقْرَافاً وَأَنْفَقْتَهُ إِسْرَافاً، فإن
الله، عز وجل، يقول: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ
لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾^(٤).

مرَّ عمرو بن عُبيد بجماعة عُكُوفٍ^(٥)، فقال: ما هذا؟ قالوا: سارق

(١) الصُّلَحَاءُ: جمع صليح، وهو الصالح.

(٢) الْقُرْنَاؤُ: جمع قرين، وهو المصاحب.

(٣) احتجن المال: ضمه إلى نفسه وأحتواه.

(٤) سورة الإسراء ١٧، آية ٢٧. والمعنى: إن المبذرين كانوا وما زالوا إخوان كل من تجاوز الحد
المشروع والمعقول في النفقة أو في غيرها، وبمعنى آخر، هم من حزب الشيطان.

(٥) عُكُوف: ج عاكف؛ يقال: عَكَفَ القومُ حوله: استداروا، وعكفوا في المسجد: اعتكفوا.

يقطع . فقال : لا إله إلا الله ، سارق السر يقطعه سارق العلانية ! .

ومر طارق صاحب شرطة خالد القسري بآبن شبرمة ، وطارق في موكبهِ فقال ابنُ شبرمة^(١) :

[طويل]

أراها وإن كانت تُحبُّ كأنها سحابةٌ صَيْفٍ عن قريبٍ تَقْشَعُ^(٢)

اللَّهُمَّ^(٣) ، لي ديني ولهم دنياهم . فاستعمل آبن شبرمة بعد ذلك على القضاء ، فقال له آبنه : أتذكر يومَ مرَّ بك طارق في موكبهِ وقلت ما قلت؟ فقال : يا بُنيّ ، إنهم يجدون مثل أبيك ولا يجد مثلهم أبوك . إنَّ أباك أكل من حلوائهم وحط في أهوائهم .

ولي عبدُ الرحمن بن الضحاك بن قيس المدينة سنتين فأحسن السيرة وعفَّ عن أموال الناس ثم عُزِلَ فأجتمعوا إليه فأنشد لدراج الضَّبَّاي^(٤) :

[طويل]

فلا السجن أبكاني ولا القيد شَفَنِي ولا أنني من خَشْيَةِ الموتِ أَجْزَعُ

(١) هو عبد الله بن شبرمة ، قاضي البصرة ، وكان طارق بن أبي زياد آنذاك صاحب شرطة الكوفة من قبل خالد بن عبد الله القسري . يذكر ابن عبد ربه في العقد الفريد (ج ١ ص ٨١ وج ٢ ص ٣٦٥) أن ابن شبرمة ولي قضاء البصرة وهو كاره وعزل عن القضاء وهو كاره . كذلك ورد هذا الخبر مع بيت ابن شبرمة في البيان والتبيين (ج ٣ ص ٤٥٩) .

(٢) ورد هذا البيت في العقد الفريد (ج ١ ص ٨١ وج ٣ ص ١٧٦) .

(٣) يقتضي السياق أن نضع عبارة : « ثم قال » قيل : « اللَّهُمَّ لي . . . » أنظر العقد الفريد (ج ١ ص ٨١ وج ٣ ص ١٧٦) .

(٤) هو دراج بن زرعة بن قطن الضبائي ، شاعر من فرسان العصر الإسلامي الأول . سجن في الشام ثم أمر عبد الملك بن مروان بقتله فمات سنة ٧٥ هـ . له شعر في السجن وقبله . الأعلام ج ٢ ص ٣٣٧ .

ولكن أقواماً أخاف عليهم إذا مُت أن يُعطوا الذي كنتُ أُنعم^(١)
ثم قال: والله ما أسفت على هذه الولاية ولكني أخشى أن يلي هذه
الوجوه من لا يرفع لها حقها.

ووجدتُ في كتاب لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه إلى ابن عباس
حين أخذ من مال البصرة ما أخذ: «إني أشركتُك في أمانتي ولم يكن رجلٌ من
أهلي أو ثقتي منك في نفسي، فلما رأيتُ الزمانَ على ابن عمك قد كلب،
والعدو قد حارب^(٢) قلبتُ لابن عمك ظهرَ المِجَنِّ^(٣) بفراقه مع المفارقين
وخذلانه مع الخاذلين واختطفت ما قدّرتُ عليه من أموال الأمة اختطاف
الذئب الأزل^(٤) دامية المِعزى» وفي الكتاب: «ضَحَّ^(٥) رويداً فكأن قد بلغت
المدى وعرضتُ عليك أعمالك بالمحل الذي به ينادي المغترّ بالحسرة ويتمنى
المضيق التوبة والظالم الرجعة».

وفي كتاب لعمر بن عبد العزيز إلى عدي^(٦) بن أرطاة: «غَرّني منك

(١) أورد ابن عبد ربه هذين البيتين في كتابه العقد الفريد (ج ٢ ص ٣٦٥) وقال: لما عُزل ابن
شبرمة عن قضاء البصرة تمثل بهذين البيتين. ويكون ابن عبد ربه قد خالف بذلك ما جاء به
ابن قتيبة.

(٢) كَلَبَ الزمان والدهرُ على الناس: ألحَّ عليهم واشتدَّ. وحَرَبَ العدو: كَلَبَ واشتدَّ غضبه ودعا
بالزبل والحَرْب فقال: واحْرَبَاه! وهي كلمة يُنْدب بها الميت.

(٣) قلب له ظهرَ المِجَنِّ: تغيَّر عليه وساء رأيه فيه. وهو مثل يضرب لمن كان لصاحبه على مودة
ورعاية ثم حال عن العهد.

(٤) الأزل: الأرسح، وهو من صفات الذئب الحفيف؛ وقيل: هو من قولهم: زَلَّ زليلاً إذا عدا،
وخصَّ الدامية، وهي التي يسيل دمه؛ لأن من طبع الذئب محبة الدم حتى أنه إذا رأى ذئباً
دامياً وثب عليه ليأكله.

(٥) ضَحَّ: من ضَحَّ الغنم يضحيها إذا رعاها في الضحى. والمعنى: إرغ نفسك على مهل فإنما
أنت على شرف الموت.

(٦) تقدمت ترجمته.

مجالستك القراء وعمامتك السوداء فلما بلوناك وجدناك على خلاف ما أمّلناك، قاتلكم الله! أما تمشون بين القبور؟».

قال ابن أحرمر^(١) يذكر عمّال الصّدقة:

[بسيط]
 إن العِيَابَ التي يُخْفُونَ مُشْرِجَةً فيها البيان ويُلَوّي عندك الخبرُ
 فأبعث إليهم فحاسبهم محاسبةً لا تخف عينٌ على عينٍ ولا أثرُ
 هل في الثماني من السبعين مَظْلَمَةٌ وربّها بكتاب الله مُصْطَبِرُ

وقال عبد الله بن همام السَّلُولي^(٢):

[طويل]
 أَقْلِي عليّ اللومَ يا أم مالِكٍ وذُمِّي زماناً سادَ فيه الفَلَاقِسُ^(٣)
 وساعٍ مع السلطان ليس بناصح ومُخْتَرَسٍ مِنْ مثله وهو حارس^(٤)

قدم بعض عمال السلطان من عملٍ فدعا قوماً فأطعمهم وجعل يحدثهم بالكذب، فقال بعضهم: نحن كما قال الله عز وجل: ﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْأَلُونَ لِلشُّحِّ﴾^(٥). قال بعض الشعراء:

[بسيط]
 مَا ظَنَنْكُمْ بِأَنَاسٍ خَيْرُ كَسْبِهِمْ مُصْرَحُ الشُّحِّ سَمَوَهُ الإِصَابَاتِ

وقال أبو نواس في إسماعيل^(٦) بن صَبِيح:

[طويل]

(١) أغلب الظن أنه هنيء بن أحرمر، من بني الحارث، من كنانة، شاعر جاهلي. الأعلام ج ٨ ص ١٠٠.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) الفَلَاقِسُ: ج فَلَقَسَ، وهو البخيل اللئيم.

(٤) عجز هذا البيت مثل يضرب للرجل الذي يُؤْتَمَنُ على حفظ شيء لا يؤمن أن يخون فيه. لسان العرب، مادة (حرس).

(٥) سورة المائدة ٥، آية ٤٢. والشُّحُّ: المال الحرام بشتى أنواعه، أو ما خبث وقبح من المكاسب؛ وقيل: مبالغة في صفة الحرام فيقال: هو حرام شُحِّت.

(٦) هو كاتب مشهور، وقد ورد ذكره في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٢٤ - ١٢٥ و ٤٤٩) إسماعيل بن صَبِيح بضم الصاد وفتح الباء.

بَنَيْتَ بِمَا خُنْتَ الْإِمَامَ سِقَايَةً فلا شربوا إِلَّا أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ^(١)
فَمَا كُنْتُ إِلَّا مِثْلَ بَائِعَةٍ آسَتْهَا تعودُ عَلَى الْمَرْضَى بِهِ طَلَبَ الْأَجْرِ^(٢)

يريد معنى الحديث أن امرأة كانت في بني إسرائيل تزني بحب الرمان وتتصدق به على المرضى .

وقال فيه^(٣) أيضاً لمحمد الأمين : [طويل]

أَلَسْتَ أَمِينَ اللَّهِ سَيْفُكَ نَقْمَةٌ إذا ما في يوماً في خلافاً مائتاً^(٤) ؟
فَكَيْفَ بِإِسْمَاعِيلَ يُسَلِّمُ مِثْلَهُ عليك ولم يُسَلِّمَ عليك مُنَافِقٌ ؟
أَعَيْدُكَ بِالرَّحْمَنِ مِنْ شَرِّ كَاتِبٍ له قَلَمٌ زَانٍ وَآخِرُ سَارِقٍ

وقال فيه أيضاً : [طويل]

أَلَا قُلْ لِإِسْمَاعِيلَ إِنَّكَ شَارِبٌ بكأس بني ما هَانَ ضَرْبَةٌ لَازِمٌ^(٥)
أَتُسَمِّنُ أَوْلَادَ الطَّرِيدِ^(٦) وَرَهْطَهُ يَاهِزَالُ آلَ اللَّهِ مِنْ نَسْلِ هَاشِمٍ ؟
وَتُخْبِرُ مَنْ لَا قِيَّتَ أَنَّكَ صَائِمٌ وتغدو بفَرْجٍ مُفْطِرٍ غَيْرَ صَائِمٍ ؟
فَإِنْ يَسُرَّ إِسْمَاعِيلُ فِي فَجْرَاتِهِ فليس أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِنَائِمٍ

(١) السَّقَايَةُ : ما يُبْنَى للماء وموضع السَّقْيِ . وَالصَّبْرُ : أصل القول : الصَّبْرُ بِكَسْرِ الباء ، وقد سَكَنْتِ الباء للضرورة الشعرية . وَالصَّبْرُ نَبَاتٌ مِنْ فَصِيلَةِ الزَنْبَقِيَّاتِ تَسْتَخْرَجُ مِنْهُ عُصَاةٌ مَرَّةً تَسْتَعْمَلُ فِي الطَّبِّ لِلإِسْهَالِ .

(٢) الْإِبْنَةُ : دُبُرُ الْمَرْأَةِ .

(٣) فِيهِ : أَيِ فِي إِسْمَاعِيلَ بْنِ صَبِيحٍ .

(٤) مَاقُ الرَّجُلِ يَمْوَقُ : حَمَقٌ ، وَالْمَائِقُ : الْأَحْمَقُ .

(٥) ضَرْبَةٌ لَازِمٌ : ضَرْبَةٌ لَا زَبَّ .

(٦) الطَّرِيدُ : الْمَطْرُودُ وَالْهَارِبُ .

وَلِيَّ حَارِثَةَ^(١) بَنَ بَدْرٍ «سُرُقَ» فَكُتِبَ إِلَيْهِ أُنْسُ الدُّوْلِيِّ^(٢): [طويل]

أَحَارِ^(٣) بَنَ بَدْرٍ قَدْ وَلِيَتْ وَلَايَةً فَكُنْ جُرْدًا فِيهَا تَخُونُ وَتَسْرِقُ
وَبَارِ تَمِيمًا إِنْ لِلْغَنَى لَسَانَابَهُ الْمَرْءُ الْهَيُوبَةُ يَنْطِقُ^(٤)
فَإِنَّ جَمِيعَ النَّاسِ إِمَّا مُكَذِّبٌ يَقُولُ بِمَا يَهْوَى وَإِمَّا مُصَدِّقٌ
يَقُولُونَ أَقْوَالًا وَلَا يَعْلَمُونَهَا وَإِنْ قِيلَ: هَاتُوا حَقَّقُوا، لَمْ يَحَقِّقُوا
وَلَا تَحْقِرَنَّ، يَا حَارِ، شَيْئًا أَصَبْتَهُ فَحَظُّكَ مِنْ مُلْكِ الْعِرَاقَيْنِ سُرُقٌ

فَلَمَّا بَلَغَتْ حَارِثَةُ قَالَ: لَا يَغْمَى عَلَيْكَ الرُّشْدُ.

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ جُوَيْرِيَةَ بِنِ أَسْمَاءَ قَالَ: قَالَ فُلَانٌ:
«إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونُ أَمِينًا إِذَا رَأَى الضِّيَاعَ خَانَ».

قَرَأْتُ فِي كِتَابِ أَبْرِويزَ إِلَى ابْنِهِ شَيْرُوهِ: «اجْعَلْ عَقُوبَتَكَ عَلَى الْيَسِيرِ
مِنَ الْخِيَانَةِ كَعَقُوبَتِكَ عَلَى الْكَثِيرِ مِنْهَا، فَإِذَا لَمْ يُطْمَعْ مِنْكَ فِي الصَّغِيرِ لَمْ
يُجْتَرَأْ عَلَيْكَ فِي الْكَبِيرِ. وَأَبْرِدِ الْبَرِيدَ فِي الدَّرْهِمِ يَنْقُصُ مِنَ الْخِرَاجِ، وَلَا
تُعَاقِبَنَّ عَلَى شَيْءٍ كَعَقُوبَتِكَ عَلَى كَسْرَةِ وَلَا تَرْزُقَنَّ عَلَى شَيْءٍ كَرَزَقِكَ عَلَى
إِزْجَائِهِ^(٥)»، وَاجْعَلْ أَعْظَمَ رِزْقِكَ فِيهِ وَأَحْسَنَ ثَوَابِكَ عَلَيْهِ حَقْنَ دَمِ الْمَرْجِي

(١) حَارِثَةُ بَنَ بَدْرُ بْنُ حَصِينِ التَّمِيمِيِّ الْغُدَّانِي مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، لَهُ أَخْبَارٌ فِي الْفَتْوحِ. أُمِرَ عَلَى
قِتَالِ الْخَوَارِجِ فِي الْعِرَاقِ فَهَزَمُوهُ. الْأَعْلَامُ ج ١٥٨. وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ فِي لِسَانِ
الْعَرَبِ، مَادَّةُ (سُرُقَ) أَنَّ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ وَلَّى حَارِثَةَ سُرُقَ، وَأَضَافَ قَائِلًا: سُرُقٌ: إِحْدَى
كُورِ الْأَهْوَازِ وَهِيَ سَبْعٌ. وَقَالَ ابْنُ بَرِّي: سُرُقٌ اسْمُ مَوْضِعٍ فِي الْعِرَاقِ.

(٢) هُوَ أُنْسُ بْنُ أَبِي أَنَاسٍ بْنِ زُنَيْمٍ، شَاعِرُ ابْنِ شَاعِرٍ. وَلَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ حَزَمٍ فِي جَمْهَرَةِ أَنْسَابِ
الْعَرَبِ ص ١٨٤ - ١٨٥ الشُّطْرَ الْأَوَّلَ مِنَ الْبَيْتِ الْمَذْكُورِ وَقَالَ: «إِمَارَةُ» بَدَلُ «وَلَايَةٍ». كَذَلِكَ
وَرَدَتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ مَادَّةُ (سُرُقَ).

(٣) أَحَارِ: مَنَادَى مَرْتَحِمٍ، وَالْأَصْلُ: «أَحَارِثَةُ».

(٤) الْهَيُوبَةُ: الرَّجُلُ الَّذِي يَخَافُ النَّاسَ.

(٥) إِزْجَاؤُهُ: مَنْ أَرْجَى، يُقَالُ: أَرْجَاهُ إِزْجَاءً: زَجَاهُ وَاسْتَحْتَهُ وَدَفَعَهُ بِرَفَقٍ.

وتوفيرَ ماله من غير أن يَعْلَمَ أنك أحمَدَتَ أمره حين عَفَ واعتصم من أن يهلك».

وقرأت في التاج أن أبرويز قال لصاحب بيت المال: «إني لا أحتملك على خيانة درهم ولا أحمدك على حفظ ألف ألف درهم، لأنك إنما تحقنُ بذلك دمك وتعمُر به أمانتك فإنك إن خُنْتَ قليلاً خُنْتَ كثيراً. وأحترس من خصلتين: النقصان فيما تأخذ، والزيادة فيما تعطي. وأعلم أني لم أجعل أحداً على ذخائر المُلْك وعمارة المملكة والعُدَّة إلا وأنت آمنٌ عندي من موضعه الذي هو فيه وخواتيمه التي هي عليها، فحقَّقْ ظني في اختياري إياك أحقِّ ظنك في رجائك لي، ولا تتعوَّض بخيرٍ شراً ولا برفعة ضعة ولا بسلامة ندامة ولا بأمانة خيانة». وكان يقال: «كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة».

قدم معاذ من يمن بعد وفاة رسول الله ﷺ على أبي بكر رضي الله عنه فقال له: إرفع حسابك. فقال: أحسابان، حساب من الله وحساب منكم؟ لا والله لا ألي لكم عملاً أبداً.

ذكر أعرابي رجلاً خائناً فقال: إن الناس يأكلون أماناتهم لُقمًا وإن فلاناً يحسوها حسواً.

قال بعض السلاطين لعامل له: «كُلْ قليلاً تعمل طويلاً وألزم العفاف يلزمك العمل، وأياك والرُشَى»^(١) يشتد ظهرك عند الخصام».

(١) الرُشَى: ج رَشْوَة بفتح الراء وضَمِّها وكسرهما، وهي الوصلة لى الحاجة بالمصانعة؛ وقيل: ما عطيه الرجل للحاكم أو غيره ليحكم له أو يحمله به على ما يريد.

القضاء

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْه قَالَ: أَخْبَرَنَا بِشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ بْنُ لَاحِقٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: «لَا يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ قَاضِيًا حَتَّى تَكُونَ فِيهِ خَمْسُ خِصَالٍ: يَكُونُ عَالِمًا قَبْلَ أَنْ يَسْتَعْمَلَ^(١)، مُسْتَشِيرًا لِأَهْلِ الْعِلْمِ، مُلْقِيًا لِلرُّعْ^(٢)»، مُنْصَفًا لِلْخَصْمِ، مُحْتَمَلًا لِلْأُثْمَةِ.

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقِ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ لَهَيْعَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هُبَيْرَةَ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: «ذِمَّتِي رَهِينَةٌ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ لِمَنْ صَرَحْتُ لَهُ الْعَبْرَ إِلَّا يَهْلِكُ عَلَى التَّقْوَى زَرْعُ قَوْمٍ وَلَا يَظْمَأُ عَلَى التَّقْوَى سِنَخٌ^(٣)» أَصْلُ إِلَّا وَإِنْ أَبْغَضَ خَلَقَ اللَّهُ إِلَى اللَّهِ رَجُلٌ قَمَشٌ^(٤) جَهْلًا غَارًا أَبْغَبَاشَ^(٥) الْفِتْنَةِ عَمِيًّا بِمَا فِي عَقْدِ الْهَدَنَةِ سَمَاهُ أَشْبَاهُهُ مِنَ النَّاسِ عَالِمًا وَلَمْ يُغْنِ فِي الْعِلْمِ يَوْمًا سَالِمًا. بَكَرٌ فَاسْتَكْثَرَ، مَا قَلَّ مِنْهُ فَهُوَ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ حَتَّى إِذَا مَا آرَتَوَى مِنْ أَجْنٍ^(٦) وَأَكْتَثَرَ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ قَعَدَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِيًا لِتَخْلِيصِ مَا آلَتَبَسَ عَلَى غَيْرِهِ، إِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى الْمُبْهَمَاتِ هَيَّا حَشَوًا^(٧) رَثًّا مِنْ رَأْيِهِ، فَهُوَ مِنْ قَطْعِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ غَزْلِ الْعَنْكَبُوتِ. لَا يَعْلَمُ إِذَا أَخْطَأَ، لِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ أَخْطَأَ أَمْ أَصَابَ، خَبَاطُ عَشَوَاتٍ رَكَابُ جَهَالَاتٍ^(٨)، لَا يَعْتَذِرُ مِمَّا

(١) يستعمل: يصبح عاملاً من قبل الخليفة أو الأمير.

(٢) الرُّعْ: الطمع.

(٣) السِّنَخ: الأصل، والجمع أسناخ وسنوخ. والسِّنَخ والأصل واحد فلما اختلف اللفظان أضاف الكاتب أحدهما إلى الآخر.

(٤) قَمَشٌ: جَمَعَ.

(٥) أَبْغَبَاشُ الْفِتْنَةِ: ظَلَمَتَهَا، وَمُفْرَدُهَا غَبَشٌ.

(٦) الْأَجْن: الْمَاءُ الَّذِي تَغْيُرُ طَعْمُهُ وَلَوْنُهُ وَقِيلَ رَائِحَتُهُ.

(٧) الرُّثُ: الْخَلْقُ الْبَالِي.

(٨) خَبَاطُ عَشَوَاتٍ: مِثْلُ يَضْرِبُ لِمَنْ يَتَصَرَّفُ فِي الْأُمُورِ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ. وَالْخَبَاطُ: الَّذِي يَخْطُ بِشِدَّةٍ. وَالْعَشَوَاتُ: جُ عَشَوَاءَ، وَهِيَ النَّاقَةُ الَّتِي لَا تَبْصُرُ فَهِيَ تَخْطُ بِيَدَيْهَا كُلَّ شَيْءٍ إِذَا مَشَتْ =

لا يعلم فيسلم ولا يَعْصُ في العلم بضرس قاطع، يَذْرو الرواية ذَرُو الريح الهَشِيمَ، تبكي منه الدماء وتصرُخ منه الموارديث ويستحلُّ بقضائه الفَرْج الحرام. لا مليء والله بإصدار ما ورد عليه ولا أهل لما قُرْط به».

قال ابن شُبْرَمَة^(١): [كامل]

ما في القضاء شَفَاعَةً لمُخَاصِمٍ عند اللبيب ولا الفقيه الحاكم
أَهْوَنُ عَلَيَّ إِذَا قُضِيَتْ بِسُنَّةٍ أو بالكتاب برغم أنف الراغم
وقضيت فيما لم أجد أثراً به بنظائر معروفة ومعالم

الهِثَمُ عن ابن عِيَّاش عن الشَّعْبِيِّ قال: كان أول قاضٍ قضى لعمر بن الخطاب بالعراق سلمان بن ربيعة الباهلي، ثم شهد القادسية وكان قاضياً بها، ثم قضى بالمدائن، ثم عزله عمر وأستقضى شُرْحَيْلَ على المدائن، ثم عزله وأستقضى أبا قُرَّةَ الكِنْدِي فآخِطَ النَّاسُ الكُوفَةَ وقاضيهما أبو قُرَّةَ. ثم أستقضى شُرَيْحُ بن الحارث الكِنْدِي^(٢) فقضى خمساً وسبعين سنة إلا أن زياداً أخرجه مرة إلى البصرة وأستقضى مكانه مسروق بن الأجدع سنة حتى قدم شريح فأعاده ولم يزل قاضياً حتى أدرك الفتنة في زمن ابن الزبير فقعد ولم يَقْضِ في الفتنة. فاستقضى عبد الله بن الزبير رجلاً مكانه ثلاث سنين فلما قتل ابن الزبير أعيد شريح على القضاء فلقى رجلاً شريحاً في الطريق فقال: يا أبا أمية، قضيت والله بِجَوْرٍ، قال: وكيف ذاك؟ ويحك! قال: كَبُرَتْ سُنُّكَ واختلط عقلك وآرتشى أبناك، فقال شريح: لا جَرَمَ، لا يقولها أحد بعدك.

= لا تتوقى شيئاً، والرُّكَّاب: الكثير الركوب. والجَهَّالَات: ج جهالة، وهي أن تفعل فعلاً بغير العلم.

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) شُرَيْح من أشهر القضاة الفقهاء في صدر الإسلام. وولي قضاء الكوفة في زمن عمر وعثمان وعلي ومعاوية. مات بالكوفة سنة ٧٨ هـ. الأعلام ج ٣ ص ١٦١.

فأتى الحجاج فقال: والله لا أقضي بين اثنين. قال: والله لا أعفيك أو تبغيني رجلاً. فقال شريح: عليك بالعفيف الشريف أبي بردة بن أبي موسى. فاستقضاه الحجاج وألزمه سعيد بن جبيرة كاتباً ووزيراً.

وروى الثوري عن علقمة بن مرثد أنه لقي محارب بن دثار^(١) وكان على القضاء فقال له: يا محارب، إلى كم تردّد الخصوم؟ فقال له: إني والخصوم كما قال الأعشى:

أُرِقْتُ وما هذا السهاد المورق وما بي من سُقمٍ وما بي مَعْشَقُ
ولكن أراني لا أزال بحادثٍ أغادى بما لم يُمسِ عندي وأطرقُ

حدثني إسحق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد عن قريش بن أنس عن حبيب بن الشهيد قال: كنت جالساً عند إياس بن معاوية فأتاه رجل فسأله عن مسألة فطوّل فيها، فقال إياس: إن كنت تريد الفتيا فعليك بالحسن معلمي ومعلم أبي، وإن كنت تريد القضاء فعليك بعبد الملك بن يعلى - وكان على قضاء البصرة يومئذ - وإن كنت تريد الصلح فعليك بحُميد^(٢) الطويل، وتدرى ما يقول لك؟ يقول لك: حُطَّ شيئاً، ويقول لصاحبك: زِدْهُ شيئاً حتى نصلح بينكما، وإن كنت تريد الشغب فعليك بصالح السدوسي، وتدرى ما يقول لك؟ يقول لك: إجحَدْ ما عليك. ويقول لصاحبك: إدْعِ ما ليس لك وأدْعِ بينةً غُيِّياً.

قرأت في الآيين: «ينبغي للحاكم أن يعرف القضاء الحقَّ العدلَ

(١) مُحارب بن دثار الدوسي الشيباني الكوفي فقيه فاضل زاهد شجاع كان قاضياً على الكوفة.

توفي وهو قاضٍ وذلك سنة ١١٦ هـ. الأعلام ج ٥ ص ٢٨١.

(٢) حُميد بن أبي حميد الطويل تابعي من أهل الحديث. مات وهو قائم يصلي وذلك سنة ١٤٢ هـ.

الأعلام ج ٢ ص ٢٨٣.

والقضاء العدلَ غيرَ الحقِّ والقضاءُ الحقَّ غيرَ العدلِ ويقايس بثبوت وروية
ويتحفظ من الشبهة». والقضاء الحق العدل عندهم قتل النفس بالنفس،
والقضاء العدل غير الحق قتل الحر بالعبد، والقضاء الحق غير العدل الدية
على العاقلة.

حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن أخي الأصمعي قال: حدّثني عمي
الأصمعي قال: قال أعرابي لقوم يتنازعون: هل لكم في الحق أو فيما هو خير
من الحق؟ ف قيل: وما يكون خيراً من الحق؟ قال: التحاطُّ^(١) والهضم، فإنَّ
أخذ الحق كله مرٌّ.

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: اختلف رجلان في شيء فحكما
رجلاً له في المخطيء هوى، فقال للمخطيء: من يقول بقولك أكثر.

الهيثم بن عدي قال: تقدّمت كُثُوم بنت سريع مولى عمرو بن حريث
وأخوها الوليد إلى عبد الملك بن عُمَيْر وهو قاضي الكوفة، وكان أبنة عمرو بن
عبد الملك يُرمى بها فقضى لها، فقال هُذَيْل الأشجعي^(٢): [طويل]

أتاه رفيقٌ بالشهود يسوقُهُم	على ما أدعت من صامتِ المالِ والخولِ ^(٣)
فأدلى وليدٌ عند ذاك بحقه	وكان وليدٌ ذا مرأى وذا جدلٍ
ففتنتِ القبطيَّ حتى قضى لها	بغير قضاء الله في السور الطولِ
فلو كان من في القصر يعلمه	لما استعيل القبطيُّ فينا على عملٍ

(١) التحاطُّ والهضم: أي أن يتنازل المرء عن حقوقه للغير.

(٢) هو شاعر ماجن هجاء، من أهل الكوفة. توفي نحو ١٢٠ هـ. الأعلام ج ٨ ص ٨٠.

(٣) صامت المال والخول: أي ليس عنده شيء من مال الدنيا ولا مما يعطيه الله تعالى من النعم.

له حين يقضي للنساء تَخَاوُصٌ^(١) وكان وما منه التَخَاوُصُ والْحَوْلُ
 إذا ذاتُ دَلٍّ كَلَّمْتُهُ لِحَاجَةٍ فهمٌ بأن يقضي تَنْخَنَحَ أو سَعَلَ
 وبرَّقَ^(٢) عينيه ولاك^(٣) لسانه يرى كل شيء ما خلا شخصها جَلَلٌ

فكان عبد الملك بن عمير يقول: والله لربما جاءتني السعلة أو التنحنح وأنا في المتوضأ فأكف عن ذلك.

وقال ابن مُناذر^(٤) في خالد بن طَلِيق وكان قد ولي قضاء البصرة:

[سريع]

قلْ لأمير المؤمنين الذي من هاشمٍ في سرِّها واللبابُ
 إن كنتَ للسُّخْطة عاقبتنا بخالدٍ فهو أشدُّ العقابِ
 كنان قضاء الناس فيما مضى من رحمة الله وهذا عذابُ
 يا عجباً من خالدٍ كيف لا يُخطيءُ فتياً مرةً بالصوابِ

وقال فيه:

جُعِلُ^(٥) الحاكم يا لئد ناس من آلِ طَلِيقِ
 ضحكة يحكم في الناس س برأي الجائليق^(٦)

(١) التَخَاوُصُ: الغَضُّ من البصر شيئاً؛ يقال: فلان يُخَاوِصُ إذا غَضَّ من بصره شيئاً وهو في ذلك يحدِّق النظر كأنه يُقَوِّمُ سَهْمًا.

(٢) بَرَّقَ عينيه: وسَّعَهما وأحدَّ النظر.

(٣) لاك لسانه يَلْوُكُهُ: عضَّه.

(٤) هو محمد بن منادر اليربوعي بالولاء، شاعر كثير الأخبار والنوادر، كان من العلماء باللغة والأدب. مات سنة ١٩٨ هـ. الأعلام ج ٧ ص ١١١.

(٥) الجُعَلُ: ج جَعَالَة، وهي الرِّشْوَة.

(٦) الجائليق: رئيس الأساقفة يكون تحت يد البطريق، معرَّب كاثوليكيوس باليونانية، والجمع جئالقة.

أَيُّ قَاضٍ أَنْتَ فِي النَّقْدِ صِرَ وَتَعْطِيلِ الْحَقُوقِ
يَا أَبَا الْهَيْثَمِ مَا أَنْتَ لِهَذَا بِخَلِيقِ
لَا وَلَا أَنْتَ لِمَا حُمِّ جِلَّتْ مِنْهُ بِمُطِيقِ

أَرَادَ عَدِيُّ بْنُ أَرْطَاةَ بَكْرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْمَزْنِيَّ عَلَى الْقَضَاءِ فَقَالَ لَهُ بَكْرُ:
وَاللَّهِ مَا أَحْسَنَ الْقَضَاءَ، فَإِنْ كُنْتُ كَاذِبًا أَوْ صَادِقًا فَمَا يَجِلُّ لَكَ أَنْ تَوَلِيَنِي.

وَرَوَى عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ قَالَ: لَمَّا عُزِلَ أَبْنُ شُبْرُمَةَ عَنِ الْقَضَاءِ قَالَ
لَهُ وَالِي الْيَمَنِ: اخْتَرْنَا لَنَا رَجُلًا نَوَلِيَهُ الْقَضَاءَ. فَقَالَ لَهُ أَبْنُ شُبْرُمَةَ: مَا أَعْرِفُهُ.
فَذَكَرَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ صَنْعَاءَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَجَاءَ، فَقَالَ لَهُ أَبْنُ شُبْرُمَةَ: هَلْ
تَدْرِي لِمَ دُعِيتَ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: إِنَّكَ قَدْ دُعِيتَ لِأَمْرِ عَظِيمٍ، لِلْقَضَاءِ. قَالَ:
مَا أَيْسَرَ الْقَضَاءَ! فَقَالَ لَهُ أَبْنُ شُبْرُمَةَ: نَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ يَسِيرُ مِنْهُ؟ قَالَ: سَلْ.
قَالَ لَهُ أَبْنُ شُبْرُمَةَ: مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ ضَرَبَ بَطْنَ شَاةٍ حَامِلٍ^(١) فَأَلْقَتْ مَا فِي
بَطْنِهَا؟ فَسَكَتَ الرَّجُلُ، فَقَالَ لَهُ أَبْنُ شُبْرُمَةَ: إِنَّا بَلَوْنَاكَ فَمَا وَجَدْنَا عِنْدَكَ شَيْئًا.
فَقِيلَ لَهُ: مَا الْقَضَاءُ فِيهَا؟ قَالَ أَبْنُ شُبْرُمَةَ: تُقَوِّمُ حَامِلًا وَتُقَوِّمُ حَائِلًا وَيَغْرَمُ قَدْرَ
مَا بَيْنَهُمَا.

جَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَلَنْجِيُّ قَالَ: كَانَ يَحْيَى^(٢) بْنُ أَكْثَمٍ يَمْتَحِنُ
مَنْ يَرِيدُهُمْ لِلْقَضَاءِ، فَقَالَ لِرَجُلٍ: مَا تَقُولُ فِي رَجُلَيْنِ زَوْجٍ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا
الْآخِرُ أُمُّهُ فَوُلِدَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أَمْرَأَتِهِ وَلَدٌ، مَا قَرَابَةُ مَا بَيْنَ الْوَالِدَيْنِ؟ فَلَمْ
يَعْرِفْهَا، فَقَالَ لَهُ يَحْيَى: كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْوَلَدَيْنِ عَمُّ الْآخَرِ لِأُمِّهِ.

(١) شَاةٌ حَامِلٌ: أَيُّ فِي بَطْنِهَا وَلَدٌ.

(٢) هُوَ قَاضٍ رَفِيعُ الْقَدْرِ وَمِنْ نَبَلَاءِ الْفُقَهَاءِ، يَتَصَلُّ نَسَبُهُ بِأَكْثَمِ بْنِ صَيْفِي حَكِيمِ الْعَرَبِ. تُوْفِيَ سَنَةُ

ودخل رجل من أهل الشام على عبد الملك بن مروان فقال: إني تزوجت امرأة وزوجتُ ابني أمها ولا غنى بنا عن رُفدك. فقال له عبد الملك: إن أخبرتني ما قرابة ما بين أولادكما إذا أولدتما، فعلتُ. قال: يا أمير المؤمنين، هذا حميد بن بحدل قد قلدته سيفك ووليته ما وراء بابك فسله عنها، فإن أصاب لزمني الحرمان، وإن أخطأ أتسع لي العذر. فدعا بالبحدلي فسأله، فقال: يا أمير المؤمنين، إنك ما قدمتي على العلم بالأنساب ولكن على الطعن بالرماح، أحدهما عم الآخر والآخر خاله.

قال ابن سيرين: كنا عند أبي عبيدة بن أبي حذيفة في قبة له وبين يديه كانوا له فيه نار فجاءه رجل فجلس معه على فراشه فسأره بشيء لا ندري ما هو، فقال له أبو عبيدة: ضع لي إصبعك بي هذه النار. فقال له الرجل: سبحان الله! تأمرني أن أضع لك أصبعي في هذه النار! فقال له أبو عبيدة: أتدخل عليّ بأصبع من أصابعك في نار الدنيا وتسألني أن أضع لك جسدي كله في نار جهنم؟ قال: فظننا أنه دعاه إلى القضاء.

كان يقال: «ثلاث إذا كنَّ في القاضي فليس بكامل: إذا كره اللوائم، وأحبَّ المحامد، وكره العزْل. وثلاث إذا لم تكن فيه فليس بكامل: يشاورُ وإن كان عالماً، ولا يسمع شكية من أحد حتى يكون معه خصمه، ويقضي إذا علم».

قالوا: «ويحتاج القاضي إلى العدل في لحظه ولفظه وقعود الخصوم بين يديه وألا يقضي وهو غضبان ولا يرفع صوته على أحد الخصمين ما لا يرفعه على الآخر».

قال الشعبي: حضرت شريحاً ذات يوم وجاءته امرأة تخاصم زوجها

فأرسلت عينها^(١) فبكت فقلت: يا أبا أمية، ما أظنها إلا مظلومة. فقال: يا شعبي، إن إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء ييكون^(٢).

بلغني عن كثير بن هشام عن جعفر بن بُرقان قال: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري كتاباً فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس. سلام عليك، أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة، فأفهم إذا أدلي إليك فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له. آس بين الناس في مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك. البينة على من آدعى واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين الناس إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً، ولا يَمْنَعَنَّكَ قضاء قضيتَه بالأمس فراجعت فيه نفسك وهذيت لرشدك أن ترجع إلى الحق فإن الحق لا يبطله شيء. وأعلم أن مراجعة الحق خير من التماذي في الباطل. الفهم الفهم فيما يتلجلج في صدرك مما ليس فيه قرآن ولا سنة، وأعرف الأشباه والأمثال ثم قس الأمور عند ذلك ثم أعمد لأحبها إلى الله وأشبهها بالحق فيما ترى. إجعل لمن آدعى حقاً غائباً أمداً ينتهي إليه فإن أحضر بيته أخذ بحقه وإلا استحللت عليه القضاء. والمسلمون عدول في الشهادة إلا مُجَلِّدًا^(٣) في حد أو مجرباً عليه شهادة زور أو ظنيماً في ولاء أو قرابة. إن الله تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالبينات. وإياك والقلق والضجر والتأذي بالخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الأجر ويحسن الذخر، فإنه من صَلَحَتْ سريرته فيما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن

(١) أرسلت عينها: أطلقت لهما العنان.

(٢) هنا إشارة إلى قصة يوسف عليه السلام حين احتال إخوته في هلاكه حسداً فوضعوه في بئر وعادوا إلى أبيهم ييكون. وقد وردت هذه القصة مفصلة في القرآن الكريم، سورة يوسف.

(٣) مُجَلِّدًا: من جَلَدَ: أي مضروب بالسوط.

تَزِينٌ لِلدُّنْيَا بغير ما يعلم الله منه شأنه الله، والسلام»

وقال سلمة^(١) بن الخُرْشُب لسُبَيْع التغلبي في شأن الرُّهْن التي وضعت على يديه في قتلى عَبَسَ وذُبيان:

[منسرح]

أَبْلَغُ سُبَيْعاً وَأَنْتَ سَيِّدُنَا قَدَمًا وَأَوْفَى رَجَالِنَا ذَمًّا
أَنْ بَغِيضاً^(٢) وَأَنْ إِخْوَتَهَا ذُبْيَانٌ قَدْ ضَرَمُوا الَّذِي أَضْطَرَمَّا
نُبِّئْتُ أَنْ حَكْمُوكَ بَيْنَهُمْ فَلَا تَقُولَنَّ بِشَيْءٍ مَا حَكَمَّا
إِنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَةٍ بِشَأْنِهِمْ تَعْرِفُ ذَا حَقِّهِمْ وَمَنْ ظَلَمَّا
وَتُنْزِلُ الْأَمْرَ فِي مَنَازِلِهِ حُكْمًا وَعِلْمًا وَتَحْضِرُ الْفَهَمَّا
فَأَحْكُمِ فَإِنَّتِ الْحَكِيمُ بَيْنَهُمْ لَنْ يَعْدَمُوا الْحَقَّ بَارِدًا صَتَمًا^(٣)
وَأَصْدَعِ أَدِيمَ السَّوَاءِ بَيْنَهُمْ عَلَى رِضَا مَنْ رَضِيَ وَمَنْ رَغِمَا
إِنْ كَانَ مَالًا فَمِثْلَ عِدَّتِهِ مَالٌ بِمَالٍ وَإِنْ دَمًا فَدَمًا
هَذَا وَإِنْ لَمْ تُطَقْ حُكُومَتُهُمْ فَأَنْبِذْ إِلَيْهِمْ أُمُورَهُمْ سَلَمًا^(٤)

وَأُنْشِدَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ شِعْرَ زَهِيرِ بْنِ أَبِي سَلَمَى، فَلَمَّا بَلَغَ قَوْلَهُ:

[وافر]

فَإِنَّ الْحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلَاثٌ يَمِينٌ أَوْ نَفَارٌ أَوْ جَلَاءُ

جعل عمر يتعجب من علمه بالحقوق وتفصيله بينها ويقول: لا يخرج الحق من إحدى ثلاث إما يمين أو محاكمة أو حجة.

(١) هو شاعر جاهلي مُقِلٌّ، كان معاصراً لعروة بن الورد. الأعلام ج ٣ ص ١١٣.

(٢) المقصود قبيلة بغيس بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان. ووالد بغيس هو ذبيان.

جمهرة أنساب العرب ص ٢٥٥.

(٣) الصَّتَمُ: الغليظ الشديد.

(٤) هو سلمة بن الخُرْشُب.

وقال ابن أبي ليلى^(١) الفقيه في عبد الله بن شُبْرَمَةَ^(٢): [متقارب]
وكيف تُرَجَّى لفصل القضاء ولم تُصِبِ الحُكْمَ في نَفْسِكَ
وتزعمُ أنك لابن الجَلّاح^(٣) وهيّات دعواك من أصلكا

عبد الله بن صالح العجلّي قال: خرج شَرِيك^(٤) وهو على القضاء يتلقى
الخَيْرَان^(٥) وقد أقبلت تريد الحج، فأتى، شاهي^(٦) فأقام بها ثلاثاً ولم تُوافِ
فخفّ زاده وما كان معه من الخبز فجعل يبلّه بالماء ويأكله بالملح، فقال
العلاء بن المِنْهال^(٧) الغنوي: [الوافر]

فإن كان الذي قد قلت حقاً بأن قد أكرهوك على القضاء
فما لك مُوضِعاً في كل يوم تلقى مَنْ يحجُّ من النساء
مقيماً في قرى شاهي ثلاثاً بلا زاد سوى كَسَرٍ ومثاء
يزيدُ الناسُ خيراً كلّ يوم فترجع يا شَرِيك إلى وراء

وقال فيه أيضاً:
فليت أبا شَرِيكٍ كان حياً فيُقَصِّرَ حين يُبَصِّرُهُ شَرِيكُ [وافر]

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى بن بلال الأنصاري الكوفي، قاض فقيه. توفي بالكوفة سنة ١٤٨ هـ. الأعلام ج ٦ ص ١٨٩.
(٢) تقدّم ترجمته.

(٣) ابن الجَلّاح: ابن السيل الجُراف، أي القوي الشديد في حكمه. وقد يكون جَلّاح اسم أبي أُخِيحَةَ بن الجَلّاح الخزرجي كما ورد في اللسان، مادة (جَلح).

(٤) هو شريك بن عبد الله النخعي، نسبة إلى النُخَع، وهي قبيلة كبيرة من مَذْجَج. كان عالماً ذكياً، تولى القضاء بالكوفة ثم بالأهواز. توفي سنة ١٧٧ هـ. وقيل ١٧٨ هـ. وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٦٤ - ٤٦٨.

(٥) اسم امرأة أقبلت تريد الحج.

(٦) شاهي موضع قرب القادسية، معجم البلدان.

(٧) لم أقف له على ترجمته.

وَيْتْرِكَ مِنْ تَذَرِّيهِ عَلَيْنَا إِذَا قُلْنَا لَهُ: هَذَا أَبُوكَ^(١)

وَأَنْشُدْ لِبَعْضِ الشُّعْرَاءِ فِي بَعْضِ الْحُكَّامِ: [كامل]
أَبْكِي وَأَنْدُبْ بِهَجَةِ الْإِسْلَامِ إِذْ صَرْتَ تَقَعْدُ مَقْعَدَ الْحُكَّامِ
إِنْ الْحَوَادِثُ مَا عَلِمْتُ كَثِيرَةً وَأَرَاكَ بَعْضَ حَوَادِثِ الْأَيَّامِ

حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ: حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ الْفَضْلِ قَالَ: حَدَّثَنِي
رَجُلٌ مِنْ بَنِي جَرِيرٍ أَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ خَاصَمَ رَجُلًا إِلَى سَوَّارَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَقَضَى
عَلَى الْجَرِيرِيِّ، فَمَرَّ سَوَّارُ بْنُ جَرِيرٍ فَقَامَ إِلَيْهِ الْجَرِيرِيُّ فَصَرَعَهُ وَخَنَقَهُ وَجَعَلَ
يَقُولُ: [سريع]

رَأَيْتُ أَحْلَامًا فَعَبَّرْتُهَا وَكُنْتُ لِلْأَحْلَامِ عَبَّارًا
رَأَيْتُنِي أَخْتَقُضَبًا^(٢) عَلَى جُحْرِ وَكَانَ الضَّبُّ سَوَّارًا

في الشهادات

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ لِي أَيُّوبُ: إِنْ مِنْ أَصْحَابِي
مَنْ أَرْجُو دَعْوَتَهُ وَلَا أُجِيزُ شَهَادَتَهُ. قَالَ: وَقَالَ سَوَّارُ: مَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَفْضَلَ مِنْ
عَطَاءِ السُّلَمِيِّ، وَلَوْ شَهِدَ عِنْدِي عَلَى فُلَسَّيْنِ لَمْ أُجِزْ شَهَادَتَهُ. يَذْهَبُ إِلَى أَنَّهُ
ضَعِيفُ الرَّأْيِ لَيْسَ بِالْحَازِمِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَطْعُنُ عَلَيْهِ فِي دِينِهِ وَأَمَانَتِهِ. قَالَ:
وَشَهِدَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ عِنْدَ سَوَّارٍ عَلَى نَسَبٍ فَقَالَ سَوَّارُ: وَمَا يَدْرِيكَ أَنَّهُ
أَبْنَاهُ؟ قَالَ: كَمَا أَعْلَمُ أَنَّكَ سَوَّارُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَنَزَةَ بْنِ نَقْبٍ. قَالَ: وَشَهِدَ

(١) ورد هذان البيتان في البيان والتبيين (ج ٣ ص ٤٩٧) وجاء فيه: «عن مقالته» بدل «حين
يصره». وأراد القول «من تَذَرِّيهِ» من تطاوله وتكبره، فأبدل الهمزة ياء. وهو لو قال: «تَذَرِّيهِ»
لكان صحيحاً وحافظ على الوزن. وفي القافية عيب الإقواء بحيث راح الشاعر بين الضم في
قافية البيت الأول والفتح في قافية البيت الثاني.

(٢) الضَّبُّ: دُوَيْبَّةٌ مِنَ الْحَشَرَاتِ تَشَبُّهُ الْوَزْلَ، وَالْجَمْعُ ضِبَابٌ.

رجل عند سوار في دار قد آدعاهما رجل قال: أشهد أنها له من الماء إلى السماء. وشهد آخر فقال للكاتب: اكتب شهادتهما. فقال: أي شيء أكتب؟ فقال: كل شيء يخرج الدار من يد هذا ويجعلها في ملك هذا فأكتبه. قال أبو حاتم: بلغني أنه إنما قيل شهادة عربية وما أشبهه. قال: وشهد رجل عند سوار، فقال له: ما صناعتك؟ قال: أنا مؤدب. قال: فإننا لا نجيز شهادتك. قال ولم؟ قال؟ لأنك تأخذ على تعليم القرآن أجراً. قال: وأنت تأخذ على القضاء بين المسلمين أجراً. قال: إني أكرهت على القضاء. قال: يا هذا، القضاء أكرهت عليه فهل أكرهت على أخذ الرزق؟ قال: هلم شهادتك. فأجازها. قال: وشهد الفرزدق عند بعض القضاة فقال: قد أجزنا شهادة أبي فراس، وزيدونا. فقيل له حين آنصرف: إنه، والله، ما أجاز شهادتك. قال: وما يمنعني من ذلك وقد قذفت ألف حصنة. وجاء أبو دلامة^(١) ليشهد عند ابن أبي ليلى فقال في مجلسه ذلك:

إِن الْقَوْمَ غَطَوْنِي تَغَطَّيْتُ دُونَهُمْ وَإِنْ يَحْثُوا عَنِّي ففِيهِمْ مَبَاحُثُ
وَإِنْ حَفَرُوا بِشْرِي حَفَرْتُ بِشَارَهُمْ لِيُعْلَمَ مَا تَخْفِيهِ تِلْكَ النَّبَاثُ^(٢)

فأجاز شهادته وحبس المشهود عليه عنده وأعطاه قيمة الشيء.

أتى رجل ابن شبرمة بقوم يشهدون له على قراح فيه نخل، فشهدوا وكانوا عدولاً فسألهم: كم في القراح من نخلة؟ قالوا: لا نعلم. فرد شهادتهم. فقال له رجل منهم: أنت تقضي في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة، فأعلمنا: كم فيه من أسطوانة؟ فأجازهم.

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) النبائ: ح نبئة، وهي تراب البشر.

وقال بعض الشعراء:

[منسرح]

والخصم لا يَرتجى النجاة له يوماً إذا كان خصمه القاضي
قدّم رجل خصماً له إلى زياد في حق له عليه، فقال: إن هذا الرجل
يُبدلُ بخاصّةٍ ذَكَرَ أنها له منك. قال: نعم. وسأخبرك بما ينفعه عندي من
خاصّته: إن يكن الحقُّ له عليك آخذك أخذاً عنيفاً، وأن يكن الحق لك عليه أقض
عليه ثم أقض عنه.

وقال أبو اليقظان: كان عبيد الله بن أبي بكر^(١) قاضياً وكان يميل في
الحكم إلى إخوانه. ف قيل له في ذلك. فقال: وما خير رجلٍ لا يقطع من دينه
لإخوانه؟

قال المدائني: كان بين طلحة بن عبيد الله والزبير مداراة^(٢) في واد
بالمدينة. قال: فقالا: نجعل بيننا عمرو بن العاص، فأتياه فقال لهما: أنتما
في فضلكما وقديم سوابقكما ونعمة الله عليكما تختلفان! وقد سمعتما من
رسول الله ﷺ مثل ما سمعتُ وحضرتُما من قوله مثل الذي حضرتُ فيمن
أقتطع شبراً من أرض أخيه بغير حق أنه يُطَوَّقُه^(٣) من سبع أرضين! والحكم
أحوج إلى العدل من المحكوم عليه وذلك لأن الحكم إذا جار رُزىء دينه
والمحكوم عليه إذا جِرَ عليه رُزىء عَرَض الدنيا، إن شئتما فأدليا بحجتكما
وإن شئتما فأصلحا ذات بينكما. فأصطلحا وأعطى كل واحد منهما صاحبه
الرضا.

(١) هو تابعي ثقة من أهل البصرة، ولي قضاء البصرة، وكان أسود اللون. وكانت له ثروة واسعة
فاشتهر بأخبار من الجود تشبه الخيال. توفي سنة ٧٩ هـ. الأعلام ج ٤ ص ١٩١ - ١٩٢.

(٢) مداراة: مخالفة.

(٣) أي يجعل كالطوق في عنقه.

وكان السُّنْدِيُّ بن شَاهِك لا يستحلف المكارى ولا الحائك ولا الملاح
ويجعل القول قول المدعى مع يمينه، ويقول: اللهم، إني أستخيرك في
الجمال ومعلم الصبيان.

وقال أبو البيداء: سمعتُ شيخاً من الأعراب يقول: نحن بالبادية لا نقبل
شهادة العبد ولا شهادة العذِيَّوْط^(١) ولا المغدَى ببوله. قال أبو البيداء:
فضحكت والله حتى كذتُ أبول في ثوبي.

وقيل لعبيد الله بن الحسن العنبري: أتجيز شهادة رجل عفيف تقيٍّ
أحمق؟ قال: لا، وسأريكم. أدعوا لي أبا مودود حاجبي، فلما جاء قال له:
أخرج حتى تنظر ما الريح؟ فخرج ثم رجع فقال: شمالٌ يشوبها شيءٌ من
الجنوب. فقال: أترؤني كنتُ مجيزاً شهادة مثل هذا؟.

قال الأعمش: قال لي مُحَارِب بن دِثَار^(٢): وَلَيْتُ القُضَاءُ فبكى أهلي
وَعُزِلْتُ عنه فبَكَوْا، فما أدري مم ذاك؟ فقلتُ له: وليتَ القُضَاءُ فكَرِهَتْهُ
وجزعتُ منه فبكى أهلك، وعُزِلْتُ عنه فكَرِهَتْ العزل وجزعتُ منه فبكى
أهلك. فقال: إنه لَكَمَا قُلْتُ.

قَدِمَ إِيَّاس بن معاوية الشام وهو غلام فَقَدِمَ خصماً له إلى قاضٍ لعبد
الملك بن مروان وكان خصمه شيخاً كبيراً. فقال له القاضي: أتقدم شيخاً
كبيراً؟ فقال له إِيَّاس: الحق أكبر منه. قال: اسكت. قال: فمن ينطق بحجتي؟
قال: ما أظنك تقول حقاً حتى تقوم. قال: أشهد أن لا إله إلا الله. فقام
القاضي فدخل على عبد الملك فأخبره بالخبر فقال: اقضِ حاجته وأخرجه
من الشام لا يفسد علي الناس.

(١) العذِيَّوْط: هو الذي إذا أتى أهله أبدى، أي أنجى فظهر نجاهه من دُبره.

(٢) تقدمت ترجمته.

قال أعرابي لخصم له: «وَلله لئن هَمَلَجْتَ^(١) إلى الباطل إنك عن الحق لَقَطُوفٌ».

باب الأحكام

حَدَّثَنِي عَبْدَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ: سَمِعْتُ الزَّيْبَرَ بْنَ الْحَارِثِ يَحَدِّثُ عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي الطَّرْقِ أَنَّهَا سَبْعُ أَذْرُعٍ».

حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ عَمْرٍو عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَنْتَمٍ عَنْ غَزَالِ بْنِ مَالِكٍ الْغِفَارِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: «كَفَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلًا فِي تَهْمَةٍ».

قَالَ وَحَدَّثَنِي أَيْضًا عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَنْتَمٍ عَنْ غَزَالِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «حَبَسَ النَّبِيُّ ﷺ فِي التَّهْمَةِ حَبْسًا يَسِيرًا حَتَّى اسْتَبْرَأَ».

حَدَّثَنِي يَزِيدُ قَالَ: حَدَّثَنِي الْوَلِيدُ عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ عَنْ الْحَسَنِ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَبَ رَجُلًا عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ: رَبَابٌ» وَقَالَ لِي رَجُلٌ بِالْمَدِينَةِ: هُوَ ذُو رَبَابٍ.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْخَلِيلِ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ حَرْبٍ عَنْ جَرِيرٍ عَنْ يَعْلَى بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ قَالَ: «أَتَى مَاعُزُّ بْنُ مَالِكٍ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «إِنِّي زَنَيْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ» فَقَالَ: لَعَلَّكَ مَسَسْتَ أَوْ لَمَسْتَ أَوْ غَمَزْتَ. فَقَالَ: لَا، بَلْ زَنَيْتَ. فَأَعَادَهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَلَمَّا كَانَ فِي الرَّابِعَةِ رَجَمَهُ».

(١) هَمَلَجَ: مشى مشية سهلة في سرعة، والهملجة تكون للحيوانات.

حَدَّثَنِي شَبَابَةُ عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ الْحَكَمِ عَنْ الثَّوْرِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْأَقْمَرِ عَنْ
يَزِيدَ بْنِ أَبِي كَبْشَةَ أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ أَتَى بِأَمْرَأَةٍ سَرَقَتْ، فَقَالَ: أَسْرَقْتَ؟ قَوْلِي:
لا.

حَدَّثَنِي سَهْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي الْأَصْمَعِيُّ قَالَ: جَاءُوا زِيَادًا بِلَصٍّ
وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ فِيهِمُ الْأَحْنَفُ، فَانْتَهَرُوهُ وَقَالُوا: اصْطَقَ الْأَمِيرُ. فَقَالَ الْأَحْنَفُ:
إِنَّ الصَّدُقَ أحياناً معجزة. فَأَعْجَبَ ذَلِكَ زِيَادًا وَقَالَ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا.

حَدَّثَنِي شَبَابَةُ عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ الْحَكَمِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عِيَّاشٍ عَنْ حَدَّثِهِ
عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ قَالَ: «جَزَّ الرَّأْسُ وَاللَّحْيَةُ لَا يَصْلُحُ فِي الْعُقُوبَةِ لِأَنَّ اللَّهَ، عَزَّ
وَجَلَّ، جَعَلَ حَلْقَ الرَّأْسِ نُسْكَاً لِمَرْضَاتِهِ».

حَدَّثَنِي شَبَابَةُ عَنْ الْقَاسِمِ عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ:
«إِيَّاكُمْ وَالْمُثَلَّةَ^(١) فِي الْعُقُوبَةِ جَزَّ الرَّأْسُ وَاللَّحْيَةُ».

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدِ بْنِ خِدَاشٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْمُ بْنُ قَتِيْبَةَ قَالَ:
حَدَّثَنَا يُونُسُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ حَفْصِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: كَانَ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ أَمِيرَ
الْمَدِينَةِ فَقَضَى فِي رَجُلٍ فَرْعَ رَجُلًا فَضَرَبَ بِأَرْبَعِينَ دِرْهَمًا.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ عَنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ جُوَيْرِ
عَنِ الضَّحَّاكِ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ: «لَا يَحِلُّ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ غُلٌّ وَلَا صَفْدٌ وَلَا
تَجْرِيدٌ وَلَا مَدٌّ».

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: كَانَ عَامِرُ بْنُ الظَّرْبِ الْعَدَوَانِي
حَكَمَ الْعَرَبَ، فَتَزَلَّ بِهِ قَوْمٌ يَسْتَفْتُونَهُ فِي خُتْنٍ^(٢) لَهُ جَارِيَةٌ يَقَالُ لَهَا خُصِيْلَةٌ.

(١) الْمُثَلَّةُ: التَّنْكِيلُ.

(٢) الْخُتْنَى: مَنْ لَهُ عَضْوُ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ جَمِيعًا، وَالْجَمْعُ خَنَائِي وَخِنَاثٌ.

وربما لامها في الإبطاء في الرعي وفي الشيء يجده عليها. فقال: يا خصيلة، لقد حبست هؤلاء القوم وريثتهم حتى أسرعت في غنمي. قالت وما يكن عليك من ذلك؟ أتبعه مباله. فقال لها: «مسي خصيل بعدها أو رَوْحِي».

قال: وأتي ابن زياد بإنسان له قُبْلٌ وذَكَرٌ ولا يُدرى كيف يُورَثُ^(١). فقال: من لهذا؟ فقالوا: أرسل إلى جابر بن زيد. فأرسل إليه، فجاء يَرْسُف في قيوده فقال: ما تقول في هذا؟ فقال: ألزقه بالجدار فإن بال عليه فهو ذكر، وإن بال في رجله فهو أنثى.

حدثني محمد بن خالد بن خدّاش قال: حدثنا سلم بن قتيبة قال: حدثنا قيس بن الربيع عن أبي حصين أن رجلاً كسر طنبوراً لرجل فخاصمه إلى شُريح^(٢)، فقال شريح: لا أقضي في الطنبور بشيء.

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبيه قال: قال لي أبو العجاج: يا ابن أصمّع، والله لئن أقررت لألزمك. أي لا تقر.

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبيه عن معمر قال: ردّ رجل على رجل جارية اشتراها منه، فخاصمه إلى إياس^(٣) بن معاوية، فقال له: بم تردّها؟ قال له: بالحمق. فقال لها إياس: أي رجلك أطول؟ فقالت: هذه. فقال: أتذكرين ليلة ولدت؟ قالت: نعم. فقال إياس: ردّ ردّ.

حدثني أبو الخطاب قال: حدثنا أبو داود عن قيس عن أبي حصين قال:

(١) القُبْل: فرج المرأة. والذَكَر: العضو الذي تبول منه الذكور، والجمع ذكور ومذاكير على غير القياس. وعبارة «لا يُدرى كيف يُورَث» أي لمعرفة ما يرثه من والديه.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) هو قاضي البصرة، يضرب المثل بذكائه. قال الجاحظ: إياس بن معاوية من مفاخر مصر ومن مقدمي القضاة. توفي سنة ١٢٢ هـ. الأعلام ج ٢ ص ٣٣.

رأيت الشعبي يقضي على جلد أسد.

الظلم

حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن قُريب قال: حدّثني الأصمعيّ قال: أخبرنا بعض أشياخ البصرة أن رجلاً وأمراًته آختمهما إلى أمير من أمراء العراق وكانت المرأة حسنة المُتَنَقَّب قبيحة المُسَفَّر^(١)، وكان لها لسان فكأن العاملَ مال معها فقال: يعمد أحدكم إلى المرأة الكريمة فيتزوّجها ثم يسيء إليها! فأهوى زوّجها إلى النّقاب فألقاه عن وجهها فقال العامل: عليك اللعنة! كلامٌ مظلومٌ ووجهٌ ظالمٌ^(٢).

[طويل]

وأشدّ الرياشي^(٣) في نحو هذا:

رأيتُ أبا الحَجَناء في الناس جائراً ولونُ أبي الحَجَناء لونُ البهائمِ
تراه على ما لاحهُ من سوادهِ وإن كان مظلوماً له وجهُ ظالمِ

أبو حاتم عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال: كان رجل من العرب في الجاهلية إذا رأى رجلاً يظلم ويعتدي يقول: فلان لا يموت^(٤) سَوِيّاً. فَيَرَوْنَ ذلك حتى مات رجل ممن قال ذلك فيه ف قيل له: مات فلان سَوِيّاً. فلم يقبل حتى تابعت الأخبار. فقال: إن كنتم صادقين: فإن لكم داراً سوى هذه تُجَارَوْنَ فيها.

(١) قبيحة المُسَفَّر: قبيحة الوجه، والجمع مَسَافِر.

(٢) أي وإن كانت مُجَقَّة فيما تعرض فإنها، لبشاعة وجهها، تظلم زوجها وتنغصص عليه العيش.

(٣) هو العباس بن الفَرَج الرياشي، نسبة إلى رياش وهو اسمٌ لجند رجل من جُذام كان والد المنسوب إليه عبداً له. فنسب إليه وبقي عليه. والرياشي من البصرة، لغوي نحوي راوية.

توفي سنة ٢٥٧ هـ. الأعلام ج ٣ ص ٢٦٤ ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٧ - ٢٨.

(٤) مات سَوِيّاً: مات ميتة طبيعية.

كتب رجل من الكُتَّاب إلى سلطان: «أعذك بالله من أن تكون لاهياً عن الشكر محجوباً بالنعم صارفاً فضل ما أوتيت من السلطان إلى ما تقل عائدته وتعظم تبعته من الظلم والعدوان، وأن يستزلك الشيطان بخدعه وغروره وتسويله فيزيل عاجل الغبطة ويُنسيك مذموم العاقبة، فإن الحازم من يذكر في يومه المخوف من عواقب غده ولم يغره طول الأمل وتراخي الغاية ولم يضرب في غمرة من الباطل ولا يدري ما تتجلى به مغبتها. هذا إلى ما يتبع الظالم من سوء المنقلب وقبح الذكر الذي لا يفنيه كرّ الجديدين^(١) واختلاف العصرين».

حدثني يزيد بن عمرو قال: حدثنا معاوية بن عمرو قال: حدثنا أبو إبراهيم السقاء عن ليث عن مجاهد قال: «يؤق بمعلم الصبيان يوم القيامة فإن كان عدل بين الغلمان وإلا أقيم مع الظلمة». وكان معاوية يقول: إني لأستحي أن أظلم من لا يجد علي ناصرًا إلا الله. وقال بلال: «إني لأستحي أن أظلم وأخرج أن أظلم». وكان يقال: إذا أراد الله أن يتحف عبداً قيض له من يظلمه.

كتب رجل إلى سلطان: «أحق الناس بالإحسان من أحسن الله إليه وأولاهم بالإنصاف من بسطت بالقدره يده».

ذكر الظلم في مجلس ابن عباس فقال كعب: إني لا أجد في كتاب الله المنزل أن الظلم يُخرب الديار. فقال ابن عباس: أنا أوجدك في القرآن، قال الله، عز وجل: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا﴾^(٢).

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال: كان فرعان وهو من بني

(١) أي كرّ الليل والنهار، يقال: كرّ الليل والنهار أي عادا مرة بعد أخرى.

(٢) سورة النمل ٢٧، آية ٥٢. وخاوية: خالية. وجاءت منصوبة على الحال والعامل فيها معنى الإشارة (بما ظلموا) بظلمهم أي كفرهم. تفسير الجلالين.

تعيم لا يزال يُغير على إبل الناس فيأخذ منها ثم يقاتلهم عليها إلى أن أغار على رجل فأصاب له جملاً، فجاء الرجل فأخذ بشعره فجذبه فبرك، فقال الناس: كبرتَ والله يا فُرعان. فقال: لا والله ولكن جذبني جذبة مُحَقٌّ. وكان سُديف بن ميمون مولى اللّهبين يقول: اللهمَّ قد صار فيُنّا دُولَةً^(١) بعد القسمة وإمارتُنا غلبة بعد المشورة وعهدُنا ميراثاً بعد الاختيار للأمة. واشتريت الملاحى والمعازف بسهم اليتيم والأرملة وحُكْم في أبشار المسلمين أهل الذمة وتولى القيام بأمورهم فاسقُ كلِّ محلّة. اللهمَّ وقد استحصد زرعُ الباطل وبلغ نهايته واجتمع طريقه. اللهمَّ فأتَيْح له يداً من الحق حاصدةً تبدد شمله وتفرّق أمره ليظهر الحقُّ في أحسن صُوره وأتم نوره..

ولي أعرابي بعض النواحي فجمع اليهود في عمله وسألهم عن المسيح فقالوا: قتلناه وصلبناه. فقال: فهل أدبتم ديتَه؟ قالوا: لا. قال: فوالله لا تخرجون أو تؤذّوها. فلم يبرحوا حتى أدّوها.

كان أبو العَاجِ على جَوالى البصرة فأتى برجل من النصارى: فقال ما أسمك؟ فقال: بنداذ شهر بنداذ. فقال: اسم ثلاثةٍ وجزيّةٍ واحدٍ! لا والله العظيم. قال: فأخذ منه ثلاثُ جِزى.

ولي أعرابي تَبَالَةٌ^(٢) فصعد المنبر فما حمد الله ولا أثنى عليه حتى قال: إن الأمير، أعزنا الله وإياه، ولآتي بلادكم هذه، وإني والله ما أعرف من الحق

(١) صار الفيء دُولَة: صارت الغنيمة دُولَة بينهم يتداولونها فتكون مرة لهذا ومرة لهذا.

(٢) تَبَالَة، يفتح التاء وفي آخرها هاء، بُليدة على طريق اليمن للخارج من مكة، كثيرة الخصب، وهي أول ولاية وليها الحجاج بن يوسف الثقفي، ولكنه أحقرها وتركها لما رآها خلف الأكمّة، فضربت العرب بها المثل وقالت للشيء الحقيق: أهون من تبالة على الحجاج. وفيات الأعيان ج ٦ ص ٣٤٣.

موضع سَوطِي، ولن أوقَ بظالم ولا مظلوم إلا أوجعتها ضرباً، فكانوا يتعاملون
بالحق بينهم ولا يرتفعون إليه. قال بعض الشعراء^(١): [طويل]

بَنِي عَمَّنَا، لَا تَذْكُرُوا الشَّعْرَ بَعْدَ مَا دَفَنْتُمْ بِصَحْرَاءِ الْغُمَيْرِ^(٢) الْقَوَافِيَا
فَلَسْنَا كَمَنْ كُنْتُمْ تَصِييُونَ سَلَّةً فَتَقْبَلُ ضَيْمًا أَوْ نَحْكُمُ قَاضِيَا^(٣)
وَلَكِنْ حُكْمَ السَّيْفِ فِيكُمْ مَسْلُطٌ فَنَرْضَى إِذَا مَا أَصْبَحَ السَّيْفُ رَاضِيَا
فَلِنْ قُلْتُمْ وَإِنَّا ظَلَمْنَا فَلَمْ نَكُنْ ظَلَمْنَا وَلَكِنَّا أَسَانَا أَلْتَقَاضِيَا

وقال آخر:

تَفَرَّحُ أَنْ تَغْلِبَنِي ظَالِمًا وَالْغَالِبُ الْمَظْلُومُ لَوْ تَعْلَمُ

وكانوا يَتَوَقَّوْنَ ظِلْمَ السلطان إذا دخلوا عليه بأن يقولوا: «بسم الله» إني
أعوذ بالرحمن منك إن كنتَ تقيًا^(٤) «أَخْشَوْا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُون»^(٥) أَخَذْتُ
سَمْعَكَ وَبَصْرَكَ بِسْمِ اللَّهِ وَبَصْرِهِ. أَخَذْتُ قُوَّتَكَ بِقُوَّةِ اللَّهِ. بَيْنِي وَبَيْنَكَ سِتْرُ
النَّبُوَّةِ الَّذِي كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ تَسْتَرُّ بِهِ مِنْ سَطَوَاتِ الْفِرَاعَةِ. جَبْرِيلُ عَنْ يَمِينِهِ
وَمِيكَائِيلُ عَنْ يَسَارِهِ وَمُحَمَّدٌ أَمَامَكَ وَاللَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَيْكَ وَيَخْجِرُكَ عَنِّي وَيَمْنَعُنِي
مِنْكَ».

وقال بعض الشعراء:

وَنَسْتَعْدِي الْأَمِيرَ إِذَا ظَلَمْنَا فَمَنْ يُعْدِي إِذَا ظَلَمَ الْأَمِيرُ؟

- (١) هو السَّمِيدَرُ الْحَارِثِي، شاعر فارس. أنظر المؤلف والمختلف للامدي ص ١٤٠.
(٢) الْغُمَيْرُ: موضع بين ذات عِرْق والبستان، وقيل: موضع في ديار بني كلاب. معجم البلدان.
ولقد ورد في المؤلف والمختلف للامدي: «بصحراء الغمير» ثم عاد الامدي بعد أن أورد
البيت الشعري فقال: «والغمير أيضاً».
(٣) السَّلَّةُ: السرقة الخفيفة. ونقيل ضَيْمًا: نأخذ دون حقنا.
(٤) سورة مريم ١٩، آية ١٨. والمعنى: بتعودي تنتهي عني.
(٥) سورة المؤمنون ٢٣، آية ١٠٨. وتفسير الآية: سألوه سبحانه الخروج من النار والرجعة إلى
الدار، فقال: أمكثوا فيها صاغرين ولا تطمعوا في مدبر.

وقال آخر:

[وافر]

إذا كان الأميرُ عليك خَصْماً فلا تُكثِرْ فقد غلب الأميرُ
وكتب رجل إلى صديق له : قد كنت أستعديك ظالماً على غيرك فتحكم
لي وقد أستعديتك عليك مظلوماً فضايق عني عدلك، وذكرني قول القائل:

[خفيف]

كنتُ من كُربتي أفرُّ إليهم فهُم وكُربتي فأين الفِرارُ؟

ونحوه:

[منسرح]

والخصم لا يُرتجى النجاحُ له يوماً إذا كان خصمه القاضي^(١)
حدّثني سهل بن محمد عن الأصمعيّ قال: كان يقال: ما أُعطي أحدٌ
قطُّ النِّصفِ^(٢) فأباه إلا أخذ شراً منه. قال: وقال الأحنف: ما عُرضتِ النِّصفَةُ
قطُّ على أحد فقبلها إلا دخلتني له هيبَةٌ ولا ردّها إلا آختبأتها في عقله.

وقال البعيث^(٣):

[طويل]

وإني لأُعطي النِّصفَ مَنْ لو ظَلَمْتُهُ أقرّ وطابت نفسه لي بالظلمِ

وقال الطائي^(٤):

[طويل]

يرى العلقمَ المأدومَ بالعزِّ أريّةً^(٥) يمانية والأريّ بالضم عَلَقْماً
إذا فرشوه النِّصفَ نامتْ شَدَاتُهُ وإن رَتَعُوا في ظلمه كان أظلماً

(١) تقدم ذكر هذا البيت .

(٢) النصف: الإنصاف.

(٣) هو خدّاش بن بشر بن مجاشع التميمي المعروف بالبعيث. شاعر وخطيب من أهل البصرة. كانت بينه وبين جرير مهاجرة دامت نحو أربعين سنة. توفي بالبصرة سنة ١٣٤ هـ. مؤلف والمختلف ص ٥٦، والأعلام ج ٢ ص ٣٠٢.

(٤) هو أبو تمام حبيب الطائي.

(٥) الأريّة والأري: العسل.

[طويل]

وقال العباس بن عبد المطلب^(١):

أبى قومنا أن يُنصفونا فأنصفت قواطعُ في أيماننا تقطُرُ الدُّمَّ
تركناهم ولا يستخلُّون بعدها لذي رَحِمٍ يوماً من الدهر محرماً

بلغنا عن ضَمرة عن ثور بن يزيد قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى
بعض عُمَّاله: أما بعد، فإذا دعُتْكَ قدرْتُكَ على الناس إلى ظلمهم فأذكر قدرة
الله عليك وفناء ما تُؤتي إليهم وبقاء ما يؤتون إليك، والسلام.

وسمع ابن سيرين رجلاً يدعو على مَنْ ظلمه، فقال: أقصر يا هذا، لا
يرَبِّح عليك ظالمك.

قولهم في الحبس

في الحديث المرفوع: «شكا يوسف عليه السلام إلى الله، عزَّ وجلَّ
طولَ الحبس فأوحى الله إليه: مَنْ حَبَسَكَ يا يوسف، أنتَ حبستَ نفسك حيث
قلت: ﴿رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾»^(٢) ولو قلت: العافيةُ أحبُّ
إليَّ لعُوفيتُ».

حدَّثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب قال: «إن يوسف
عليه السلام دعا لأهل السجن دعوةً لم تزل تُعرف لهم إلى اليوم، قال:
اللهم، أعطف عليهم قلوبَ الأخيار ولا تُعَمِّرْ عليهم الأخبار». فيقال: إنهم
أعلم الناس بكل خبر في كل بلد.

(١) هو من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام، وجدَّ الخلفاء العباسيين. كان مولعاً بإعتاق العبيد.
توفي سنة ٣٢ هـ - الأعلام ج ٣ ص ٢٦٢.

(٢) سورة يوسف ١٢، آية ٣٣. والمعنى: إنني آثر السجن لأنه - رغم مرارته - أحلى عاقبة من لذة
الحرام.

وكتب على باب السجن: «هذه منازل البلوى وقبور الأحياء وتجربة الصديق وشماتة الأعداء».

أنشدني الرياشي^(١):
 ما بال سجنك إلا قال مظلوم
 ما يدخل السجن إنسان فتسأله
 وقال أعرابي:

ولما دخلت السجن كبر أهله
 وقالوا: أبو ليلى الغداة حزين
 وفي الباب مكتوب على صفحته
 بأنك تنزوا^(٢) ثم سوف تلين
 ويقال: إن قولهم «تنزو وتلين» روي مكتوباً على باب حبس فضربه
 الناس مثلاً.

وقال بعض المسجونين:
 وبث بأحصنها منزلاً
 وثقلاً على عنق السالك^(٣)
 وليس بضيف ولا في كرا^(٤)
 ولا مُستعير ولا مالك
 ولست بغضب ولا كالرّهون^(٥)
 ولا يشبه الوقف عن هالك
 ولي مُسمعان فأدناهما
 يُغني ويُسمع في الحالك
 وأقصاهما ناظر في السما
 عمداً وأوسخ من عارك^(٦)

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تنزو: تئيب؛ يقال: نزا ينزو ونزواً: وتب.

(٣) بأحصنها منزلاً: في سجن مُحصّن لا يدخله نور ولا شمس. والسالك الذي يضع السلك (الثقل) في عنقه، والسلك هو القلادة.

(٤) الكرا: أصلها الكراء، وهي أجرة المُستأجر، وهو مصدر «كَارَيْتُهُ».

(٥) الرّهون: ج رهن، وهو ما وُضع عندك لينوب مناب ما أخذ منك. وقيل: هو ما وضع وثيقة للدين.

(٦) العارك: البعير الذي حُرّ جنبه بمرفقه حتى خلص إلى اللحم.

المُسمعِ الأوَّلَ قَيْدُهُ والثاني صاحب الحرس، ونحوه قول الآخر:

[متقارب]

ولي مُسِمَعانٍ وزَمارةٌ وظِلٌ مديدٌ وحِصْنٌ أَمَقُّ^(١)

الزَمارة الغُلُّ، وأصل الزَمارة السَّاجور.

قال أبو عبيدة: اختصم خالد بن صفوان^(٢) مع رجل إلى بلال بن أبي

بُرْدَة^(٣)، ففُضِيَ للرجل على خالد، فقام خالد وهو يقول: [طويل]

سحابةٌ صيفٍ عن قليلٍ تَقَشُّعُ^(٤)

فقال بلال: أما إنها لا تَقَشُّعُ حتى يصيبك منها شَوْبُوبٌ بَرَد. وأمر به إلى

الحبس، فقال خالد: علام تحبسني؟ فوالله ما جِئْتُ جنَاية ولا خُنْتُ خيانة.

فقال بلال: يخبرك عن ذلك بابٌ مُصَمَّتٌ وأقيادٌ يُقالُ وَقِيمٌ يقال له حَفْص.

قال الحجاج للغضبان بن القَبْعَثري وراة سميناً: ما أَسَمَنَكَ؟ قال: القيدُ

والرُّتعة^(٥)، ومن كان في ضيافة الأمير سَمَنَ.

(١) الحِصْنُ الأَمَقُّ: الضَّيْقُ.

(٢) هو شاعر مغمور اشتهرت له قصيدة باسم «العروس»: الأعلام ج ٢ ص ٢٩٦.

(٣) هو أمير البصرة وقاضياها. ولأه خالد القسري سنة ١٠٩ هـ على البصرة ثم عزله عنها يوسف

ابن عمر الثقفي سنة ١٢٥ هـ. وحجسه فمات سجيناً سنة ١٢٦ هـ. وهو ممدوح ذي الرُّمة

الشاعر. الأعلام ج ٢ ص ٧٢.

(٤) قال في العقد الفريد (ج ٤ ص ٣٦): قال الأصمعي: لما ولي بلال بن أبي بُرْدَة الأشعري

البصرة بلغ ذلك خالد بن صفوان، فقال خالد نصف البيت المذكور، فبلغ ذلك بلالاً فدعا به

وضربه مئة سوط.

(٥) الرُّتعة: الإتساع في الخصى، وهي كناية عن الراحة والسكون.

كان خالد^(١) بن عبد الله حبس الكمي^(٢) الشاعر فزارته امرأته في

السجن فلبس ثيابها وخرج ولم يُعرف فقال :
ولما أحلّوني بصلعاء صِلِمَ يا حدى زُبى ذي اللبْدَتَيْنِ أبي الشُّبْلِ^(٣)
خرجتُ خروج القِدْحِ^(٤) قَدَحَ ابن مُقْبِلٍ^(٥) على رغم أنافِ النوايح والمُشْلِي^(٦)
عليّ ثيابُ الغانياتِ وتحتها عزيمة مَرءٍ أَشْبَهَتْ سَلَّةَ^(٧) النُّصْلِ

وكان خالد بن عبد الله حبس الفرزدق فقال :
[طويل]

واني لأرجو خالداً أن يُفكِّني ويطلق عني مُقَفَلاتِ الحدايدِ
فإن يك قَيْدي رَدَّ هَمِّي فربما تناولتُ أطرافَ الهمومِ الأبعادِ
وما من بلاءٍ غيرَ كُلِّ عَشِيَةٍ وكلُّ صباحٍ زائرٍ غيرِ عائدِ
يقول لي الحدادُ هل أنت قائمٌ ؟ وما أنا إلا مثلُ آخرِ قاعدِ

وقال بعض الشعراء في خالد بن عبد الله القسري^(٨) حين حُبس :

(١) خالد بن عبد الله أمير العراقيين وأحد خطباء العرب وأجوادهم، يمانى الأصل ومن أهل دمشق. ولي مكة سنة ٨٩ هـ للوليد بن عبد الملك ثم ولّاه هشام العراقيين (الكوفة والبصرة) سنة ١٠٥ هـ. ثم عزله هشام سنة ١٢٠ هـ وولي مكانه يوسف بن عمر الثقفي فسجنه هذا الأخير ثم قتله في أيام الوليد بن يزيد سنة ١٢٦ هـ. وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢١٩ - ٢٢٠، والأعلام ج ٢ ص ٢٩٧.

(٢) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ١ من ص ٣٥. وقد ورد بيتان من أبياته الثلاثة في وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٢٠.

(٣) الصَّلعاء: الأرض أو الرملة لا نبات فيهما. والصِّلِمَ: الشديد، أي الأرض الصلبة. والزُّبى: ج زُبْيَة، وهي الرابية لا يعلوها ماء، أو حفرة في موضع عالٍ يُهاد بها الذئب أو الأسد. وذو اللبْدَتَيْنِ: الأسد، واللبدة: شعر زُبْرَة الأسد (الزُّبْرَة: الشعر المجتمع بين كَتْفَي الأسد).

(٤) القِدْح: السهم.

(٥) هو تميم بن أبي بن مقبل، شاعر جاهلي أدرك الإسلام وأسلم. توفي سنة ٣٧ هـ. الأعلام ج ٢ ص ٨٧.

(٦) المُشْلِي: من أشلى الكلب على الصيد: أغراه.

(٧) سَلَّةُ النُّصْل: دفعته، كسل السيف من الغمد.

(٨) سبقت ترجمته في الحاشية رقم ١ من هذه الصفحة.

[طويل]

لَعَمْرِي لَقَدْ أَعْمَرْتُمْ السِّجْنَ خَالِدًا وَأَوْطَأْتُمُوهُ وَطْأَةَ الْمُتَشَاوِلِ
فَإِنْ تَحْبِسُوا الْقَسْرِيَّ لَا تَحْبِسُوا أَسْمَهُ وَلَا تَسْجُنُوا مَعْرُوفَهُ فِي الْقَبَائِلِ

[طويل]

وقال بعض المسجونين:

أَسْجِنْ وَقَيِّدْ وَأَغْتَرَابْ وَعُسْرَةٌ وَفَقْدُ حَبِيبٍ! إِنَّ ذَا لَعَظِيمُ
وَإِنْ أَمْرًا تَبْقَى مَوَائِقُ عَهْدِهِ عَلَى كُلِّ هَذَا، إِنَّهُ لَكَرِيمُ

[طويل]

وقال آخر مثله:

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو إِنْهُ مَوْضِعُ الشُّكُورِ وَفِي يَدِهِ كَشْفُ الْمُصِيبَةِ وَالْبُلُورِ
خَرَجْنَا مِنَ الدُّنْيَا وَنَحْنُ مِنْ أَهْلِهَا فَلَسْنَا مِنَ الْأَحْيَاءِ فِيهَا وَلَا الْمَوْتِ
إِذَا جَاءَنَا السُّجَانُ يَوْمًا لِحَاجَةٍ عَجَبْنَا وَقَلْنَا: جَاءَ هَذَا مِنَ الدُّنْيَا
وَتُعْجِبُنَا الرَّؤْيَا فَجُلُّ حَدِيثِنَا إِذَا نَحْنُ أَصْبَحْنَا، الْ حَدِيثُ عَنِ الرَّؤْيَا
فَإِنْ حَسُنْتَ لَمْ تَأْتِ عَجَلَى وَأَبْطَأَتْ وَإِنْ قَبَحَتْ لَمْ تَحْتَسِ وَأَتَتْ عَجَلَى

وقال يزيد^(١) بن المهلب وهو في الحبس: يَا لَهْفِي عَلَى طَلِيَّةٍ^(٢) بِمَاءَةِ
أَلْفٍ وَفَرَجٍ فِي جِبْهَةِ أَسَدٍ. ودخل الفرزدق على المهلب وهو محبوس فقال:

(١) يزيد بن المهلب من القادة الشجعان الأجواد. ولي خراسان ثم عزله عبد الملك بن مروان. وكان الحجاج يخشى بأسه فأقدم على حبسه. قتل سنة ١٠٢ هـ على يد مسلمة بن عبد الملك. وفيات الأعيان ج ٦ ص ٢٧٨ - ٣٠٩، والأعلام ج ٨ ص ١٨٩ - ١٩٠.
(٢) الطليئة: ما طلبته من شيء. والمقصود مئة ألف درهم كي يشتري بها عذابه في يومه كما ورد في وفيات الأعيان ج ٦ ص ٢٧٩.

[منسرح]

أَصْبَحَ فِي قَيْدِكَ أَلْسَمَاحَةً وَالْجُودُ وَحَمْلُ الدِّيَاتِ وَالْحَسْبُ^(١)
 فقال له: أتمدحني على هذه الحال؟ فقال: أصبتك رخيصاً
 فأشتريتك^(٢).

وحبس الرشيد أبا العتاهية فكتب إليه من الحبس أبيات منها:

[منسرح]

تَفْذِيكَ نَفْسِي مِنْ كُلِّ مَا كَرِهْتُ نَفْسُكَ إِنْ كُنْتُ مَذْنِباً فَأَغْفِرْ
 يَا لَيْتَ قَلْبِي مَصُورٌ لَكَ مَا فِيهِ لَتَسْتَيْقِنَ الَّذِي أَضْمَرُ
 فَوَقَعَ الرِّشِيدُ فِي رَقْعَتِهِ: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ. فَأَعَادَ عَلَيْهِ رَقْعَةً أُخْرَى فِيهَا:

[وافر]

كَأَنَّ الْخَلْقَ رُكِبَ فِيهِ رُوحٌ لَهُ جَسَدٌ وَأَنْتَ عَلَيْهِ رَأْسُ
 أَمِينِ اللَّهِ، إِنْ الْحَبْسَ بَأْسٌ وَقَدْ وَقَعْتَ «لَيْسَ عَلَيْكَ بَأْسٌ»
 فأمر بإطلاقه.

الحجاب

أبو حاتم عن العتيبي عن أبيه أن عبد^(٣) العزيز بن زُرارة الكلابي وقف

-
- (١) أورد ابن خلكان (نفس المصدر السابق ص ٣٠٠) بيتاً آخر يلي هذا البيت وهو:
 لَا بَطْرُ إِنْ تَرَادَفْتُ نَعَمَ وَصَابِرٌ فِي الْبَلَاءِ مُخْتَسِبُ
 (٢) أي رأيتك رخيصاً، كونك في السجن، فأحييت أن أسلف فيك بفصاعتي. ذكر ابن خلكان
 (نفس المصدر والصفحة) أن يزيداً، عندما سمع شعر الفرزدق، رمى إليه بخاتمه وقال: شراؤه
 ألف دينار، وهو رُبْحُكَ إلى أن يأتِكَ رأس المال.
 (٣) عبد العزيز بن زُرارة الكلابي قائد من الشجعان المقدمين في زمن معاوية. كان في من غزا
 القسطنطينية وأبلى في قتال الروم. قتل في إحدى الوقائع سنة ٥٠ هـ، ولما نعي لمعاوية قال:
 هلك، والله، فتى العرب! الأعلام ج ٤ ص ١٧.

على باب معاوية فقال: من يستأذن لي اليوم فأدخله غداً؟ وهو في شَمْلَتين، فلما دخل على معاوية قال: هزرتُ ذوائب الرجال إليك إذ لم أجد معولاً إلا عليك: أمتطي الليل بعد النهار وأسِمُ المَجَاهِل بالأثار. يقودني نحوكَ رجاء وتسوقني إليك بلوى، والنفسُ مستبظَّة والاجتهادُ عاذر. فأكرمه وقربه. فقال في ذلك:

[وافر]

دخلتُ على معاويةَ بنِ حَرْبٍ وذلك إذ يئسْتُ من الدخولِ
وما نلتُ الدخولَ عليه حتَّى حللتُ محلَّةَ الرَّجُلِ الذليلِ
وأغضيتُ الجفونَ على قذاها ولم أسمعْ إلى قالٍ وقيلِ
فمادركتُ الذي أملتُ فيه بِمَكثٍ والخُطَا زادُ العَجولِ

وقال غير العتيبي: لما دخل عبد العزيز بن زُرارة على معاوية قال له: «إني رحلتُ إليك بالأمل وأحتملتُ جَفَوَتَكَ بالصبر، ورأيتُ بياك أقواماً قدّمهم الحظُّ، وآخرين باعدهم الجِرمانُ. وليس ينبغي للمتقدم أن يأمن ولا للمتأخر أن يئأس. وأول المعرفة الاختبار فأبُلُ واختبر» وفي حُجَّاب معاوية إياه يقول شاعر مُضَرٌّ^(١):

[سريع]

مَنْ يَأْذِنِ اليَوْمَ لعبدِ العَزيزِ يَأْذُنْ لَهُ عبْدُ عَزيزٍ غَداً

قال أبو اليقظان: كان عبد العزيز بن زُرارة فتى العرب.

استأذن أبو سفيان على عثمان فحجبه. فقيل له: حجبك أمير المؤمنين؟ فقال لا عدمتُ من قومي من إذا شاء حجبي. وحجب معاوية أبا الدرداء فقال

(١) هو الفرزدق الشاعر المشهور، وهو هَمَّام بن غالب التميمي، من أهل البصرة، توفي في بادية البصرة سنة ١١٠ هـ مقارباً المثة. الأعلام ج ٨ ص ٩٣. وذكر في العقد الفريد (ج ٥ ص ٣٢٥) أن جريراً يوم دخل على هشام بن عبد الملك طالباً منه أن يطلق سراح الفرزدق قال له: «يا أمير المؤمنين، إن كنت تريد أن تبسط يدك على بادي مُضَر وحاضرها فأطلق لها شاعرها وسيدها الفرزدق» فأمر بإطلاقه.

أبو الدرداء: من يَغْشَ سُدَدَ السلطان يَمُوتُ ويقعدُ ومن صادف باباً عنه مُغْلَقاً وجد إلى جانبه باباً مُفْتَحاً، إن دعا أُجيب وإذا سأل أُعطي.

قال رجل لحاجبه: إنك عينُ أنظرُ بها وَجْنَةٌ^(١) أستنيم إليها، وقد وليتك بابي، فما تراك صانعاً برعيتي؟ قال: أنظرُ إليهم بعينك وأحملهم على قذر منازلهم عندك وأضعهم في إبطائهم عن زيارتك ولزومهم خدمتك مواضع استحقاقهم وأرتبهم حيث وضعهم ترتيبك وأحسنُ إبلاغك عنهم وإبلاغهم عنك. قال: قد وفيت ما لك وما عليك إن صدقته بفعل. وكان يقال: حاجبُ الرجل حارس عِرضه.

وقرأت في التاج أن أبرويز قال لحاجبه: «لا تقدّمَنّ مستغيثاً ولا تضرعَنّ ذا شرف بصعوبة حجاب ولا ترفعنَ ذا ضعة بسهولة. وضع الرجال مواضع أخطارهم، فمن كان مقدّماً له الشرفُ ممن أزدَرَعَه^(٢) ولم يهدمه من بعد بنائه فقدّمه على شرفه الأوّل وحسن رأيه الآخر، ومن كان له شرفٌ مقدّم فلم يَضُنْ ذلك إبلاغاً به ولم يزدَرَعه تمييزاً له فألحق بآبائه مهلة سبقهم في خواصهم، وألحق به في خاصته ما ألحق بنفسه. لا تأذن له إلا دُبْراً ولا تأذن له إلا سِرّاً^(٣). وإذا ورد عليك كتابُ عامل من عُمالي فلا تحبسه عني طرفة عينٍ إلا أن أكون على حال لا تستطيع الوصول إليّ فيها، وإن أتاكَ مُدْعٍ لنصيحة فاستكتبها سراً ثم أدخله بعد أن تستأذن له. حتى إذا كان مني بحيث أراه فادفع إليّ كتابه، فإن أحمذتُ قبلت وإن كرهت رفضتُ، ولا ترفعنَ إليّ طلبية

(١) الوجنة: الشثرة وكل ما وقى من سلاح.

(٢) اُزْدَرَعَ الرجل: زرع وأحترت.

(٣) السّرار والدُبْر من كل شيء: عَقِبُهُ ومُؤَخَّرُهُ، يقال: جئتكَ دُبْر الشهر أي آخره. والسّرار من الشهر: آخر ليلة منه. والمعنى: لا تأذن له بالدخول عليك إلا آخِرَ مَنْ حضر.

طالب إن منعتُه بخُلني وإن أعطيتُه آزدراني، إلا بمؤامرةٍ مني من غير أن تُعلمه أنك قد أعلمتني وإن أتاك عالم يستأذن عليّ لعلم يزعم أنه عنده فأسأله: ما علمه ذلك؟ ثم استأذن له فإن العلم كآسميه، ولا تحجبَنَّ سَخَطَةً ولا تأذنَنَّ رضاً، أخصَّصْ بذلك المَلِك ولا تخصَّصْ به نفسك».

الهيثم قال: قال خالد بن عبد الله لحاجبه: «لا تَحْجِبَنَّ عَنِّي أحداً إذا أخذتُ مجلسي، فإن الوالي لا يحجب إلا عن ثلاث: عيٌّ يكره أن يُطْلَعَ عليه منه، أو رِيَّة، أو بخل فيكره أن يدخل عليه مَنْ يسأله». ومنه أخذ ذلك محمود الوراق^(١) فقال:

[طويل]

ورِدْ ذَوِي الحاجات دونَ حجابِه	إذا اعتصمَ الوالي بإغلاقِ بابِه
نزَعْتُ بظنٍّ واقعٍ بصوابِه	ظننْتُ به إحدى ثلاثٍ وربَّما
ففي إذنه للناسِ إظهارُ ما به	فقلْتُ به مَسٌّ من العيِّ ^(٢) ظاهرٌ
من البخلِ يَحْمِي ما لهُ عن طِلابِه ^(٣)	فإن لم يكن عيُّ اللسانِ فغالبٌ
يُصِرُّ عليها عند إغلاقِ بابِه	فإن لم يكن هذا ولا ذا فَرِيَّةٌ

[مجزوء المديد]

وقال بعض الشعراء:

أَنْ عَرَضَ الْمَلِكُ حاجِبُهُ	إِعْلَمَنَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُهُ
وبه تبدو معايبُهُ	ففيه تبدو محاسنُهُ

[سريع]

وقال آخر:

وتسكُنُ الأحرارُ في ذِمَّتِه	كم من فتىٍّ تُحمد أخلاقه
وسلَّطَ الدَّمُّ على نِعْمَتِه	قد كثرَ الحاجبُ أعداءُهُ

(١) محمود الوراق شاعر مشهور، أكثر شعره في المواعظ والحكم. توفي نحو ٢٢٥ هـ. الأعلام

ج ٧ ص ١٦٧.

(٢) العيُّ: الجهل. وعيُّ اللسان أي مَنْ حَصِرَ في حديثه.

حضر بابَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه جماعةٌ منهم سهيل بن عمرو وعُيينة بن حصن والأقرع بن حابس فخرج الأذنُ فقال: أين صُهَيْب؟ أين عَمَار؟ أين سلمان؟ فتمعَّرتُ^(١) وجوهُ القوم. فقال واحد منهم: لِمَ تتمعَّروا وجوهكم؟ دُعُوا ودُعِينَا فأسرعوا وأبطأنا، ولئن حسدتموهم على باب عمر لَمَا أعدَّ الله لهم في الجنة أكثرُ.

[طويل]

وقال بعض الشعراء:

سأترك هذا الباب ما دام إذنه على ما أرى حتى يخفَّ قليلاً
إذا لم نجدْ للإذن عندك موضعاً وجَدْنَا إلى تَرْكِ المَجِيءِ سبيلاً

[طويل]

وقال آخر لحاجب:

سأترك باباً أنت تَمْلُكُ إذنه وإن كنتُ أعمى عن جميع المسالكِ
فلو كنتُ بَوَابَ الْجَنَانِ تركْتُهَا وحوَّلْتُ رَحْلي مُسرِعاً نحوَ مَالِكِ

[طويل]

وكتب أبو العتاهية إلى أحمد بن يوسف:

لئن عُدْتُ بعد اليوم إني لظَالِمٌ سأصرف وجهي حيث تُبغى المكارمُ
متى يَنْجَحُ الغادي إليك بحاجة ونُصْفُكَ محجوبٌ ونُصْفُكَ نائمٌ؟

[متقارب]

وقال آخر:

ولسْتُ بِمُتَّخِذٍ صَاحِبَا يُقِيمُ على بابِهِ حَاجِبَا
إذا جئتُ قال له: حاجةٌ وإن عُدْتُ أَلْفَيْتِهِ غَائِبَا
ويُلْزِمُ إخوانَه حَقَّه وليس يَرى حَقَّهُمُ وإِجِبَا
فلسْتُ بِبَلَايَةِ حتى المماتِ إذا أنا لم أَلْقَ رَاكِبَا

(١). تَمَعَّرْتُ وجوههم: تَغَيَّرَتْ غَيُطاً.

وقال عبد الله^(١) بن سعيد في حاجب الحجاج^(٢) وكان يحجبه دائماً:

[طويل]

أَلَا زُبُّ نَصَحٍ يُغْلِقُ الْبَابَ دُونَهُ وَغِشٌّ إِلَى جَنْبِ السَّرِيرِ يُقَرِّبُ

وقال آخر:

[سريع]

مَا ضَاقَتِ الْأَرْضُ عَلَى رَاغِبٍ يَطْلُبُ الرِّزْقَ وَلَا هَارِبٍ
بَلْ ضَاقَتِ الْأَرْضُ عَلَى طَالِبٍ أَصْبَحَ يَشْكُو جَفْوَةَ الْحَاجِبِ

وحُجِبَ رَجُلٌ عَنْ بَابِ سُلْطَانٍ فَكُتِبَ إِلَيْهِ: «نَحْنُ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْمَطَامِعِ الدُّنْيَةِ وَالْهَمِّ الْقَصِيرَةِ وَأَبْتَذَالِ الْحُرِّيَّةِ، فَإِنْ نَفْسِي، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، أُبَيَّةٌ مَا سَقَطَتْ وَرَاءَ هَمَّةٍ وَلَا خَذَلَهَا صَبْرٌ عِنْدَ نَازِلَةٍ وَلَا آسَرَقَهَا طَمَعٌ وَلَا طُبِعَتْ عَلَى طَبَعٍ وَقَدْ رَأَيْتُكَ وَلَيْتَ عَرَضُكَ مَنْ لَا يَصُونُهُ وَوَصَلَتْ بِبَابِكَ مَنْ يَشِينُهُ وَجَعَلْتَ تَرْجِمَانِ عَقْلِكَ مِنْ يُكْثِرُ مِنْ أَعْدَائِكَ وَيَنْقُصُ مِنْ أَوْلِيَائِكَ وَيَسِيءُ الْعِبَارَةَ عَنْكَ وَيُوجِهُ وَفَدَ الذَّمَّ إِلَيْكَ وَيُضْغِنُ قُلُوبَ إِخْوَانِكَ عَلَيْكَ إِذْ كَانَ لَا يَعْرِفُ لَشَرِيفٍ قَدْرًا وَلَا لَصَدِيقٍ مَنَزَلَةً، وَيَزِيلُ الْمَرَاتِبَ عَنْ جَهْلٍ بِهَا وَبِدَرَجَاتِهَا فَيَحْطُ الْعَلِيُّ إِلَى مَرْتَبَةِ الْوَضِيعِ وَيَرْفَعُ الدُّنْيُ إِلَى مَرْتَبَةِ الرَّفِيعِ وَيَحْتَقِرُ الضَّعِيفُ لَضَعْفِهِ وَتَنْبُو عَيْنُهُ عَنِ ذِي الْبَذَاذَةِ^(٣) وَيَمِيلُ إِلَى ذِي اللَّبَاسِ وَالزَّيْنَةِ وَيَقْدَمُ عَلَى الْهَوَى وَيَقْبَلُ الرُّشَا».

(١) لم أقف له على ترجمة.

(٢) هو الحجاج بن يوسف الثقفي، القائد الداهية السفاك الخطيب. قلده عبد الملك أنكر عسكره، وقاتل عبد الله بن الزبير وقمع الثورة ببغداد وبنى مدينة واسط (بين الكوفة والبصرة) وهو أول من ضرب درهماً عليه «لا إله إلا الله محمد رسول الله» مات بواسط سنة ٩٥ هـ. الأعلام ج ٢٠ ص ١٦٨.

(٣) البَذَاذَةُ: مَنْ بَدَأَ يَبْدُو بَذَاةً: سَاءَتْ حَالُهُ وَرَثَتْ هَيْئَتُهُ.

وقال بشار، وقيل هو لغيره:
تأبى خلائقُ خالدٍ^(١) وفعاله
إِذَا أَتَيْتَ أَلْبَابَ وَقْتِ غَدَائِهِ
إِلَّا تَجَنَّبَ كُلَّ أَمْرِ عَائِبٍ
أَذِنَ الْغَدَاءُ بِرَغْمِ أَنْفِ الْحَاجِبِ

وهذا ضد قول الآخر:
إِذَا تَغَدَّى فَرَّ بِوَابِهِ
ومات من شهوة ما يحتسي
وَأَرْتَدَّ مِنْ غَيْرِ يَدٍ بِأَبِهِ
عِيَالُهُ طَرّاً وَأَصْحَابُهُ

وقال آخر:
يَا أَمِيرًا عَلَى جَرِيْبٍ^(٢) مِنَ الْأَرِ
قَاعِدًا فِي الْخَرَابِ يُحَجِّبُ عَنْهُ
ضُ لِه تِسْعَةً مِنَ الْحُجَابِ
مَا سَمِعْنَا بِحَاجِبٍ فِي خَرَابٍ!

وقال آخر^(٣):
عَلَى أَيِّ بَابٍ أَطْلُبُ الْإِذْنَ بَعْدَمَا
حُجِّبْتُ عَنِ الْبَابِ الَّذِي أَنَا حَاجِبُهُ^(٤)

وقال الطائي:
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ النَّائِي بِرُؤْيَيْهِ
لَيْسَ الْحِجَابُ بِمُقْصَصٍ عَنْكَ لِي أَمَلًا
وَجُودُهُ لِمُرَاعِي جُودِهِ كَتَبَ
إِنَّ السَّمَاءَ تُرَجِّى حِينَ تَحْتَجِبُ

(١) هو خالد بن عبد الله أمير العراقيين، وقد تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ١ من ص ٨١ من هذا الجزء فأنظره.

(٢) الجريْب: المزرعة، وعند الفقهاء: مقدار معلوم من الأرض، وهو ما يحصل من ضرب ستين في نفسها أي في ستين أيضاً. قال قدامة في كتاب الخراج: الأسَل إذا ضرب في مثله فهو الجريْب، والأسَل طول ستين ذراعاً.

(٣) ذكر في العقد الفريد (ج ١ ص ٧٣) أن رجلاً من خاصة محمد بن منصور وقف ببابه فحجِب عنه فكتب إليه البيت المذكور.

(٤) نسب الجاحظ في البيان والتبيين (ج ٣ ص ٥٠٩ - ٥١٠) هذا البيت لتوب اليماني، المعروف بتوب، مكبره هنا.

وقال أيضاً:

[كامل]

وَمُحَجَّبٌ حَاوَلَتْهُ فَوَجَدَتْهُ نَجْمًا عَنِ الرُّكْبِ الْعُقَاةِ شَسُوعًا
أَعْدَمَتْهُ لَمَّا عَدِمْتُ نَوَالَهُ شَكْرِي فَرُخْنَا مُعْدَمَيْنِ جَمِيعًا

وقال آخر:

[خفيف]

قَدْ أَطْلَنَّا بِالْبَابِ أَمْسِرَ الْقَعُودَا وَجُفِينَا بِهِ جَفَاءً شَدِيدًا
وَذَمَمْنَا الْعَبِيدَ حَتَّى إِذَا نَحَدَ بِنَ بَلُونَا الْمَوْلَى عَذَرْنَا أَلْعَبِيدَا

وَحُجِبَ رَجُلٌ فَكُتِبَ:

[طويل]

أَبَا جَعْفَرٍ، إِنْ الْوَلَايَةِ إِنْ تَكُنْ مُنْبَلَّةً قَوْمًا فَأَنْتَ لَهَا نُبْلٌ
فَلَا تَرْتَفِعْ عَنَّا لَشَيْءٍ وَلَيْتَهُ كَمَا لَمْ يُصَغَّرْ عِنْدَنَا شَأْنُكَ أَلْعَزْلُ

وكتب رجل من الكتاب في هذا المعنى إلى صديق له: «إن كان
ذهولك^(١) عنا لِدُنْيَا أَخْضَلَتْ^(٢) عليك سماؤها وأُرْتَبَتْ بك^(٣) دِيمُهَا فإن أكثر ما
يجري في الظن بك بل في اليقين منك أنك أملك ما تكون لعنانك أن يَجْمَحَ
بك ولنفسك، أن تستعلي عليك إذا لانت لك أكتافها وأنقاد في كفك زمامها؛
لأنك لم تنل ما نلت خلساً ولا خطفاً، ولا عن مقدار جَرَفَ إليك غير حَقِّك
وأمال نحوك سوى نصيبك. فإن ذهبت إلى أن حَقِّك قد يحتمل في قوته
وسعته أن تضم إليه الجَفْوَةَ والنَّبْوَةَ فيتضاءل في جنبه ويصغر عن كبره فغير
مدفوع عن ذلك. وآيم^(٤) الله لولا ما بُلِيَتْ به النفس من الظَّنِّ بك وأن مكانك منها لا

(١) ذهولك عنا: تركك لنا وإبعادك عنا.

(٢) أخضلت السماء عليك: بَلَّتْكَ، أي أغدقت عليك النِّعَمَ.

(٣) أُرْتَبَتْ بك دِيمُهَا: جعلت عيشك دائماً ثابتاً. والدِّيمُ: ج دَيْمَةٌ، وهي مطرٌ يدوم في سكون بلا

رعد ولا برق.

(٤) آيم الله: قسم، ويقال أيضاً: أَيْمُنُ الله وإيْمِ الله.

يسدّه غيرُكَ لسَخَتْ عنكَ وذهَلَتْ عن إقبالِكَ وإدبارِكَ ولكانَ في جفائِكَ ما يردُّ من غرَّتْها ويبرِّدُّ من غُلَّتْها، ولكنه لما تكاملت النعمة لك تكاملت الرغبة فيكَ».

أبو حاتم عن العتبيّ قال: قال معاوية لحُصَيْن بن المنذر وكان يدخل عليه في أخريات الناس: يا أبا ساسان، كأنه لا يُحَسِّنُ إِذْنُكَ. فأنشأ^(١) يقول:

[طويل]

كُلُّ خَفِيفِ الشَّأْنِ يَسْعَى مُشْمَرًا إذا فَتَحَ البَوَّابُ بِأَبِكَ إضْبَعًا
ونحنُ الجُلُوسُ الماكِثُونَ رَزَانَةً وَجِلْمًا إلى أن يَفْتَحَ البابُ أَجْمَعًا

[طويل]

وقال بعض الشعراء في بَشْر بن مروان:

بَعِيدٌ مَرَدُّ العَيْنِ ما رَدَّ طَرْفُهُ حِذَارُ الغَوَاشِي^(٢) بَابُ دارٍ ولا يَسْتُرُ
ولو شاءَ بَشْرٌ كانَ من دُونِ بابِهِ طَمَاطُمُ^(٣) سَوْدٌ أو صَقَالِبَةٌ حُمْرُ
ولَكنْ بِشْرًا يَسِّرَ البابَ لِلتِي يَكُونُ لَهُ في غِبِّها الحَمْدُ والأَجْرُ

[طويل]

وقال بشر:

فَلا تَبْخَلَا بُخْلَ آبِنِ قَرْعَةٍ إِنَّهُ مَخَافَةٌ أَنْ يُرْجَى نَدَاهُ حَزِينُ
إِذا جِئْتَهُ في العُرْفِ أَغْلَقَ بابَهُ فَلَمْ تَلْقَهُ إِلَّا وَأَنْتَ كَمِينُ
فَقُلْ لأبِي يَحْيَى متى تَدْرِكُ العُلا وَفي كُلِّ مَعْرُوفٍ عَلَيْكَ يَمِينُ؟

(١) القول لحُصَيْن بن المنذر الذهلي الشيباني الرقاشي، من سادات ربيعة وشجعانهم. كان صاحب راية علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، يوم صفين. كانت وفاته سنة ٩٧ هـ. الأعلام ج ٢ ص ٢٦٣.

(٢) هو أمير ولي إمرة العراقيين (البصرة والكوفة) لأخيه عبد الملك بن مروان بن الحكم القرشي الأموي سنة ٧٤ هـ. كان سمحاً جواداً. توفي سنة ٧٥ هـ. الأعلام ج ٢ ص ٥٥.

(٣) الغواشي: ج غاشية، وهم السَّوَال يأتونك.

وقال ابن هرمة^(١) يمدح:
هشُّ إذا نَزَلَ الوفودُ ببابه
وإذا رأيتَ شقيقه وصديقه
سهلُ الحجابِ مؤدَّبُ الخُدامِ
لم تذرِ أيُّهما أخو الأرحامِ

وكتب رجل إلى بعض الملوك:
إذا كان الجواد له حجابُ
فما فضل الجوادِ على البخيلِ

فكتب إليه الآخر:
إذا كان الجواد قليلَ مالٍ
ولم يُعْذرْ تعلَّلَ بالحجابِ

وقال عبيد الله^(٢) بن عكراش:
وإني لأرثي للكريم إذا غَدَا
وأرثي له من مجلسٍ عند بابه
على طمعٍ عند اللئيم يطالبُ به
كَمَرِثِي لِلطَّرْفِ^(٣) والعِلْجِ راكِبُ به

وكتب عبد الله بن أبي عَينَةَ^(٤) إلى صديق له:
أتيتك زائراً لقضاء حقٍ
ولست بساقطٍ في قِدرِ قومٍ
فحالُ السُّتْرِ دونك والحجابُ
وإن كرهوا كما يقع الذُّبابُ

(١) هو إبراهيم بن علي بن هرمة القرشي، شاعر غَزَلَ من سكان المدينة. إنقطع إلى الطليبين وله شعرٌ فيهم. قال الأصمعي: ختم الشعرُ بابن هرمة رحل إلى دمشق ومدح الوليد بن يزيد الأموي. كانت وفاته سنة ١٧٦ هـ. الأعلام ج ١ ص ٥٠.

(٢) لم أخطُ بترجمة له، ولكنه ابن منظور ذكر في مادة (عكرش) والد عبيد فقال: عكراش رجل كان من أرمي أهل زمانه. وقال الأزهري: عكراش بن ذؤيب كان قدم على النبي ﷺ.

(٣) الطَّرْف: الكريم من الخيل، والجمع طُرُوف.

(٤) عبد الله بن محمد بن أبي عَينَةَ يكنى أبا جعفر وهو ابن محمد بن أبي عينة المهلب بن أبي صفرة ومن أطبع الناس وأقربهم مأخذاً في الشعر وأقلهم تكلفاً. أنظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٧٥٠ - ٧٥٥ ومعجم الشعراء للمرزباني ص ٢٦٧.

أبو حاتم عن عبد الله بن مصعب الزبيري قال: كنا بباب الفضل^(١) بن الربيع وهم يأذنون لذوي الهيئات والشارات وأعرابي يدنو فكلما دنا طُرِحَ.

[بسيط]

فقام ناحيةً وأنشأ يقول:

رَأَيْتُ أَذِنَايَعْتَامُ^(٢) بِرَزَّتْنَا وَلَيْسَ لِلْحَسَبِ الزَّاكِي بُمَعْتَام
لَوْ دُعِينَا عَلَى الْأَحْسَابِ قَدَّمَنِي مَجْدٌ تَلِيدٌ وَجَدٌ^(٣) رَاجِحٌ نَامِي
مَتَى رَأَيْتُ الصَّقُورَ الْجُدَلَ يَقْدُمُهَا خِلْطَانٍ مِنْ رَخَمٍ قُرْعٍ وَمِنْ هَامٍ؟
دَخَلَ شَرِيكَ الْحَارِثِي عَلَى مَعَاوِيَةَ فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ لَهُ:
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا رَأَيْتُ لَكَ هَفْوَةً قَبْلَ هَذِهِ، مِثْلَكَ يَنْكُرُ مِثْلِي مِنْ رَعِيَّتِهِ!
فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ: إِنْ مَعْرِفَتَكَ مَتَفَرِّقَةً، أَعْرِفْ وَجْهَكَ إِذَا حَضَرْتَ فِي الْوُجُوهِ،
وَأَعْرِفْ أَسْمَكَ فِي الْأَسْمَاءِ إِذَا ذُكِرْتَ، وَلَا أَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ الْأِسْمَ هُوَ هَذَا
الْوَجْهَ، فَادْكُرْ لِي أَسْمَكَ تَجْتَمِعُ مَعْرِفَتَكَ.

إِسْتَأْذَنَ رَجُلَانِ عَلَى مَعَاوِيَةَ فَأَذِنَ لِأَحَدِهِمَا وَكَانَ أَشْرَفَ مَنْزِلَةٍ مِنَ الْآخَرِ،
ثُمَّ أَذِنَ لِلْآخَرِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَجَلَسَ فَوْقَ صَاحِبِهِ. فَقَالَ مَعَاوِيَةُ: إِنْ اللَّهُ قَدْ أَلْزَمَنَا
تَأْدِيبَكُمْ كَمَا أَلْزَمَنَا رِعَايَتَكُمْ، وَأَنَا لَمْ نَأْذُنْ لَهُ قَبْلَكَ وَنَحْنُ نُرِيدُ أَنْ يَكُونَ مَجْلِسُهُ
دُونَكَ فَقُمْ لَا أَقَامَ اللَّهُ لَكَ وَرْثًا.

دَخَلَ أَبُو مَجْلَزٍ^(٤) عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ حِينَ أَقْدَمَهُ مِنْ خِرَاسَانَ، فَلَمْ

(١) هو وزير أديب حازم، إستحجبه المنصور لما ولى أباه الوزارة. ثم ولي وزارة إلى أن مات الرشيد. توفي سنة ٢٠٨ هـ. الأعلام ج ٥ ص ١٤٨.

(٢) يَعْتَامُ بِرَزَّتْنَا: يَخْتَارُ.

(٣) الْجَدُّ: الْحِظُّ.

(٤) ذكر ابن عبد ربه في العقد (ج ١ ص ٢٠) أن عمر بن عبد العزيز كان سأل أبا مجلز في اختيار رجل يوليه خراسان.

يُقْبَلُ عَلَيْهِ. فلما خرج قال له بعض من حضر المجلس. هذا أبو مجلز. فردّه
وأعتذر إليه وقال: إني لم أعرفك. قال: يا أمير المؤمنين، فهلا أنكرتني؟

قال أشنَجَع^(١) السلمي يذكر باب محمد بن منصور بن زياد^(٢):

[مجزوء الهَزَج]

على باب ابن مَـصـوـرٍ علاماتٌ من البَذْلِ
جماعاتٌ وحَسْبُ البـا ب فضلاً كثرةً الأهل

وكانت العرب تتعوذ بالله من قَرْعِ الْفِئَاءِ ومن قَرْعِ الْمُرَاحِ. وقال بعض

الشعراء:

[كامل]

مالي أرى أبوابَهُمْ مهجورةً وكأنَّ بابَكَ مَجْمَعُ الأسواقِ
أَرْجُوكَ أمْ خافوك أمْ شَامُوا الْحَيَا^(٣) بِحَرَآكَ^(٤) فَانْتَجَعُوا مِنَ الْآفَاقِ

وقال آخر:

[سريع]

يزدحم الناسُ على بابـه والمَشْرَبُ العَذْبُ كثير الزحامِ

وقال آخر:

[رجز]

إِنَّ النَّدَى حَيْثُ تَرَى الضَّغَاطَا

يعني الزحام.

وقال بشار:

[خفيف]

ليس يُعْطِيكَ لِلرَّجَاءِ وَلَا الْخَوْ فِي وَلَكِنْ يَلْدُ طَعْمَ الْعَطَاءِ

(١) تقدمت ترجمته في الحاشية. ولقد ذكر في العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٩٢) مرثية دالية لأشجع قاهها في محمد بن منصور.

(٢) وردت ترجمته في العقد الفريد في صفحات متفرقة منه. أنظره في ج ١ ص ٧٣، ٢٨٢ وج ٢ ص ٢٧٤ وج ٣ ص ٢٩٢ وج ٥ ص ٣٢٧.

(٣) الْحَيَا: المطر.

(٤) الْحَرَآ: الناحية والساحة.

يَسْقُطُ الطَيْرُ حَيْثُ يَنْتَثِرُ الْحَبُّ وَتُغْشَى مَنَازِلُ الْكِرْمَاءِ
 دَقَّ رَجُلٌ عَلَى عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْبَابَ فَقَالَ عَمْرٌ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: أَنَا.
 قَالَ عَمْرٌ: مَا نَعْرِفُ أَحَدًا مِنْ إِخْوَانِنَا يَسْمَى أَنَا.

خَرَجَ شَيْبُ بْنُ شَيْبَةَ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: كَيْفَ رَأَيْتَ
 النَّاسَ؟ فَقَالَ: رَأَيْتُ الدَّخْلَ رَاجِيًا وَرَأَيْتُ الْخَارِجَ رَاضِيًا.

قال أبو العتاهية: [مقارب]

إِذَا أَشْتَدَّ دُونِي حِجَابُ أَمْرِيءٍ كَفَيْتُ الْمَوْزَنَةَ حُجَابَهُ

حُجِبَ أَعْرَابِي عَلَى بَابِ السُّلْطَانِ فَقَالَ: [طويل]

أَهْنِئْ لَهُمْ نَفْسِي لِأَكْرِمِهَا بِهِمْ وَلَا يُكْرِمِ النَّفْسَ الَّذِي لَا يُهْنِئُهَا^(١)

وقال جرير: [كامل]

قَوْمٌ إِذَا حَضَرَ الْمُلُوكَ وَفُودُهُمْ نَتِفَتْ شَوَارِبُهُمْ عَلَى الْأَبْوَابِ^(٢)

وقال آخر: [طويل]

لَمَّا وَرَدْتُ الْبَابَ أَيْقَنْتُ أَنَّنَا عَلَى اللَّهِ وَالسُّلْطَانُ غَيْرُ كَرَامٍ^(٣)

وقال أبو القمقام^(٤) الأسدي:

(١) ذكر في العقد (ج ١ ص ٧٠) أن رجلاً «نظر إلى الحسن بن عبد الحميد يزاحم الناس على

باب محمد بن سليمان فقال له: أمثلك يرضى بهذا؟ فقال: «ثم ذكر البيت الشعري. كذلك

ورد هذا الخبر مع بيت الأعرابي في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٣٠٨ - ٣٠٩).

(٢) ورد هذا البيت في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٣٠٩).

(٣) ورد هذا البيت في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٣٠٩).

(٤) أورد في العقد الفريد (ج ١ ص ٦٨ - ٦٩) هذا الشعر ولكنه باختلاف في بعض الكلمات

ونسبها لهشام الرقاشي، كما نسبته الجاحظ في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٣٧٠) لهشام

الرقاشي. ثم عاد الجاحظ وذكره مرة أخرى في الجزء الثالث ص ٥٩٩ من المصدر المذكور
 مسوياً لهشام الرقاشي.

[بسيط]

أبلغ أبا مالكٍ عني مُغْلَغَلَةً وفي العتاب حياةً بين أقوامٍ
أدخلت قِليَ قوماً لم يكن لهم من قبلُ أن يُلجُوا الأبوابَ قَدامي
لو عُدَّ بيتٌ وبيتٌ كنتُ أَكْرَمَهُم بيتاً وأبعدَهُم من منزل الدّامِ
فقد جَعَلْتُ إذا ما حاجتي نَزَلْتُ ببابٍ دارك أذلُّوها بأقوامٍ

التلطفُ في مخاطبة السلطان

وإلقاء النصيحة إليه

العتيبي قال: قال عمرو بن عُتْبَة للوليد حين تنكّر له الناس: يا أمير المؤمنين، إنك تُنطقني بالأنس بك وأنا أكفُتُ ذلك بالهية لك. وأراك تأمن أشياء أخافها عليك، أفأُسْكُطُ مطيعاً أم أقول مشفقاً؟ فقال: كلُّ مقبول منك، والله فينا علمٌ غيبٌ نحن صائرون إليه. ونعود فنقول؛ فقتل بعد أيام.

وفي إلقاء النصيحة إليه: قرأت في كتاب للهند أن رجلاً دخل على بعض ملوكهم فقال له: أيها الملك، نصيحتك واجبةٌ في الحقيِر الصغير بَلَه^(١) الجليلِ الخطير ولولا الثقة بفضيلة رأيك واحتمالك ما يسوء موقعه من الأسماع والقلوب في جَنب صلاح العاقبة وتلافي الحادث قبل تفاقمه لكان خرقاً مني أن أقول، وإن كنا إذا رجعنا إلى أن بقاءنا موصول ببقائك وأنفسنا معلقة بنفسك لم أجِدْ بُدّاً من أداء الحق إليك وإن أنت لم تسألني أو خفتُ ألاّ تقبل مني، فإنه يقال: من كتم السلطان نصحه والأطباء مرضه والإخوان بشه فقد خان نفسه.

(١) بَلَه: إسم فعل أمر بمعنى دَغ أي: أَتَرُك. ويقع الإسم بعده منصوباً على المفعولية.

الخفوت في طاعته

قال بعض الخلفاء لجريز بن يزيد: إني قد أعددتك لأمر. قال: يا أمير المؤمنين، إن الله قد أعد لك مني قلباً معقوداً بنصيحتك ويداً مبسوطة بطاعتك وسيفاً مشحوداً على عدوك فإذا شئت فقل.

وفي مثله: قال إسحاق بن إبراهيم قال لي جعفر بن يحيى أغد عليّ لكذا. فقلت: أنا والصبح كفرسي رهان. وفي مثله: أمر بعض الأمراء رجلاً بأمر فقال له: أنا أطوع لك من اليد وأذل لك من النعل. وقال آخر: أن أطوع لك من الرداء وأذل لك من الحذاء.

التلطف في مدحه

قال خالد بن عبد الله القسري^(١) لعمر بن عبد العزيز: من كانت الخلافة زانته، فإنك قد زنتها، ومن كانت شرفته فإنك قد شرفتها، فأنت كما قال القائل:

[خفيف]

وإذا الدّر زان حُسنَ وجوهٍ كان للدّر حُسنٌ وجْهك زينا
فقال عمر: أعطي صاحبكم مقولاً ولم يُعْطَ معقولاً.

وكتب بعض الأدباء إلى بعض الوزراء: «إن أمير المؤمنين منذ استخلصك لنفسه فنظر بعينك وسمع بأذنك ونطق بلسانك وأخذ وأعطى بيدك وأورد وأصدر عن رأيك، وكان تفويضه إليك بعد امتحانك وتسليطه الرأي على الهوى فيك بعد أن مِيلَ بينك وبين الذين سَمَوْا لرتبتك وجَرَوْا إلى غايتك فأسقطهم مضمارك وخَفَوْا في ميزانك ولم يزدك رفعةً إلا أزددتَ لله تواضعا، ولا بسطاً وإيناساً إلا أزددتَ له هيبةً وإجلالاً، ولا تسليطاً ونمكيناً إلا أزددتَ

(١). تقدمت ترجمته

عن الدنيا عُزوفاً، ولا تقريباً إلا آزدت من العامة قرباً. ولا يخرجك فرط النصح للسلطان عن النظر لرعيته، ولا إثثار حقّه عن الأخذ لها بحقّها عنده، ولا القيام بما هو له عن تضمّن ما عليه، ولا تشغلك جلائل الأمور عن التفقّد لصغارها، ولا الجدّال بصلاحها واستقامتها عن استشعار الحذر وإمعان النظر في عواقبها».

وفي مدحه: دخل العُماني الراجز على الرشيد لينشده وعليه قلنسوة طويلة وخُفٌّ^(١) سادج، فقال له الرشيد: يا عماني، إياك أن تنشديني إلا وعليك عِمامة عظيمة الكُور^(٢) وخُفّان دُمالقان^(٣) فبُكر إليه من الغد وقد تزيّا بزيّ الأعراب ثم أنشده وقبّل يده وقال: يا أمير المؤمنين، قد، والله، أنشدت مروان ورأيت وجهه وقبّلت يده وأخذت جائزته ثم يزيد بن الوليد وإبراهيم بن الوليد ثم السقّاح ثم المنصور ثم المهدي. كلّ هؤلاء رأيت وجوههم وقبّلت أيديهم وأخذت جوائزهم، إلى كثير من أشباه الخلفاء وكبار الأمراء والسادة والرؤساء، والله ما رأيت فيهم أبهى منظرًا ولا أحسن وجهًا ولا أنعم كفاً ولا أندى راحةً منك يا أمير المؤمنين. فأعظم له الجائزة على شعره وأضعف له على كلامه وأقبل عليه فبسطه حتى تمنّى جميع من حضر أنه قام ذلك المقام.

وفي المديح: كتب الفضل بن سهل إلى أخيه الحسن بن سهل فقال: «إن الله قد جعل جدّك عاليًا وجعلك في كل خير مُقدماً وإلى غاية كل فضل سابقاً وصيرك، وإن نأت بك الدار، من أمير المؤمنين وكرامته قريباً، وقد جدّد

(١) خُفٌّ سادج: حذاء عتيق، والخُفُّ: واحد الخفاف التي تلبس في الرّجل، سميّ به لخفته، وهو شرعاً ما يستر الكعب وأمكن به السّفر أو المشي فرسخاً فما فوق.

(٢) الكُور: الدّور من العِمامة؛ يقال: كارَ العِمامة على رأسه يَكُورُها كُوراً: أدارها عليه.

(٣) مثني دُمالقي، وهو الأملس.

لك من البرِّ كَيْتٌ وكَيْتٌ. وكذا يجوز الله لك من الدين والدنيا والعز والشرف أكثره وأشرفه إن شاء الله».

وفي مدحه: قال الرشيد يوماً لبعض الشعراء: هل أحدثت فينا شيئاً؟ فقال: يا أمير المؤمنين، المديح فيك دون قَدْرِكَ والشعرُ فيك فوق قدرِي، ولكنِّي أَسْتَحْسِنُ قول العَتَّابِيِّ^(١):

ماذا يَرى قائلٌ يُثني عليك وقد ناداك في الوحي تقدِسُ وتطهِّرُ
فَتُ المَدائِحَ إلا أنَّ السُّنَنَّا مُسْتَنْطَقَاتُ لما تُخْفِي الضَّمائِرُ
في عترة لم تقم إلا بطاعتهم من الكتاب ولم تُقْضِ المَشاعيرُ
هذي يمينك في قُرباك صائِلَةٌ وصارمٌ من سيوف الهند مأثور

وفي مدحه: كتب بعض الكتاب إلى بعض الأمراء: «إن من النعمة على المُثْنِي عليك أنه لا يخاف الإفراط ولا يأمن التقصير ولا يحذر أن تلحقه نقیصة الكذب ولا ينتهي به المدح إلى غاية إلا وجد في فضلك عوناً على تجاوزها. ومن سعادة جَدِّكَ أن الداعي لك لا يعدم كثرة المشايعين ومساعدة النية على ظاهر القول».

وفي مثله كتب بعض الأدباء إلى الوزير: «مما يُعِين على شكركَ كثرةُ المنصتين له، ومما يبسط لسان مادحك أمنه من تحمُّل الإثم فيه وتكذيب السامعين له».

وفي مثل ذلك: لما عقَد معاوية البيعة ليزيد قام الناس يخطبون فقال لعمرُو بن سعيد: قم يا أبا أمية. فقام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما

(١) العتابي هو كلثوم بن عمرو التغلبي، كاتب وشاعر مجيد، من أهل الشام. سكن بغداد فمدح هارون الرشيد وآخرين. توفي سنة ٢٢٠ هـ. الأعلام ج ٥ ص ٢٣١.

بعد فإن يزيد بن معاوية أملُ تأملونه وأجلُ تأمنونه، إن استصفتم إلى حلمه وسِعكم، وإن أحتجتم إلى رأيه أرشدكم، وإن أفقرتم إلى ذات يده أغناكم، جَدَعُ قَارحُ سُبوق فسبق ومُوجد فمجد وقُورع فخرج فهو خَلَف أمير المؤمنين ولا خلف منه» فقال معاوية: أوسعت يا أبا أمية فأجلس.

وفي مثل ذلك: قال رجل للحسن بن سهل: «أيها الأمير، أسكتني عن وصفك تساوي أفعالك في السؤدد وحيرني فيها كثرة عددها فليس إلى ذكر جميعها سبيل، وإن أردتُ ذكر واحدة أعتزضتُ أختها إذ لم تكن الأولى أحق بالذكر منها، فلست أصفها إلا بإظهار العجز عن صفتها».

وفي مثل ذلك: كتب آخر إلى محمد بن عبد الملك «إن مما يُطمعني في بقاء النعمة عليك، ويزيدني بصيرة في العلم بدوامها لديك أنك أخذتها بحقها وأستوجبتها بما فيك من أسبابها، ومن شأن الأجناس أن تتواصل وشأن الأشكال أن تتقاوم، والشيء يتغلغل في معدنه ويحجّن إلى عنصره، فإذا صادف منبته ولزّ في مغرسه ضرب بعرقه وسَمَق بفرغه وتمكّن الإقامة وثبت ثبات الطبيعة».

وفي مثل ذلك: كتب آخر إلى بعض الوزراء: «رأيتني فيما أتعاطى من مدحك كالمُنخبر عن ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر الذي لا يخفى على ناظر، وأيقنت أنني حيث أنتهى بي القول منسوب إلى العجز مقصر عن الغاية فأنصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك، ووكلت الإخبار عنك إلى علم الناس بك».

وفي مثله كتب العتّابي إلى خالد بن يزيد: «أنت، أيها الأمير، وارث سلفك وبقية أعلام أهل بيتك، المسدود بك ثلّمهم والمُجدّد بك قديم شرفهم

والمنبّه بك أيام صيتهم والمنبسط بك آمالنا والصائر بك أكالنا^(١) والمأخوذ بك حظوظنا، فإنه لم يحمل من كنت وارثه، ولا درست آثار من كنت سالك سبيله ولا أمحت معاهد من خلفته في مرتبته».

وفي شكره: قرأت في التاج قال بعض الكتاب للملك: «الحمد لله الذي أعلقني سبباً من أسباب الملك ورفع خسيستي بمخاطبته وعزز ركني من الدّلة به وأظهر بسطتي في العامة وزين مقاومتي في المشاهدة وفقاً عني عيون الحسدة وذلل لي رقاب الجابرة وأعظم لي رغبات الرعية وجعل لي به عقباً يوطأ وخطراً يُعظم ومزية تحسن، والذي حقق في رجاء من كان يأملني وظاهر به قوة من كان ينصرني وبسط به رغبة من كان يسترفندي، والذي أدخلني من ظلال الملك في جناح سترني، وجعلني من أكنافه في كنف اتسع علي».

وفي شكره وتعداد نعمة: قرأت في سير العجم أن أردشير لما استوثق له أمره جمع الناس وخطبهم خطبة بليغة حضهم فيها على الألفة والطاعة وحذّره المعصية وصنّف الناس أربعة أصناف، فخر القوم سجّداً وتكلّم متكلّمهم مجيباً فقال: «لا زلت أيها الملك محبوا من الله بعزة النصر ودرك الأمل ودوام العافية وحسن المزيد، ولا زلت تتابع لديك النعم وتُسبغ عندك الكرامات والفضل حتى تبلغ الغاية التي يؤمن زوالها ولا تنقطع زهرتها في دار القرار التي أعدّها الله لنظرائك من أهل الزُلْفى عنده والحُظوة لديه، ولا زال ملكك وسلطانك باقين بقاء الشمس والقمر زائدين زيادة البحور والأنهار حتى تستوي أقطار الأرض كلّها في علوك عليها ونفاذ أمرك فيها، فقد أشرق علينا من ضياء نورك ما عمنا عموم ضياء الشمس ووصل إلينا من عظيم رأفتك ما

اتصل بأنفسنا اتصال النسم، فجمعت الأيدي بعد افتراقها والكلمة بعد اختلافها وألفت بين القلوب بعد تباغضها وأذهبت الإحن والحسائلك بعد استيعار نيرانها، وأصبح فضلك لا يُدرك بوصف ولا يحُدُّ بتعداد، ثم لم ترضَ بما عَمَّمْتَنَا به من هذه النعم وظاهرت من هذه الأيادي حتى أحبت توطيدها والإستيثاق منها وعملت لنا في دوامها كعملك في إقامتها وكفّلت من ذلك ما نرجو نفعه في الخُلوْف والأعقاب، وبلغت همّتك لنا فيه حيث لا تبلغ همم الأباء للأولاد، فجزاك الله الذي رِضاهُ تحرّيت وفي موافقته سعيّ أفضل ما أَلَمَسْتَ ونوَيْتَ.

وفي مثله: قال خالد بن صفوان لوالٍ دخل عليه: «قَدِمْتَ فَأَعْطَيْتَ كَلًّا بِقِسْطِهِ مِنْ نَظَرِكَ وَمَجْلِسِكَ وَصِلَاتِكَ وَعَدْلِكَ حَتَّى كَأَنَّكَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ أَوْ كَأَنَّكَ لَسْتُ مِنْ أَحَدٍ».

وفي شكره: كتب بعض الكتاب إلى الوزير يشكر له: «من شكر لك عن درجة رَفَعْتَهُ إِلَيْهَا أَوْ ثَرَوَةً أَفْذَتْهُ إِيَّاهَا فَإِنْ شَكَرِي إِيَّاكَ عَلَى مَهْجَةٍ أَحْيَيْتَهَا وَحُشَّاشَةٍ تَبَقَّيْتُهَا وَرَمَقٍ أَمْسَكْتَ بِهِ وَقَمْتَ بَيْنَ التَّلَفِ وَبَيْنِهِ».

وفي شكره: قرأت في كتاب: «ولكل نعمة من نعم الدنيا حدٌ تنتهي إليه ومدىٌ توقف عنده وغاية في الشكر يسمو إليها الطَّرْفُ خلا هذه النعمة التي فاتت الوصف وطالت الشكر وتجاوزت كل قَدْرٍ وَأَتَتْ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ غَايَةٍ وَجَمَعَتْ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَنَّا جَمَّةً أَبَقَتْ لِلْمَاضِينَ مَنَّا وَلِلْبَاقِينَ فَخَرَ الْأَبَدُ وَرَدَّتْ عَنَا كَيْدَ الْعَدُوِّ وَأَرْغَمَتْ عَنَا أَنْفَ الْحَسُودِ وَبَسَطَتْ لَنَا عِزًّا نَتَدَاوَلُهُ ثُمَّ نَخْلُفُهُ لِلْأَعْقَابِ فَنَحْنُ نَلْجَأُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ وَكَفِّ كَرِيمٍ وَقَلْبِ عَطُوفٍ وَنَظَرِ رَوْوفٍ، فَكَيْفَ يَشْكُرُ الشَّاكِرُ مَنَا وَأَيْنَ يَبْلُغُ أَجْتِهَادُ مُجْتَهِدِنَا وَمَتَى نُوَدِّي مَا يُلْزِمُنَا وَنَقْضِي الْمَفْتَرِضَ عَلَيْنَا؟ وَهَذَا كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي لَوْ لَمْ

تكن له ولآبائه الراشدين عند من مضى لنا ومن غيرنا إلا ما ورد من صنوف كرامته وأياديه ولطيف ألفاظه ومخاطبته، لكان في ذلك ما يحسن الشكر ويستفرغ المجهود».

التلطف في مسألة العفو

قال كسر ليوشت^(١) المغنيّ وقد قتل فهلوذ^(٢) حين فاقه وكان تلميذه: «كنت أستريح منه إليك ومنك إليه فأذهب شطرَ تمتعي حسدك ونغلُ صدرك» ثم أمر أن يُلقَى تحت أرجل الفيلة فقال: أيها الملك، إذا قتلتُ أنا شطرَ طربك وأبطلته و قتلتُ أنت شطره الآخر وأبطلته، أليس تكون جنائتك على طربك: كجنائتي عليه؟ قال كسرى: دَعُوهُ، ما دلّه على هذا الكلام إلا ما جعل له من طول المدة.

وفي العفو أيضاً: قال رجل للمنصور: «الانتقام عدل والتجاوز فضل ونحن نعيدُ أمير المؤمنين بالله من أن يَرْضَى لنفسه بأوكس النصيبين دون أن يبلغ أرفع الدرجتين».

وفي العفو: جلس الحجاج يقتل أصحاب عبد الرحمن، فقام إليه رجل منهم فقال: أيها الأمير، إنَّ لي عليك حقاً. قال: وما حقك عليّ؟ قال: سَبَّكَ عبدُ الرحمن يوماً فرددتُ عنك. قال: ومن يعلم ذاك؟ فقال الرجل: أنشد الله رجلاً سمع ذاك إلا شهد به.. فقام رجل من الأسرى فقال: قد كان ذاك أيها الأمير. فقال: خلّوا عنه. ثم قال للشاهد: فما منعك أن تنكر كما أنكروا؟ قال: لتقديم بغضي إياك. قال: ويُخلَى هذا لصدقه.

(١) ورَدَ في كتاب الحيوان للمجاحظ (ج ٧ ص ١١٣): «زيوشت».

(٢) ورد في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٢): «الفهليذ» وقد ذكرت القصة باختلاف يسير عما هنا. =

وفي العفو: أسر معاوية يوم صفين رجلاً من أصحاب عليّ صلوات الله عليه، فلما أقيم بين يديه قال: الحمد لله الذي أمكن منك. قال: لا تقل ذاك فإنها مصيبة. قال: وآية نعمة أعظم من أن يكون الله أظفري برجل قتل في ساعة واحدة جماعة من أصحابي. إضربا عنقه. فقال: اللهم أشهد أن معاوية لم يقتلني فيك ولا لأنك ترضى قتلي، ولكن قتلتني في الغلبة على حطام هذه الدنيا، فإن فعل فأفعل به ما هو أهله، وإن لم يفعل فأفعل به ما أنت أهله. فقال: قاتلك الله! لقد سببت فأوجعت في السب ودعوت فأبلغت في الدعاء. خلّياً سبيله.

وفي مثله. أخذ عبد الملك بن مروان سارقاً فأمر بقطع يده فقال:

[طويل]

يَدِي، يا أمير المؤمنين، أُعِيذُهَا بعفوك أن تلقى نكالا يشينها
فلا خير في الدنيا وكانت حبيبة إذا ما شمالي فارقته يمينها
فأبى إلا قطعها، فدخلت عليه أمه فقال: يا أمير المؤمنين، واحدي
وكاسبي. فقال: بش الكاسب! هذا حد من حدود الله. فقال: اجعله من
الذنوب التي تستغفر الله منها. ففعا عنه.

وفي مثله: أخذ عبد الله بن علي أسيراً من أصحاب مروان فأمر بضرب عنقه فلما رُفِعَ السيف ليضرب به شرط الشامي فوق العمود بين يدي الغلام ونفرت دابة عبد الله فضحك وقال: اذهب فأنت عتيق آسيتك. فالتفت إليه وقال: أصلح الله الأمير! رأيت ضرورة قط أنجت من الموت غير هذه؟ قال:

= وهذه القصة تقترب من قصة إسحاق الموصلي مع تلميذة زرياب الذي فر إلى الأندلس خوفاً من غيظ أستاذه.

لا، قال هذا والله الإِدْبَارُ. قال: وكيف ذاك؟ قال: ما ظنك بنا وكنا ندفع الموت بأستتنا فصِرْنَا ندفعه اليوم بأستاهنا

وفي مثله: خرج النعمان^(١) بن المنذر في غِبِّ سماء فمرَّ برجل من بني يَشْكُرْ جالساً على غدير ماء، فقال له: أتعرف النعمان؟ قال اليشكري: أليس أبْن سَلْمَى؟ قال: نعم. قال: والله لربما أمررتُ يدي على فرجها. قال له: ويحك، النعمان بن المنذر! قال: قد خبرتُك. فما أنقضى كلامه حتى لحقته الخيل وحيَّوه بتحية الملك. فقال له: كيف قلت؟ قال: أبيتَ اللعن، إنك، والله، ما رأيتَ شيخاً أكذب ولا ألام ولا أوضع ولا أعصَّ يبْظُرُ أمه من شيخ بين يديك. فقال النعمان: دَعُوهُ، فأنشأ يقول:

[مجزوء كامل]

تعفو الملوک عن العظي سم من الذنوب لفضلها
ولقد تُعاقب في السي ر وليس ذاك لجهلها
إلا ليُعرفَ فضلها ويُخافُ شدَّة نكلها

وفي مثله: لما أخذ المأمون إبراهيم بن المهدي استشار أبا إسحاق والعباس في قتله فأشارا به، فقال له المأمون: قد أشارا بقتلك. فقال إبراهيم: أما أن يكونا قد نصحا لك في عظم الخلافة وما جرت به عادة السياسة فقد فعلا، ولكنك تأبى أن تستجلب النصر إلا من حيث عودك الله. وكان في اعتذاره إليه أن قال: إنه وإن بلغ جُرمي استحلالَ دمي فحلُم أمير المؤمنين وفضله يُبلغاني عفوه ولي بعدهما شُفعة الإقرار بالذنب وحقُّ الأبوة

(١) هو النعمان الثاني بن الأسود بن المنذر الأول ابن امرئ القيس بن عمرو اللخمي، ملك العراق في الجاهلية. استنصر به قبأذ الأول ملك الفرس على فتح مدينة الرها، فانصرف إليها بجيش من العرب فمات على أبوابها محاصراً لها وذلك في سنة ١٢٣ ق هـ. الأعلام ج ٨ ص

بعد الأب. فقال المأمون: لو لم يكن في حق سبيك حقّ الصفح عن جرمك لبُلِّغَكَ ما أُمِّلْتَ حسنُ تنصُّلك ولطف توصلك. وكان إبراهيم يقول بعد ذلك: والله ما عفا عني المأمون صلاةً لرحمي ولا محبةً لاستحيائي ولا قضاءً لحق عمومتي، ولكن قامت له سُوقٌ في العفو فكره أن يُفسدها بي. ومن أحسن ما قيل في مثله قول العتّابي^(١):

[كامل]

رَحَلَ الرَّجَاءُ إِلَيْكَ مُغْتَرِباً حُشِدَتْ عَلَيْهِ نَوَائِبُ الدَّهْرِ
رَدَّتْ إِلَيْكَ نِدَامَتِي أَمَلِي وَثَنِي إِلَيْكَ عِنَانُهُ شُكْرِي
وَجَعَلْتُ عَتَبَكَ عَتَبَ مَوْعِظَةٍ وَرَجَاءَ عَفْوِكَ مُنْتَهَى عَذْرِي

[مقارب]

وقول علي^(٢) بن الجهم للمتوكل:

عَفَا اللَّهُ عَنْكَ أَلَا حُرْمَةً تَعُوذُ بِعَفْوِكَ أَنْ أُبْعِدَا
لَنْ جَلَّ ذَنْبٌ وَلَمْ أَعْتِمِدْهُ لَأَنْتَ أَجَلٌ وَأَعْلَى يَدَا
أَلَمْ تَرَ عَبْدًا عَدَا طَوْرَهُ وَمَوْلَى عَفَا وَرَشِيدًا هَدَى
وَمُفْسِدًا أَمْرٍ تَلَا فَيْتَهُ فَعَادَ فَأَصْلَحَ مَا أَفْسَدَا؟
أَقْلَنِي أَقَالَكَ مَنْ لَمْ يَزَلْ يَقِيْسُكَ وَيَصْرِفُ عَنْكَ النُّرْدَى

وفي مثله. وَجَدَ بَعْضُ الْأَمْراءِ عَلَى رَجُلٍ فَجَفَاهُ وَأَطْرَحَهُ حِينًا ثُمَّ دَعَا بِهِ لِيَسْأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَرَأَاهُ نَاحِلًا شَاحِبًا. فقال له: متى أعتللت؟ فقال: [سريع]

مَا مَسَّنِي سَقَمٌ وَلَكِنِّي جَفَوْتُ نَفْسِي إِذْ جَفَانِي الْأَمِيرُ
فَعَادَ لَهُ.

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) علي بن الجهم شاعر رقيق الشعر، من أهل بغداد، خُصَّ بالمتوكل العباسي، ثم غضب عليه هذا الأخير فنفاه إلى خراسان، فأقام مدة ثم انتقل إلى حلب. توفي سنة ٢٤٩ هـ. الأعلام ج ٤ ص ٢٦٩ - ٢٧٠.

[طويل]

وقال آخر:

أَلَا إِنَّ خَيْرَ الْعَفْوِ عَفْوُ مَعْجَلٍ وَشَرُّ الْعِقَابِ مَا يُجَازُ بِهِ الْقَدْرُ

وكان يقال: بِحَسَبِ الْعُقُوبَةِ أَنْ تَكُونَ عَلَى مَقْدَارِ الذَّنْبِ.

وفي العفو: قال بعضهم: إِنْ عَاقِبْتَ جَازِيَتَ وَإِنْ عَفَوْتَ أَحْسَنْتَ وَالْعَفْوُ

أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى.

ونحوه: قال رجل لبعض الأمراء: أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَنْتَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَذْلُ مِنْي
بَيْنَ يَدَيْكَ، وَهُوَ عَلَى عِقَابِكَ أَقْدَرُ مِنْكَ عَلَى عِقَابِي إِلَّا نَظَرْتَ فِي أَمْرِي نَظَرَ
مَنْ بُرِّئِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ سُقْمِي وَبِرَاءَتِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ جُرْمِي.

وشحوه قول آخر: قديم الحرمة وحديث التوبة يمحقان ما بينهما من

الإساءة.

وفي مثله: أَتَى الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ^(١) مُضْعَبَ بْنِ^(٢) الزُّبَيْرِ فَكَلَّمَهُ فِي قَوْمِ
حَبْسِهِمْ، فَقَالَ، أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ: إِنْ كَانُوا حُبَسُوا فِي بَاطِلٍ فَالْحَقُّ يَخْرِجُهُمْ،
وَإِنْ كَانُوا حُبَسُوا فِي حَقٍّ فَالْعَفْوُ يَسْعُهُمْ، فَخَلَّاهُمْ.

وفي مثله: أَمْرٌ مَعَاوِيَةَ بِعُقُوبَةِ رَوْحِ^(٣) بْنِ زُبَيْعٍ فَقَالَ لَهُ رَوْحٌ: أُنْشِدْكَ
اللَّهُ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْ تَضَعَ مِنِّي خَسِيسَةَ أَنْتَ رَفَعْتَهَا أَوْ تَنْقُضَ مِنِّي مِرَّةً^(٤)

(١) الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ سَيِّدُ تَمِيمٍ وَأَحَدُ الْعِظَمَاءِ الشَّجْعَانِ، يَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلَ فِي الْجَلْمِ. وَلِي خِرَاسَانَ
وَكَانَ صَدِيقًا لِمُضْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ أَمِيرِ الْعِرَاقِ. تَوَفَّى بِالْكُوفَةِ سَنَةَ ٧٢ هـ. الْأَعْلَامُ ج ١ ص

٣٧٦.

(٢) مُضْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ الْأَسَدِيُّ الْقُرَشِيُّ أَحَدُ الْوَلَاةِ الْأَبْطَالِ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ، كَانَ عَضُدَ أَخِيهِ عَبْدِ
اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فِي تَثْبِيتِ مَلِكِهِ بِالْحِجَازِ وَالْعِرَاقِ. تَوَفَّى سَنَةَ ٧١ هـ. الْأَعْلَامُ ج ٧ ص ٢٤٧،

(٣) رَوْحُ بْنُ زُبَيْعٍ بْنُ سَلَامَةَ الْجَذَامِيُّ سَيِّدُ الْيَمَانِيَةِ فِي الشَّامِ وَأَمِيرُ فَلَسْطِينَ تَوَفَّى سَنَةَ ٨٤ هـ.
الْأَعْلَامُ ج ٣ ص ٣٤.

(٤) الْمِرَّةُ: الْإِحْكَامُ.

أنت أبرمتمها أو تَشِمْت بي عدواً أنت وَقَمْتَهُ^(١)، وإلا أتى حلمك وعفوك على جهلي وإساءتي. فقال معاوية: خلياً عنه. ثم أنشد:

[طويل]

إذا الله سَنَى عقدَ أمرٍ تيسراً

وفي مثله. أمر عمر بن عبد العزيز بعقوبة رجل قد كان نذر إن أمكنه الله منه ليفعلن به وليفعلن. فقال له رَجَاءُ^(٢) بن حَيَّوة: قد فعل الله ما تحب من الظفر فأفعل ما يحب الله من العفو.

وفي مثله: قال ابن القِرِّيَّة^(٣) للحجاج في كلام له: أَقْلَنِي عِثْرَتِي وَأَسِغْنِي رَيْقِي فإنه لا بد للجواد من كبوة ولا بد للسيف من نبوة ولا بد للحليم من هفوة. فقال الحجاج: كلاً، والله حتى أوردك جهنم. ألسن القائل برُسْتَقْبَاز^(٤): تَعَدُّوا الجذبي قبل أن يتعشاكم.

وفي مثله: أمر عبد الملك بن مروان بقتل رجل فقال: يا أمير المؤمنين، إنك أعز ما تكون أحوج ما تكون إلى الله، فاعفُ له فإنك به تُعانُ وإليه تعود. فخلّى سبيله.

وفي مثله. قال خالد بن عبد الله لسليمان بعد أن عذبه بما عذّبه به: إن القدرة تذهب الحفيظة وقد جلّ قدرك عن العتاب ونحن مُقَرُّون بالذنب، فإن

(١) وَقَمْتَهُ: قَهَرْتَهُ وَأَذَلَلْتَهُ.

(٢) رجاء بن حَيَّوة الكندي شيخ أهل الشام في عصره، لزم عمر بن عبد العزيز في عهدي الإمارة والخلافة، واستكتبه سليمان بن عبد الملك، وهو الذي أشار على سليمان بأستخلاف عمر. الأعلام ج ٣ ص ١٧.

(٣) هو أيوب بن زيد بن زرارة الهلالي، والقِرِّيَّة أمه. خطيب يضرب به المثل فيقال: «أبلغ من ابن القِرِّيَّة» إتصل بالحجاج ثم قتله بأن ضرب عنقه في سنة ٨٤ هـ. الأعلام ج ٢ ص ٣٧.

(٤) رُسْتَقْبَاز: من أرض دَسْتَوَا (بلدة بفارس) معجم البلدان.

تَعَفُّ فَأَهْلُ الْعَفْوِ وَإِنْ تَعَاقَبَ فِيهَا كَانَ مِنَّا. فَقَالَ: أَمَّا حَتَّى تَأْتِيَ الشَّامَ رَاجِلًا فَلَا عَفْوَ.

وفي مثله: ضرب الحجاج أعناق أسارى أتى بهم، فقال رجل منهم: والله لئن كنا أساناً في الذنب فما أحسنت في المكافأة. فقال الحجاج: أف لهذه الحيف! أما كان فيهم أحد يحسن مثل هذا! وكف عن القتل.

وفي مثله: أخذ مصعب بن الزبير رجلاً من أصحاب المختار فأمر بضرب عنقه. فقال: أيها الأمير، ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنة ووجهك هذا الذي يستضاء به فأتعلق بأطرافك وأقول: أي رب سل مصعباً فيم قتلني. قال: أطلقوه. قال: إجعل ما وهبت لي من حياتي في خفض. قال: أعطوه مائة ألف. قال: بأبي أنت وأمي، أشهد الله أن لابن قيس^(١) الرقيات منها خمسين ألفاً. قال: ولم؟ قال: لقوله فيك: [خفيف]

إنما مصعبُ شهاب من الدِّ ـ تجلّت عن وجهه الظُّلُماءُ
مُلْكُهُ مُلْكُ رَحْمَةٍ لَيْسَ فِيهِ جَبَرُوتٌ يُخْشَى وَلَا كِبَرِيَاءُ
تَنْقِي اللّهُ فِي الْأُمُورِ وَقَدْ أَفْلَدَ لَحْ مَنْ كَانَ هُمُّهُ الْإِتْقَاءُ

فضحك مصعب، وقال: أرى فيك موضعاً للصنعة، وأمره بلزومه وأحسن إليه فلم يزل معه حتى قتل.

وفي مثله: قال عبد الله^(٢) بن الحجاج الثعلبي لعبد الملك بن مروان:

(١) هو عبيد الله بن قيس بن شريح، شاعر قريش في العصر الأموي، وأكثر شعره في الغزل. لقب بابن قيس الرقيات لأنه كان يتغزل بثلاث نسوة؛ إسم كل واحدة منهن رقية. توفي سنة ٨٥ هـ. الأعلام (ج ٤ ص ١٩٦) وذكر المبرد في كتابه الكامل في اللغة والأدب (ج ١ ص ٣٨٩) أن ابن قيس كان منقطعاً إلى مصعب بن الزبير، كثير المدح له، وكان يقاتل معه، وفيه قال أبياته المذكورة، وجاء في البيت الثاني: «مُلْكُ قُوَّةٍ» بدل «مُلْكُ رَحْمَةٍ» و«ومنه» بدل «يُخْشَى».

(٢) عبد الله بن الحجاج الثعلبي شاعر فاتك شجاع، خرج على عبد الملك بن مروان فصحب =

هَرَبْتُ إِلَيْكَ مِنَ الْعِرَاقِ. قَالَ: كَذَبْتَ، لَيْسَ إِلَيْنَا هَرَبْتُ، وَلَكِنَّكَ هَرَبْتَ مِنْ دَمِ الْحُسَيْنِ وَخِجَّتِ عَلَى دَمِكَ فَلَجَأْتُ إِلَيْنَا. ثُمَّ جَاءَ يَوْمًا آخِرُ فَقَالَ: [كامل] أَدْنُوا لَتَرْحَمَنِي وَتَرْتُقَ^(١) خَلَّتِي وَأَرَاكَ تَدْفَعُنِي فَأَيْنَ الْمَدْفَعُ؟

ونحوه قول الآخر: [خفيف]

كُنْتُ مِنْ كُرْبَتِي أَفْرُ إِلَيْهِمْ فَهُمُ كُرْبَتِي فَأَيْنَ الْفِرَارُ^(٢)؟

وفي مثله: قَنَّعَ الْحِجَاجُ رَجُلًا فِي مَجْلِسِهِ ثَلَاثِينَ سَوَاطٍ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَقُولُ:

وَلَيْسَ بِتَعْزِيرِ الْأَمِيرِ خَزَايَةً عَلَيَّ إِذَا مَا كُنْتُ غَيْرَ مُرَبِّ^(٣)

ونحوه: [طويل]

وَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَفَعَلَهُ لَكَالْدَهْرَ، لَا عَارٌ بِمَا فَعَلَ الدَّهْرُ

وفي مثله: مَرَّ الْحَسَنُ الْبَصْرِي بِرَجُلٍ يُقَادُ مِنْهُ. فَقَالَ لِلْوَلِيِّ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، إِنَّكَ لَا تَدْرِي لَعَلَّ هَذَا قَتَلَ وَلِيَّكَ وَهُوَ لَا يَرِيدُ قَتْلَهُ، وَأَنْتَ تَقْتُلُهُ مُتَعَمِّدًا، فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ. قَالَ: قَدْ تَرَكْتَهُ لِلَّهِ.

وفي مثله: حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ عِيسَى بْنِ عَمْرٍو قَالَ: رُمِيَ الْحِجَاجُ فَقَالَ: أَنْظَرُوا مِنْ هَذَا؟ فَأَوْمَأَ رَجُلٌ بِيَدِهِ لِيَرْمِي. فَأَخِذَ فَأَدْخَلَ عَلَيْهِ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَوْحُهُ. قَالَ عِيسَى بِصَوْتٍ ضَعِيفٍ يَحْكِي الْحِجَاجَ: أَنْتَ الرَّمَامِينَا مِنْذُ اللَّيْلَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ. قَالَ، مَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالَ:

= نجدة بن عامر الحنفي ثم صحب عبد الله الزبير. توفي نحو ٩٠ هـ. الأعلام ج ٤ ص ٧٧.

٧٨. كذلك ورد الحديث عنه في العقد الفريد (ج ٤ ص ٤٦ وج ٦ ص ١٠٧).

(١) رَتَقَ الشَّيْءَ يَرْتُقُهُ: سَدَّهُ، ضَدَّ فَتَقَهُ. وَالْخَلَّةُ: الْخَصْلَةُ. وَالْمَرَادُ: أَدْنُو لَتَصْلِحَنِي أَمْرِي.

(٢) تقدم هذا البيت في ص ٧٨ من هذا الجزء فأنظره.

(٣) الْخَزَايَةُ: الْخِزْيُ أَيُّ الْهَوَانِ وَالذَّلِّ. غَيْرُ مُرَبِّ: غَيْرُ خَائِفٍ.

الغِيُّ، وَاللُّؤْمُ. قَالَ: خَلُّوا عَنْهُ. وَكَانَ إِذَا صُدِّقَ أَنْكَسَرَ.

وفي مثله: حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ عَثْمَانَ الشَّحَّامِ قَالَ: أَتَى الْحَجَّاجَ بِالشَّعْبِيِّ فَقَالَ لَهُ: أَخْرَجْتَ عَلَيْنَا يَا شَعْبِيُّ؟ قَالَ: أَجَدَبَ بَنَا الْجَنَابُ وَأَحْزَنَ بَنَا الْمَنْزَلُ وَاسْتَحْلَسْنَا الْخَوْفَ وَآكَتْحَلْنَا السَّهْرَ وَأَصَابَتْنَا خَزْيَةٌ لَمْ نَكُنْ فِيهَا بَرَّةً أَتَقِيَاءَ وَلَا فَجْرَةً أَقْوِيَاءَ. فَقَالَ الْحَجَّاجُ: اللَّهُ أَبُوكَ. ثُمَّ أَرْسَلَهُ.

وفي مثله: أَتَى مُوسَى بْنُ الْمَهْدِيِّ بِرَجُلٍ كَانَ قَدْ حَبَسَهُ فَجَعَلَ يُقَرِّعُهُ بِذَنْبِهِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِعْتَذَارِي مِمَّا تَقَرَّعَنِي بِهِ رَدُّ عَلَيْكَ وَإِقْرَارِي بِمَا تَعْتَدُّهُ عَلَيَّ يُلْزِمُنِي ذَنْبًا لَمْ أَجْنِهِ، وَلَكِنِّي أَقُولُ: . [طويل]

فَإِنْ كُنْتَ تَرْجُو بِالْعَقُوبَةِ رَاحَةً فَلَا تَزْهَدَنَّ عِنْدَ الْمَعَاوَةِ فِي الْأَجْرِ. وفي مثله: قَالَ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ لِنُعَيْمِ بْنِ حَازِمٍ وَقَدْ أَعْتَذَرَ إِلَيْهِ مِنْ ذَنْبٍ عَظَمَهُ: عَلَى رِسْلِكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ، تَقَدَّمْتَ لَكَ طَاعَةٌ وَتَأَخَّرْتَ لَكَ تَوْبَةٌ، وَلَيْسَ لَذَنْبٍ بَيْنَهُمَا مَكَانٌ، وَمَا ذَنْبُكَ فِي الذُّنُوبِ بِأَعْظَمَ مِنْ عَفْوِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْعَفْوِ.

وفي الدعاء له: قَالَ رَجُلٌ لِبَعْضِ الْأَمْرَاءِ: «إِنِّي لَوْ كُنْتُ أَعْرِفُ كَلَامًا يَجُوزُ أَلْقَى بِهِ الْأَمِيرَ غَيْرَ مَا جَرَى عَلَى أَلْسِنِ النَّاسِ، لِأَحْبَبْتُ أَنْ أَبْلُغَ ذَلِكَ فِيمَا أَدْعُو بِهِ لَهُ وَأَعْظَمُ مِنْ أَمْرِهِ، غَيْرَ أَنْ أَسْأَلَ اللَّهَ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا تَحْتَجِبُ بِهِ الْغُيُوبُ مِنْ نِيَاتِ الْقُلُوبِ أَنْ يَجْعَلَ مَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ مِمَّا تَبْلُغُهُ نِيَّتِي فِي إِرَادَتِهِ لِلْأَمِيرِ أَدْنَى مَا يُوْتِيهِ إِيَّاهُ مِنْ عَطَايَاهُ وَمَوَاهِبِهِ».

وفي الدعاء له: قَرَأْتُ فِي كِتَابِ رَجُلٍ مِنَ الْكِتَابِ «لَا زَالَتْ أَيَّامُكَ مَمْدُودَةٌ بَيْنَ أَمَلٍ لَكَ تَبْلُغُهُ وَأَمَلٍ فِيكَ تُحَقِّقُهُ حَتَّى تَتِمَّلَى مِنَ الْأَعْمَارِ أَطْوَلَهَا وَتَرْقَى مِنَ الدَّرَجَاتِ أَفْضَلَهَا».

وفي الدعاء: دخل محمد بن عبد الملك^(١) بن صالح على المأمون حين قُبِضَتْ ضِياعُهُ فقال: السلام عليك أمير المؤمنين. محمد بن عبد الملك سَلِيلُ نِعْمَتِكَ وَأَبْنُ دَوْلَتِكَ وَغَضُنٌ مِنْ أَغْصَانِ دَوْحَتِكَ، أَتَأْذِنُ لَهْ فِي الْكَلَامِ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَتَكَلَّمَ بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ. فَقَالَ: «نَسْتَمْتِعُ اللَّهَ لِحَيَاةِ دِينِنَا وَدُنْيَانَا وَرِعَايَةِ أَدْنَانَا وَأَقْصَانَا بِبِقَائِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَنَسْأَلُهُ أَنْ يَزِيدَ فِي عَمْرِكَ مِنْ أَعْمَارِنَا وَفِي أَثَرِكَ مِنْ آثَارِنَا وَيَقَيِّكَ الْأَذَى بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا. هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِظُلْمِكَ الْهَارِبِ إِلَى كَنَفِكَ وَفَضْلِكَ الْفَقِيرِ إِلَى رَحْمَتِكَ وَعَدْلِكَ» ثُمَّ تَكَلَّمَ فِي حَاجَتِهِ.

وفي شكر السلطان وفي حمده: قَدَّمَ رَجُلٌ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي خِلَافَتِهِ فَقَالَ لَهُ: مَا أَقْدَمَكَ عَلَيَّ؟ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا أَقْدَمَنِي عَلَيْكَ رَغْبَةً وَلَا رَهْبَةً. قَالَ: وَكَيْفَ ذَاكَ؟ قَالَ: أَمَا الْبِرْغَبَةُ فَقَدْ وَصَلَتْ إِلَيْنَا وَفَاضَتْ فِي رِحَالِنَا وَتَنَاوَلَهَا الْأَقْصَى وَالْأَدْنَى مِنَّا، وَأَمَا الرَّهْبَةُ فَقَدْ أَمِنَّا بِعَدْلِكَ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، عَلَيْنَا وَحُسْنِ سِيرَتِكَ فِينَا مِنَ الظُّلْمِ، فَنَحْنُ وَفَدُ الشُّكْرِ.

وفي حمده: كَتَبَ بَعْضُ الْكُتَّابِ إِلَى وَزِيرٍ: «كُلُّ مَدَى يَبْلُغُهُ الْقَائِلُ بِفَضْلِكَ وَالْوَاصِفُ لَأَيَّامِكَ وَالشَّاكِرُ لِلنِّعْمَةِ الشَّامِلَةُ بِكَ قَصْدُ أَمَمٍ^(٢) عِنْدَ الْفَضَائِلِ الْمَوْفُورَةِ لَكَ وَالْمَوَاهِبِ الْمَقْسُومَةِ لِلرَّعِيَةِ بِكَ، فَوَاجِبٌ عَلَيَّ مِنْ عَرَفِ قَدْرِ النِّعْمَةِ بِكَ أَنْ يَشْكُرَهَا وَعَلَيَّ مِنْ أَظْلِهِ عَزَّ أَيَّامُكَ أَنْ يَسْتَدِيمَهُ وَعَلَيَّ مِنْ حَاطَتِهِ دَوْلَتِكَ أَنْ يَدْعُو اللَّهَ بِبِقَائِهَا وَنَمَائِهَا، فَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ بِكَ الشُّتَاتِ وَأَصْلَحَ بِهَا الْفَسَادَ وَقَبَضَ الْأَيْدِيَ الْجَائِرَةَ وَعَطَفَ الْقُلُوبَ الْنَافِرَةَ، فَأَمْنَتْ سَرَبُ الْبَرِيِّ وَخَفَضَتْ جَأَشَهُ وَأَخَفَّتْ سُبُلَ الْجَانِي وَأَخَذَتْ عَلَيْهِ مَذَاهِبَهُ وَمَطَالَعَهُ وَوَقَفَتْ

(١) وردت ترجمته آنفاً

(٢) قَصْدُ أَمَمٍ: وَاضِعٌ بَيْنَ.

بالخاصّة والعامة على قصد من السيرة أُنموا بها من العِثَار والكبوة».

وفي حُضّه على شكر الله، عز وجل، قال شبيب بن شَيْبَةَ^(١) للمهدي:
 إن الله، عزَّ وجلَّ، لم يَرْضَ أن يجعلك دون أحد من خلقه، فلا تَرْضَ بأن
 يكون أحد أشكر له منك والسلام.

* * *

تم كتاب السلطان، ويتلوه كتاب الحرب

(١) شبيب بن شَيْبَةَ التميمي من أهل البصرة وأديب الملوك وجليس الفقراء. كان ينادم خلفاء بني أمية. الأعلام ج ٣ ص ١٥٦.

كتاب الحرب

آداب الحرب ومكائدها

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: حدّثني محمد بن عبيد قال: حدّثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن هشام والأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَمَنَّوْا لقاء العدو فَعَسَى أَنْ تُبْتَلَوْا بِهِمْ وَلَكِنْ قُولُوا: اللَّهُمَّ أَكْفِنَا وَكُفِّ عَنَّا بِأَسْهَمٍ، وَإِذَا جَاءَ وَكُمْ يَعْزِفُونَ وَيَزْحَفُونَ وَيَصِيحُونَ فَعَلَيْكُمْ الْأَرْضُ جَلُوسًا، ثُمَّ قُولُوا: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبُّنَا وَرَبُّهُمْ، وَنَوَاصِينَا وَنَوَاصِيهِمْ بِيَدِكَ، فَإِذَا غَشَوْكُمْ فَثُورُوا فِي وُجُوهِهِمْ».

حدّثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن سعيد بن عبد العزيز عن حدّثه أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ: عَمَلٌ صَالِحٌ قَبْلَ الْغَزْوِ فَإِنَّمَا تَقَاتِلُونَ بِأَعْمَالِكُمْ.

حدّثنا القاسم بن الحسن عن الحسن بن الربيع عن ابن المبارك عن حَيَّوَةَ بْنِ شَرِيحٍ قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا بَعَثَ أَمْرَاءَ الْجِيُوشِ أَوْ صَاهِمَ بَتَقْوَى اللَّهِ الْعَظِيمِ، ثُمَّ قَالَ عِنْدَ الْعَدُوَّةِ: بِسْمِ اللَّهِ وَعَلَى عَوْنِ اللَّهِ وَأَمْضُوا بِتَأْيِيدِ اللَّهِ بِالنَّصْرِ وَبِلِزْوَمِ الْحَقِّ وَالصَّبْرِ، فَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ وَلَا تَعْتَدُوا إِنْ اللَّهُ لَا يَحِبُّ الْمَعْتَدِينَ. لَا تَجُنُّنُوا عِنْدَ الْلِقَاءِ وَلَا تَمُتُّلُوا عِنْدَ الْقُدْرَةِ وَلَا تَسْرِفُوا عِنْدَ الظُّهُورِ وَلَا تَقْتُلُوا هَرِمًا وَلَا أَمْرَأَةً وَلَا وَلِيدًا.

وتوقُّوا قتلهم إذا ألتقى الرَّحْفَانُ وعند حُمَّة النَّهْضَاتِ^(١) وفي شَنَّ الغارات. ولا تَغْلُوا عند الغنائم ونزَّهوا الجهاد عن عَرَض الدنيا وآبشروا بالرَّبَاح في البيع الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم.

استشار قوم أكتُم^(٢) بن صَيْفِي في حرب قوم أرادوهم وسألوه أن يوصيهم فقال: أَقِلُّوا الخلاف على أمرائكم، وأعلموا أن كثرة الصَّيَاح من الفشل والمرء يَعْجَز لا محالة. تَثَبُّتُوا فإن أحزم الفريقين الرُّكَّيْنِ^(٣)، ورُبَّتْ عَجَلَةٌ تُعَقِّب رَيْثًا^(٤)، وآتَزَرُوا للحرب وأدَّرَعُوا الليل فإنه أخفى للويل، ولا جماعة لمن اختلف عليه.

وقال بعض الحكماء: قد جمع الله لنا أدب الحرب في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا

(١) حُمَّة النَّهْضَات: شدتها ومعظمها. والنهضات ج نَهْضَةٌ، وهي الحركة في المعترك؛ يقال: كان منه نهضة أي حركة، وهو كثير النهضات: كثير الحركة.

(٢) أكتُم بن صَيْفِي التميمي حاكم العرب في الجاهلية. عمَّر كثيراً وأدرك الإسلام. قصد المدينة في مئة من قومه يريدون الإسلام، فمات في الطريق سنة ٩ هـ ولم يَرَ النبي ﷺ وأسلم من بلغ المدينة من أصحابه. وهو المعنى بالآية الكريمة: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ سورة النساء ٤، آية ١٠٠. الأعلام ج ٢ ص ٦. والحقبة هي غير ما ذهب إليه الزُّركَلِيُّ في أن هذه الآية الكريمة معنية بأكتُم بن صَيْفِي، فسبب نزولها هو أن جندب بن ضمره كان قد أسلم في مكة، وعجز عن الهجرة إلى المدينة لمرض شديد، ولما سمع بآية الهجرة قال لأولاده: إحملوني إلى رسول الله، فحملوه حتى بلغ مكاناً في الطريق يقال له التنعيم، أشرف على الموت، فصفق بيمينه على شماله وقال: اللهم هذه لك، وهذه لرسولك أبايك على ما بايعك عليه رسول الله، ولفظ النفس الأخير. أنظر التفسير المبين، وتفسير الجلالين.

(٣) الرُّكَّيْن: الرزَّين.

(٤) الرَيْث: الإبطاء.

اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١﴾.

حدّثني محمد بن عبيد قال: حدّثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن الأوزاعي قال: قال عُتْبَةُ بن ربيعة يوم بدر لأصحابه: أَلَا تَرَوْنَهُمْ - يعني أصحاب النبي ﷺ - جُثِيًّا على الرُّكَبِ كأنهم خُرُسٌ يَتَلَمَّظُونَ تَلَمَّظَ الحَيَات. قال: وَسَمِعْتُهُمْ عَائِشَةُ يُكَبِّرُونَ يومَ الجَمَلِ فقالت: لا تكثرُوا الصياحَ فإن كثرة التكبير عند اللقاء من الفشل.

وذكر أبو حاتم عن العُتْبِيِّ عن أبي إبراهيم قال: أوصى أبو بكر رضي الله عنه يزيد بن أبي سفيان حين وجَّهه إلى الشام فقال: يا يزيدُ، سرُّ على بركة الله. فإذا دخلت بلاد العدو فكن بعيداً من الحَمْلَةِ فإنني لا آمن عليك الجَوْلَةَ، وأستظهر بالزاد وسرِّ بالأدلاء ولا تقايل بمجروح فإن بعضه ليس منه، وأحترس من البَيَّات^(١) فإنَّ في العرب غِرَّةً، وأقلل من الكلام فإنما لك ما وُعي عنك. وإذا أتاك كتابي فأنفذه فإنما أعمل على حسب إنفاذه. وإذا قديمتُ عليك وفود العجم فأنزلهم معظم عسكرك وأسبغ عليهم النفقة وأمنع الناس عن محادثتهم ليخرجوا جاهلين كما دخلوا جاهلين. ولا تُلَحِّنْ في عقوبة فإن أدناها وجع ولا تسرعنَّ إليها وأنت تكتفي بغيرها. وأقبل من الناس علانيتهم وكلِّهم إلى الله في سرائرهم. ولا تَجَسَّسْ عسكرَكَ فتفضحه ولا تهمله فتنفسده. وأستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه.

(١) سورة الأنفال ٨، الآيتان ٤٥ و٤٦. والمعنى: إذا لقيتم فئة باغية تسعى في الأرض فساداً فأثبتوا في جهادهم وقتالهم، ويجب أن يكون هذا الجهاد خالصاً لوجه الله لا للغنيمة؛ لأن النصر لا يتحقق إلا مع شرف الغاية ونزاهة القصد. ولا تنازعوا فتذهب قوتكم وهيبتكم. التفسير المبين.

(٢) البَيَّات: الإِسْم من بَيَّت العدو، أي أوقع به ليلاً.

قال أبو بكر لعكرمة حين وجهه إلى عُمان: يا عكرمة، سر على بركة الله ولا تنزل على مستأمن ولا تؤمننَّ على حق مسلم وأهدير الكُفْرَ بعضه ببعض وقدّم النُّذْرُ^(١) بين يديك. ومهما قلتَ إني فاعل فافعله ولا تجعل قولك لغواً في عقوبة ولا عفو. ولا تَرُجْ إذا أُمِنْتَ ولا تخافنَّ إذا خُوفْتَ ولكن أنظر متى تقول وما تقول. ولا تَعِدَنَّ معصية بأكثر من عقوبتنا فإن فعلتَ أئِثِمْتَ وإن تركتَ كذبت. ولا تؤمننَّ شريفاً دون أن يُكفلَ بأهله ولا تُكفلنَّ ضعيفاً أكثر من نفسه. وآتق الله فإذا لقيتَ فأصبر.

وأوصى عبد الملك بن صالح أميرَ سِريَّةٍ إلى بلاد الروم فقال: أنت تاجر الله لعباده فكن كالْمُضاربِ الكَيْسِ^(٢) الذي إن وجد ربحاً تجر، وإلا احتفظ برأس المال. ولا تطلب الغنيمة حتى تحوز السلامة. وكن من أحتيالك على عدوك أشدَّ حذراً من أحتيال عدوك عليك.

وحدّثني محمد بن عبيد عن ابن عيينة قال: أخبرني رجل من أهل المدينة أن رسول الله ﷺ قال لزيد بن حارثة أو لعمر بن العاص: «إذا بعثتك في سِريَّةٍ فلا تَتَّقَهُمْ وأَقْطَعْهُمْ فإن الله ينصر القوم بأضعفهم».

حدّثني محمد بن عبيد عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عُمير قال: غزا نبيُّ من الأنبياء أو غير نبي فقال: «لا يَغْزُونََّ معي رجلٌ بنى بناء لم يكمله، ولا رجل تزوج امرأة لم يَبِنْ بها، ولا رجل زرع زرعاً ثم لم يحصِّده».

وذكر ابن عباس علياً فقال: ما رأيت رئيساً يوزن به، لرأيته يوم صَفين

(١) النُّذْرُ: إسم من أُنذره بالأمر: حَذَره من، عواقبه قبل حلوله.

(٢) الكَيْسُ: الظريف البين الكياسة، والكياسة هي تمكين النفوس من استنباط ما هو أنفع.

وكانَ عَيْنِيهِ سِرَاجاً سَلِيطٌ وهو يَحْمُسُ أصحابه إلى أن أنتهى إليّ وأنا في كَثْفٍ^(١) فقال: معشرَ المسلمين، إَسْتَشْعِرُوا الخَشْيَةَ وَعَنُؤُوا^(٢) الأصواتَ وَتَجَلَّبَّيُوا السَكِينَةَ وَأَكْمَلُوا اللُّؤْمَ وَأَخْفُوا^(٣) الْخُوْذَ وقلقلوا السيوفَ في أَعْمَادِهَا قبلَ السَّلَّةِ وَالْحِظْلَ الشَّرَّزَ وَأَطْعَنُوا^(٤) النَّبْرَ وَنَافِحُوا بِالظُّبَا وَصَلُّوا السِّیُوفَ بِالْخُطَا والرماحَ بِالنُّبْلِ وَأَمْشُوا إلى الموتِ مَشِياً سَجْجاً. وعليكم بهذا السوادُ الأعظمُ والرَّوْاقُ المَطْنَبُ فَأَضْرِبُوا ثَبَجَهُ^(٥) فَإِنَّ الشَّيْطَانَ رَاكِدٌ فِي كِسْرِهِ نَافِجٌ خُصْيِيَهُ مَفْتَرِشٌ ذِرَاعِيهِ قَدْ قَدَّمَ لِلوَيْثَةِ يَدًا وَآخَرَ لِلنُّكُوصِ رِجْلًا.

ولما وَلَّى يزيد بن معاوية سَلَمَ بن زياد خراسان قال له: إن أباك كفى أخاه عظيماً، وقد استكفيتك صغيراً فلا تَتَكَلَّنْ على عذرٍ مني فقد آتَكَلْتُ على كفاية منك. وإياك مني قبل أن أقول إياي منك، فَإِنَّ الظنَّ إذا أَخْلَفَ فيكَ أَخْلَفَ منك. وأنت في أدنى حظك فأطلب أقصاه، وقد أتعبك أبوك فلا تريحنَّ نفسك، وكن لنفسك تكن لك، وأذكر في يومك أحاديثَ غدك ترشُدْ إن شاء الله.

قال الأصمعي قالت أم جبغويه ملك طخارستان لنصر بن سيار الليثي: ينبغي للأمير أن تكون له ستة أشياء: وزيرٌ يثق به ويُقْشِي إليه سرّه، وحصنٌ يلجأ إليه إذا فرغ فينجيه - يعني فرساً - وسيفٌ إذا نازل به الأقران لم يَخَفْ خُونَهُ، وذخيرة خفيفة المحمل إذا نابته نائبة أخذها، وأمرأة إذا دخل عليها

(١) الكَثْفُ: الحشد والجماعة.

(٢) عَنُؤُوا الأصواتَ: من التعتية أي الحبس والأسر أي احبسوا أصواتكم ولا ترفعوها.

(٣) الْخُوْذُ: ج خُوْذَةٌ، وهي المِغْفَر، فارسي معرَّب. وَأَخْفُوا الْخُوْذَ: إجعلوها خفيفة حتى لا تتقلكم في الحرب.

(٤) وَأَطْعَنُوا النَّبْرَ: أي أطلعنوا بسرعة؛ يقال: طَعَنُ نَبْرٌ: مُخْتَلِسٌ كأنه يُبْرِئُ الرمحَ إي يرفعه بسرعة.

(٥) الثَّبَجُ: معظم الشيء.

أذهبت همّه، وطبّاح إذا لم يَشْتَهِ الطَّعامَ صنع له ما يشتهي.

وبلغني عن عبّاد بن كثير عن عُقَيْل بن خالد عن الزُّهري عن عبيد الله ابن عبد الله عن أبْنِ عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الأصحاب أربعة وخير السرايا أربعمائة وخير الجيوش أربعة آلاف وما غلب قوم قط يبلغون اثني عشر ألفاً إذا اجتمعت كلمتهم». وقال رجل يوم حنين: لن نُغلب اليوم عن قلة. وكانوا اثني عشر ألفاً فهزّم المسلمون يومئذ وأنزل الله عزّ وجل: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾^(١) الآية.

وقالوا كان يقال: ثلاث مَنْ كُنَّ فيه كُنَّ عليه: البغي، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾^(٢) والمكر، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾^(٣) والنكث، قال عزّ وجل: ﴿فَمِنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾^(٤).

وقرأت في كتاب للهند: لا ظفر مع بغي، ولا صحّة مع نهم، ولا ثناء مع كبر، ولا صداقة مع خب^(٥)، ولا شرف مع سوء أدب، ولا برّ مع شحّ، ولا اجتناب مُحَرَّم مع حرص، ولا محبة مع زهو، ولا ولاية حُكَم مع عدم فقه،

(١) سورة التوبة ٩، آية ٢٥. ولقد نزلت هذه الآية لتبين للمسلمين عاقبة الغرور بالعدة والعدد، حيث كان عدوهم في وقعة حُنين (وادي بين مكة والطائف) اثني عشر ألفاً، ورغم ذلك هزموا. التفسير المبين.

(٢) سورة يونس ١٠، آية ٢٣. والمعنى: من سلّ سيف البغي قتل به. نفس المصدر السابق.
(٣) سورة فاطر ٣٥، آية ٤٣. والمعنى: من حفر حفرة لأخيه وقع فيها، والحقيقة لا تموت، لذا نصر سبحانه عبده محمداً وأظهر دينه على الشرك كله. المصدر السابق. والمكرر هنا هو الماكر، ويحقيق: يحيط. تفسير الجلالين.

(٤) سورة الفتح ٤٨، آية ١٠، ومعنى الآية: من نقض البيعة يرجع وبالْ نقضه على نفسه. تفسير الجلالين.

(٥) الخب: الخاع.

ولا عذر مع إصرار، ولا سلامة مع ريبة، ولا راحة قلب مع حسد، ولا سُودَد مع انتقام، ولا رياسة مع غرارة وعُجْب، ولا صواب مع ترك المشاورة، ولا ثبات مُلك مع تهاون وجهالة وُزراء.

خرجت خارجة بخراسان على قتيبة بن مسلم فأهَمَّهُ ذلك فقليل له : ما يَهْمُكَ منهم؟ وَجَّهَ إليهم وَكيع بن أبي سُود فإنه يَكْفِيكَهُمْ. فقال: لا، إنَّ وكيعاً رجل به كِبَرٌ يحترق أعداءه، ومن كان هكذا قَلَّتْ مبالاته بعدوه فلم يحترس منه فيجد عدوه منه غرّة.

وقرأت في بعض كتب العجم أنَّ ملكاً من ملوكهم سئل: أيّ مكايد الحرب أحزم؟ فقال: إذكاء العيون واستطلاع الأخبار وإفشاء الغلبة وإظهار السرور وأمانة الفرق والاحتراس من البطانة من غير إقصاء لمن يُستنصح ولا استنصاح لمن يُستغشُّ ولا تحويل شيء عن شيء إلا بسدِّ ناحية من المراتب وحسن مجاملة الظنون وإشغال الناس عما هم فيه من الحرب بغيره. وسئل عن وثائق الحزم في القتال فقال: مخاتلة العدو عن الرِّيف وإعداد العيون على الرِّصد وإعطاء المبلِّغين على الصدق ومعاينة المتوصلين بالكذب والألَّا تُحرَجَ هارباً إلى قتال ولا تُضَيَّقَ أماناً على مستأمن ولا تُشَبَّ عن أصحابك للُبْغية ولا تُشَدَّ هَنَكُ الغنيمة عن المحاذرة.

وقرأت في كتاب للهند: الحازم يحذر عدوه على كل حال. يحذر الموائبة إنَّ قُرْب، والغارة إنَّ بَعْد، والكمين إنَّ أنكشف، والاستطراد إنَّ وُلَّى، والمكر إنَّ رآه وحيداً. ويكره القتال ما وجد بُدّاً لأنَّ النفقة فيه من الأنفس والنفقة في غيره من المال.

وقرأت في الآيين: قد جرت السنة في المحاربة أن يوضع مَنْ كان من الجند أَعْسَرَ في الميسرة ليكون لقاءه يَسْراً ورُمِيه شَرّاً وأن يكون اللقاء من

الفرسان قُدماً وترك ذلك على حال مُمايلة أو مُجانبة وأن يرتاد للقلب مكاناً مُشرفاً ويلتمس وضعه فيه فإن أصحاب الميمنة والميسرة لا يقهرون ولا يُغلبون وإن زالتا بعض الزوال ما ثبت الماذيان^(١) فإن زالت الماذيان لم يتفع بثبات الميمنة والميسرة. وإذا عَيَّ الجُندُ فليُناوِشْ أهل الميمنة والماذيان فأما الميسرة فلا يَشُدُّزَّ منهم أحد إلا أن يبادر إليهم من العدو من يخاف بائقته فيردّون عاديّتهم مع أن أصحاب الميمنة والماذيان لا يقدرّون على لقاء من يناوِشهم والرجوع إلى أصحابهم عاطفين، وأصحاب الميسرة لا يقدرّون على مناوِشة إلا مائلين ويعجزهم الرجوع عاطفين. ولا يَأْلُوْنَ صاحبُ الجيش على حال من الحال أن يستدبر جنده عينَ الشمس والريح، ولا يحاربَنَّ جنداً إلا على أشدَّ الضرورة وعلى حال لا يوجد معها من المحاربة بدُّ، فإذا كان كذلك فليجهد صاحب الجيش أن يدافع بالحرب إلى آخر النهار. وينبغي على كل حال أن يخلّى بين المنهزمين وبين الذهاب ولا يُحبَسوا. وإن كان الجند قد نزلوا على ماء وأراد العدو أن ينالوا من الماء فليس من الرأي أن يُحال بينهم وبينه لئلا يُخرجوا إلى الجدّ في محاربتهم. وإن كان العدو قد نزلوا بماء وأراد الجند غلبتهم عليه فإن وقت طلب ذلك عند ريّ العدو من الماء وسقيهم دوابهم منه وعند حاجة الجند إليه، فإن أُسْلِسَ ما يكون الإنسان عن الشيء عند استغنائه عنه وأشدُّ ما يكون طلباً للشيء عند حاجته إليه. ولتُسِرِ الطلائعُ في قرار من الأرض ويقفوا على التّلاع ولا يجوزوا أرضاً لم يستقصوا خبرها. وليكمن الكمين في الحَمَر^(٢) والأماكن الخفية. وليطرح الحَسَكُ في المواضع

(١) الماذيان: الفرس الأنثى، والكلمة فارسية؛ ويقال أيضاً: ماذيانه، وتثنى ماذيان على ماذيائين، ومذايانة على ماذيائتين. وكان من عادة الفُرس أن يضعوا في قلب الجيش المحارب راكب فرس أنثى.

(٢) الحَمَر: ما وارك من شجر وغيره.

التي يتخوف فيها البيات. وليحترس صاحب الجيش من انتشار الخبر عنه فإن
 في انتشاره فساد العسكر وانتقاضه. وإذا كان أكثر من في الجند من المقاتلة
 مجربين ذوي حنكة وبأس فبذار العدو الجند إلى الوقعة خير للجند. وإذا كان
 أكثرهم أغماراً ولم يكن من القتال بد فبذار الجند إلى مقاتلة العدو أفضل
 للجند. وليس ينبغي للجند أن يقاتلوا عدواً إلا أن تكون عدتهم أربعة أضعاف
 عدة العدو أو ثلاثة أضعافهم، فإن غزاهم عدوهم لزمهم أن يقاتلوهم بعد أن
 يزدوا على عدة العدو مثل نصف عدتهم. وإن توسط العدو بلادهم لزمهم أن
 يقاتلوهم وإن كانوا أقل منهم، وينبغي أن يُنتخب للكمين من الجند أهل جرأة
 وشجاعة وتيقظ وصرامة وليس بهم أنين ولا سُعال ولا عُطاس ويُختار لهم من
 الدواب ما لا يسهل ولا يَنْهت^(١)، ويُختار لكمونهم مواضع لا تُغشى ولا تُؤتى،
 قريبة من الماء حتى ينالوا منه إن طال مكثهم، وأن يكون إقدامهم بعد الروية
 والتشاور والثقة بإصابة الفرصة، ولا يخيفوا سباعاً ولا طيراً ولا وحشاً. وأن
 يكون إيقاعهم كضريم الحريق، وليجتنبوا الغنائم ولينهضوا من المكمن
 متفرقين إذا ترك العدو الحراسة وإقامة الرمايا، وإذا أونس من طلائعهم توائ
 وتفريط وإذا أمرجوا دوابهم في الرعي، وأشد ما يكون البرد في الشتاء وأشد ما
 يكون الحر في الصيف. وأن يرفضوا ويفترقوا إذا ثاروا من مكمنهم بعد أن
 يستخير بعضهم بعضاً وأن يسرعوا الإيقاع بعدوهم ويتركوا التلبث والتلفت.
 وينبغي للمبشرين أن يفتروا البيات إذا هبَّ ريح أو أونس من نهر قريب منهم
 خريراً فإنه أجدد ألا يُسمع لهم حس. وأن يُتوخى بالوقعة نصف الليل أو أشد
 ما يكون إظلاماً. وأن يصير جماعة من الجند وسط عسكر العدو وبقيتهم
 حوله، ويبدأ بالوقعة من يصير منهم في الوسط لئسمع بالضجة والضوضاء من

(١) يَنْهت الحمار والأسد نَهَيْتاً: رَأَرَ وَرَحَرَ؛ أي كان به زحير.

ذلك الموضع لا من حوله، وأن يُشرد قبل الوقعة الأفره فالأفره من دوابهم ويقطع أرسانها. وتُهمز بالرماح في أعجازها حتى تتحير وتغير ويُسمع لها ضوضاء، وأن يهتف هاتف ويقول: يا معشر أهل العسكر، النجاء النجاء فقد قُتل قائدكم فلان وقتل خلق وهرب خلق. ويقول قائل: أيها الرجل، استجِني لله. ويقول آخر: العفو العفو. وآخر: أوه أوه، ونحو هذا من الكلام. ولْيُعلم أنه إنما يُحتاج في البَيَات^(١) إلى تحيير العدو وإخافته وليجتنبوا التقاط الأمتعة وأستياق الدواب وأخذ الغنائم. قال: وينبغي في محاصرة الحصون أن يُستمال مَنْ يُقدَّر على استمالته من أهل الحصن والمدينة ليظفر منهم بخصلتين: إحداهما استنباط أسرارهم، والأخرى إخافتهم وإفزازهم بهم، وأن يُدسَّ منهم من يصغر شأنهم ويؤيسهم من المدد ويخبرهم أن سرهم منتشر في مكيدتهم، وأن يُفاض حول الحصن ويشار إليه بالأيدي كأن فيه مواضع حصينة وآخر ذليلة ومواقع يُنصب المجانيق^(٢) عليها ومواقع تُبَيِّ العَرَادَات^(٣) لها ومواقع تُنقب نقباً ومواقع توضع السُّلالم عليها ومواقع يُتسور منها ومواقع يُضرم النار فيها ليملاهم ذلك رعباً، ويكتب على نُشابة^(٤): إياكم أهل الحصن والاعترار وإغفال الحراسة، عليكم بحفظ الأبواب فإن الزمان خبيث وأهلُه أهلُ غدر فقد خُدع أكثر أهل الحصن وأستميلوا، ويُرْمى بتلك النُشابة في الحصن ثم يُدسَّ لمخاطبتهم المنطيق^(٥) المُصِيب الذَّهِيّ الموارب المخاتِل غير المَهْذَار ولا المغفَّل. وتؤخَّر الحرب ما أمكن ذلك فإن في المحاربة جرأة منهم على من

(١) البَيَات: إسم من بيَّت العدو أي أوقع به ليلاً.

(٢) المجانيق: آلات تُرمى بها الحجارة، مفردُها مُنجنيق.

(٣) العَرَادَات: ج عَرَادَة، وهي آلة حرب أصغر من المنجنيق ترمى بالحجارة المَرْمَى البعيد.

(٤) النُشابة: واحدة النُشَاب، وهي السَّهَام.

(٥) المنطيق: المرأة المتأزرة بحشية تعظم بها عجزتها.

حاربهم ودليلاً على الحيلة والمكيدة، فإن كان لا بد من المحاربة فليحاربوا بأخفَّ العُدَّة وأيسر الآلة. وينبغي أن يغلب العدو على الأرض ذات الحَمَر^(١) والشجر والأنهار للمعسكر ومصاف الجنود ويُخلى بين العدو وبين بسات الأرض ودكادكها^(٢).

وفي بعض كتب العجم أن بعض الحكماء سئل عن أشدَّ الأمور تدریباً للجنود وشحذاً لها، فقال: إستعادة القتال وكثرة الظفر، وأن تكون لها مواد من ورائها وغنيمة فيما أمامها؛ ثم الإكرام للجيش بعد الظفر والإبلاغ بالمجتهدين بعد المُنَاصبة، والتشريف للشجاع على رؤوس الناس.

قال المدائني: قال نصر بن سيار: كان عظماء الترك يقولون: القائد العظيم ينبغي أن تكون فيه خِصال من أخلاق الحيوان: شجاعة الديك، وتحنُّن الدجاجة، وقلب الأسد، وحَمَلَة الخنزير، وروغان الثعلب، وختل الذئب. وكان يقال في صفة الرجل الجامع: له وَثْبَة الأسد، وروغان الثعلب، وختل الذئب وجمَع الدَّرَّة، وبُكُور الغراب.

وكان يقال: أصلح الرجال للحرب المجرب الشجاع الناصح. حدَّثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبي الأصم قال: قيل لعمر بن معاوية العُقيلي وكان صاحب صَوَائِف: بم ضبَطت الصوائِف؟ أي الثغور قال: بِسَمَانَةِ الظَّهَر وكثرة الكعك والقديد^(٣). وفي كتاب الأييين: لِيَكُنْ أَوَّلُ ما تحمله معك خبزاً ثم خبزاً. وإياك والمَفَارِش والثياب. أبو اليَقْظان قال: قال شبيب الخارجي: الليل يكفيك الجبان ونصف الشجاع. وكان إذا أمسى قال

(١) الحَمَرُ: ما وارك من شجر وغيره.

(٢) الدَّكَادِك: ج دَكْدَك ودَكْدَك، وهي أرض فيها غلظ.

(٣) القديد: اللحم المُشَرَّر المُقَدَّد أو ما قُطِع منه طويلاً.

لأصحابه: أتاكم المَدَد، يعني الليل. وقيل لبعض الملوك: بَيَّتْ عدوك. قال: أكره أن أجعل غَلْبتي سرقة.

المدائني قال: لما اشتغل عبد الملك بمحاربة مُصْعَب بن الزبير اجتمع وجوه الروم إلى ملكهم فقالوا: قد أُمَكَّنَتْك الفرصة من العرب بتشاغلك بعضهم ببعض، فالرأي أن تغزوهم في بلادهم. فنهاهم عن ذلك وخطأ رأيهم، ودعا بكلين فأرْسَ^(١) بينهما فأقتلا قتالاً شديداً، ثم دعا بثعلب فخلّاه بينهما، فلما رأى الكلبان الثعلب تركا ما كانا فيه وأقبلا على الثعلب حتى قتلاه، فقال لهم ملك الروم: هذا مثلنا ومثلهم. فعرفوا صدقه وحسن رأيه ورجعوا عن رأيهم.

وأوصى بعض الحكماء ملكاً فقال: لا يكن العدو الذي قد كشف لك عن عداوته بأخوف عندك من الظنّين الذي يستتر لك بمخاتلته، فإنه ربما تخوّف الرجلُ السُّمّ الذي هو أقتل الأشياء وقتله الماء الذي يحيي الأشياء، وربما تخوّف أن يقتله الملوك التي تملكه ثم قتلته العبيد التي يملكها. فلا تكن للعدوّ الذي تُناصبُ بأحذر منك للطعام الذي تأكل. وأنا لكل أمرٍ أخذتُ منه نَذِيرُكَ وإنْ عَظُمَ آمَنُ مَنِي من كل أمر عرّيته من نذيرك وإن صَغُر. وأعلم أن مدينتك جرّز من عدوك، ولا مدينة تحرّز فيها من طعامك وشرابك ولباسك وطبيك، وليست من هذه الأربع واحدة إلا وقد تُقتل بها الملوك..

وذكر عبد الملك بن صالح الهاشمي أن خالد بن برمك، حين فصل مع قَحْطَبَة من خراسان، بيّنا هو على سطح بيت في قرية قد نزلّاها وهم يتغدّون نظر إلى الصحراء فرأى أقاطيع ظباء قد أقبلت من جهة الصحارى حتى كادت تخالط العسكر، فقال لقحطبة: أيها الأمير نادِ في الناس: يا خيل الله أركبي،

(١)، أَرْسَ: أرث، أي أفسد.

فإن العدو قد نَهَدَ إليك وَحْتًا، وغاية أصحابك أن يُسْرِجُوا ويُلْجِمُوا قبل أن يَرَوْا سُرْغَانَ الخيل، فقام قحطبة مذعوراً فلم يَرِ شيئاً يروعه ولم يعاين غباراً، فقال لخالد: ما هذا الرأي؟ فقال خالد: أيها الأمير، لا تتشاغل بي ونادِ في الناس. أما ترى أقاطيع الوحش قد أقبلت وفارقت مواضعها حتى خالطت الناس؟ إن وراءها لَجَمْعاً كثيفاً. قال: فوالله ما أسرجوا ولا ألجموا حتى رأوا ساطع الغبار فسلموا، ولولا ذلك لكان الجيش قد أصْطَلَمَ.

وقال بعض الحكماء لبعض الملوك: أمرك بالتقدّم والأمر ممكن، وبالإعداد لغدٍ من قبل دخولك في غد كما تُعَدُّ السلاح لمن تخاف أن يقاتلك وعسى ألا يقاتلك، وكما تأخذ عَتَادَ البناء من قبل أن تصيبه السماء وأنت تدري لعلها لا تصيبه، بل كما تُعَدُّ الطعام لَعَدَدِ الأيام وأنت لا تدري لعلك لا تأكله. وكان يقال: كل شيء طلبته في وقته فقد مضى وقته.

وقرأت في كتاب سِيرِ العجم أن فَيْرُوزَ بنَ يَزْدَجَرْدَ بنَ بَهْرَامَ لَمَّا مَلَكَ سار بجنوده نحو خراسان ليغزو اخشنوار ملك الهَيَاطِلَةَ بَبْلَخَ، فلما أنتهى إلى بلاده أَشْتَدَّ رُعبُ اخشنوار منه وحذرُه له، فناظر أصحابه ووزراءه في أمره، فقال له رجل منهم: أعطني موثقاً وعهداً تطمئن إليه نفسي أن تكفيني أهلي وولدي وتُحَسِّنَ إليهم وتُخْلِفَنِي فيهم، ثم أَقْطَعْ يَدَيَّ وَرَجْلَيَّ وَالْقَنِي عَلَى طريق فيروز حتى يمرَّ بي هو وأصحابه فأكفيكَ مؤونتهم وشوكتهم وأورطهم مورطاً تكون فيه هلكتهم. فقال له اخشنوار: وما الذي تنتفع به من سلامتنا وصلاح حالنا إذا أنت قد هلكت ولم تَشْرِكْنَا في ذلك؟ قال: إني قد بلغت ما كنت أجبُّ أن أبلغه من الدنيا وأنا موقنٌ بأن الموت لا بدَّ منه وإن تأخرَ أياماً قلائل، فأحب أن أختم عمري بأفضل ما تُخْتَمُ به الأعمار من النصيحة لإخواني والنكاية في عدوي فيشرف بذلك عقبى وأصيب سعادة وحظوة فيما

أمامي ، ففعل به ذلك وأمر به فألقي حيث وصف له . فلما مرّ به فيروز سأله عن أمره فأخبره أن اخشنوار فعل ذلك به وأنه أحتال حتى حُمل إلى ذلك الموضع ليدّله على عورته وِغْرَتِه وقال : إني أدلك على طريق هو أقرب من هذا الذي تريدون سلوكه وأخفى ، فلا يشعر اخشنوار حتى تهجّموا عليه فينتقم الله لي منه بكم ، وليس في هذا الطريق من المكروه إلا تَفْوِيزُ يومين ثم تُفَضُّون إلى كل ما تحبون . فقبل فيروز قوله بعد أن أشار عليه وزراؤه بالاتهام له والحذر منه وبغير ذلك ، فخالفهم وسلك الطريق حتى انتهى بهم إلى موضع من المفازة لا صَدَر عنه ثم بيّن لهم أمره ففترقوا في المفازة يميناً وشمالاً يلتسمون الماء فقتل العطش أكثرهم ولم يخلّص مع فيروز منهم إلا عدّة يسيرة فإنهم انطلقوا معه حتى أشرفوا على أعدائهم وهم مستعدّون لهم فواقعهم على تلك الحالة وعلى ما بهم من الضرّ والجهد فاستمكنوا منهم وأعظموا النكاية فيهم ، ثم رغب فيروز إلى اخشنوار وسأله أن يمنّ عليه وعلى من بقي من أصحابه على أن يجعل لهم عهد الله وميثاقه ألا يغزوه أبداً فيما يستقبل من عمره وعلى أنه يُحدّد فيما بينه وبين مملكته حدّاً لا تتجاوزه جنوده ، فرضي اخشنوار بذلك وخلّى سبيله وأنصرف إلى مملكته ، فمكث فيروز برهة من دهره كثيراً ثم حمّله الأنفُ على أن يعود لغزوه ودعا أصحابه إلى ذلك فردّوه عنه وقالوا : إنك قد عاهدته ونحن نتخوّف عليك عاقبة البغي والغدر مع ما في ذلك من العار وسوء المقالة . فقال لهم : إني إنما شرّطت له ألا أجوز الحجر الذي جعلته بيني وبينه فأنا أمر بالحجر ليحمل على عَجَلَة أمامنا . فقالوا له : أيها الملك ، إنّ العهود والمواثيق التي يتعاطاها الناس بينهم لا تُحمل على ما يُسرّ المعطي لها ولكن على ما يُعلن المعطى ، وإنك إنما جعلت له عهد الله وميثاقه على الأمر الذي عرّفه لا على أمرٍ لم يخطر بباله . فأبى

فيروز ومضى في غزاته حتى انتهى إلى الهياطة وتصافَّ الفريقان للقتال فأرسل اخشنوار إلى فيروز يسأله أن يبرز فيما بين صفيهم ليكلمه، فخرج إليه فقال له اخشنوار قد ظننت أنه لم يدْعُك إلى غزونا إلا الأنف مما أصابك. ولعمري لئن كنّا آحتلنا لك بما رأيت، لقد كنت أَلْتَمَسْتَ مِنّا أعظم منه، وما أبتدأنك ببغي ولا ظلم ولا أردنا إلا دفعك عن أنفسنا وعن حريمنا، ولقد كنت جديراً أن تكون، من سوء مكافأتنا بمَنّا عليك وعلى من معك من نقض العهد والميثاق الذي وكَّدْتَ على نفسك، أعظم أنفأً وأشدَّ امتعاضاً مما نالك مِنّا، فإنّا أطلقناكم وأنتم أسرى وَمَنّا عليكم وأنتم مُشْرِفُونَ على الهلكة وحقناً دماءكم وبنا قدرة على سفكها، وإنّا لم نجبرك على ما شرطت لنا بل كنت أنت الراغب إلينا فيه والمريد لنا عليه ففكر في ذلك ومبّل بين هذين الأمرين فأنظر أيهما أشدَّ عاراً وأقبح سماعاً، إن طلب رجل أمراً فلم يُتَحَّ له وسلك سبيلاً فلم يظفر فيها ببغيته وأستمكن منه عدوه على حال جهْد وضِيعة منه وممن معه، فَمَنٌ عليهم وأُطْلِقَهُمْ على شرط شرطوه وأمر أصطلحوا عليه فأضطرّ لمكروه القضاء وأستحيا من النكث والغدر أن يقال امرؤ نكثَ العهد وختر^(١) الميثاق. مع أني قد ظننت أنه يزيدك نجاحاً ما تثق به من كثرة جنودك وما ترى من حسن عُدَّتْهم وطاعتهم لك، وما أجدني أشك أنهم أو أكثرهم كارهون لما كان من شُخْوصك بهم عارفون بأنك قد حملتَهم على غير الحق ودعوتَهم إلى ما يُسخط الله، فهم في حربنا غير مستبصرين ونيأتهم في مناصحتك اليوم مدخولة، فأنظر ما قَدَّرَ غَنَاءُ مَنْ يقاتل على مثل هذه الحال، وما عسى أن تبلغ نكايته في عدوه إذا كان عارفاً بأنه. إن ظفر فمع عارٍ وإن قُتل

(١) خَتَرَ الميثاق: نكثه؛ يقال: ختر فلاناً: غدره وخدعه فهو خاتر وختار.

فإلى النار، فأنا أذكرك الله الذي جعلته على نفسك كفيلاً ونعمتي عليك وعلى من معك بعد يأسكم من الحياة وإشفائكم على الممات، وأدعوك إلى ما فيه حظك ورشدك من الوفاء بالعهد والاقتداء بآبائك الذين مضوا على ذلك في كل ما أحبه أو كرهه، فأحمدوا عواقبه وحسن عليهم أثره، ومع ذلك إنك لست على ثقة من الظفر بنا والبلوغ لنهمتك فينا وإنما تلتمس منا أمراً نلتمس منك مثله وتناويء عدواً لعله يُمنح النصر عليك فقد بالغت في الاحتجاج عليك وتقدمت في الإعذار إليك ونحن نستظهر بالله الذي أعترزنا به ووثقنا بما جعلته لنا من عهده إذا استظهرت بكثرة جنودك وأزدهتك عدة أصحابك، فذونك هذه النصيحة فوالله . ما كان أحد من نُصَحائك ببالح لك أكثر منها ولا زائد لك عليها، ولا يَحْرِمُكَ منفعتها مخرجها مني فإنه لا يُزِرِّي بالمنافع عند ذوي الرأي أن كانت من قبل الأعداء كما لا يُحِبُّ المضار إليهم أن تكون على أيدي الأولياء . وأعلم أنه ليس يدعوني إلى ما تسمع من مقالتي ضعف أجسه من نفسي ولا قلة من جنودي، ولكني أحببت أن أزداد حجة وأستظهرأراً، وأزداد به من الله للنصر والمعونة استيجاباً ولا أؤثر على العافية والسلامة شيئاً ما وجدتُ إليهما سبيلاً، فأبى فيروز إلا تعلقاً بحجته في الحجر الذي جعله حداً بينه وبينه وقال: لست ممن يردعه عن الأمر بهم به وعيد ولا يقتاده التهديد والترهيب، ولو كنت أرى ما أطلبك غدراً مني ما كان أحد أنظر ولا أشدّ اتقاء مني على نفسي فلا يغرنك منّا الحال التي صادفتنا عليها في المرة الأولى من القلة والجهد والضعف . قال اخشنوار: لا يغرنك ما تخدع به نفسك من حملك الحجر أمامك، فإنّ الناس لو كانوا يُعطون العهود على ما تصف من إسرار أمر وإعلان آخر، إذا ما كان ينبغي لأحد أن يغتر بأمان ولا يثق بعهد، وإذا لما قبل الناس شيئاً مما يعطونه من ذلك، ولكنه وضع على العلانية وعلى نية من تُعقد العهود والشروط له . فأنصرفا يومهما ذلك فقال فيروز لأصحابه:

لقد كان اخشنوار حَسَنَ المحاورَة . وما رأيتُ للفرس الذي كان تحته نظيراً في الدواب فإنه لم يُزَلْ قوائمه ولم يرفع حوافره عن موضعها ولا صَهَلَ ولا أحدث شيئاً يقطع به المحاورَة في طول ما تواقفنا . وقال اخشنوار لأصحابه : لقد واقفتُ فيروز كما علمتم وعليه السلاح كله فلم يحرك رأسه ولم ينزع رجله من ركابه ولا حنا ظهره ولا آلتفت يميناً ولا شمالاً ، ولقد توركتُ أنا مراراً وتمطيتُ على فرسي وتلفتُ إلى مَنْ خلفي ومددتُ بصري أمامي وهو منتصب ساكن على حاله ، ولولا محاورته إياي لظننتُ أنه لا يبصرني . وإنما أرادا بما وصفا من ذلك أن ينتشر هذان الحديثان في أهل عسكريهما فيشغلوا بالإفاضة فيهما عن النظر فيما تذاكره . فلما كان في اليوم الثاني أخرج اخشنوار الصحيفة التي كتبها لهم فيروز ، فرفعها على رُمحٍ لينظر إليها أهل عسكر فيروز فيعرفون غدره وبغيه ويخرجون من متابعته ، فانتقض عسكر فيروز واختلِفوا وما لبثوا إلا يسيراً حتى أنهزموا وقتل منهم خلقٌ كثير وهلك فيروز ، فقال اخشنوار : لقد صدق الذي قال : لا راداً لما قُدِّر ، ولا أشدَّ إحالةً لمنافع الرأي من الهوى واللجاج ، ولا أضيع من نصيحة يُمنحها مَنْ لا يوطن نفسه على قبولها والصبر على مكروهاها ، ولا أسرع عقوبةً ولا أسوأ عاقبةً من البغي والغدر ، ولا أجلب لعظيم العار والفُضُوح من إفراط الفخر والأنفة .

وقال أبو اليقظان : لما خرج شبيب^(١) بن يزيد بن نعيم الخارجي بالموصل بعث إليه الحجاج قائداً فقتله ثم قائداً فقتله كذلك حتى أتى على

(١) شبيب بن يزيد بن نعيم الشيباني الخارجي أحد كبار الثائرين على بني أمية . كان داهية ضاحاً إلى السيادة . خرج في الموصل على الحجاج الثقفي . توفي سنة ٧٧ هـ . أنظره بالتفصيل في الكامل لابن الأثير (ج ٤ ص ٣٩١ - ٤٣٥) كذلك وردت ترجمته في الأعلام (ج ٣ ص ١٥٦ - ١٥٧) .

خمسـة قـواد قـتلهم وهـزم جيـوشهم وكان أحد القـواد موسى بن طلحة بن عبيد الله، ثم خرج شبيب من الموصل يريد الكوفة وخرج الحجاج من البصرة يريد الكوفة فطمع شبيب أن يلقى الحجاج قبل أن يصل إلى الكوفة فأقحم الحجاج خيله فدخل الكوفة قبله، ومرّ شبيب بعتاب بن ورقاء فقتله ومرّ بعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فهرب منه، وقدم شبيب الكوفة وآلى ألا يترج عنها أو يلقى الحجاج فيقتله أو يقتل دونه؛ فخرج الحجاج إليه في خيله، فلما قرب منه عمد إلى سلاحه فألبسه أبا الورد مولاه وحمله على الدابة التي كان عليها، فلما توافقا قال شبيب: أروني الحجاج، فأوماً له إلى أبي الورد فحمل عليه فقتله، ثم خرج من الكوفة يريد الأهواز فغرق في دجيل وهو يقول: ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾^(١).

الأوقات التي تُختار للسفر والحرب

حدّثني محمد بن عبيد قال: حدّثنا يزيد بن هارون عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن الزهري قال: كان أحبّ الأيام إلى رسول الله ﷺ أن يعقد فيه رايته يوم الخميس، وكان أحبّ الأيام إلى رسول الله ﷺ أن يسافر فيه يوم الخميس.

وقالت العجم: آخر الحرب ما استطعت فإن لم تجد بداً فأجعل ذلك آخر النهار.

وحدّثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن ابن عوّن عن محمد بن سيرين أن النعمان بن مقرّن قال لأصحابه: إني لقيت مع

(١) سورة الأنعام ٦، آية ٩٦. والمعنى: إن المذكور هو تقدير العزيز في ملكه العليم بخلقه. تفسير الجلالين.

رسول الله ﷺ فكان من أحبَّ ما يُلَقَى فيه إذا لم يُلَقَ في أوَّل النهار إذا زالت الشمس وحلَّت الصلاة وهبَّت الرياح ودعا المسلمون. ويروي قومٌ عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يكره الحجامة^(١) والابتداء بعمل في مَحَاق القمر وفي حلوله في برج العَقْرَب. وقال بعضهم: كنت مع عمر بن عبد العزيز فوق سطح وهو يريد الركوب، فنظرت فإذا القمر بالدَّبران^(٢) فقلت: أنظر إلى القمر ما أحسنَ آستواءه! فرفع رأسه ثم نظر فرأى منزلته فضحك، وقال إنما أردتُ أن أنظر إلى منزلته، وإنا لا نقيم لشمس ولا لقمر ولكننا نسير بالله الواحد القَهَّار. وكان يقال: يوم السبت يوم مكر وخديعة، ويوم الأحد يوم غَرْسٍ وبناء، ويوم الإثنين يوم سفر وأبتغاء رزق، ويوم الثلاثاء يوم حربٍ ودمٍ، ويوم الأربعاء يوم الأخذ والإعطاء، ويوم الخميس يوم دخول على الأمراء وطلب الحوائج، ويوم الجمعة يوم خُطْب ونكاح.

الدُّعاء عند اللقاء

حدَّثني محمد بن عبيد قال: حدَّثنا معاوية بن أبي إسحاق عن أبي رَجَاء قال: كان النبي ﷺ يقول إذا أَشْتَدَّتْ حَلَقَةُ البلاء وكانت الضَّيْقَةُ: «تضيَّقني تفرجي» ثم يرفع يديه فيقول: «بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوَّة إلا بالله العليَّ العظيم اللهم إياك نعبد وإياك نستعين اللهم كفَّ عنا بأس الذين كفروا إنك أشدُّ بأساً وأشدُّ تنكيلاً» فما يخفض يديه المباركتين حتى يُنزل الله النصر.

وحدَّثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن موسى بن عقبة

(١) الحجامة: حرقه الحجام، وهي المداواة والمعالجة بالمَحْجَم، والمحجم آلة يجمع فيها دم الحجامة عند المص.

(٢) الدَّبران: منزل للقمر وهو مشتمل على خمسة كواكب في برج الثور.

عن سالم أبي النضر مولى عمرو بن عبيد الله وكان كاتباً له، قال: كتب عبد الله بن أبي أوفى حين خرج إلى الحرورية^(١) أن النبي ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها العدو أنتظر حتى مالت الشمس ثم قام في الناس فقال: «لا تتمنوا لقاء العدو وأسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فآثبوا وأصبروا وأعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف» ثم قال: «اللهم مُنِّزَ الكتاب ومُجْرِي السحاب وهازم الأجزاء أهزمهم وأنصرنا عليهم» وقال أبو النصر: وبلغنا أنه دعا في مثل ذلك فقال: «اللهم أنت ربُّنا وربُّهم وهم عبيدك ونحن عبيدك ونواصينا ونواصيهم بيدك فآهزمهم وأنصرنا عليهم».

حدَّثني محمد بن عبيد قال: لما صافَّ قتيبةُ بن مسلم التُّركَ وهالَةَ أمرهم سأل عن محمد بن واسع ما يصنع؟ قالوا: هو في أقصى الميمنة جانح على سِيَةِ^(٢) قوسه يُنَضِّضُ^(٣) بإصبعه نحو السماء. فقال قتيبةُ: تلك الإصبع الفاردة أحبُّ إليَّ من مائة ألف سيف شهير وسمان طرير. فلما فتح الله عليهم قال لمحمد: ما كنت تصنع؟ قال: كنت آخذ لك بمجامع الطرق.

الصبرُ وحضُّ الناس يوم اللقاء عليه

حدَّثني سهل بن محمد قال: حدَّثنا الأصمعيُّ قال: كان عاصم بن الحدثان رجلاً من العرب عالماً قديماً وكان رأس الخوارج بالبصرة وربما جاءه

(١) الحرورية: قسم من الخوارج، وأول اجتماع لهم وتحكيمهم حين خلفوا علياً، عليه السلام،

كان بحروراً، وحروراء موضع بظاهر الكوفة تنسب إليه الحرورية.

(٢) سِيَةِ القوس: ما أنعطف من طرفيها.

(٣) يُنَضِّضُ: يشير.

الرسول منهم من الجزيرة يسأله عن بعض الأمر يختصمون فيه فمرّ به الفرزدق فقال لابنه: أنشد أبا فراس، فأنشدته:

[كامل]

وهموا إذا كسروا الجفون أكارم صُبرٌ وحين تُحلّل الأزرارُ
يَغشون حومانِ المنون وإنها في الله عند نفوسهم لصغارُ
يَمْشون في الخطي^(١) لا يشيهم والقومُ إذ ركبوا الرماح تجارُ

فقال له الفرزدق: ويحك! أكنتم هذا لا يسمعه النساجون فيخرجوا علينا بحفوفهم^(٢). فقال عاصم: يا فرزدق، هذا شاعر المؤمنين وأنت شاعر الكافرين.

حدثنا سهل قال: حدثنا الأصمعي قال: قال سليل بن سعد: قال بسطام ابن قيس لقومه: تردون على قوم آثارهم آثار نساء وأصواتهم أصوات صردان^(٣) ولكنهم صبر على الشر. يعني بني يربوع. وفي هؤلاء يقول معاوية: لو أن النجوم تناثرت لسقط قمرها في حجور بني يربوع. قال الأصمعي قلت لسليل: أكان عتيبة بن الحارث ضخماً؟ قال: لا، ولا من قوم ضحام. يعني بني يربوع.

وقال عمر بن الخطاب لبني عبس: كم كنتم يوم الهباءة^(٤)؟ فقال: كنا مائة

(١) الحفوف: ج حَفَ، وهو المُنْسَج.

(٢) الخطي: الرمح نسبة إلى الخط، وهو مرفأ للسفن بالبحرين أو نسبة لموضع باليمامة وهو خط هَجَر تباع به الرماح أو تحمل إليه من الهند فتقوم به.

(٣) الصردان: ج صُرْد، وهو طائر أبيض البطن أخضر الظهر ضخم الرأس والمنقار، له مخالب يصطاد العصافير وصغار الطير.

(٤) يوم الهباءة يوم من أيام العرب كان النصر فيه لعبس على ذبيان، وكانوا قد اجتمعوا فالتقوا في يوم قائط إلى جنب جَفَر البهاء (مستنقع في بلاد غطفان) أنظر ذلك بالتفصيل في العقد الفريد (ج ٥ ص ١٥٦-١٥٨) ومعجم البلدان.

كالذهب، لم نَكْثُرْ فتَواكَلْ ولم نَقُلْ فنَدِلْ. قال: فكيف كنتم تقهرون من ناوأكم ولستم بأكثر منهم عدداً ولا مالاً؟ قال: كنا نصبر بعد اللقاء هُنيهة. قال: فلذلك إذاً. قيل لعنترة العسبي: كم كنتم يوم الفُرُوق؟^(١) قال: كنا مائة لم نَكْثُرْ فنَفْشَلْ ولم نَقُلْ فنَدِلْ. وكان يقال: النصر مع الصبر. ومن أحسن ما قيل في الصبر، قول نَهْشَل^(٢) بن حَرِي بن ضَمْرَة:

[طويل]

ويومُ كأنَّ الْمُصْطَلِينَ بِحَرِّهِ وإن لم تكن نارُ قيامٍ على الجمرِ
صَبَرْنَا له حتى يُبَوِّخَ وإنما تُفَرِّجُ أيامُ الكريهة بالصبرِ

[طويل]

ومثله قول الآخر:

بكى صاحبي لما رأى الموت فوقنا مُطْلاً كإطلال السحاب إذا أكْفَهَرُ
فقلتُ له لا تَبْكِ عينُك إنما يكون غداً حُسْنُ الثناء لمن صَبَرُ
فما أحرَّ الإحجام يوماً مُعْجَلاً ولا عَجَلَ الإقدام ما أحرَّ الْقَدَرُ
فأسَى: على حالٍ يَقْلُ بها الأسى وقاتل حتى آسَبَهُم الوردُ والصَّدَرُ
وَكَرَّ حِفَاطاً خَشِيَةَ العارِ بعدما رأى الموتَ معروضاً على منهج المَكْرُ

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لخالد بن الوليد حين وجهه:
أَحْرَضَ على الموت تُوهَبُ لك الحياة. وتقول العرب: الشجاع مُوقِي. وقالت
الخنساء:

[مقارب]

نُهَيْنُ النفوسَ وهَوْنَ النفوسِ س يومَ الكريهة أوقَى لها

(١) الفُرُوق: عقبة دون هَجَر إلى نجد، بين هَجَر ومهب الشمال. معجم البلدان. ويوم الفُرُوق من أيام العرب، تحدث عنه ابن عبد ربه بالتفصيل. أنظر العقد الفريد (ج ٥ ص ١٥٨ - ١٥٩).

(٢) تقدمت ترجمته.

[طويل]

وقال يزيد^(١) بن المهلب:

تَأَخَّرْتُ أُسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ

[وافر]

وقال قَطَرِي^(٢) بن الفُجَاءة:

وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأْتُ وَجَاشَتْ مِنْ الْأَبْطَالِ وَيَحْكُ لَا تُرَاعِي
فَإِنَّكَ لَوْ سَأَلْتَ حَيَاةَ يَوْمٍ سِوَى الْأَجَلِ الَّذِي لَكَ لَمْ تُطَاعِي^(٣)

وقال معاوية بن أبي سفيان: شَجَّعَنِي عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَوْلُ

[وافر]

عمرو^(٤) بن الإطنابة:

أَبْتَلِي عِقَّتِي وَأَبِي^(٥) بَلَائِي وَأَخْذِي الْحَمْدَ بِالثَّمَنِ الرَّبِيحِ
وَإِقْدَامِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي وَضَرْبِي هَامَةً الْبَطْلَ الْمُشِيحِ
وَقَوْلِي، كُلَّمَا جَشَأْتُ، لِنَفْسِي مَكَانِكَ تُحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي
لَأُدْفِعَ عَنْ مَآثِرِ صَالِحَاتٍ وَأُحْيِي بَعْدَ عَنْ عِرْضٍ صَاحِحِ

(١) كذلك تقدمت ترجمته .

(٢) قَطَرِي بن الفُجَاءة هوجعونة بن مازن التميمي، من أهل قطر قرب البحرين. كان خطيباً فارساً شاعراً. وكانت كنيته في الحرب أبا نعام (ونعامه فَرَسُهُ) وفي السلم أبا محمد. شعره في الحماسة كثير. توفي سنة ٧٨ هـ. الأعلام ج ٥ ص ٢٠٠ - ٢٠١.

(٣) هذان البيتان من مشهور شعر ابن الفجاءة الحماسي، وهما مطلع قصيدة فريدة في الحماسة. ولقد وردت شطر البيت الأول في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠١) على النحو التالي:

وَقَوْلِي، كُلَّمَا جَشَأْتُ، لِنَفْسِي

كما ورد هذا الشطر في الأعلام (ج ٥ ص ٢٠١) على النحو التالي:

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شِعَاعاً

(٤) عمرو بن الإطنابة الخزرجي شاعر جاهلي، اشتهر بنسبته إلى أمة «الإطنابة» لأن والده هو عامر بن زيد. وفي اللسان، مادة (طنب) قال ابن منظور: الإطنابة والدة عمرو امرأة من بني كنانة بن القيس بن جَسْر بن قُضَاعَةَ. وقال الزركلي في الأعلام (ج ٥ ص ٨٠): كان عمرو على رأس الخزرج في حرب لها مع الأوس.

(٥) ورد في الأعلام (ج ٥ ص ٨٠): «وأبى إِبَائِي».

أَبَتْ لِي أَنْ أَقْضِيَ فِي فَعَالِي وَأَنْ أَغْضِيَ عَلَى أَمْرِ قَبِيحٍ

وَقَالَ رَبِيعَةُ^(١) بِنَ مَقْرُومٍ: [كامل]

وَدَعَوْا نَزَالَ فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ وَعَلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزَلِ؟

وَكَانَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ يَسِيرُ فِي الصَّفُوفِ يُذَمِّرُ^(٢) النَّاسَ وَيَقُولُ: يَا أَهْلَ
الْإِسْلَامِ، إِنَّ الصَّبْرَ عَزٌّ وَإِنَّ الْفَشْلَ عَجْزٌ وَإِنَّ النِّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ. وَقَالَ بَعْضُ
أَبْطَالِ الْعَرَبِ:

إِنَّ الشُّوَاءَ وَالنَّشِيلَ^(٣) وَالرُّغْفَ وَالْقَيْنَةَ الْحَسَنَاءَ وَالْكَأْسَ الْأَنْفَ
لِلضَّارِبِينَ الْخَيْلَ وَالْخَيْلَ قُطْفَ

وَقَالَ أَعْرَابِي: اللَّهُ يُخْلِفُ مَا أَتْلَفَ النَّاسُ، وَالْدَّهْرُ يَتْلَفُ مَا جَمَعُوا، وَكَمْ
مِنْ مَيِّتَةٍ عَلَّتْهَا طَلَبُ الْحَيَاةِ، وَحَيَاةٍ سَبَّيْهَا التَّعَرُّضُ لِلْمَوْتِ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ أَبِي بَكْرٍ
الصَّدِيقِ لَخَالِدٍ: إِحْرَضْ عَلَى الْمَوْتِ تُوَهِّبْ لَكَ الْحَيَاةَ.

قَدِمَتْ مُنْهَزِمَةُ الرُّومِ عَلَى هِرْقُلَ وَهُوَ بِأَنْطَاكِيَّةَ، فَدَعَا رَجَالًا مِنْ عِظَمَائِهِمْ
فَقَالَ: وَيَحْكُم! أَخْبِرُونِي مَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَقَاتِلُونَهُمْ؟ أَلَيْسُوا بَشَرًا مِثْلَكُمْ؟ قَالُوا:
بَلَى. يَعْنِي الْعَرَبَ. قَالَ: فَأَنْتُمْ أَكْثَرُ أَمْ هُمْ؟ قَالُوا: بَلْ نَحْنُ أَكْثَرُ مِنْهُمْ أَضْعَافًا
فِي كُلِّ مَوْطِنٍ. قَالَ: وَيَلَكُمْ! فَمَا بِالْكُمْ تَنْهَزِمُونَ كُلَّمَا لَقِيتُمُوهُمْ؟ فَسَكْتُوا،
فَقَالَ شَيْخٌ مِنْهُمْ: أَنَا أَخْبَرْتُكَ، أَيُّهَا الْمَلِكُ، مِنْ أَيْنَ تَوُتُّونَ. قَالَ: أَخْبَرْتَنِي.

(١) رَبِيعَةُ بْنُ مَقْرُومٍ بَنِي قَيْسِ الضَّبِيِّ مِنْ مَخْضَرَمِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ وَمِنْ شُعْرَاءِ الْحِمَاسَةِ. وَفَدَّ
عَلَى كَسْرَى فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَشَهِدَ بَعْضَ الْفَتْوحِ فِي الْإِسْلَامِ وَحَضَرَ وَقْعَةَ الْقَادِسِيَّةِ. تَوَفَّى بَعْدَ
١٦ هـ. الْأَعْلَامُ ج ٣ ص ١٧.

(٢) يُذَمِّرُ النَّاسَ: يَشْجَعُهُمْ وَيَحْضُرُهُمْ عَلَى الْقِتَالِ.

(٣) النَّشِيلُ: مَا طَبَخَ مِنَ اللَّحْمِ بِغَيْرِ تَابِلٍ.

قال: إذا حملنا عليهم صبروا وإذا حملوا علينا صدقوا، ونحمل عليهم فنكذب ويحملون علينا فلا نصبر. قال: ويلكم فما بالكم كما تصفون وهم كما تزعمون؟ قال الشيخ: ما كنت أراك إلا وقد علمت من أين هذا؟ قال له: من أين هو؟ قال: لأن القوم يصومون بالنهار ويقومون بالليل ويوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ولا يظلمون أحداً ويتناصفون بينهم، ومن أجل أنا نشرب الخمر ونزني ونركب الحرام وننقض العهد ونغصب ونظلم ونأمر بما يُسخط الله وننهي عما يرضي الله ونفسد في الأرض. قال: صدقتي، والله لأخرجن من هذه القرية فما لي في صحبتكم خير وأنتم هكذا. قالوا: نُشهدك الله، أيها الملك. تَدْعُ سُورِيَّةَ وهي جنة الدنيا وحولك من الروم عدد الحصى والتراب ونجوم السماء ولم يُؤتَ عليهم؟.

ذكر الحرب

قالت العرب: الحرب غُشوم، لأنها تنال غير الجاني. وقال

[بسيط]

الْكُمَيْتُ^(١):

النَّاسُ فِي الْحَرْبِ شَتَّى وَهِيَ مُقْبِلَةٌ وَيَسْتَوُونَ إِذَا مَا أَدْبَرَ الْقَبْلُ
كُلُّ بَأْسِيَّهَا طَبٌّ مَوْلِيَةٌ وَالْعَالَمُونَ بِذِي غُدُوِّهَا قُلُلٌ

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله لعمر بن مَعْدٍ يَكْرِبُ^(٢): أخبرني عن الحرب. قال: مُرَّةُ الْمَذَاقِ إِذَا قَلَصَتْ عَنْ سَاقٍ، مَنْ صَبَرَ فِيهَا عُرِفَ وَمَنْ

(١) سبقت ترجمته.

(٢) عمرو بن مَعْدٍ يَكْرِبُ بن ربيعة الزبيدي فارسُ اليمن وصاحب الغارات المشهورة. توفي سنة

ضعف عنها تَلَفٌ . وهي كما قال الشاعر:
 الحربُ أَوَّلُ ما تكونُ فتيةً تسعى بزيتها لكلَّ جَهُولٍ^(١)
 حتى إذا اسْتَعَرَتْ وشَبَّ ضِرَامُهَا عادت عجزاً غير ذات خليل
 شَمَطَاءَ جَزَتْ رَأْسَهَا وتَنَكَّرَتْ مكروهةً للثَمِّ والتقبيل

كان يزيد بن عمر بن هُبَيْرَة يحب أن يضع^(٢) مِنْ نصر بن سِيَّار^(٣) فكان لا يُمَدُّه بالرجال ولا يرفع ما يرد عليه من أخبار خراسان، فلما كثر ذلك على نصر قال:

أرى خَلَلَ الرمادِ وَمِیْضَ جَمْرِ ويوشك أن يكون له ضِرَامُ
 فَإِنَّ النارَ بالعُودَيْنِ تُذْكَى وإنَّ الحربَ أَوَّلُها الكلامُ
 فَإِنَّ لَمْ يُطْفِئْها عُقْلَاءُ قومٍ يكون وَقُودُها جُثْثٌ وهَامُ
 فَقُلْتُ مِنَ التعجبِ ليت شعري أأَيُّقَاطُ أُمِيَّةٌ^(٤) أَمْ نِيَامُ

ونحو قوله: «الحرب أولها الكلام» قول حُذَيْفَة: إِنَّ الفتنَةَ تُلْقَحُ بالنجوى وتُنتَج بالشكوى.

العتبيّ عن أبيه قال: قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه لابنه الحسن: يا بُنَيَّ لا تَدْعُونَ أحداً إلى البِرَازِ، ولا يدْعُونَك أحداً إليه إلا أجَبْتَهُ فإنه بَغِيٌّ.

(١) الجَهُولُ: الغرُّ.

(٢) أن يضع: أن يحطّ من قدره.

(٣) نصر بن سِيَّار بن ربيعة الكناني أمير من الدهماء الشجعان. توفي سنة ١٣١ هـ: الأعلام ج ٨.

ص ٢٣.

(٤) أي بنو أمية ورجالها.

في العدة والسلاح

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ قَالَ: حَدَّثَنَا سَفِيَانُ بْنُ عَيْنَةَ عَنْ يَزِيدَ بْنِ خُصَيْفَةَ عَنْ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ - فِيمَا حَفِظْتُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ عَلَيْهِ دِرْعَانُ يَوْمَ أُحُدٍ. قِيلَ لِعَبَّادِ بْنِ الْحُصَيْنِ وَكَانَ أَشَدَّ رَجَالِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ: فِي أَيِّ عِدَّةٍ تَحِبُّ أَنْ تَلْقَى عَدُوكَ؟ قَالَ: فِي أَجَلٍ مُسْتَأْجِرٍ.

حَدَّثَنِي زِيَادُ بْنُ يَحْيَى قَالَ: حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ الْمَفْضَلِ قَالَ: حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ أَبِي هَنْدٍ عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: لَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْأَحْزَابِ قَالَتِ الْجُنُوبُ لِلشَّمَالِ: أَنْطَلِقِي بِنَا نُمِدَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتِ الشَّمَالُ: إِنَّ الْحَرَّةَ لَا تَسْرِي بِاللَّيْلِ، فَكَانَتِ الرِّيحُ الَّتِي أُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الصَّبَا.

حَدَّثَنِي سَهْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو هَانِئٍ قَالَ: ضَرَبَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ عِثْمَانَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ فَقَطَعَهُ إِلَى الْقَرْبُوسِ^(١) فَقَالُوا: مَا أَجُودَ سَيْفُكَ! فغضب، يريد أن العمل ليده لا لسيفه.

وقال الوليد بن عبيد البحر يصف سيفاً: [كامل]

مَاضٍ وَإِنْ لَمْ تُمَضِّهِ يَدُ فَارِسٍ بَاطِلٌ وَمَصْقُولٌ وَإِنْ لَمْ يُصْقَلْ
مَتَوَقِّدٌ يَفْرِى بِأَوَّلِ ضَرْبَةٍ مَا أَذْرَكَتْ وَلَوْ أَنَّهَا فِي يَدِ بَاطِلٍ^(٢)

(١) الْقَرْبُوسُ: جَنُودُ السَّرْحِ، وَهُمَا قَرْبُوسَانِ، وَالْجَمْعُ قَرَابِيسُ.

(٢) يَدِ بَاطِلٍ: جَبَلٌ مَشْهُورٌ الذِّكْرُ بِنَجْدٍ فِي طَرِيقِهَا. مَعْجَمُ الْبَلَدَانِ. وَقَدْ ذَكَرَهُ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ بِقَوْلِهِ

(طويل):

فِيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نَجْمَهُ بِكُلِّ مُغَارِ الْفَتْلِ شُدَّتْ يَدِ بَاطِلٍ
أَيُّ كَانَ نَجْمُ هَذَا اللَّيْلِ قَدْ رُبَطَتْ بِهِذَا الْجَبَلِ بِكُلِّ جَبَلٍ مُحْكَمِ الْفَتْلِ فَلَا تَقْدِرُ أَنْ تَغِيبَ، فَكُنَى بِذَلِكَ عَنْ طَوْلِ اللَّيْلِ.

وقال آخر:

[طويل]

وما السيف إلا بَزٌّ^(١) غادٍ لزينَةٍ إذا لم يكن أمضى من السيف حامِلُهُ
رُئي الجَرَّاحُ بن عبد الله في بعض الحروب وقد ظاهر بين درعين، فقبل
له في ذلك. فقال: إني لست أقي بدني وإنما أقي صبري. واشترى يزيدُ بن
حاتم أدراعاً وقال: إني لم أشتَرِ أدراعاً إنما أشتريت أعماراً.

وقال حبيب بن المهلب: ما رأيت رجلاً في الحرب مُستلثماً إلا كان
عندي رجلين، ولا رأيت حاسرين إلا كانا عندي واحداً. فسمع هذا الحديث
بعض أهل المعرفة فقال: صدق، إنَّ للسلاح فضيلة. أما تراهم ينادون عند
الصَّريخ: السلاحُ السلاحُ ولا ينادون: الرجالُ الرجالُ؟ قال المهلب لبيته: يا
بَنِيَّ، لا يقعدنَّ أحدٌ منكم في السوق، فإن كنتم لا بدَّ فاعلين فإلى زَرَّادٍ أو
سَرَّاجٍ أو وَرَّاقٍ. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعمر بن معد يكرب:
أخبرني عن السلاح. قال: سَلَّ عَمَّا شُتَّتْ منه. قال: الرمح؟ قال: أخوك
وربما خانك. قال النُّبل؟ قال: منايا تخطيء وتصيب. قال: التُّرس؟ قال: ذاك
المِجَنُّ وعليه تدور الدَّوائر. قال: الدَّرْع؟ قال: مُثْقَلَةٌ للراجل مُتَعَبَةٌ للفارس، وإنَّها
لحصن حصين. قال: السيف؟ قال: ثَمٌّ، قارَعَتَكَ أَمُّكَ عن الثَّكل. قال عمر: بل
أَمُّكَ. قال: الحُمَّى أَضْرَعَتْنِي لك^(٢).

وقال الطائي^(٣) يصف الرِّماح:

[بسيط]

مُثَقَّفَاتٌ سَلَبْنَ الرومَ زُرْقَتَهَا العُربُ سُمَرَتَهَا والعاشقُ القَضْفَا^(٤)

(١) البَزُّ: ضرب من الثياب.

(٢) هو مثل، والمثل الحقيقي هو: «الحُمَّى أَضْرَعَتْنِي للنوم» يُضْرَبُ في الذَّلِّ عند الحاجة. وأضرعتني لك: أدلّنتني.

(٣) هو أبو تمام حبيب الطائي الشاعر المشهور.

(٤) القصف: النخافة.

[سريع]

وقال دُعَيْلٌ^(١) يصف الرُّمَحَ :وَأَسْمَرَ فِي رَأْسِهِ أَزْرَقُ مِثْلُ لِسَانِ الْحَيَّةِ الصَّادِي^(٢)

[بسيط]

وقال الشاعر:

تَلَمَّظَ السَّيْفُ مِنْ شَوْقٍ إِلَى أَنْسٍ فَالْمَوْتُ يَلْحَظُ وَالْأَقْدَارُ تَنْتَظِرُ
أَظْلَلَهُ مِنْكَ حَتْفٌ قَدْ تَجَلَّلَهُ حَتَّى يُؤَامَرَ فِيهِ رَأْيُكَ الْقَدْرُ
أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ إِلَّا عِنْدَ قَدَرَتِهِ وَلَيْسَ لِلْسَّيْفِ عَفْوٌ حِينَ يَقْتَدِرُ

[طويل]

وقال آخر:

مَتَى تَلْقَنِي يَغْدُو بَبَزِّي^(٣) مُقْلَصٌ كُفِّتَ بِهِيْمٌ أَوْ أَغْرُ مُحَجَّلٌ
تُلاقِ أَمْرًا إِنْ تَلَقَّاهُ فَبَسِيفِهِ تُعْلَمُكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ تَجْهَلُ

وقال عليّ رضي الله عنه: بقية السيف أبقى عدداً وأكثر ولداً. وفي الحديث «بقية السيف مباركة» يعني أنّ من نجا من ضربة السيف ينمو عدده ويكثر ولده. وقال المهلب: ليس شيء أنمى من سيف. ويقال: لا مجد أسرع من مجد سيف.

وكانت دِرْعُ عليّ رضي الله عنه صدرًا لا ظهر لها فقبل لها في ذلك فقال: إذا آستمكن عدوي من ظهري فلا يُبقي. وقال أبو الشَّيْص^(٤):

(١) هو دُعَيْلُ الخزاعي، وقد تقدمت ترجمته.

(٢) الصَّادِي: العطشان.

(٣) الْبَزُّ وَالْبَزَّةُ: السلاح ويدخل فيه الدرع والمَغْفَرُ والسيف. والمُقْلَصُ: فرس مشرف مُشَمَّرٌ طويل القوائم.

(٤) تقدمت ترجمته.

[خفيف]

خَتَلْتَهُ الْمَنُونُ^(١) بعد اختيالٍ بين صَفَيْنِ من قَنَأٍ ونَصَالٍ
 في رداءٍ من الصفيحِ صَقِيلٍ وقميصٍ من الحديدِ مُذَالٍ^(٢)
 بلغ أبا الأغرَّ أَنَّ أصحابه بالبادية قد وقع بينهم شرٌّ فبعث ابنه الأغرَّ
 وقال: يا بُنَيَّ، كن يداً لأصحابك على من قاتلهم، وإياك والسيف فإنه ظلُّ
 الموت، وأتقِ الرمحَ فإنه رِشاءٌ^(٣) المنية، ولا تقربِ السَّهَامَ فإنها رُسُلٌ لا تُؤامِرُ
 مُرسِلَها. قال: فبماذا أقاتل؟ قال: بما قال الشاعر:
 [طويل]

جَلَامِيدُ يَمْلَأَنَّ الْأَكْفُ كَأَنهَا رُؤُوسُ رِجَالٍ حُلِقَتْ فِي الْمَوَاسِمِ

وقال الخُرَيْمِيُّ^(٤) في بغداد أيام الفتنة:

يا بؤسَ بَغْدَادَ دَارَ مَمْلَكَةٍ دَارَتْ عَلَى أَهْلِهَا دَوَائِرُهَا
 أَمْهَلَهَا اللَّهُ ثُمَّ عَاقَبَهَا لَمَّا أَحَاطَتْ بِهَا كِبَائِرُهَا^(٥)
 رَقَّ بِهَا الدِّينُ وَاسْتُخِفَّ بِذِي الدِّ

(١) خَتَلْتَهُ الْمَنُونُ: خدعته، والمنون: المنية.

(٢) القميص المذال: الدرع الطويلة الذيل.

(٣) الرِّشَاءُ: الحبل، والجمع أَرَشِيَّةٌ.

(٤) في الأصل: الخُرَيْمِيُّ (بالزاي) وهو تصحيف، والخريمي هو أبو يعقوب إسحاق بن حسان الخريمي، سمي بذلك لأنه كان مولى ابن خُرَيْمٍ، الذي يقال لأبيه خُرَيْمٍ الناعم. وهو خُرَاسَانِيُّ الأصل، إتصل محمد بن منصور بن زياد، كاتب البرامكة، وله فيه مدائح جياذ. وهو شاعر مطبوع توفي سنة ٢١٢ هـ. وقصيدته الرائية هذه قالها في وصف الفتنة التي وقعت بين الأمين والمأمون، وتقع في ١٣٥ بيتاً أوردتها الطبري في تاريخه. وقد وردت هذه الأبيات التسعة في كتاب الشعر والشعراء ص ٧٣٣ - ٧٣٤ وجاء فيه: «وذاك يَهْدُمُهَا» بدل «وذا يَهْدُمُهَا» و«شَدَّانُهَا» (بالنون) بدل «شَدَّابُهَا» (بالباء) و«قَسَاوَرُهَا» بدل «تَسَاوَرُهَا». راجع ذلك كله في الشعر والشعراء ص ٧٣١ - ٧٣٥، والأعلام (ج ١ ص ٢٩٤).

(٥) الكبائر: ج كبيرة، وهي الإثم الكبير.

وصار ربُّ الجيرانِ فاسِقُهُمْ وأبْتَزَ أَمَنَ الدُّرُوبِ شَاطِرُهَا
يُحْرِقُ هَذَا وَذَا يَهْدُمُهَا ويشْتَفِي بِالنَّهَابِ دَاعِرُهَا
وَالْكَرْخُ ^(١) أَسْوَاقُهَا مَعْطَلَةٌ يَسْتَنُّ شَذَائِبَهَا وَعَائِرُهَا
أُخْرِجَتِ الْحَرْبُ مِنْ أَسَاقِطِهِمْ آسَادَ غَيْلٍ غُلْبًا تُسَاوِرُهَا
مِنَ الْبَوَارِي ^(٢) تِرَاسُهَا وَمِنَ الْ خُوصِ إِذَا آسَلَّامَتْ مَغَايِرُهَا
لَا الرِّزْقُ تَبْغِي وَلَا الْعِطَاءُ وَلَا يحْشُرُهَا بِالْعَنَاءِ حَاشِرُهَا

ونحوه قول علي ^(٣) بن أمية :
دَهْتَنَا أُمُورٌ تُشَيِّبُ الْوَلِيدَ ^(٤) وَيَخْذُلُ فِيهَا الصَّدِيقَ الصَّدِيقُ
فَنَاءٌ مُبِيدٌ وَدُعْرٌ عَتِيدٌ وَجُوعٌ شَدِيدٌ وَخَوْفٌ وَضِيقُ
وداعي الصباح بطول الصباح ال سَلاحُ آلِ سَلاحٍ فَمَا نَسْتَفِيقُ
فبِالله نَبْلُغُ مَا نَرْتَجِي وبِالله نَدْفَعُ مَا لَا نُطِيقُ

جنى قومٌ من أهل اليمامة جناية فأرسل إليه السلطان جُنْدًا من بُخَارِيَّةٍ ^(٥)
زياد، فقال رجل من أهل البادية يُذَمِّرُ قومه: يا معشر العرب، ويا بني
الْمُحْصَنَاتِ، قَاتِلُوا عَنْ أَحْسَابِكُمْ وَنَسَائِكُمْ، والله لئن ظهر هؤلاء عليكم لا
يَدْعُونَ بِهَا لَبَنَةً حَمراء ولا نخلة خضراء إلا وَضَعُوهَا بِالْأَرْضِ وَلَا عَتْرَاكُمْ مِنْ
نُشَابٍ مَعَهُمْ فِي جِعَابٍ كَأَنَّهَا أَيُورُ الْفَيْلَةِ يَنْزِعُونَ فِي قِسِيٍّ كَأَنَّهَا الْعَتَلُ ^(٦) فَتَنَيطُ

(١) الكرخ: محله أو سوق ببغداد تقع بين الصراة ونهر عيس. معجم البلدان، ولسان العرب، مادة (كرخ).

(٢) البواري: ج باري بتشديد الباء، وهو الحصار المنسوج.

(٣) لم أخط بترجمته له.

(٤) الوليد: المولود، والجمع ولدة وولدان.

(٥) بخارية زياد: سكة بالبصرة أسكنها عبيد الله بن زياد أهل بخارى الذين نقلهم من بخارى إلى

البصرة وبنى لهم هذه السكة فعرفت بهم ولم تعرف به. معجم البلدان.

(٦) الْعَتَلُ: الحديدية الشبيهة برأس الفاس أو القوس الفارسية، وهنا يشبه القيسي (ج قوس) بالعتل.

إِحْدَاهُنَّ أَطِيطَ الزُّرْنُوقُ^(١) يَمَغْطُ أَحَدَهُمْ فِيهَا حَتَّى يَتَفَرَّقَ شَعْرُ إِبْطَيْهِ ثُمَّ يَرْسِلُ نُسَابَةً كَأَنَّهَا رِشَاءٌ^(٢) مَنْقُطَعٌ فَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ أَنْ تَنْفُضِخَ عَيْنَهُ أَوْ يَنْصُدَعَ قَلْبُهُ مَنزَلَةً، فَخَلَعَ قُلُوبَ الْقَوْمِ فَطَارُوا رِعْبًا.

آداب الفروسية

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ قَالَ: حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ عَاصِمِ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِي عَثْمَانَ قَالَ: كَتَبَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اثْتَرَوْا وَارْتَدُّوا وَأَنْتَغَلَوْا وَأَلْقُوا الْخِفَافَ وَأَرْمُوا الْأَغْرَاضَ وَأَلْقُوا الرُّكْبَ وَأَنْزُوا نَزْوًا عَلَى الْخَيْلِ وَعَلَيْكُمْ بِالْمَعْدِيَّةِ، أَوْ قَالَ الْعَرَبِيَّةِ. وَدَعُوا التَّنْعَمَ وَزِيَّ الْعَجْمِ وَلَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْهُ إِلَّا هَكَذَا، وَرَفَعَ إِبْصَعِيهِ. وَقَالَ أَيْضًا: لَنْ تَخُورَ قَوَى مَا كَانَ صَاحِبُهَا يَنْزِعُ وَيَنْزُو. يَعْنِي يَنْزِعُ فِي الْقَوْسِ وَيَنْزُو عَلَى الْخَيْلِ مِنْ غَيْرِ اسْتِعَانَةٍ بِالرُّكْبِ. وَقَالَ الْعُمَرِيُّ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَأْخُذُ بِيَدِهِ الْيَمْنَى أَذَنَهُ الْيَمْنَى وَبِيَدِهِ الْيُسْرَى أَذَنَ فَرَسِهِ الْيُسْرَى ثُمَّ يَجْمَعُ جَرَامِيمَهُ^(٣) وَيَثْبُتُ فَكَأَنَّمَا خُلِقَ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِهِ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ صِفِّينَ: عَضُّوا عَلَى النَّوَاجِذِ^(٤) مِنَ الْأَضْرَاسِ فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسَّيْفِ مِنَ الْهَامِ. وَأَقَامُوا رَجُلًا بَيْنَ الْعُقَابَيْنِ فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: طُدْ رَجُلَكَ وَأَصِرْ إِنْ صَرَّ الْفَرَسُ وَأَذْكُرْ أَحَادِيثَ غَدٍ وَإِيَّاكَ وَذَكَرَ اللَّهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فَإِنَّهُ مِنَ الْفُشْلِ. وَقَالَ غَيْرُهُ: طُدْ رَجُلِيكَ إِذَا اعْتَصَيْتَ بِالسَّيْفِ وَالْعَصَا وَأَنْتَ مَخِيرٌ فِي رَفْعِهِ سَاعَةَ الْمَسَالِمَةِ وَالْمَوَادَعَةِ.

(١) أُلْطَتْ أَطِيطُ الزُّرْنُوقُ: صَوَّتَتْ كَصَوْتِ النَّهْرِ وَهُوَ يَجْرِي وَالزُّرْنُوقُ نَهْرٌ صَغِيرٌ.

(٢) رِشَاءٌ مَنْقُطَعٌ: حَبْلٌ مَنْقُطَعٌ.

(٣) الْجَرَامِيمُ: أَعْضَاءُ الْجَسَدِ؛ يُقَالُ: أَخَذَهُ بِجَرَامِيمِهِ؛ أَيِ أَجْمَعٍ.

(٤) عَضُّ عَلَى نَوَاجِذِهِ: بَلَغَ أَشَدَّهُ، وَالنَّوَاجِذُ أَقْصَى الْأَضْرَاسِ وَمُفْرَدُهَا نَاجِذٌ.

وقرأت في الآيين أن من إجادة الرمي^(١) بالنشاب في حال التعلم إمساك المتعلم القوس بيده اليسرى بقوة عضده الأيسر والنشابة بيده اليمنى وقوة عضده الأيمن وكفه إلى صدره وإلقاؤه ببصره إلى معلّم الرمي وإجادته نصب القوس بعد أن يطأطىء من سيّتها^(٢) بعض الطأطأة وضبطه إياها بثلاث أصابع وإحناؤه السبابة على الوتر، وإمساكه بثلاثة وعشرين كأنها ثلاثة وستون وضمه الثلاثة ضمّاً وتحويله ذقنه إلى منكبه الأيسر وإشرافه رأسه وإرخاؤه عنقه وميله مع القوس وإقامته ظهره وإدارته عضده ومغطّيه القوس مترافعاً ونزعه الوتر إلى أذنه ورفع بياض عينيه من غير تصريف لأسنانه وتحويل عينيه وأرتعاش من جسده وأستبانته موضع زججة^(٣) النشاب.

وقرأت في الآيين: من إجادة الضرب بالصّولجان أن يضرب الكرة قُدماً ضرب خلسة يُدير فيه يده إلى أذنه ويُميل صّولجانه إلى أسفل من صدره ويكون ضربه متشازراً مترقّقاً مترسّلاً ولا يُغفل الضرب ويرسل السّنان خاصة وهو الحامية لمجاز الكرة إلى غاية الغرض ثم الجرّ للكرة من موقعها، والتّوخي للضرب لها تحت محزّم الدابة ومن قبل لبتّها^(٤) في رفق، وشدة المزاولة والمُجاحشة على تلك الحال والتركُّ للاستعانة في ضرب الكرة بسوط والتأثير في الأرض بصولجان والكسر له جهلاً باستعماله أو عقر قوائم الدابة، والاحتراش من إيذاء من جرى معه في ميدانه، وحسن الكف للدابة في شدة جريه، والتّوقّي من الصّرعة والصّدمة على تلك الحال، والمجانبة للغضب والسّب، والاحتمال والمُلاهاة، والتّحفّظ من إلقاء كرة على ظهر بيت وإن كان

(١) سيّة القوس: ما أنعطف من طرفيها.

(٢) زججة النشاب: نصولها، والواحد زُجٌّ.. والنشاب: السهام والواحدة نُشابة.

(٣) اللّية: المنحور.

سَتْ كُرَيْنٌ^(١) بدرهم، وترك طرد النَّظَّارَةِ والجُلوسِ على حيطان الميدان فإنَّ عَرْضَ الميدان إنما جعل ستين ذراعاً لئلا يُحَالَ ولا يُصَارَّ من جلس على حائطه.

وقال أبو مسلم صاحب الدَّعوة لرجاله: أَشْعِرُوا قُلُوبَكُمْ الجِراءَةَ عليهم فإنها سبب الظَّفَر، وأذكروا الضغائن فإنها تبعث على الإقدام، وآلزموا الطاعة فإنها حصن المُحَارِب.

المسير في الغزو والسفر

حدَّثنا شَبَابَةُ عن القاسم بن الحَكَم عن إسماعيل بن عِيَّاش عن مَعْدَان ابن حُذَيْر الحَضْرَمِي عن عبد الرحمن بن جُبَيْر بن نَفِير عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الَّذِينَ يَغْزُونَ مِنْ أُمَّتِي وَيَأْخُذُونَ الْجُعْلَ^(٢) يَتَقَوَّونَ بِهِ عَلَى عَدُوهِمْ كَمَثَلِ أُمِّ مُوسَى تُرْضِعُ وَلَدَهَا وَتَأْخُذُ أَجْرَهَا». حدَّثني محمد بن عُبيد عن ابن عُيينَةَ عن عبد الرحمن بن حَرْمَلَةَ عن سعيد بن المسيَّب قال: لما نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ، الْمُعَرَّسَ أَمْرٌ مُنَادِيًا فَنَادَى: لَا تَطْرُقُوا النِّسَاءَ. فَتَعَجَّلَ رَجُلَانِ فَكَلَاهُمَا وَجَدَ مَعَ أَمْرَاتِهِ رَجُلًا. وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَقُولُ: السَّفَرُ مِيزَانُ الْقَوْمِ^(٣). وَتَأْمُرُ بِالْمُحَلَّاتِ وَهِيَ الدُّلُوفُ وَالْفَأْسُ وَالسُّفْرَةُ وَالْقَدْرُ وَالْقَدَّاحَةُ، وَإِنَّمَا قِيلَ لَهَا مُحَلَّاتٌ لِأَنَّ الْمَسَافِرَ بِهَا يَحِلُّ حَيْثُ شَاءَ وَلَا يَبَالِي أَلَّا يَكُونَ بِقَرْبِهِ أَحَدٌ.

حدَّثني عبد الرحمن بن الحسين عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبّه قال: قال لقمان لابنه: «يَا بُنَيَّ، إِذَا سَافَرْتَ فَلَا تَنْمَ عَلَى دَابَّتِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ

(١) كُرَيْنٌ: جُكْرَةٌ، وَهِيَ مَا أَدْرَتْ مِنْ شَيْءٍ وَكُلِّ جِسْمٍ مُسْتَدِيرٍ كَالطَّابَةِ.

(٢) الْجُعْلُ: جُجَعَالَةٌ، وَهِيَ الرُّشُوءَةُ.

(٣) السَّفَرُ مِيزَانُ الْقَوْمِ: أَيُّ أَنَّ السَّفَرَ يُسْفَرُ عَنْ أَخْلَاقِ الْمَسَافِرِينَ.

النوم سريع في دبرها، فإذا نزلت أرضاً مُكَلِّثَةً فَأَعْطَهَا حَظَّهَا مِنَ الْكَلَالِ وَأَبْدَأَ بِعَلْفِهَا وَسَقِيَهَا قَبْلَ نَفْسِكَ وَإِذَا بَعَدْتَ عَلَيْكَ الْمَنَازِلَ فَعَلَيْكَ بِالذَّلْجِ^(١) فَإِنَّ الْأَرْضَ تُطَوَّى بِاللَّيْلِ. وإذا أردت النزول فلا تنزل على قارعة الطريق فإنها مأوى الحيات والسباع ولكن عليك من بقاع الأرض بأحسنها لوناً وألينها تربة وأكثرها كلاً فأنزلها، وإذا نزلت فَصَلْ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ تَجْلِسَ وَقُلْ: ﴿رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾^(٢). وإذا أردت قضاء حاجة فأبعد المذهب في الأرض وعليك بالسُّترة. وإذا أرتحلت من منزل فَصَلْ رَكْعَتَيْنِ وَوَدِّعْ الْأَرْضَ الَّتِي أَرْتَحَلْتَ عَنْهَا وَسَلِّمْ عَلَيْهَا وَعَلَى أَهْلِهَا فَإِنَّ لِكُلِّ بَقْعَةٍ مِنَ الْأَرْضِ أَهْلاً مِنَ الْمَلَائِكَةِ. وإذا مررت ببقعة من الأرض أو وادٍ أو جبل فأكثر من ذكر الله فإن الجبال والبقاع ينادي بعضها بعضاً: هل مرَّ بكنَّ اليوم ذاكر لله؟ وإن استطعت ألا تطعم طعاماً حتى تتصدق منه فافعل. وعليك بذكر الله، جلَّ وعزَّ، ما دمت ركباً وبالتسبيح ما دمت صائماً وبالدعاء ما دمت خالياً. وإياك والسير في أول الليل وعليك بالتعريس والدُّلْجَة من نصف الليل إلى آخره. وإياك ورفع الصوت في سيرك إلا بذكر الله، وسافر بسيفك وقوسك وجميع سلاحك وخُفَّكَ وعمامتك وإبرتك وخيوطك وتزوَّد معك الأدوية تنتفع بها وتنتفع من صحبك من المرضى والزَّمنى^(٣). وكن لأصحابك موافقاً في كل شيء يُقَرِّبُكَ إِلَى اللَّهِ وَيُبَاعِدُكَ مِنْ مَعْصِيَتِهِ. وأكثر التَّبَسُّمَ فِي وَجْهِهِمْ وَكُنْ كَرِيماً عَلَى زَادِكَ بَيْنَهُمْ وَإِذَا دَعَوْكَ فَأَجِبْهُمْ، وَإِذَا اسْتَعَانُوكَ فَأَعِنْهُمْ وَإِذَا اسْتَشْهَدُوكَ عَلَى الْحَقِّ فَأَشْهَدْ لَهُمْ وَأَجْهَدْ رَأْيَكَ. وإذا رأيتهم يمشون فامش معهم أو يعملون فاعمل

(١) الذَّلْجُ: السير من أول الليل.

(٢) سورة المؤمنون ٢٣، آية ٢٩. (مُنْزَلاً) مصدر واسم مكان و(مباركاً) ذلك الإنزال أو المكان.

وأنت خير ما ذكر. تفسير الجلالين.

(٣) الزَّمنى: ج زُمَيْن، وهو ذو الزَّمانة، أي العاهة.

معهم . وإن تصدّقوا أو أعطوا فأعط . وأسمع لمن هو أكبر منك . وإن تحيرتُم في طريق فأنزلوا ، وإن شككتُم في القصد فتثبتوا وتآمروا ، وإن رأيتم خيلاً واحداً فلا تسألوه عن طريقكم فإن الشخص الواحد في الفلاة هو الذي حيركم واحذروا الشخصين أيضاً إلا أن تروا ما لا أرى فإن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب وإن العاقل إذا أبصر شيئاً بعينه عرف الحق بقلبه .

عَلَّمَ أعرابي بَيْنَهُ إتيانَ الغائط في السفر فقال لهم : اتَّبِعُوا الْخَلَاءَ وَجَانِبُوا الْكَلَاءَ وَأَعْلُوا الضَّرَاءَ^(١) وَأَفْجِجُوا إِفْحَاجَ النِّعَمَةِ وَأَمْسَحُوا بِأَسْمَلِكُمْ .

وقال عمرو بن العاص للحسن بن علي بن أبي طالب رحمهما الله : يا أبا محمد ، هل تَنْتَعِ الْخَرَاءَ^(٢) ؟ فقال : نعم ، تُبْعِدُ الْمَشْيَ فِي الْأَرْضِ الضُّحْضَ حَتَّى تَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ ، وَلَا تَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ وَلَا تَسْتَدِيرُهَا وَلَا تَسْتَنْجِ بِالرُّوْثَةِ وَلَا الْعِظْمَ وَلَا تَبْلُ فِي الْمَاءِ الرَّاكَدِ .

أراد الحسن البصريّ الحجّ ، فقال له ثابت : بلغني أنك تريد الحجّ فأحببت أن نصطحب . فقال : ويحك ! دَعْنَا نَتَعَايَشَ بِسُتْرِ اللَّهِ ، إني أخاف أن نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه . وفي الحديث المرفوع عن بَقِيَّةٍ عَنِ الْوُضِيِّ بْنِ عَطَاءٍ عَنْ مُحَفُوظِ بْنِ عَلْقَمَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ : «أَمَّا إِنَّكَ إِنْ تَرَفَّقَ غَيْرَ قَوْمِكَ يَكُنْ أَحْسَنَ لَخَلْقِكَ وَأَحَقُّ أَنْ يُقْتَفَى بِكَ» .

أتى رجل هشاماً أخا ذي الرُّمَّة الشاعر فقال له : إني أريد السفر

(١) الضَّرَاءُ : ما وارك من شجر وغيره .

(٢) الْخَرَاءُ : اسم من خَرَى يَخْرَأُ أي تَغَوَّطَ وسَلَحَ .

فأوصني. قال: صَلِّ الصلاة لوقتها فإنك مصلّيها لا محالة فَصَلَّها وهي تنفعك، وإياك وأن تكون كَلَبٌ رُفَّتَكَ فإن لكل رُفَّة كَلَباً ينبح دونهم، فإن كان خيراً شَرَّكوه فيه وإن كان عاراً تقلَّده دونهم.

حدَّثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن عثمان بن عطاء عن أبيه قال: إذا ضَلَّتْ لأحدكم ضالَّةٌ فليقل: اللهم ربَّ الضالَّة تَهْدِي الضالَّة وتردَّ الضالَّة اِرْدُدْ عَلَيَّ ضالتي، اللهم لا تبُلْنَا بهلاكها ولا تتعبنا بطلبها، ما شاء الله لا حول ولا قوَّة إلا بالله. يا عباد الله الصالحين، ردُّوا علينا ضالَّتْنا. وإذا أردت أن تحمل الحمل الثقيل فقل: يا عباد الله أعينونا. وقال أبو عمرو: إذا ضَلَّتْ لأحدكم ضالَّة فليتوضأ فيحسن الوضوء ثم يصلِّي ركعتين ثم يتشهد ويقول: بسم الله، اللهم يا هادي الضال وراِدَّ الضالَّ، اِرْدُدْ عَلَيَّ ضالتي بعزَّتِكَ وسلطانك فإنها من فضلك وعطائك.

حدَّثني محمد بن عبيد عن حمزة بن وُعلة عن رجل من مُرَّاد يقال له أبو جعفر عن محمد بن علي عن علي رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يا علي، أمانٌ لأمتي من الغرق إذا ركبوا الفلك أن يقولوا بسم الله الملك الرحمن. ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(١) ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجَرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢)».

- (١) سورة الزمر ٣٩، آية ٦٧. ومعنى الآية: ما أطاعوه وشكروه كما يجب، ولا نَزَّحوه عما لا يليق، فبعضهم صَوَّره في شكل إنسان، وآخرون في هيئة كوكب... إلى أمثال هذه الخرافات. (والأرض جميعاً قبضته...) المراد من ذلك مجرد الذات القدسية وصفاتها، وأنها فوق التصور والأوهام وإنها لا تعرف إلا بالآثار البارزة للعيان. التفسير المبين.
- (٢) سورة هود ١١، آية ٤١، مجراها: من الجري والسير، ومرساها من الإرساء والثبوت، والمعنى جريها ورسوها يكون باسم الله. التفسير المبين.

حدَّثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن محمد بن عجلان عن عمرو بن شعيب قال: أراد عمر أن يُغزي البحرَ جيشاً، فكتب إليه عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين، البحرُ خلقٌ عظيم يركبه خلقٌ ضعيف دُودٌ على عُود بين غرقٍ وبرقٍ^(١) قال عمر: لا يسألني الله عن أحد حمَلته فيه. وحدثني أيضاً عن معاوية عن أبي إسحاق عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد قال: كان ابن عمر يقول في السَّفر إذا أُسحر: سَمِعَ سامعٌ بحمد الله ونعمته وحسن بلائه علينا. ويقول: اللهم، صاحبنا فأفضل علينا ثلاثاً، اللهم عائذُ بك من النار ثلاثاً لا حول ولا قوة إلا بالله.

وعن الأوزاعي عن حسان بن عطية أن رسول الله ﷺ قال في سفره حين هاجر: «الحمد لله الذي خلّقي ولم أك شيئاً مذكوراً، اللهم أعني على أهويل الدنيا وبوائق الدهر ومصيبات الليالي والأيام وأكفني شرّ ما يعمل الظالمون في الأرض، اللهم، في سفري فأصحبني، وفي أهلي فأخلفني، وفيما رزقتني فبارك ليديك في نفسي فذلّني، وفي أعين الصالحين فعظّمني، وفي خلّقي فقوّمني، وإليك ربّ فحبّبني، إلى من تكلني ربّ المستضعفين وأنت ربي».

وحدثني أيضاً عن معاوية عن أبي إسحاق عن عاصم عن عبد الله بن سرجس قال: كان النبي ﷺ إذا سافر يقول: اللهم، إني أعوذ بك من وعشاء السفر وكآبة المُنقلب والحور بعد الكور ودعوة المظلوم وشوء المنظر في الأهل». وزاد غيره: «اللهم أطول لنا الأرض وهون علينا السفر».

وقال مطرف بن عبد الله لابنه: الحسنه بين السيئين وخير الأمور

(١) البرق: الفزع والخيرة.

أوساطها وشرُّ السير الحَقَّحَةُ. وفي الحديث «لا تُحَقِّقْ فتنقطع ولا تَبَاطُا فُتَسْبِقْ ولكنْ أَقْصِدْ تَبْلُغْ» والحَقَّحَةُ أَشَدُّ السير. وفي حديث آخر «إِنَّ الْمُتَبَتِّ لا أَرْضاً قَطَعَ ولا ظَهراً أَبْقَى» وقال المَرَّار^(١):
[وافر]

تُقَطِّعُ بالنزول الأرضَ عَنَّا وَبُعْدُ الأرضِ يَقْطَعُهُ النزولُ

الأصمعي قال: قيل لرجل أسرع في سيره: كيف كان مسيرك؟ قال: كنت أكل الوجبة وأعرّس إذا أسحرتُ وأرتحلُ إذا أسفرتُ وأسيرُ الوُضْعَ وأجتنبُ المَلْعَ^(٢) فجتكم لِمُسيءِ سَبْع. قال أبو اليقظان: من السير المذكور مسير ذُكْوَانِ مولى آل عمر بن الخطاب، سار من مكة إلى المدينة في يوم وليلة، فقدم على أبي هريرة وهو خليفة مروان على المدينة فصلَّى العَتَمَةَ، فقال له أبو هريرة: حاجٌ غير مقبول منه. قال له: ولم؟ قال: لأنك نفرتَ قبل الزوال. فأخرج كتاب مروان بعد الزوال وقال:
[طويل]

أَلَمْ تَرَنِي كَلَّفْتُهِمْ سَيْرَ لَيْلَةٍ مِنْ آلِ مِنَى نَصّاً إِلَى آلِ يَثْرِبٍ
فَأَقْسَمْتُ لَا تَنْفَكُ، مَا عَشْتُ، سَيَّرْتَنِي حَدِيثاً لِمَنْ وَافَى بِجَمْعِ الْمُحْصَبِ^(٣)

ومن السير المذكور مسير حُذيفة بن بدر، وكان أغار على هجائن النعمان بن المنذر بن ماء السماء وسار في ليلة مسيرة ثمانٍ، فقال قيس^(٤) بن

(١) هو المَرَّار بن سعيد الفُقْعَسِي، نسبة إلى «فُقْعَس» من بني أسد بن خزيمه. من شعراء الدولة الأموية وكثير الشعر. الأعلام ج ٧ ص ١٩٩ - ٢٠٠. ولقد أورد ابن قتيبة في هذا الجزء ص ٢٦٩ الإسم نفسه ولكنه معرّفاً إياه بالمرار بن منقذ العَدَوِيِّ.

(٢) المَلْع: مصدر مَلَعَ، يقال: مَلَعَ الشاة: سلخها من قبل عنقها.

(٣) الْمُحْصَبُ: موضع رمي الجمار في منى؛ والجمار هي الأحجار الصغيرة. وَجَمَرَاتُ الْمَنَاسِكِ ثلاث: الجمرة الأولى والوسطى وجمرة العَقَبَةِ.

(٤) قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي شاعرُ الأوس وأحد صناديدها. أدرك الإسلام ولكنه قتل قبل أن يدخل فيه نحو ٢ هـ. الأعلام ج ٥ ص ٢٠٥.

الخطيم:

[وافر]

هَمَمْنَا بِالْإِقَامَةِ ثُمَّ سِرْنَا كَسِيرِ حَذِيفَةَ الْخَيْرِ ابْنِ بَدْرِ
 قَالَ الشَّرْقِيُّ بْنُ الْقَطَامِيِّ: خَرَجْتُ مِنَ الْمَوْصِلِ أُرِيدُ الرَّقَّةَ فَصَحْبَنِي فَتًى
 مِنْ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ وَذَكَرَ أَنَّهُ مِنْ وَلَدِ عَمْرِو بْنِ كَلْثُومٍ وَمَعَهُ مِزْوَدٌ وَرَكْوَةٌ وَعَصَا،
 وَرَأَيْتُهُ لَا يَفَارِقُهَا مُشَاةً كُنَّا أَوْ رُكْبَانًا وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ جِمَاعَ أَمْرِ مُوسَى
 وَأَعَاجِيْبِهِ وَبِرَاهِينِهِ وَمَآرِبِهِ فِي عَصَاهُ، وَيُكْثِرُ مِنْ هَذَا وَأَنَا أَضْحَكُ مَتَهَاوِنًا بِمَا
 يَقُولُ، فَتَخَلَّفَ الْمُكَارِيُّ فَكَانَ حِمَارُ الْفَتَى إِذَا وَقَفَ أَكْرَهَهُ بِالْعَصَا وَيَقِفُ
 حِمَارِي وَلَا شَيْءَ فِي يَدِي فَيَسْبِقُنِي إِلَى الْمَنْزِلِ فَيَسْتَرِيحُ وَيُزِيحُ وَلَا أَقْدِرُ عَلَى
 الْبَرَّاحِ حَتَّى يُوَافِينِي الْمَكَارِي، فَقُلْتُ: هَذِهِ وَاحِدَةٌ. ثُمَّ خَرَجْنَا مِنْ غَدِ مُشَاةً
 فَكَانَ إِذَا أَعْيَا تَوَكَّأَ عَلَى الْعَصَا وَرَبَّمَا أَحْضَرَ وَوَضَعَ طَرَفًا عَلَى الْأَرْضِ فَأَعْتَمَدَ
 عَلَيْهَا وَمَرَّ كَأَنَّهُ سَهْمٌ زَالِجٌ حَتَّى آتَيْنَاهَا وَقَدْ تَفَسَّخَتْ مِنَ الْكَلَالِ وَإِذَا فِيهِ فَضْلٌ
 كَثِيرٌ، فَقُلْتُ: وَهَذِهِ أُخْرَى. فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ هَجَمْنَا عَلَى حَيَّةٍ مَنَكْرَةٍ
 فَسَارَتْ إِلَيْنَا فَأَسْلَمَتْهُ إِلَيْهَا وَهَرَبَتْ عَنْهَا فَضْرَبَهَا بِالْعَصَا حَتَّى قَتَلَهَا، فَقُلْتُ:
 هَذِهِ ثَالِثَةٌ، وَهِيَ أَعْظَمُهُنَّ. وَخَرَجْنَا فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ وَبَنَّا قَرَمًا^(١) إِلَى اللَّحْمِ
 فَأَعْتَرَضْنَا أَرْنَبَ فَحَذَفَهَا بِالْعَصَا وَأَدْرَكْنَا ذَكَاتَهَا فَقُلْتُ: هَذِهِ رَابِعَةٌ. فَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ
 فَقُلْتُ: لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا نَارًا مَا أَخْرُتُ أَكْلَهَا إِلَى الْمَنْزِلِ. فَأَخْرَجَ عُوَيْدًا مِنْ مِزْوَدِهِ
 ثُمَّ حَكَّهُ بِالْعَصَا فَأَوْرَتْ إِيْرَاءَ الْمَرْخِ وَالْعَقَّارِ^(٢)، ثُمَّ جَمَعَ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ مِنَ
 الْغَنَاءِ^(٣) وَالْحَشِيشِ وَأَوْقَدَ نَارًا وَأَلْقَى الْأَرْنَبَ فِي جَوْفِهَا فَأَخْرَجْنَاهَا وَقَدْ لَزِقَ بِهَا
 مِنَ الرَّمَادِ وَالتَّرَابِ مَا بَعْضُهَا إِلَيَّ فَعَلَّقْتُهَا بِيَدِهِ الْيَسْرَى ثُمَّ ضَرَبَ جُنُوبَهَا بِالْعَصَا

(١) الْقَرَمُ: الشَّهْوَةُ؛ يُقَالُ: قَرِمَ الرَّجُلُ إِلَى اللَّحْمِ: إِشْتَدَّتْ شَهْوَتُهُ لَهُ.

(٢) أَوْرَتْ: أَنَارَتْ. وَالْمَرْخُ: شَجَرٌ سَرِيعُ الْوَرْدِ يُقْتَدَحُ بِهِ، الْوَاحِدَةُ مَرْخَةٌ. وَالْعَقَّارُ: شَجَرٌ يُتَّخَذُ
 مِنْهُ الزَّنَادُ (جُ زَنْدٌ وَهُوَ الْعُودُ الَّذِي تُقَدَحُ بِهِ النَّارُ).

(٣) الْغَنَاءُ: الْبَالِيُّ مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ الْمُخَالَطِ زَيْدِ السَّيْلِ.

وأعراضها ضرباً رقيقاً حتى أنتثر كل شيء عليها فأكلناها وسكن القوم وطابت النفس، فقلت: هذه خامسة. ثم نزلنا بعض الخانات وإذا البيوت مائة روثاً^(١) وتراباً فلم نجد موضعاً نظل فيه فنظر إلى حديدة مطروحة في الدار فأخذها فجعل العصا نصاباً لها ثم قام فجرف جميع ذلك الروث والتراب وجرد الأرض حتى أظهر بياضها وطابت ريحها فقلت: وهذه سادسة. ثم نزع العصا من الحديدة فأوتدها فيا لحائط وعلق عليها ثيابه وثيابي فقلت: هذه سابعة. فلما صرنا إلى مفرق الطريقين وأردت مفارقتها قال لي: لو عدلت معي فبت عندي! فعدلت معه فأدخلني منزلاً يتصل ببيعة^(٢) فما زال يحدثني ويطربني الليل كله فلما كان السحر أخذ العصا بعينها وأخذ خشبة أخرى فقرع بها العصا فإذا ناقوس ليس في الدنيا مثله وإذا هو أحذق الناس به فقلت له: ويحك! أما أنت بمسلم؟ قال: بلى. قلت: فلم تضرب بالناقوس؟ قال: لأن أبي نصراني وهو شيخ كبير ضعيف فإذا شهدت برئته بالكفاية. وإذا شيطان مارد وأظرف الناس وأكثرهم أدباً فخبرته بالذي أحصيت من خصال العصا فقال: والله لو حدثتك عن مناقب العصا ليلة إلى الصباح ما استنفذتها.

وروى يزيد عن هشام عن الحسن عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كنتم في الخصب فامكنوا الركاب أسنتها ولا تغدوا المنازل وإذا كنتم في الجذب فاستنجوا^(٣) وعليكم بالدُّلجة فإن الأرض تطوى بالليل وإذا تغولت لكم الغيلان فنادوا بالأذان ولا تصلوا على جواد الطرق^(٤) ولا تنزلوا عليها فإنها

(١) الروث: سرجين الفرس وكل ذي الحافر، والجمع أرواث.

(٢) البيعة: كنيسة أو متعبد النصارى أو اليهود.

(٣) فاستنجوا: أسرعوا.

(٤) جواد الطرق: معظمها، وواحدتها جادة.

مأوى السباع والحيات ولا تقضوا عليها الحوائج فإنها الملائع».

وأراد أعرابي سَفَرًا فقال لأمرأته:

عُدِّي السنين لغيتي وتصبري وذري الشهور فإنهن قصارُ
فأجابته:

أذكرُ صبابتنا إليك وشوقنا وأرحمُ بناتِكَ إنهنَّ صغارُ

فأقام وترك السفر. وقال إسحاق^(١) بن إبراهيم الموصلي: [وافر]

طربتُ إلى الأضيبيَّة الصغارِ وهاجَكَ منهم قُربُ المزارِ
وكلُّ مسافرٍ يزدادُ شوقاً إذا دنتِ الديارُ من الديارِ

وفي الحديث المرفوع قال ابن مسعود: كنّا يومَ بدر ثلاثةً على بعير
فكان عليّ وأبو لُبابة^(٢) رَمِيلَي رسول الله ﷺ، فكان إذا دارت عُقْبَتُهُما قالا: يا
رسول الله؛ اركب ونمشي عنك. فيقول: «ما أنتما بأقوى مِنِّي وما أنا بأغنى
عن الأجر منكما».

خطب قتيبة بن مسلم على منبر خراسان فقال في خطبته: إذا غزوتهم
فأطيلوا الأظفار وقصّروا الأشعار.

وقالت عائشة رضي الله عنها: «لا سهر إلا لثلاثة: مُصلٌّ أو عروس أو
مسافر».

وقال بعض الشعراء:

سُرِرْتُ بجعفرٍ والقربِ منه كما سُرَّ المسافرُ بالإيابِ
وكنت بقربه إذ حلَّ أرضي أميراً بالسكينة والصوابِ

(١) إسحاق بن إبراهيم الموصلي عالم باللغة والموسيقى والتاريخ وعلوم الدين وعلم الكلام. تفرّد
بصناعة الغناء. فارسي الأصل. توفي سنة ٢٣٥ هـ. الأعلام ج ١ ص ٢٩٢.

(٢) أبو لُبابة هو رفاعة بن عبد المنذر، وهو صحابي معروف.

كَمْمَطُورٍ ببلدته فأضحى غنيّاً عن مطالبة السحاب
وقال آخر في معناه: [بسيط]
وكنْتَ فيهِمْ كَمْمَطُورٍ ببلدته فُسْرَأَن جَمَعَ الأوطانَ والمطرًا
وقال آخر: [طويل]
إذا نحن أبنا سالمين بأنفسِ كرامٍ رَجَتْ أَمراً فخابَ رجاؤها
فأنفسنا خيرُ الغنِمةِ أنها تؤوب وفيها ماءها وحيائها
وقال آخر: [وافر]
رَجَعْنَا سالمينَ كما بدُّنا وما خابت غنِمةُ سالمينا
وما تَذرينَ أيُّ الأمرِ خيرَ أما تَهوينَ أم ما تَكْرهينا
وقال بعض المحدثين: [خفيف]
قَبَّحَ اللهُ آلَ بَرْمَكٍ إني صِرْتُ من أَجلِهِمُ أخا أسفارِ
إن يَكُنْ ذو القرنينَ قد مَسَحَ الأرَضَ فإني موَكَّلٌ بالعِيارِ

التفويض^(١)

حدَّثني أبي، أحسبه عن الهيثم بن عديّ قال: لما كتب أبو بكر رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد يأمره بالمسير إلى الشام والياً مكان أبي عبيدة بن الجراح، أخذ على السماوة^(٢) حتى انتهى إلى قراقر^(٣)، وبين قراقر

(١) التفويض: من فَوَّزَ الرجلُ ببلبه إذا ركب بها المفازة.

(٢) السَّماوة: مذكورة في حد جزيرة العرب، قيل هي أرض لبني كلب لها طول ولا عرض لها، تأخذ من ظهر الكوفة إلى جهة مصر. سميت بذلك لعلوها وارتفاعها. تهذيب الأسماء واللغات لابن شرف النووي (ج ١ ق ٢ دار الكتب العلمية بيروت ص ١٦٠) وذكر معجم البلدان أنها سميت بذلك لأنها أرض مستوية لا حجر فيها. وأضاف قائلاً: وبادية السماوة تقع بين الكوفة والشام. كما ذكر في العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٩ - ٣٠ وج ٦ ص ٩١) السماوة وواديها.

(٣) قُراقر: إسم وادٍ أصله من اللُّهُنَاء، وقيل: هوماء لُكَلْب. ويوم قراقر هو يوم ذي قار الأكبر قرب الكوفة. وقراقر أيضاً: وادٍ لُكَلْب السَّماوة من ناحية العراق نزله خالد بن الوليد عند قصده =

وَسُوَى^(١) خمس ليال في مفازة، فلم يعرف الطريق، فذُلَّ على رافع بن عَمِيرَةَ الطائي وكان دليلاً خَيْرِيّاً^(٢) فقال لخالد: خَلَّفَ الأثقالَ وأسلَكَ هذه المفازة إن كنت فاعلاً؛ فكره خالد أن يَخْلَفَ أحداً وقال: لا بد من أن نكون جميعاً. فقال له رافع: والله إن الراكب المنفرد لِيَخَافُهَا على نفسه وما يسلكها إلا مغرراً مخاطراً بنفسه، فكيف أنت بمن معك؟ فقال: لا بد من ذلك. فقال الطائي لخالد: إِبْغِنِي عشرين جَزُوراً مَسَانً^(٣) عِظَاماً ففعل فظمأهن ثم سقاهن حتى روين ثم قطع مَشَافِرهنَّ وَكَعَمَهُنَّ^(٤) لثلا تَجْتَرُّ، ثم قال لخالد: سِرْ بالخيل والأثقال فكلما نزلت منزلاً نحرت من تلك الجُزُر أربعاً ثم أخذت ما في بطونها من الماء فسقيته الخيل وشرب الناس مما تزودوا، ففعل. فلما صار إلى آخر المفازة أنقطع ذلك وَجَهِدَ النَّاسُ وَعَطِشَتْ دَوَابُّهم، فقال له خالد: ويحك، ما عندك؟ قال: أدركت الرِّيَّ إن شاء الله، أنظروا هل تجدوا شجرة عَوْسَجَ على ظهر الطريق؟ فنظروا فوجدوها فقال: إْحْفِرُوا في أصلها، فحفروا فوجدوا عينا فشربوا منها وتزودوا، فقال رافع: والله ما وردتُ هذا الماء قط إلا مرة واحدة مع أبي وأنا غلام. فقال راجز المسلمين في ذلك: [رجز]

لله دُرٌّ رافعٍ أنَّى آهتدى فَوَزَّ من قَرَاقرٍ إلى سُوى^(٥)
أرضاً إذا سار بها الجيشُ بَكَى ما سارَهَا قبلك من إنسٍ أوَى

= التام. وقد أكثر الشعراء من ذكر قراقر. معجم البلدان.

(١) سُوى: إسم ماء لبهاء من ناحية السَّماوة، وعليه مرَّ خالد بن الوليد لما قصد من العراق إلى الشام ومعه دليله رافع الطائي. وقيل: سوى وإد أصله الدَّهْناء. معجم البلدان.

(٢) دليل خَيْرِيٌّ: دليل حاذق يهتدي أخرات المفاوز وهي مضايقتها وطرقها الخفية، والجمع خرازيت.

(٣) الجُزُور: البعير، وَمَسَانٌ: كيار.

(٤) كعم البعير: شدَّ فاه لثلا يأكل أو يعض.

(٥) وردت ترجمته سابقاً.

قال ولما مرَّ خالد بموضع يقال له البشر طلع على قوم يشربون وبين أيديهم جَفَنَةٌ^(١) وأحدهم يَتَغَنَّى :

[طويل]

أَلَا عَلَّلَانِي قَبْلَ جَيْشِ أَبِي بَكْرٍ لَعَلَّ مَنَايَانَا قَرِيبٌ وَمَا نَدْرِي
أَلَا عَلَّلَانِي بِالزُّجَاجِ وَكَرَّرَا عَلَيَّ كُمَيْتَ اللَّوْنِ صَافِيَةً تَجْرِي
أَظُنُّ خِيُولَ الْمُسْلِمِينَ وَخَالِدًا سَيَظُرُّكُمْ قَبْلَ الصَّبَاحِ مِنَ الْبُشْرِ
فَهَلْ لَكُمْ فِي السَّيْرِ قَبْلَ قِتَالِهِمْ وَقَبْلَ خُرُوجِ الْمُعْصِرَاتِ مِنَ الْخِذْرِ

فما هو إلا أن فرغ من قوله شدَّ عليه رجلٌ من المسلمين بالسيف فضرب عنقه فإذا رأسه في الجفنة، ثم أقبل على أهل البشر فقتل منهم وأصاب من أموالهم.

ابن الكلبي قال: أقبل قوم من أهل اليمن يريدون النبي، ﷺ، فأضلُّوا الطريق ووقعوا على غير ماء فمكثوا ثلاثاً لا يقدرون على الماء فجعل الرجل منهم يَسْتَذِرِي بغيء السَّمُرِ^(٢) والَطَّلَحِ يأساً من الحياة، فبيناهم كذلك أقبل راكب على بعير فأنشد بعضُ القوم بيتين من شعر امرئ القيس:

[طويل]

لَمَّا رَأَتْ أَنَّ الشَّرِيعَةَ هُمُّهَا وَأَنَّ الْبَيَاضَ مِنْ فَرَائِصِهَا دَامِي
تَيَمَّمَتِ الْعَيْنُ الَّتِي عِنْدَ ضَارِحٍ يَفِيءُ عَلَيْهَا الظَّلُّ عَرْمَضُهَا^(٣) طَامِي
فقال الراكب: من يقول هذا؟ قالوا: امرؤ القيس. قال: والله ما كذب، هذا ضارح عندكم، وأشار إليه، فجثوا على الرُّكْبِ فإذا ماءٌ غَدَقَ وإذا عليه

(١) الجفنة: القصعة تشبع العشرة.

(٢) يستذري بغيء السَّمُرِ والَطَّلَحِ: يستظل. والسَّمُرُ: شجر من العِضَاهِ (كل شجر يعظم وله شوك) والَطَّلَحِ: شجر عظام من شجر العِضَاهِ ترعاها الإبل.

(٣) العَرْمَضُ: من شجر العِضَاهِ.

العَرْمَضُ وَالظِّلَّ يَفِيءُ عَلَيْهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ رِيْهَمَ وَسَقَوْا وَحَمَلُوا حَتَّى بَلَغُوا الْمَاءَ، فَأَتَا النَّبِيَّ ﷺ، فَأَخْبَرُوهُ وَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَحْيَانًا بَيْتَانِ مِنْ شَعْرِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ قَالَ: «ذَاكَ رَجُلٌ مَذْكُورٌ فِي الدُّنْيَا شَرِيفٌ فِيهَا مَنْسِيٌّ فِي الْآخِرَةِ خَامِلٌ فِيهَا، يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَهُ لَوَاءُ الشُّعْرَاءِ يَقُودُهُمْ إِلَى النَّارِ».

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُرَيْبٍ عَنْ عَمِّهِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي سَلِيمٍ أَنَّ رُفْقَةَ مَاتَتْ مِنَ الْعَطَشِ بِالشَّجِيِّ، فَقَالَ الْحَجَّاجُ: إِنِّي أَظُنُّهُمْ قَدِ دَعَا اللَّهَ حِينَ بَلَغَهُمُ الْجَهْدُ فَأَحْفَرُوا فِي مَكَانِهِمُ الَّذِي مَاتُوا فِيهِ لَعَلَّ اللَّهَ يَسْقِي النَّاسَ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ جَلَسَائِهِ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، قَدْ قَالَ الشَّاعِرُ: [طويل]

تَرَاءَتْ لَهُ بَيْنَ اللَّوَى وَعُنَيْزَةٍ وَبَيْنَ الشَّجِيِّ مِمَّا أَحَالَ عَلَى الْوَادِي^(١)
وَاللَّهُ مَا تَرَاءَتْ لَهُ إِلَّا وَهِيَ عَلَى مَاءٍ. فَأَمَرَ الْحَجَّاجُ عبيدة السلمي أن يحفر بالشجى بئراً فحفر فَأَنْبَطَ^(٢)، ويقال: إنه لم يمت قومٌ قطُّ عطشاً إلا وهم على ماء.

(١) اللَّوَى: موضع أكثر الشُّعْرَاءِ مِنْ ذِكْرِهِ وَخَلُطَتْ بَيْنَ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ وَبَيْنَ الرَّمْلِ (كون اللوى ما التوى من الرمل أو منقطع الرَّمْلَةِ) فَعَزَّ الْفَصْلُ بَيْنَهُمَا. وَاللَّوَى: وادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ بَنِي سَلِيمٍ. وَيَوْمَ اللَّوَى: وَقَعَتْ كَانَتْ فِيهِ لِبْنِي ثَعْلَبَةَ عَلَى بَنِي يَرْبُوعٍ. مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ. وَلَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي الْعَقْدِ (ج ٥ ص ١٦٨ - ١٧٣) يَوْمَ اللَّوَى بِالتَّفْصِيلِ وَقَالَ: هُوَ يَوْمٌ لَغُطْفَانٌ عَلَى هَوَازِنَ. وَقَالَ يَاقُوتُ: عُنَيْزَةُ مَوْضِعٌ بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَمَكَّةَ، وَقِيلَ: تَنْهِيَةٌ لِلْأَوْدِيَةِ يَنْتَهِي مَآوِهَا إِلَيْهَا، وَهِيَ لِبْنِي عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ. وَقَالَ ابْنُ الْفَقِيهِ: عُنَيْزَةُ مِنْ أَوْدِيَةِ الْيَمَامَةِ قَرِبَ سَوَاجٍ (مَوْضِعٌ عَلَى طَرِيقِ الْحَاجِّ مِنَ الْبَصْرَةِ بَيْنَ فَلَجَةِ وَالرُّجُجِ) وَقِيلَ: عُنَيْزَةُ: وادٍ بِالْيَمَامَةِ. مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ. وَالشَّجِيُّ: عَلَى ثَلَاثِ مَوَاحِلَ مِنَ الْبَصْرَةِ. قَالَ يَاقُوتُ: مَاتَ قَوْمٌ بِالْعَطَشِ بِالشَّجِيِّ فِي أَيَّامِ الْحَجَّاجِ، وَهُوَ مَنْزِلٌ مِنْ مَنَازِلِ طَرِيقِ مَكَّةَ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَصْرَةِ، فَاتَّصَلَ خَبَرُهُمْ بِالْحَجَّاجِ فَقَالَ: إِنِّي أَظُنُّ أَنَّهُمْ دَعَا اللَّهَ حِينَ بَلَغَ بِهِمُ الْجَهْدُ فَأَحْفَرُوا فِي مَكَانِهِمُ الَّذِي كَانُوا فِيهِ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَسْقِيَ النَّاسَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ جَلَسَائِهِ: وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ: «تَرَاءَتْ لَهُ... عَلَى الْوَادِي» أَيُّ مَا تَرَاءَتْ لَهُ إِلَّا عَلَى مَاءٍ، فَأَمَرَ الْحَجَّاجُ عبيدة السلمي أن يحفر بالشجى بئراً فحفر بالشجى بئراً فَأَنْبَطَ مَاءٌ لَا يَنْزَحُ. مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ.

(٢) أَنْبَطَ: اسْتَخْرَجَ الْمَاءَ مِنَ الْبَثْرِ.

قالت العرب: «أَنْ تَرَدَّ الْمَاءُ بِمَاءِ أَكَيْسٍ»^(١). ويقال في مثل: «بَرْدُ غَدَاةٍ غَرَّ عَبْدًا مِنْ ظَمًا»^(٢).

في الطَّيْرَةِ^(٣) وَالْفَالِ

حدَّثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: هَرَبَ بعض البصريين من الطاعون فركب حماراً له ومضى بأهله نحو سَفَوَانَ^(٤) فسمع حادياً يحدو خلفه وهو يقول:

لَنْ يُسَبِّقَ اللَّهُ عَلَى حِمَارٍ وَلَا عَلَى ذِي مَبِيعَةٍ^(٥) مَطَّارٍ
أَوْ يَأْتِيَ الْحَتَفَ عَلَى مِقْدَارٍ قَدْ يَصْبِحُ اللَّهُ أَمَامَ السَّارِي

حدَّثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: حدَّثني سعيد بن سلم بن قتيبة عن أبيه أنه كان يعجب ممن يصدّق بالطيرة وَيُعِيْهَا أَشَدَّ الْعَيْبِ وقال: فَرَقْتُ لَنَا نَاقَةً وَأَنَا

(١) أَكَيْسٌ: أَظْرَف. ومعنى المثل: من الكياسة أَنْ تَصْطَحِبَ مَاءَ الشَّرْبِ حَتَّى وَلَوْ وَرَدَتْ مَاءَ لَشَرْبٍ. وهو مثل يضرب للحيلة والحذر.

(٢) بَرْدُ غَدَاةٍ: نوم غداة، والغداة: الْبُكْرَةُ أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس، والجمع غَدَوَاتٍ. وَغَرَّةٌ: خدعة. ومعنى المثل: إن نوم غداة خدع عبداً فأفسده أنه عطشان. وهو مثل يضرب أيضاً للحيلة والحذر.

(٣) الطَّيْرَةُ بفتح الياء وسكونها: ما يُتَشَاءَمُ بِهِ مِنَ الْفَالِ الرَّدِيِّءِ. ذكر ابن رَشِيقٍ فِي الْعَمْدَةِ (ج ٢ ص ٢٥٩) أَنَّ هُنَاكَ فَرْقًا بَيْنَ الطَّيْرَةِ وَالْفَالِ؛ ذَلِكَ أَنَّ الطَّيْرَةَ تَكْسِرُ النِّيَّةَ وَتُنْهِى الْعَزِيمَةَ وَأَنَّ الْفَالَ تَقْوِيَةٌ لِلْعَزِيمَةِ وَتَحْضِيضٌ عَلَى الْبَغْيَةِ.

(٤) سَفَوَانَ: ماء على أميال من البصرة، وكانت بنو شيبان توعده تميمًا وتزعم أن سفوان لهم، وأرادوا إجلاء بني مازن عنه ومن كان معهم من بني تميم. ولقد ذكره وداك بن نميل المازني في شعره فقال (طويل).

رويدا بني شيبانَ بَعْضَ وَعَيْدِكُمْ تُنْالِقُوا غَدَاً خَيْلِي عَلَى سَفَوَانَ
العقد الفريد (ج ١ ص ١٠٧ - ١٠٨) وقال ياقوت في معجم البلدان: سفوان ماء على قدر مرحلة من باب المِرْيَدِ بالبصرة وبه ماء كثير. وقيل: وادٍ من ناحية بدر.

(٥) الْمَبِيعَةُ: الفرس، ومَبِيعَةُ الفرس: أول جريه.

بِالطَّفِ^(١) فَرَكِبْتُ فِي إِثْرِهَا فَلَقِينِي هَانِيءٌ بَنُ عَتَبَةٍ^(٢) مِنْ بَنِي وَائِلٍ يَرْكُضُ وَهُوَ يَقُولُ:

[منسرح]

وَالشَّرُّ يَلْقَى مُطَالِعَ الْأَكَمِ.

ثم لقيني رجل آخر من الحي فقال وهو لِلْبَيْدِ^(٣): [مجزوء الكامل]

وَلِثْنٌ بَعَثَتْ لَهُمْ بُغَاةً مَا الْبُغَاةُ بِوَاغِدِينَ

ثم دفعتُ إلى غلام قد وقع في صغره في نار فأحرقته ففجَّ وجهه وفسد، فقلت له: هل ذكرت من ناقةٍ فارقٍ؟ قال: ههنا أهل بيت من الأعراب فأنظر. فوجدناها قد نُتِجَت ومعهما ولدها. يقال: ناقة فارق: قد ضربها الطَّلُقُ، وسحابة فارق: قد دنا هراقة مائها. قال المَرَقُّشُ^(٤): [مجزوء الكامل]

وَلَقَدْ غَدَوْتُ، وَكُنْتُ لَا أَغْدُو، عَلَى وَاقٍ وَحَاتِمٍ^(٥)

فَإِذَا الْأَشَائِمُ كَالْأَيَا مِنْ، وَالْأَيَامِنْ كَالْأَشَائِمِ^(٦)

(١) الطَّفُ: ما أشرف من أرض: العرب على ريف العراق.

(٢) لم أُنْتَدِ على ترجمة له.

(٣) هو لبيد بن ربيعة العامري، أحد الشعراء الفرسان في الجاهلية. أدرك الإسلام وعُدَّ من الصحابة. عاش عمراً طويلاً. وذكر في العقد الفريد (ج ٢ ص ٧٨) أنه بلغ ثلاثين ومئة سنة. وهو أحد أصحاب المعلقات. توفي سنة ٤١ هـ. الأعلام ج ٥ ص ٢٤٠٠.

(٤) هو المَرَقُّش الأكبر من بني سُدُوس. ذكر ابن منظور في اللسان، مادة (رَقَش) أنه سُمِّيَ بذلك لقوله (سريع).

الدار قَفَرٌ والرسومُ كما رَقَشَ، في ظهر الأديم، قَلَمٌ وفي مادة (وقي) عَدَّ الرَقَشَ في باب من يُنْكَرُ الطَّيْرَةُ والفأل من العرب.

(٥) الواقي: الصرد، وهو طائر أبيض البطن أخضر الظهر ضخم الرأس والمنقار، له مخلب يصطاد العصافير وصغار الطير، ويكنى بأبي كثير، وهو مما يُتَشَاءَمُ به من الطير. والحاتم هو الغراب الأسود، وكانت العرب تتشاءم به أيضاً. ذكر ابن رشيقي في العمدة (ج ٢ ص ٢٦٠)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط. رابعة، بيروت، دار الجبل) أن الغراب يسمونه حاتماً لأنه يحتم عندهم بالفراق.

(٦) الأشائم: خلاف الأيام، وهي جمع الأشام، والمقصود الطائر الأشام أي الجاري بالشؤم. =

وكذلك لا خير ولا شر على أحدٍ بدائم

وقال آخر:

[طويل]

وليس بهيأب إذا شدَّ رَحْلَه
يقول عَداني اليومَ وإيَّ وحاتمٍ
ولكنه يمضي على ذاك مُقَدِّمًا
إذا صدَّ عن تلك الهَنَاتِ الخُثَامُ^(١)

وقال آخر:

[وافر]

تَعَلَّمْ أَنَّهُ لَا طَيْرَ إِلَّا عَلَى مُتَطَيَّرٍ وَهُوَ الثُّبُورُ^(٢)
بَلَى، شَيْءٌ يَوَافِقُ بَعْضَ شَيْءٍ أَحَايُنَا وَبَاطِلُهُ كَثِيرُ

حدَّثني الرياشي عن الأصمعي قال: سألت ابن عَوْن^(٣) عن الفأل فقال:
هو أن تكون مريضاً فتسمع: يا سالم، أو باغيأ فتسمع: يا واجد. وفي
الحديث المرفوع «أَصْدَقُ الطَّيْرَةِ الْفَأَلُ». وفيه «الطَّيْرُ تجري بقَدَرٍ».

أراد أبو العالية أن يخرج من البصرة لعلَّه كانت به فسمع منادياً ينادي:
يا متوكل، فحطَّ رَحْلَه وأقام.

وقال عكرمة: كنا جلوساً عند ابن عمر وأبن عباس رضي الله عنهما فمر
طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير خير. فقال ابن عباس: لا خير ولا
شر. قال كعب لابن عباس: ما تقول في الطَّيْرَةِ قال: وما عسيت أن أقول
فيها؟ لا طير إلا طير الله ولا خير إلا خير الله ولا إله إلا الله ولا حول ولا قوَّة

= والأيامن: ج أيمن، وهو خلاف الأيسر. وفي باب الطَّيْرَةِ والفأل، استشهد ابن منظور بالبيتين
الأول والثاني دون الثالث. اللسان، مادة (وقي).

(١) الخُثَامُ: الرجل المتطَيَّر. وقد أورد في اللسان، مادة (وقي) بيتاً ثالثاً إضافة إلى هذين البيتين
ونسبهما لُحَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ، وقال: وقيل: للرَّقَاصِ الكلبي يمدح بها مسعود بن بحر الزُّهري.

(٢) الثُّبُورُ: الهلاك والويل.

(٣) هو عبد الله بن أربطان البصري المتوفي سنة ١٥١ هـ.

إلا بالله. قال كعب: إن هذه الكلمات في كتاب الله المنزل. يعني التوراة.

حدّثني محمد بن يحيى القطعي^(١) قال: حدّثني عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة عن أبي حسان الأعرج أن رجلين دخلا على عائشة رضي الله عنها فقالا: إن أبا هريرة يحدث أن رسول الله ﷺ قال: إنما الطيرة في المرأة والدار والدابة فطارت شفقاً ثم قالت: كذب، والذي أنزل الفرقان على أبي القاسم، من حدّث بهذا عن رسول الله ﷺ، إنما قال رسول الله ﷺ: «كان أهل الجاهلية يقولون إنَّ الطيرة في الدابة والدار والمرأة» ثم قرأت: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾^(٢).

كان عبد الله^(٣) بن زياد صوّر في دهليزه كلباً وأسداً وكبشاً وقال: كلب نابح وكبش ناطح وأسد كالح. وأنشدني أبو حاتم عن الأصمعي: [رجز]

يا أيها المضمير همّاً، لا تهمّ إنك إن تُقدّر لك الحمى تحمّ
ولو علّوت شاهقاً من العلم كيف توقّيك وقد جفّ القلم

ولما أمر معاوية بقتل حُجْر بن عديّ الكنديّ في ثلاثة عشر رجلاً معه قال حُجْر: دعوني أصلّ ركعتين، فتوضّأ وأحسن الوضوء، ثم صلى وطوّل فقبل له: أجزعت؟ فقال: ما توضّأت قطُّ إلاّ صليت، ولا صليت قط صلاة أخفّ منها. وإن أجزع فقد رأيت سيفاً مشهوراً وكفناً منشوراً وقبراً محفوراً.

(١) محمد بن يحيى القطعي هو ابن بغيض وهو أبو حي.

(٢) سورة الحديد ٥٧، آية ٢٢. أي من قبل أن توجد، والمراد بالكتاب هنا علمه تعالى، وأنه يعلم بالشرور والمصائب متى وأين وكيف تقع سواء كان حدوثها بأسباب طبيعية كالطوفان والزلازل أم بأسباب اجتماعية كالحروب والمظالم. التفسير المبين.

(٣) هو عبد الله زياد بن أبيه.

فقيل له: مُدَّ عُتْقُكَ، فقال: إن ذلك لدم ما كنت لأعِين عليه. فقدم فضربت عنقه. وكان معاوية بعث رجلاً يقال له هُذْبَةُ لقتلهم، وكان أعور، فنظر إليه رجل من خُثْعَم فقال: إن صدقت الطيرة قُتِلَ نصفنا، فلما قُتِلَ سبعة بعث معاوية رسولا آخر بعافيتهم فلم يقتل الباقيون.

خرج كُثَيْرُ عَزَّة^(١) إلى مصر يريد عَزَّةَ، فلقيه أعرابي من نهد فقال: يا أبا صخر، أين تريد؟ فقال: أريد عَزَّةَ بمصر. قال: فهل رأيت في وجهك شيئا؟ قال: لا إلا أنني رأيت غراباً ساقطاً فوق بانه يَنْتَفُ ريشه. فقال له: تُوافي مصر وقد ماتت عزة. فأنتهره كُثَيْرُ ثم مضى فوافي مصر والناس ينصرفون عن جنازة عزة، فقال:

فَمَا أَعْيَفَ النَّهْدِيُّ لَا دَرَّ دَرُّهُ وَأَزْجَرَهُ لِلطَّيْرِ لَا عَزَّ نَاصِرُهُ
رَأَيْتُ غَرَاباً سَاقِطاً فَوْقَ بَانَةٍ يُنْتَفُ أَعْلَى رِيشِهِ وَيُطَايِرُهُ
فَأَمَّا غُرَابٌ فَأَغْتَرَابَ وَوَحْشَةٌ وَبَانَ فَبَيْنَ مِنْ حَبِيبٍ تَعَاشِرُهُ

وهو يبعد عَزَّةَ امرأة من قومه يقال لها: أُمُّ الْحَوِيرِث. فخطبها فأبت وقالت: لا مال لك، ولكن أخرج فأطلب فإني حابسة نفسي عليك. فخرج يريد بعض بني مخزوم، فبينما هو يسير عن له ظبي فكره ذلك ومضى فإذا هو بغراب يحثوا التراب على وجهه فكرهه وتطير منه، فأنتهى إلى بطن من الأزد يقال لهم بنو لهب، فقال: أَفِيكُمْ زاجر؟ قالوا: نعم، فأرشدوه إلى شيخ منهم فأتاه فقص عليه القصة، فقال: قد ماتت أو خلف عليها رجل من بني عمها. فلما أنصرف وجدها قد تزوجت فقال:

(١) كُثَيْرُ عَزَّةَ الخزاعي شاعر متيم مشهور. اختص بعبد الملك بن مروان وكان شاعر الحجاز في الإسلام لا يقدمون عليه أحداً. أخبره مع عزة بنت حميل الضمرية كثيرة، وحبها كان عفيفاً. توفي سنة ١٠٥ هـ. الأعلام ج ٥ ص ٢١٩.

[طويل]

تَيَمَّمَتْ لَهَا أَطْلُبَ الْعِلْمَ عِنْدَهُمْ وَقَدْ رُدَّ عِلْمُ الْعَائِفِينَ إِلَى لَهَبٍ
فَقَالَ جَرَى الطَّيْرُ السَّيِّحُ بَيْنَهَا فِدُونِكَ فَأَهْمِلْ جِدَّ مُنْهَمِرٍ سَكَبٍ
فَالَا تَكُنْ مَاتَ فَقَدْ حَالَ دُونَهَا سِوَاكَ خَلِيلٌ بَاطِنٌ مِنْ بَنِي كَعْبٍ

حَدَّثَنِي أَبُو سَفْيَانَ الْغَنَوِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ الصَّفَّارُ قَالَ:
حَدَّثَنَا هَمَّامُ بْنُ يَحْيَى بْنُ قَتَادَةَ عَنْ خَضْرَمِيِّ بْنِ لَاحِقٍ أَوْ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّ
النَّبِيَّ ﷺ، كَتَبَ إِلَى امْرَأَتِهِ: «إِذَا أَبْرَدْتُمْ إِلَيَّ بَرِيداً فَأَجْعَلُوهُ حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ
الْإِسْمِ».

خَرَجَ عُمَرُ إِلَى حَرَّةٍ وَأَقِمَ^(١) فَلَقِيَ رَجُلًا مِنْ جُهَيْنَةَ فَقَالَ لَهُ: مَا أَسْمُكَ؟
قَالَ: شَهَابٌ. قَالَ: ابْنُ مَنْ؟ قَالَ: ابْنُ جَمْرَةَ. قَالَ: وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: مِنْ
الْجُرْقَةِ. ثُمَّ قَالَ: مِمَّنْ؟ قَالَ: مِنْ بَنِي ضِرَامٍ^(٢). فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَتَدْرِكُ أَهْلَكَ وَمَا
أَرَاكَ تَدْرِكُهُمْ إِلَّا وَقَدْ أَحْتَرَقُوا، فَأَتَاهُمْ وَقَدْ أَحَاطَتِ النَّارُ بِهِمْ.

خَرَجَ أَبُو عَامِرٍ إِلَى الْمَدِينَةِ إِذَا هُوَ فِي طَرِيقِهِ بِنِعَامَاتٍ خَمْسٍ، فَقَالَ
لأَصْحَابِهِ: قُولُوا فِي هَذِهِ. فَقَالَ بَشْرُ بْنُ حَسَّانَ: بَلِّغْنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:
«لَا عُدُوَّ وَلَا طَيْرَةَ» وَمَنْ عِلْمٌ شَيْئاً فليقله ولكني أقول: فِتْنَةُ خَمْسٍ سَنِينَ.

قَرَأْتُ فِي كِتَابِ الْعَجَمِ أَنَّ كَسْرَى بَعَثَ وَهْرَزَ إِلَى الْيَمَنِ لِقِتَالِ الْحَبَشَةِ

(١) حَرَّةٌ وَأَقِمَ: تَقَعُ بِالْمَدِينَةِ، وَالْحَرَّةُ أَرْضٌ بظَاهِرِ الْمَدِينَةِ بِهَا حِجَارَةٌ سَوْدٌ كَبِيرَةٌ كَانَتْ بِهَا وَقْعَةٌ،
كَانَ حِجَارَتُهَا أَحْرَقَتْ بِالنَّارِ. لِسَانُ الْعَرَبِ مَادَّةُ (حَرَر) وَذَكَرَ ابْنُ شَرَفٍ النَّوَوِيُّ فِي (تَهْذِيبِ
الْأَسْمَاءِ وَاللُّغَاتِ ج ١ ق ٢ ص ٨٢) أَنَّ لِلْمَدِينَةِ حَرَّتَيْنِ إِضَافَةً إِلَى الْحَرَّةِ الَّتِي بِخَارِجِ الْمَدِينَةِ.
وَذَكَرَ فِي وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ (ج ٦ ص ٢٧٦) أَنَّ الْحَرَّةَ فِي الْأَصْلِ اسْمٌ لِكُلِّ أَرْضٍ ذَاتِ حِجَارَةٍ
سَوْدٍ. وَحَرَّةٌ وَأَقِمَ تَقَعُ بِالْقَرْبِ مِنَ الْمَدِينَةِ فِي جِهَتِهَا الشَّرْقِيَّةِ. وَوَأَقِمَ اسْمٌ أَطْمَ (بِضْمٍ) الْهَمْزَةُ
وَالطَّاءُ) مِنَ أَطَامِ الْمَدِينَةِ، شَبِيهِهُ بِالْقَصْرِ، وَكَانَ مَبْنِياً عِنْدَ الْحَرَّةِ فَأُضِيفَتْ الْحَرَّةُ إِلَيْهِ.

(٢) هُمُ بَنُو ضِرَامٍ بْنِ مَالِكِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ حُمَيْسٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَوْدُوعَةَ
ابْنِ جُهَيْنَةَ. جُمُهورية أَنَسَابِ الْعَرَبِ ص ٤٤٦.

فلما أصطفوا قال وهرز لغلام له: أخرج إليّ من الجُعبَةِ نِشَابَةً وكان الأسوار^(١) يكتب على كل نِشَابَةٍ في جعبته، فمنها ما يكتب عليه اسمُ الملك، ومنها ما يكتب عليه اسم نفسه، ومنها ما يكتب عليه اسم أبنه، ومنها ما يكتب عليه اسم أمراته. فأدخل العبد يده فأخرج له نِشَابَةً عليها اسم أمراته فتطير وقال: أنت المرأة وعليك طائر السوء. رُدّها وهات غيرها. فردّها وضرب بيده فأخرج تلك النِشَابَةَ بعينها ففكر وهرز في طائره ثم أنتبه فقال: زنان. وزنان بالفارسية: النساء. ثم قال: زن آن، فإذا ترجمتها: إضرب ذلك قال: نعم الطائر هذا. ثم وضعها في كبد قوسه ثم قال: صِفُوا لي مُلكهم، فوصفوه بياقوتة بين عينيهِ. ثم إنه مَغَطَّ في قوسه حتى إذا مَلَأَهَا سَرَحَهَا فَأَقْبَلَتْ كأنها رِشَاءٌ منقطع حتى فَضَّتْ البياقوتة فطار فُضاضُها ثم فَلَقَتْ هامته وهُزِمَ القوم. وقال المَعْلُوط^(٢):

تَنَادَى الطَائِرَانِ بَيِّنِ سَلْمَى عَلَى غُصْنَيْنِ مِنْ غَرْبٍ وَبَانِ
فَكَانَ الْبَانُ أَنْ بَانَتْ سَلِيمَى وَفِي الْغَرْبِ آغْتِرَابٌ غَيْرُ دَانِي
أَخَذَ مَعْنَاهَا أَبُو الشَّيْصِ^(٣) فَقَالَ:

أَشَاقَكَ وَاللَّيْلُ مُلْقِي الْجِرَانِ^(٤) غُرَابٌ يَنْوُحُ عَلَى غُصْنِ بَانِ
أَحْصُ^(٥) الْجَنَاحَ شَدِيدُ الصِّيَاحِ يَبْكِي بَعِينِينَ مَا تَذَرِفَانِ

(١). الأسوار: قائد الفرس.

(٢) هو المعلوط بن بَذَلِ الْقُرَيْعِي، شاعر إسلامي. معجم شعراء الحماسة للدكتور عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، الرياض دار المريخ ١٤٠٢ هـ ص ١٢٣.

(٣) تقدمت ترجمته في الحاشية.

(٤) القى الليلُ جِرَانَهُ: ثبت واستقرَّ، مستعار من قولهم: ألقى البعير جِرَانَهُ إذا بَرَكَ، والجِرَانُ: مُقَدِّمُ عُنُقِ البعير من مذهبهِ إلى منحرهِ، والجمع جُرُنٌ وأَجْرِنَهُ.

(٥) أَحْصُ الجَنَاحَ: قليل ريش الجَنَاحِ.

وفي نَعَبَاتٍ^(١) الغراب آغترابٌ وفي البان بين بعيد التداني

وقال الطائي:

أَتَضَعُضَعْتُ عِبْرَاتُ عَيْنِكَ أَنْ دَعْتُ وَرَقَاءً^(٢) حِينَ تَضَعُضَعُ الإِظْلَامُ؟
لَا تَتَشَجَّنْ^(٣) لَهَا فَإِنْ بَكَاءَهَا ضِحْكُ وَإِنْ بَكَاءُكَ آسْتَفْرَامُ
هُنَّ الْحَمَامُ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَافَةً^(٤) مِنْ حَائِثِهِنَّ فَإِنَّهُنَّ حِمَامُ

حدّثني أحمد بن الخليل قال: حدّثني موسى بن مسعود عن عكرمة بن عمار عن إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال: جاء رجل منا إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إننا نزلنا داراً فكثر فيها عددنا وكثرت فيها أموالنا ثم تحولنا منها إلى أخرى فقلّت فيها أموالنا وقلّ فيها عددنا فقال رسول الله ﷺ: «ذروها وهي ذميمة».

بلغني عن ابن كُنَاسة عن مبارك بن سعيد أخي سفيان الثوري قال: بلغنا أن أعرابياً أضاع ذوداً له فخرج في الطلب حتى أدركه العطش، فمر بأعرابي يحتلب ناقة فنشده ضالته فقال له: متى خرجت في الطلب؟ أدن مني حتى أسقيك لبناً وأرشدك. قال: قبل طلوع الفجر. قال: فما سمعت؟ قال: عواطيسٌ حولي: ثغاءُ الشاء ورغاء البعير ونباح الكلب وصياح الصبي. قال: عواطيس تنهاك عن الغدو. قال: فلما طلع الفجر عرّض لي ذئب. قال: كسوبٌ ذو ظفر. قال: فلما طلعت الشمس لقيت نعامة. قال: ذات ريش

(١) نَعَبَاتُ الغراب: صوته، يقال: نَعَبَ الغراب: صَوَّتَ بالبين على زعمهم. ذكر في العقد الفريد (ج ٢ ص ٣٠٢) أن العرب تنظرون من الغراب للغراب، إذ كان اسمه مشتقاً منها. وذكر في نفس المصدر والصفحة بيتين من هذه الأبيات والثلاثة وهما الأول والثالث.

(٢) الورقاء: الحمامة التي يُضْرَبُ لونها إلى خضرة.

(٣) تشجج الباكي: غصّ بالبكاء في حلقه من غير أنتحاب.

(٤) العيافة: إسم من عافت الطير تعيف إذا استدارت وحامت على الشيء. وعاف الطير: زجرها.

وَأَسْمَهَا حَسَنًا، هَلْ تَرَكْتَ فِي أَهْلِكَ مَرِيضًا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: ارْجِعْ فَإِنَّكَ سَتَجِدُ ضَالَّتَكَ فِي مَنْزِلِكَ.

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ حَفْصِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْخَبَطِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ يَحْيَى بْنُ أَبِي عَمْرٍو السَّيَّانِيُّ عَنْ يُنَيْعٍ عَنْ كَعْبٍ قَالَ: كَانَتِ الشَّجَرَةُ تَنْبِتُ فِي مُحَرَابِ سَلِيمَانَ النَّبِيِّ ﷺ وَتَكَلِّمُهُ بِلِسَانٍ ذَلِيقٍ^(١) فَتَقُولُ: أَنَا شَجَرَةٌ كَذَا وَفِي دَوَاءِ كَذَا. فَيَأْمُرُ بِهَا سَلِيمَانُ فَيُكْتَبُ أَاسْمُهَا وَمَنْفَعَتُهَا وَصُورَتُهَا وَتَقْطَعُ وَتَرْفَعُ فِي الْخَزَائِنِ حَتَّى كَانَ آخِرَ مَا جَاءَ مِنْهَا الْخَرُوبَةُ فَقَالَتْ: أَنَا الْخَرُوبَةُ. فَقَالَ سَلِيمَانُ: الْآنَ نُعَيِّتُ إِلَيَّ نَفْسِي وَأُذِنُ فِي خِرَابِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ. قَالَ الطَّائِيُّ يَصِفُ عَمُورِيَّةً^(٢):

بَكَرُ فَمَا أَفْتَرَعَتْهَا كَفُّ حَادِثَةٍ وَلَا تَرَقَّتْ إِلَيْهَا هِمَّةُ النُّوْبِ
جَرَى لَهَا الْفَالُ بَرَحًا يَوْمَ أَنْقَرَةٍ إِذْ عُودِرَتْ وَخَشَّةُ السَّاحَاتِ وَالرَّحَبِ
لَمَّا رَأَتْ أَخْتَهَا بِالْأَمْسِ قَدْ خَرِبَتْ كَانَ الْخِرَابُ لَهَا أَعْدَى مِنَ الْجَرَبِ

مذاهب العجم في العيافة والاستدلال بها

قَرَأْتُ فِي الْآيِينَ: كَانَتِ الْعَجْمُ تَقُولُ: إِذَا تَحَوَّلَتِ السَّبَاعُ وَالطَّيْرُ الْجَبَلِيَّةُ عَنْ أَمَاكِنِهَا وَمَوَاضِعِهَا دَلَّتْ بِذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْمَشْتَى سَيَشْتَدُّ وَيَتَفَاقَمُ. وَإِذَا نَقَلَتْ

(١) اللسان الذَّلِيقُ: الدَّرَبُ الْبَلِغُ الْفَصِيحُ.

(٢) المقصود قصر عَمُورِيَّةٍ، وعمورية من أرض الروم. العقد الفريد (ج ٦ ص ٢٥٢) وقال ابن خلكان في وفيات الأعيان (ج ٢ ص ٢٣): خرج المعتصم إلى الروم، حكم المنجمون بأنه لا يرجع من وجهه. فلما فتح ما فتح وخرب عمورية في شهر رمضان سنة ٢٢٣ هـ وانصرف سالمًا، قال أبو تمام قصيدة طويلة ظل يكررها ثلاثة أيام حتى أمر له المعتصم بمئة وسبعين ألف درهم عن كل بيت منها ألف، نذكر منها هذين البيتين:

السيف أصدق أنباء من الكتب في خلد الخلد بين الجدد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهن جلاء الشك والرَّيب

الجُرْذَانُ بُرّاً وشعيراً أو طعاماً إلى رب بيت رُزِقَ الزيادة في ماله وولده، وإن هي قَرَضَتْ ثيابه دَلَّتْ بذلك على نقص ماله وولده، فينبغي أن يُقَطَعَ ذلك القَرْضُ ويُصْلَحَ. وإذا شَبَّتِ النارُ شَبوباً كالصَّخَبِ دلت على فرح شديد، وإذا شَبَّتْ شَبوباً كالْبِكَاءِ دلت على حزن، وأما النار التي تشتعل في أسفل القُدُورِ فإنها تدل على أمطار تكثر أو ضيف يحضر. وإذا فشا المَوْتُ في البقرِ وقع المَوْتَانُ^(١) في البشر، وإذا فشا الموت في الخنازير عمَّ الناس السلامة والعافية، وإذا فشا الموت في السباع والوحوش أصاب الناس ضيقة، وإذا فشا الموت في الجُرْذَانِ أَخْصَبَ الناسُ. وإذا أَكْثَرَتِ الضفادعُ النَّقِيقَ دَلَّتْ على موتان يكون. وإذا أُنْ دِيكَ في دارٍ فشا فيها مرضُ الرجال، وإذا أُنْتُ دجاجةٌ فشا فيها مرضُ النساء، وإذا صرخت ديوكُ صُراخاً كالْبِكَاءِ فشا الموت في النساء، وإذا صرخ الدجاج مثل ذلك الصراخ فشا الموت في الرجال. وإذا نَعَبَ غراب أسود فجوابته دجاجةٌ دل ذلك على خراب يُعمر. وإذا قَوَّقَتْ دجاجةٌ وجاوبها غرابٌ دل على عُمران يخرَب. وإذا غَطَّ الرجلُ الحسيبُ في نومه بلغ سَنّاً ورفعة، وَمَنْ نَفَخَ في نومه أَفِيدَ مَالُهُ، وَمَنْ صَرَّتْ أَسْنَانُهُ في نومه دل ذلك منه على نَمِمة، وينبغي أن يُضْرَبَ على فيه بخفٍّ متخرِّق. ومن سقطت قَدَامَهُ حيةٌ من حُجَرٍ أصابته معرةٌ ومضرة. وإذا رُئِيَ في الهواء دُخْنٌ وظلمة من غير علة تُخَوِّفُ على الناس الوباءَ والمرض. وإذا رُئِيَ في آفاق السماء في ليلة مصحبة كاختلاف النيران غَشِيَ البلاد التي رُئِيَ ذلك فيها عدو، فإن رُئِيَ ذلك وفي البلاد عدوٌ آنكشف عنها. وإذا نبج كلب بعد هَذَاةٍ نبحةً بغتةً دلَّ على أن السُّرَّاق قد أَجْتَمَعُوا بالغارة على بعض ما في تلك الدار أو ما جاورها. وإذا صَفَّقَ ديكٌ بجناحيه ولم يصرخ دل على أن الخير محتبس عن صاحبه. وإذا

(١) المَوْتَانِ: بضم الواو وفتحها: موت بقع في الماشية.

أكثر اليوم الصراخ في دار برىء مريض إن كان فيها. وإذا سُمع لبیت تنقُضُ شخصَ مَنْ فيه عنه، وإذا عوتْ ذئابٌ من جبال وجاوبتها كلاب من قرى تفاقم الأمر في التحارب وسفك الدماء. وإذا عوت كلاب وجاوبتها ذئاب كان وباء وموتان جارف، وإذا أكثرت الكلاب في البغّات الهيرير دلت بذلك على إتيان العدو البلاد التي هي فيها، وإذا صرخ ديك في دار قبل وقت صراخ الديوك كان ذلك محاولة لدفع بليّة قد شارفت تلك الدار؛ وإذا صرخت دجاجة في دار كصراخ ديك كان ذلك تحذيراً لمن فيها من آفة قد أشرفوا عليها. وإذا أكثر ديك التزّوان^(١) على تكّاة^(٢) رب الدار نال شرفاً ونباهة، وإن فعلت ذلك دجاجة ناله خمول وضعة. وإذا ذرّق^(٣) ديك على فراشه نال ملاً رغبياً وخيراً كثيراً وذلك إذا كان من غير تضييع من حشمه لفراشه، فإن ذرقت دجاجة على فراشه نالت زوجته منه خيراً كثيراً، وكانوا يقولون: إن الموت من المريض الشبيه للصحيح قريب وإن الصحيح الشبيه بالمريض مستشعر للشر وينبغي مباعده. وينبغي أن يُعرف كُنه مَنْ كان منطيقاً^(٤) لعلّه لا يجيد العمل، وحال من كان سكّيناً مترمّماً لعلّه بعيد الغور. وكانوا يكرهون استقبال المولود ساعة يُوضَعُ إلا أن يكون ناقص الخلق فإن بليته وآفته قد صارتا على نفسه، ويكرهون استقبال الزّمن^(٥) والكريه الاسم والجارية البكر والغلام الذهاب إلى المكتب، وكانوا يكرهون الثيران المقرونة بقران والحيوان الموثق والدابة المَقودَة وحاملة الشراب والحطب والكلب، ويستحبّون الصحيح البدن الرضيّ

(١) ديك التزّوان: أي ديك كثير الوُتْب.

(٢) التّكّاة: ما يُتْكَأ عليه.

(٣) ذرّب الديك: رَزَقَ أي خَذَفَ بسلحه، وذرّف الطائر: خرّؤه.

(٤) المنطيق: البالغ.

(٥) الزّمن: المصاب بالزّمانة، وهي العاهة.

الإسم والمرأة الوسيمة الثَّيِّب^(١) والغلام المنصرف من المكتب والدواب التي عليها حُمُولَةٌ من طعام أو تبن أو زبل. وكانوا لَا يُنْحُون عن سَمْع الملك ألحان المغنيات ونَقِيض الصواري وصهيل الخيل والبراذين ويتخذون في مبيته ديكاً ودجاجة. وإذا أهديت له خيلٌ سُحِجَ بها عليه من يساره إلى يمينه وكذلك الغنم والبقر، وأما الرقيق والسباع وما أشبهها فكان يُرَح بها من يمينه إلى يساره.

باب في الخيل

حَدَّثني محمد بن عبيد قال: حَدَّثنا سفيان بن عُيَيْنَةَ عن شَيْبٍ بن عَرَفَةَ عن عُرْوَةَ البارقِي^(٢) قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «الخيـل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة».

حَدَّثني يزيد بن عمرو قال: حَدَّثني أَشْهَلُ بن حاتم قال: حَدَّثني موسى ابن علي بن رَبَاح اللَّخْمِي عن أبيه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أريد أن أُعَدَّ فرساً. قال رسول الله ﷺ: «فَاشْتَرِه إِذَا أَدْهَمَ أَوْ كُمَيْتاً أَقْرَحَ أَرْتَمَ^(٣) أَوْ مُحَجَّلاً مُطْلَقَ الْيَمِينِ» وفي حديث آخر «فإنها مَيَّامِين الخيل ثم آغَرُ تَسْلَمُ وتغنم إن شاء الله».

حَدَّثني سهل بن محمد قال: أخبرني أبو عبيدة أن النبي ﷺ قال: «عليكم بإناث الخيل فإن ظهورها حِرْزٌ وبطنونها كَنْزٌ» قال: وكان النبي ﷺ يستحب من الدواب الشُّقْرَ ويقول: «لو جمعت خيل العرب كلها في صعيد

(١) المرأة الثَّيِّبُ: هي التي فارقت زوجها بموت أو طلاق، أو نقيض البكر، وعليه الحديث: هل تَزَوَّجَتْ بِكُراً أم ثَيِّباً؟

(٢) هو عُرْوَةُ بن الجَعْد البارقِي الصحابي، نسبة إلى بارق، وهو جبل كان الأزدي ينزلونه ببلاد اليمن.

(٣) فَرَسٌ أَرْتَمَ: الفرس في طرف أنفه بياض.

واحد ما سبقها إلا أشقر». وسأل رجل رسول الله ﷺ: أي المال خير؟ قال: «سكة مأبورة» يعني النخل «ومُهْرَة مأمورة» يريد كثيرة النتاج. قال: وكان يكره الشُّكَّال^(١) في الخيل. قال أبو ذر: ما من ليلة إلا والفرس يدعو فيها ربه ويقول: اللهم سَخَّرْتَنِي لابن آدم وجعلت رزقي بيده فأجعلني أحب إليه من أهله وماله، اللهم أرزقه وآرزقني على يديه. سأل المهدي مطرب دراج: أي الخيل أفضل؟ قال: الذي إذا استقبلته قلت نافر، وإذا استعرضته قلت زافر^(٢)، وإذا استدبرته قلت زاحر^(٣). قال: فأَيُّ البراذين^(٤) شر؟ قال: الغليظ الرقبة الكثير الجلبة الذي إذا أرسلته قال: أُمِسْكْنِي وإذا أَمْسَكْتَهُ قال: أرسلي. قال: فأَيُّ البراذين خير؟ قال: ما طرفه إمامه وسوطه عِنانه.

وصف رجل بِرَدُونَا فقال: إِنْ تَرَكْتَهُ نَعَسَ وَإِنْ حَرَكْتَهُ طَارَ. وقال ابن أقيصر: خير الخيل الذي إذا استقبلته ألقى وإذا استدبرته جَبَى وإذا استعرضته أَسْتَوَى وإذا مشى رَدَى وإذا عدا دَحَا^(٥).

محمد بن سلام قال: أرسل مسلم بن عمرو بن عَمٍّ له إلى الشام ومصر يشتري له خيلاً فقال: لا علم لي بالخييل قال: أَلَسْتُ صَاحِبَ قَنْصٍ؟ قال: بَلَى. قال: فَانْظُرْ، كُلُّ شَيْءٍ تَسْتَحْسِنُهُ فِي الْكَلْبِ فَاطْلُبْهُ فِي الْفَرَسِ. فقدم بخيل لم يَكُ فِي الْعَرَبِ مِثْلَهَا. وقالوا: سُمِّيَتْ خَيْلاً لِاخْتِيَالِهَا.

-
- (١) الشُّكَّال في الخيل: هو أن تكون ثلاث قوائم مُحَجَّلَة والواجدة مطلقة وعكسه أيضاً.
 (٢) المراد بالزافر عظيم الزُفْرَة، وهي وسط الفرس ويكون كأنه زافر أبداً من عظم جوفه وإجفار جنبه وذلك مما يمدح في الخيل.
 (٣) أي أنك إذا استدبرته رأيت عظيم الكفل ممثله وذلك مما يمدح في الخيل.
 (٤) البراذين: ج بِرَدُون بفتح الدال وضمها، وهو الفرس غير الأصيل أو التركي من الخيل.
 (٥) ألقى: تساند إلى ما وراءه. وجَبَى: إنكب على وجهه. وَرَدَى: رَجَمَ الأرض رَجْماً بَيْنَ المَشْيِ الشَّدِيدِ والعَدُو. وَدَحَا: رمى بيديه رَمْياً لَا يَرْفَعُ سُبُكَّهُ عَنِ الأرض، والسُّبُكُ: طرف الحافر.

وذكر أعرابي فرساً وسرعه فقال: لما خرجت الخيل جارى بشيطان في
أشطان فلما أرسلت لَمَعَ لمعة سحاب فكان أقربها إليه الذي تقع عينه عليه.

وسئل رجلٌ من بني أسد: أتعرف الفرس الكريم؟ قال: أعرف الجوادَ
المُبرِّ من المُبطيء المُقرِف. أما الجواد المبرُّ فالذي نُهز نُهَزَ العَيْرُ وأنْفَ تأنيَفَ
السَّير، الذي إذا عدا أسلَهَبَ وإذا قُيِدَ أجَلَعَبَ وإذا أنتصب أتَلَبَّ^(١). وأما
المبطيء المقرِف فالمدلوك الحَجَبَة الضخم الأرنبة^(٢) الغليظ الرقبة الكثير
الجلبة الذي إن أرسلته قال: أمسكني وإن أمسكته قال: أرسلني وأنشد
الرياشي^(٣):

[بسيط]

كُمِهْرُ سَوْءٍ إِذَا سَكَنْتَ شِرَّتَهُ رَامَ الْجِمَاحِ فَإِنْ رَفَعَتْهُ سَكَنَّا^(٤)

حدَّثني عبد الرحمن بن عبد الله قال: حدَّثني الأصمعي عن أبي عمرو
ابن العلاء أن عمر بن الخطاب شكَّ في العِتَاق والهَجُن^(٥)، فدعا سلمان بن
ربيعة الباهلي فأخبره، فأمر سلمان بطَسَّت فيه ماء فوضع في الأرض ثم قُدِّمَتْ
الخيَل إليه فرساً فرساً فما ثَنَى منها سُنْبُكَه^(٦) فشرب هَجَنَه، وما شرب ولم يَثِنْ

(١) المؤنَّف: المحدَّد من كل شيء ومنه سيرٌ مؤنَّف أي مقدود على قدر وأستواء والمراد أنه قُدَّ
حتى أستوى كما يستوى السير المقدود. وأسلهَب: مضى. وأجلَعَب: إمتدَّ على الأرض.
وأتَلَبَّ: إستوى.

(٢) مدلوك الحَجَبَة: أي حَجَبَتَه ملساء مستوية، وحجبة الفرس ما أشرف على صِفاق البطن من
وَرَكَيْه. والأرنبة: الأنف.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) شِرَّتَه: نشاطه.

(٥) العِتَاق: ج عتيق، وهو الفرس الرائع. والهَجُن: ج هجين، والهجين من الخيل الذي ولدته
بِرَذْوَنَة.

(٦) السُنْبُك: طرف الحافر.

سنبكه عربيه . وذلك لأن في أعناق الهُجُن قصراً فهي لا تنال الماء على تلك الحال حتى تشني سنابكها وأعناق العتاق طوال .

وحدثني أبو حاتم قال : حدثنا الأصمعيّ قال : ذكروا أن كسرى كان إذا أتاه سائسه فقال : الفرس يشتكي حافره ، قال : المطبخ . وإذا قال : يشتكي ظهره ، قال : البيطار .

وأنشدني أبو حاتم لأبي ميمون العجليّ وهو النضر^(١) بن سلمة في شعر طويل له يصف الفرس ، وقال قرأته على أبي عبيدة وعلى الأصمعيّ :

[سريع]

والخيلُ مني أهلٌ ما أن يُدْنَيْنِ	وأن يُقَرَّبْنَ وأن لا يُقَصَّيْنَ
وإن يُبَابَأَنَّ ^(٢) وأن يُفَدَّيْنَ	وأن يكونَ المحضُ مما يُسَقَّيْنَ
وأهلٌ أن يُغَالَيْنَ أو يُغَالَيْنِ	بالطَّرَفِ والتَّلْدِ وأن لا يُجَفَّيْنَ ^(٣)
وأهلٌ ما صَحَبْنَا أن يُقَفَّيْنَ	وأهلٌ ما أعَقَبْنَا أن يُجَزَيْنِ ^(٤)
أليس عِزُّ الناسِ فيما أبْلَيْنِ	والحَسَبُ الزاكي إذا ما يُقْنَيْنِ؟
والأجرُ والزَّيْن إذا ريمَ الزَّيْنِ	كم من كريمٍ جَدُّه قد أُعْلَيْنِ
وكم طريدٍ خائفٍ قد أنَجَيْنِ	ومن فقيرٍ عائلٍ قد أغْنَيْنِ
وكم برأسٍ في لبانٍ ^(٥) أجْرَيْنِ	وجسدٍ للعافياتِ أغْرَيْنِ
وأهلٍ حِصْنٍ في أمتناعِ أُرْدَيْنِ	وكم لها في الغنمِ من ذي سَهْمَيْنِ ^(٦)

(١) لم أقف له على ترجمة .

(٢) بَابَأَها : قال لها : بأبي أنت ، كناية عن الإحتفاظ بها .

(٣) الطَّرَفُ من الخيل : كريم الطرفين من الأب والأم . والتَّلْدُ : عكس الطَّرَف . والمعنى : حديثو النسب أم قديموه .

(٤) يُقَفَّيْنَ : يؤثرون .

(٥) لبان الفرس : صدره أو وسطه .

(٦) أُرْدَى فلانٌ : صارت خيله رذايا (ج رذّي وهو الضعيف) .

يكون فيما أقتسموا كالرجلين^(١) وكم وكم أنكح^(٢) من ذي طمرين^(٣)
 بغير مهر عاجل ولا دين والخيّل والخيرات في قرينين^(٤)
 لا تشكين عملاً ما أنقين^(٥) ما دام مخ في سلامي أو عين^(٦)
 ما بلل الصوفة^(٧) ماء البحرين

وأشدني أبو حاتم عن أبي عبيدة. قال: وقال: لي أبو عبيدة: لا أعرف
 قائل هذا الشعر وعروضه لا يُخرج. قال أبو حاتم: أحسنه لعبد الغفار^(٨)
 الخزاعي:

ذاك وقد أذعر ألوحوش بضد^(٩) ست الخد رجب لبانه مجفر^(١٠)
 طويل خمس قصير أربعة عريض ست مقلص خشور^(١١)
 حدث له تسعة^(١٢) وقد عريت تسع ففيه لمن رأى منظر^(١٣)
 ثم له تسعة كسين وقد أرحب منه اللبان والمنخر^(١٤)
 بعيد عشر وقد قربن له عشر وخمس طالت ولم تقصر^(١٥)

(١) الطمر: الفرس الجواد.

(٢) السلامي: عظم في فرسين البعير أو الفرس. والفرس للبعير كالحافر للدابة.

(٣) صوف البحر: شيء على شكل الصوف الحيواني، واحدته صوفة. وفي العقد الفريد (ج ٥ ص ١٥٩): «لا نصالحكم ما بك البحر صوفة».

(٤) لم أقف له على ترجمته.

(٥) لبانه مجفر: واسع الجفرة، وهي من الفرس وسطه. ولبان الفرس: صدره.

(٦) الخمس الطويلة هي: وظيفا الرجلين والذراعان والشن (الشعر الذي في مؤخر الرسغ) والأربع القصيرة هي: أرساغه ووظيفا يديه وعسيبه وساقاه. والست العريضة هي: الفخذان والوركين والأوظفة. والخشور: منتفخ الجنبين.

(٧) التسعة التي حدثت هي: عرقوباه وأذناه وقلبه ومنكباه. والتسعة العارية من اللحم هي: خذاه وجهته والوجه كله وقوائمه.

(٨) التسعة المكسوة هي: الفخذان وحاميتاه ووركاه وحصيرا جنبه وفهداه وهما في الصدر (هما اللحمتان اللتان في الزور كالفهدين) واللبان: الصدر.

(٩) يريد بالعشر التي قربت عشر خصال صالحة قربن منه وعشر خصال رديئة بعدن منه فليست فيه. والخمس التي طالت ولم تقصر هي خمس خصال رديئة.

نُقْفِيهِ بِالْمَحْضِ دُونَ وَلَدَتِنَا وَعُضُّهُ فِي آرِيهِ يُنْشَرُ^(١)
 نَضْبَحُهُ تَارَةً وَنَغْبَقُهُ أَلْبَانَ كُومٍ رَوَائِمٍ أَظْهَرُ^(٢)
 حَتَّى شَتَا بَادِنَا يُقَالُ أَلَا يَطْوُونَ مِنْ بُدْنِهِ وَقَدْ أَضْمِرُ^(٣)
 مُوْتَقُ الْخَلْقِ جُرْشُعٌ عَتِدُ مُنْضَرِجُ الْحُضْرِ حِينَ يُسْتَحْضَرُ^(٤)
 خَاظِي الْحَمَاتَيْنِ لِحْمِهِ زَيْمٌ نَهْدُ شَدِيدِ الصَّفَاقِ وَالْأَبْهَرُ^(٥)
 رَقِيقُ خَمْسٍ غَلِيظٌ أَرْبَعَةٌ نَائِي الْمَعْدَيْنِ لَيْنِ الْأَشْعَرِ^(٦)

وقد فسرتُ هذا الشعر في كتابي المؤلف في أبيات المعاني في خلق

الفرس. أنشدنا أبو سعيد لبعض الضَّبَّيين في وصف فرس: [كامل]

مَتَقَاذِفُ عِبَلِ الشَّوَى شَنِجُ النِّسَا سَبَاقُ أَنْدِيَةِ الْجِيَادِ عَمِثْلُ^(٧)
 وَإِذَا تُعَلَّلُ بِالسَّيَاطِ جِيَادُهَا أَعْطَاكَ نَائِلَهُ وَلَمْ يَتَعَلَّلْ

قيل لما وضعت حرب صِفِّين أوزارها قال عمرو بن العاص: [رمل]

شَبَّتِ الْحَرْبُ فَأَعْدَدْتُ لَهَا مُفْرَعَ الْحَارِكِ مَرْوِيَّ الثَّبَجِ^(٨)

(١) العُضُّ: العجين تُغْلَفُه الإبل أو الشعر والحنطة لا يشركهما شيء. والأريُّ: الأخيَّة، وهي محبس الدابة.

(٢) الكُومُ: ج كُوماء، وهي الناقة الضخمة السنام. والروائِم: ج رائمة، وهي الناقة العاطفة على ولدها. والأظْهَرُ: ج ظَهْر، وهي الناقة التي تعطف على ولد غيرها المِرْضَعَةُ له.

(٣) ضَمِرُ الْخَيْلِ تَضْمِيرًا: علفها القوت بعد السمن فأضمرها.

(٤) الْمُجْرَشُعُ: العظيم الصدر المنتفخ الجنين. وَمُنْضَرِجُ الْحُضْرِ: شديد العدو.

(٥) الْحَمَاتَانِ مِنَ الْفَرَسِ هُمَا اللَّحْمَتَانِ الْمُجْتَمِعَتَانِ فِي ظَاهِرِ السَّاقَيْنِ مِنْ أَعَالِيهِمَا وَالْخَاظِي: المكتنز اللحم أو الغليظ الصلب. وَلِحْمُهُ زَيْمٌ: مكتنز. وَالصَّفَاقُ: هو الجلد الأسفل الذي تحت الجلد الذي عليه الشعر. وَالْأَبْهَرُ: عرق في الظهر.

(٦) الْمَعْدَانِ: موضع دقتي السَّرَج. وَالْأَشْعَرُ: ما استدار بالحافر من منتهى الجلد.

(٧) مَتَقَاذِفٌ: سريع. وَعَبِلُ الشَّوَى: غليظ القوائم. وَالنِّسَا: عرق من الوَرِكِ إِلَى الْكَعْبِ. وَشَنِجُ النِّسَا: منقبضه وهو مدح للفرس؛ لأنه إذا شَنِجَ نَسَأَهُ لَمْ تَسْتَخِرْ رِجْلَاهُ. وَالْعَمِثْلُ: الشيط.

(٨) الْحَارِكُ: أعلى الكاهل. وَالثَّبَجُ: ما بين الكاهل إلى الظهر.

جُرْشَعاً أَعْظَمَهُ جُفْرَتُهُ^(١) فإذا أَبْتَلُ من الماء حَرَجُ
يَصِلُ الشَّدَّ بِشَدٍّ فإذا وَنَتِ الْخَيْلُ من الشَّدِّ مَعَجٌ^(٢).

ووجدت في كتابٍ من كتب الروم أن من علامة فَرَاهَةِ^(٣) المَهِرِ الحولي
صِغَرُ رَأْسِهِ وشِدَّةُ سَوَادِ عَيْنِيهِ وَأَن يَكُونَ مُحَدَّدُ الْأَذْنَيْنِ أَجْرَدَ بَاطِنُهَا كَثِيفُ
الْعُرْفِ، في عَرَفِهِ مِيلٌ من قَبْلِ يَمِينِ رَاكِبِهِ عَرِيضُ الصَّدْرِ مَرْتَفَعُ الْهَادِي مُعْتَدِلُ
الْعُضْدَيْنِ مَكْتَبِزُ الْجَنْبَيْنِ طَوِيلُ الذَّنْبِ عَرِيضُ الْكَفَلِ مُسْتَدِيرُ الْحَوَافِرِ صَحِيحُ
بَاطِنُهَا، ومن علامة فَرَاهَةِ المَهِرِ أَلَّا يَكُونَ نَقُورٌ وَلَا يَقِفُ عِنْدَ دَابَّةٍ إِلَّا مَعَ أُمِّهِ
وَإِذَا دُفِعَ إِلَى عَيْنٍ أَوْ نَهْرٍ مَاءٍ لَمْ يَقِفْ لِتُجَاوِزَهُ دَابَّةٌ فَيَسِيرُ بِسِيرِهَا وَلَكِنَّهُ يَقْطَعُ
ذَلِكَ النَهْرَ وَالْعَيْنَ.

قالوا: ومما يسلم الله به الخيل من العين وأشباه ذلك أن يُجْعَلَ في
أَعْنَاقِهَا خِرْزَةُ من قُرُونِ الْأَيَّالِ^(٤).

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ عَنْ مَعَاوِيَةَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ سَفْيَانَ عَنْ
حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ هَلَالِ بْنِ إِسَافٍ وَعَنْ سُحَيْمِ بْنِ تَوْفَلٍ قَالَا: كُنَّا
جُلُوساً عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَنَحْنُ نَعْرُضُ الْمَصَاحِفَ، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ إِلَى
سَيِّدِهَا فَقَالَتْ: مَا يُجْلِسُكَ؟ قُمْ فَأَتْبِعْ لَنَا رَاقِياً فَإِنِ فُلَاناً لَقَعَ^(٥) مَهْرَكَ بَعِينَهُ فَتَرَكْتَهُ
يَدُورَ كَأَنَّهُ فُلُكٌ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَا تَتَّبِعْ رَاقِياً وَلَكِنْ أَذْهَبْ فَأَنْفُثْ فِي مَنْخَرِهِ
الْأَيْمَنِ أَرْبَعاً وَفِي الْأَيْسَرِ ثَلَاثاً ثُمَّ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ لَا بَاسَ لَا بَاسَ أَذْهَبِ الْبَاسَ

(١) الجُرْشَعُ: تقدم شرحه. وَحُفْرَةُ الْفَرَسِ جَوْفُ صَدْرِهِ أَوْ مَا يَجْمَعُ الصَّدْرُ وَالْجَنْبَيْنِ.

(٢) الشَّدُّ: الْعُدُوُّ. وَمَعَجٌ: أَسْرَعٌ.

(٣) فَرَاهَةُ الْمَهِرِ الْحَوْلِيِّ: نَشَاطُهُ. وَالْحَوْلِي: الَّذِي يَبْلُغُ الْعَامَ الْوَاحِدَ.

(٤) الْأَيَّالُ: جُ أَيْلٍ، وَهُوَ الْوَعْلُ.

(٥) لَقَعَهُ بَعِينُهُ: أَصَابَهُ بِهَا.

رَبُّ النَّاسِ وَأَشْفَى أَنْتَ الشَّافِي لَا يَكْشِفُ الضَّرَاءَ إِلَّا أَنْتَ. قَالَ: فَمَا قُمْنَا حَتَّى جَاءَ الرَّجُلُ فَقَالَ: قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي أَمَرْتَنِي بِهِ فَبَالَ وَرَاثَ وَأَكَلَ.

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ أَنَّهُ قَالَ: إِذَا كَانَ الْفَرَسُ صَلُوداً^(١) لَا يِعْرِقُ سَقِيَّتَهُ مَاءً قَدْ دُفَّتَ^(٢) فِيهِ خَمِيرَةٌ أَوْ عُلْفَتُهُ ضِعْثاً^(٣) مِنْ هِنْدَبَاءٍ فَإِنْ ذَلِكَ يُكْثِرُ عِزَّهُ، فَإِنْ حَجِرَ^(٤) أَذْخَلْتُهُ الْحَمَّامَ وَأَشْمَمَهُ عَذِرَةً. فَقُلْتُ لِأَبِي عُبَيْدَةَ: مَا يَدْرِيكَ أَنَّ هَذَا كَذَا؟ فَقَالَ: أَخْبَرَنِي بِهِ جَلَّ الْهِنْدِيُّ وَكَانَ بَصِيراً. قَالَ: فَإِنْ أَصَابَتْهُ مَغْلَةٌ وَهِيَ وَجَعُ الْبَطْنِ مِنْ أَكْلِ التَّرَابِ أَخَذْ لَهُ شَيْءَ مِنْ بُورَقٍ فَدُقْ وَنُجِّلْ فَجُعِلَ فِي رُبْعِ دَوْرَقٍ مِنْ خَمَرٍ فَحَقْنِ بِهِ وَبُلِّ تَرَابَ طَيِّبٍ بَبُولٍ^(٥) أَتَانِ حَتَّى يَصِيرَ طِيناً ثُمَّ لَطَخْ بِهِ بَطْنَ الدَّابَّةِ. قَالَ: وَمِمَّا يَذْهَبُ الْعَرَنُ^(٦) دِمَاقُ الْأَرْنَبِ.

وَقَفَّ الْهَيْثَمُ بْنُ مَطْهَرٍ عَلَى بَابِ الْخَيْزُرَانِ عَلَى ظَهْرِ دَابَّتِهِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْكَاتِبُ فِي دَارِهَا: انْزِلْ عَنْ ظَهْرِ دَابَّتِكَ فَقَدْ جَاءَ فِي الْأَثَرِ: لَا تَجْعَلُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ مَجَالِسَ. فَبَعَثَ إِلَيْهِ: إِنِّي رَجُلٌ أَعْرَجٌ وَإِنْ خَرَجَ صَاحِبِي خِفْتُ إِلَّا أَدْرَكَهُ. فَبَعَثَ إِلَيْهِ: إِنْ لَمْ تَنْزِلْ أَنْزَلْنَاكَ. قَالَ: هُوَ خَبِيسٌ إِنْ أَنْزَلْتَنِي عَنْهُ إِنْ أَقْضَمْتَهُ شَهراً فَانْظُرْ أَيُّمَا خَيْرَ لَهُ، رَاحَةً سَاعَةً أَوْ جَوْعَ شَهْرٍ؟ فَقَالَ: هَذَا شَيْطَانٌ، أَتْرَكُوهُ.

(١) الْفَرَسُ الصَّلُودُ: الَّذِي لَا يِعْرِقُ.

(٢) دُفَّتَ فِي الْمَاءِ خَمِيرَةٌ: أَذْبَتِ الْخَمِيرَةُ فِي الْمَاءِ.

(٣) الضَّعْثُ: الْقَبْضَةُ. وَالْهِنْدَبَاءُ: بَقْلٌ، وَهُوَ صَنْفَنَانٌ بَرِّيٌّ وَبَسْتَانِيٌّ.

(٤) حَجِرَ الْفَرَسُ: تَخَمَّ مِنْ أَكْلِ الشَّعِيرِ أَوْ تَغَيَّرَتْ رَائِحَةُ فِيهِ.

(٥) الْأَتَانُ: الْحَمَارَةُ، مَوْثٌ، وَالْجَمْعُ أَتْنٌ بضم التاء وسكونها.

(٦) الْعَرَنُ: دَاءٌ يَصِيبُ الْحَيَوَانَاتِ، وَلَا سِوَا الْبَعِيرِ مِنْهَا؛ يَقَالُ: عُرِنَ الْبَعِيرُ: شَكَا أَنْفَهُ مِنْ الْعِرَانِ. وَقِيلَ: الْعِرَانُ: قَرْحٌ يَأْخُذُهُ الْبَعِيرُ فِي عُنُقِهِ فَيَحْتَكُ مِنْهُ وَرَبَّمَا يَرْكُ إِلَى أَصْلِ وَآحَتَكُ

باب البغال والحمير

قال مُسلمة: ما ركب الناس مثل بغلة قصيرة العِذار طويلة العِنان. وكتب رجل إلى وكيله: ابغني بغلة حصاء الذنب^(١) طويلة العنق سوطها عنانها وهواها أمأها.

عاب الفضل بن الربيع بعض بني هاشم في ركوبه بغلة، فقال له: هذا مركب تطأطأ عن خيلاء الخيل وأرتفع عن ذلة الحمار وخير الأمور أوساطها. حدّثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: أخبرنا أبو عمرو بن العلاء: قال دفع أبو سيارة بأهل المزدلفة^(٢) أربعين سنة على حمار لا يعتل، فقالت العرب: «أصح من غير أبي سيارة».

قال رجل للفضل الرقاشي وهو جدّ مُعتَمِر لأمّه: إنك لتؤثر الحمير على جميع المركوب، فلم ذلك؟ قال: لأنها أكثرها مرفقاً. قال: وما ذاك؟ قال: لا تستبدل بالمكان على قدر اختلاف الزمان ثم هي أقلها داء وأيسرها دواء وأسلم صريعاً وأسهل تصريعاً وأخفض مهوى وأقل جماحاً وأشهر فارهاً^(٣) وأقل نظيراً ويُرْهَى راكمه وقد تواضع بركوبه، ويكون مقتصداً وقد أسرف في ثمنه. وقال خالد بن صفوان في وصف حمار: قد أركبه غيراً من بنات الكدّاد أصحَرَ

(١) حصاء الذنب: قصيرة الذنب. والمذكر أحص.

(٢) المزدلفة: موضع بمكة. وذكر ابن شرف النووي في (تهذيب الأسماء واللغات. ج ١ ص ٢ ص ١٥٠) أنها تقع بين وادي محسر ومأزمي، وتسمى جماعاً لأجتماع الناس بها، وسميت المزدلفة لأزدلاف الناس بها، وقيل لأجتماع آدم وحواء، وقيل لمجيء الناس إليها في زلف من الليل أي في ساعات. فيها مسجد له ٥٩ ذراعاً وشبر في مثله. وقال في معجم البلدان: سميت بذلك لأزدلاف الناس في منى بعد الإفاضة. والمزدلفة فرسخ من منى بها مصلّى وسقاية ومنارة وبرك عدة إلى جنب جبل ثبير.

(٣) فاره: نشيط، يقال للبرذون والبغل والحمار فاره ولا يقال للفرس فاره ولكن جواد ورائع.

السُّرْبَالُ مُحْمَلَجٌ الْقَوَائِمُ يَحْمِلُ الرَّجُلَةَ^(١) وَيَبْلُغُ الْعَقْبَةَ وَيَمْنَعُنِي أَنْ يَكُونَ جَبَّاراً عَنِيداً.

وقال رجل لنخاس^(٢): أطلب لي حماراً ليس بالكثير المشتهر ولا القصير المحقر ولا يُقَدِّمُ تَقَحُّماً ولا يُحْجِمُ تَبْلُداً يتجنبُ بي الزحام والرَّجَامَ والإكَامَ خفيفَ اللِّجَامِ، إذا ركبته هامَ، وإذا ركبه غيري قامَ، إن علقته شَكَرَ، وإن أجمته صبر. فقال له النخاس: إِنَّ مَسَخَ اللَّهِ الْقَاضِيَّ زِياداً حماراً رجوتُ أن أصيبَ لك حاجتك إن شاء الله. وقال رجل لآخر يوصيه: خذ من الحمار شُكْرَهُ وصبره ومن الكلب نصحه لأهله ومن الغراب كتمانَه للسَّفَادِ.

جرير بن عبد الله عن أبيه قال: لا تركب حماراً فإنه إن كان فارها أتعب يديك وإن كان بليداً أتعب رجلك.

بَابُ فِي الْإِبِلِ

الهيثم قال قال ابن عياش: لا تشتري خمسة من خمسة: لا تشتري فرساً من أسديٍّ ولا جملاً من نهديٍّ ولا غيراً من تميمي ولا عبداً من بجليٍّ. ونسي الهيثم الخامس، يريد أن أهل هذه القبائل عظام الجدود في هذه الأشياء. قيل لبني عبس: أي الإبل أصبر عليكم في محاربتكم؟ قال الرُّمُكُ^(٣) الجَعَادُ. قيل: فأَيُّ الخيل وجدتم أصبر؟ قالوا: الكُمَيْتُ^(٤) الحُوٌّ. قيل: فأَيُّ النساء

(١) العَيْرُ: الحمار الوحشي. والكُدَادُ: فحل تنسب إليه الحُمْرُ. والحمار الأصحَرُ: القريب من الأصهب أو ما كان أغبر في حمرة خفيّة إلى بياض قليل. ومُحْمَلَجُ القَوَائِمِ: أي قوائمه مفتولة وقوية: يقال: حَمَلَجَ الحبلُ: قتله شديداً. وحمل الرَّجُلَةَ: تحمّل المشقّات، والرَّجُلَةُ: شدة المشي.

(٢) النِّخَاسُ: بائع الدواب.

(٣) الإبل الرُّمُكُ: ما كان لونُها الرُّمَكَةَ (لون الرماد) والمفرد أَرَمَك والأُنثى رَمَكَاءُ.

(٤) الكُمَيْتُ من الخيل: الذي خالط حمرة سواد غير خالص.

وجدتم أصبر؟ قالوا: بنات العم.

المدائني قال: قال شَبَّةُ بن عِقَال: أَقْبَلْتُ من اليمَن أريد مكة وخَفْتُ أن يفوتني الحج، ومعِي ثلاثة أجمال فمررت برجل من أهل اليمَن على ناقَةٍ له فطَوَيْتُهُ فلما جُرْتُهُ قام بي بعيرٌ لي ثم آخر ثم قام الآخر فظننتُ أن الحج يفوتني فمرُّ بي اليماني فقال: مررت بنا ولم تسلم ولم تعرِّض. فقلت: أجل يرحمك الله. قال: أَتَطِيبُ نفساً عما أرى؟ قلت: نعم. فنزل فأرخى أنساعاً^(١) رَحَلَهُ ثم قَدَّمَهُ فكاد يضعه على عنقها ثم شدَّه وقال لي: لولا أنك لا تضبط رأسها لقدمتك. ثم قال لي: خذ حُرَّ متاعك إن لم تطب نفساً به ففعلت، ثم آرتدفتُ فَجَعَلْتُ تعوم عوماً ثم انسلتُ كأنها ثعبانٌ يسيل سيلاً كالماء فما شعرت حتى أراني الأعلام وقال: أسمع؟ فسمعت أصوات الناس فإذا نحن بجمْع^(٢)، ففضيتُ حِجَّتِي، وكان قال لي: حاجتي إليك ألا تذكر هذا فإن هذه عندي أثرٌ من ولاية العَرُوض يعني مكة والمدينة، أدركُ عليها الثَّأْرَ وهي ثَمَالُ العِيَالِ وأصِيدُ عليها الوحش وأوافي عليها الموسم في كل عام من صنْعاء في أقل من غِبِّ الحمال فسألته: من أين هي؟ قال: بُجَاوِيَّةٌ من هَوَامِي نَتَاجِرِ بدو بَحِيلَةٍ الأولى وهي من المَهَارَى التي يذكر الناس.

وكتب سليمان بن عبد الملك إلى عامله: أَصْنِبْ لي نَجَائِبَ كِرَاماً. فقدم رجل على جمل^(٣) سُبَاعِيٍّ عظيم الهامة له خَلَقٌ لم يَرَوْا مثله قط فساموا، فقال: لا أبيعهُ. قالوا: لا نَدْعُكَ ولا نغصِبُكَ ولكننا نكتب إلى أمير المؤمنين

(١) أنساع رَحَلَهُ: حبال رَحَلِهِ، مفردُها نِسْعَةٌ.

(٢) جَمْعٌ: ضد التفريق، وهو المزدلفة، سمي بذلك لِاجتماع الناس به. وَجَمْعٌ أيضاً قلعة بوادي

موسى عليه السلام. تهذيب الأسماء واللغات (ج ١ ق ٢ ص ٥٩ و ١٥٠) ومعجم البلدان.

(٣) الجمل السُبَاعِيُّ: العظيم الطويل.

بسببه. قال: فهلا خيراً من هذا؟ قالوا: ما هو؟ قال: معكم نجائب كرام وخيل سابقة، فدعوني أركب جملي وأبعثه وأتبعوني فإن لحقتموني فهو لكم بغير ثمن. قالوا: نعم. فدنا منه فصاح في أذنه ثم أثاره فوثب وثبة شديدة فكبا ثم أنبعث وأتبعوه فلم يدروا كيف أخذ، ولم يروا له أثراً فجعل أهل اليمن علماً على وثبته يقال له: الكفلان.

أخبار الجبناء

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله عن عمه الأصمعي قال: أرسل عبيد الله بن زياد رجلاً في ألفين إلى مرداس^(١) بن أدية وهو في أربعين فهزمه مرداس فعنفه أبن زياد وأغلظ له فقال: يشتمني الأمير وأنا حي أحب إلي من أن يدعولي وأنا ميت. فقال شاعر الخوارج^(٢):
[وافر]

أَلَفَا مُؤْمِنَ مِنْكُمْ زَعَمْتُمْ وَيَهْزُمُهُمْ بِأَسْكَ^(٣) أَرْبَعُونَا؟
كَذَبْتُمْ لَيْسَ ذَلِكَ كَذَاكُمْ وَلَكِنَّ الْخَوَارِجَ مُؤْمِنُونَا
هَمَّ الْفِتَّةُ الْقَلِيلَةُ قَدْ عَلِمْتُمْ عَلَى الْفِتَّةِ الْكَثِيرَةِ يُنْصِرُونَا^(٤)

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن عون عن الحسن قال: قال النبي ﷺ: «مَا آلَقَتْ فُتَاتَانُ قَطُّ إِلَّا وَكَفَّ اللَّهُ بَيْنَهُمَا فَإِذَا أَرَادَ أَنْ

(١) مرداس بن أدية أحد أئمة الخوارج كما في معجم البلدان.

(٢) شاعر الخوارج هو عيسى بن فاتك الخطي، أحد بني تيم الله بن ثعلبة. المصدر السابق مادة (أَسَكَ).

(٣) أَسَكَ: بلد من نواحي الأهواز قرب أَرْجَان، بينها وبين أَرْجَان يومان. المصدر السابق.

(٤) ورد البيت الأول والثالث في العقد الفريد (ج ١ ص ١٤٩) كما وردت هذه الأبيات الثلاثة في

معجم البلدان مادة (أَسَكَ) باختلاف يسير عما هنا، وسبق البيت الأول هذا البيت:

يقول بصيرهم، لما أتاهم بأن القوم ولّوا هاربينا.

يهزم إحدى الطائفتين أمال كَفَّهَ عليها». ورفع معاوية تُنْدُوته^(١) بيده وقال: لقد

علم الناس أن الخيل لا تجري بمثلي، فكيف قال النجاشي^(٢): [طويل]

وَنَجَّى أَبْنَ حَرْبٍ سَابِقُ ذُو عُلَّالَةٍ أَجْشُ هَزِيمٌ وَالرَّمَاخُ دَوَانِي^(٣)

ابن دَاب قال: قال عمرو بن العاص لمعاوية: لقد أعياني أن أعلم أَجَبَانَ أنت أم شجاع؟ فقال: [طويل]

شجاع إذا مَا أُمَكَّتْنِي فِرْصَةً وَإِلَّا تَكُنْ لِي فِرْصَةً فَجَبَانُ

شهد أبو دَلَامَة حرباً مع رَوْح بن حاتم فقال له: تقدّم فقاتل.

فقال:

[بسيط]

إِنِّي أَعُوذُ بِرَوْحٍ أَنْ يُقَدِّمَنِي إِلَى الْقِتَالِ فَتَخْزِي بِيْ بَنُو أَسَدٍ

إِن الْمَهْلَبُ^(٤) حُبُّ الْمَوْتِ وَرَثَتُكُمْ وَلَمْ أُورَثْ حُبَّ الْمَوْتِ عَنْ أَحَدٍ

أبو المنذر قال: حدّثنا زيد بن وهب قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: عجبا لابن النابغة! يزعم أنني تلعبه أَعَافِسُ وَأُمَارِسُ! أما وشرُّ

(١) التُّنْدُوةُ للرجل بمنزلة الثدي للمرأة. وقيل: هي اللحم الذي حول الثدي.

(٢) النجاشي هو قيس بن عمرو بن مالك بن كعب، شاعر هجاء اشتهر في الجاهلية والإسلام. توفي سنة ٤٠ هـ. الأعلام ج ٥ ص ٢٠٧.

(٣) ابن حرب هو معاوية لأنه كان يُكنى بذلك. ويظهر ذلك في قول ابن مُفَرِّغ الحميري في عباد بن زياد (وافر).

إذا أودى معاوية بن حرب فَبَشِّرْ شُعْبَ قَعْبِكَ بِأَنْصَدَاعٍ
وفيات الأعيان ج ٦ ص ٣٥٠. والعُلَّالَة: بقية جري الفرس والأجش: الغليظ الصهيل.
والهزيم: الشديد الصوت. ولقد ورد بيت النجاشي في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٦٩) هكذا:
«وَنَجَّى ابْنَ هِنْدٍ... الخ».

(٤) هو المهلب بن أبي صفرة، الأمير الجواد البطاش. ولي إمارة البصرة لمصعب بن الزبير ثم ولّاه عبد الملك بن مروان ولاية خراسان. وهو أول من اتخذ الركب من الحديد، وكانت قبل ذلك تعمل من الخشب. الأعلام ج ٧ ص ٣١٥.

القول أكذبه، إنه يسأل فيلحف^(١) ويسأل فييخل، فإذا كان عند البأس فإنه أمرؤ زاجرٌ ما لم تأخذ السيوف مأخذها من هام القوم، فإذا كان كذلك كان أكبرُ همّه أن يُبرِّقَطَ^(٢) ويمنَحَ الناسَ أسنّه. قبحه الله وترحه. وقال الفرّار^(٣)

[كامل]

السُّلَمي:

وكتيبةٍ لبستها بكتيبةٍ حتى إذا ألّبتت نفضت بها يدي^(٤)
وتركتهم تقص الرماح ظهورهم من بين منجدلٍ وآخر مُسندٍ^(٥)
ما كان ينفعني مقال نسائهم وقُتلت دون رجالهم: لا تبعد^(٦)

[بسيط]

وقال آخر:

أصحت تشجّعني هندٌ وقد علّمت أن الشجاعة مقرونٌ بها العطبُ
لا والذي حجت الأنصار كعبته ما يشتهي الموتُ عندي من له أربُ
للحرب قومٌ أضلّ الله سعيهم إذا دعّتهم إلى حوائبها^(٧) وثبوا
ولست منهم ولا أبغي فعالهم لا القتلُ يُعجيني منها ولا السلبُ

[رمل]

وقال أيمن^(٨) بن خريم:

إنّ للفتنة ميّطاً^(٩) بيّنا فرؤيد الميّط منها يعتدلُ

(١) يُلحِفُ: يُضِرُّ.

(٢) يُبرِّقَطُ: يقعد على الساقين مُفرّجاً ركبته.

(٣) الفرّار السُّلَمي هو حيان بن الحكم، شاعر مخضرم صحابي وصاحب راية بني سليم. يوم

الفتح. سمي الفرّار لأنه كان يُحسّن الفرار على قبحه حتى حسّن.

(٤) لَبَّسَتْها: خلطتها. ونفضت بها يدي: كناية عن الإعراض عنها.

(٥) تَقِصُّ: تكسر. المسند: هو الذي أمسك إلى ما يسنده وبه رَبَقُ.

(٦) وردت هذه الأبيات الثلاثة في العقد الفريد (ج ١ ص ١٣٩ - ١٤٠).

(٧) الحَوَائِبُ: النَّفْسُ؛ وحوائب الحرب: نيرانها.

(٨) أيمن بن خريم شاعر من بني أسد. كان يشارك في الغزو، وهو ابن خريم الصحابي. توفي

نحو ٨٠ هـ. الأعلام (ج ٢ ص ٣٥).

(٩) الميّط: الصَّحْبُ والشَّدَّة.

فإذا كان عطاءً فأتهم وإذا كان قتالاً فاعتزل

إنما يُسعرها جهالها حطب النار فدعها تشتعل^(١)

وقال آخر:

[مقارب]

كمُلقي الأعنة من كَفِّهِ وقاد الجياد بأذنايها

وقال جرّان^(٢) العود في الدّهش:

[بسيط]

يوم ارتحلت برحلي قبل تودعتي والقلب مُستوهل بالبين مشغول

ثم اغترزت^(٣) على يضوي لأدفعه إثر الحمول الغوادي وهو معقول

كان خالد بن عبد الله من الجبناء خرج عليه المغيرة بن سعيد صاحب المغيرة من الرافضة وهو من بجيله فقال من الدّهش: أطعموني ماء. فذكره بعضهم فقال:

[بسيط]

عاد الظلوم ظليماً حين جدّ به وأستطعم الماء لما جدّ في الهرب

وقال عبيد الله بن زياد إمّا للكنّة فيه أو لجبن أو دهشة: افتحوا سيوفكم.

وقال ابن مفرّغ الحميري^(٤):

(١) وردت هذه الأبيات في العقد الفريد (ج ١ ص ١٤١ - ١٤٢).

(٢) جرّان العود لقبّ على عامر بن الحارث الشميري لقوله لأمرأته (طويل).

خُذَا حَزِيراً يَا حَسَنَتِي فإِنَّنِي رَأَيْتُ جِرَانَ الْعَوْدِ قَدْ كَادَ يَصْلُحُ
يريد سوطاً قدّه من صدر جمل مُسَيّن، خَوْفُهُمَا بِهِ. وَحَنَةُ الرَّجُل: إمرأته. وكان تزوّج امرأتين
فلقياً منهما مكروهاً. ومعنى جرّان العود: مُقَدَّمُ عُنُقِ الْبَعِيرِ الْمُمَيَّن، كان عامر يلقّب نفسه به
في شعره. وهو شاعر جاهلي ولكنه أدرك الإسلام. راجع الشعر والشعراء لابن قتيبة ص
٦٠٥ - ٦٠٨ ومعجم شعراء الحماسة مص ٦٧ والأعلام (ج ٣ ص ٢٥٠).

(٣) اغترزت: ركبت، وأصل اغترزت: وضع رجله في الغرّز وهو ركاب الرّحل. وقد ورد هذان
البيتان في الشعر والشعراء ص ٦٠٧ - ٦٠٨ بعد هذا البيت:.

بِإِنِّ الْأَنْبِيَاءِ قَدْ بَلَغُوا لِقَابَ الْغَايَةِ وَلَا عَلَى الْجِيَرَةِ الْغَايَةِ تَعْوِيلُ

وقبل هذا البيت قال ابن قتيبة في كتابه المذكور آنفاً: «ومما يستحسن من شعره قوله».

(٤) ابن مفرّغ الحميري هو يزيد ابن ربيعة الحميري، ومفرّغ لقبّ له. شاعر غزل. مات سنة =

[وافر]

وَيَوْمَ فَتَحْتَ سَيْفَكَ مِنْ بَعِيدٍ أَضَعْتَ وَكُلَّ أَمْرِكَ لِلضِّيَاعِ^(١)

وكان معاوية يتمثل بهذين البيتين كثيراً: [متقارب]

أَكَاكَ الْجَبَانُ يَرَى أَنَّهُ سَيُقْتَلُ قَبْلَ أَنْقِضَاءِ الْأَجَلِ
فَقَدْ تُذَرِّكَ الْحَادِثَاتُ الْجَبَانَ وَيَسْلُمُ مِنْهَا الشَّجَاعُ الْبَطْلُ

وقال خالد بن الوليد: لقد لقيت كذا وكذا رَحْفًا وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه طعنة أو ضربة أو رمية ثم ها أنا أموت على فراشي حَتَفَ أَنْفِي^(٢)، فلا نامت أعين الجبناء.

قيل لأعرابي: أَلَا تَغْزُو فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْذَرَكَ. قال: والله إنني لأبغض الموت على فراشي فكيف أمضي إليه رَكْضًا؟ وقال قِرَوَاشُ^(٣) بن حَوْطٍ وذكر رجلين:

ضُبْعًا مُجَاهِرَةً وَلَيْثًا هُذْنَةً وَتُعِيلِيَا خَمْرٍ^(٤) إِذَا مَا أَظْلَمَا

وقال عبد الملك بن مروان في أمية بن عبد الله^(٥) بن خالد:

-
- = ٦٩ هـ. وفيات الأعيان (ج ٦ ص ٣٤٢) وما بعدها والأعلام ج ٨ ص ١٨٣.
- (١) هذا البيت من جملة أبيات ابن مفرغ في عباد بن زياد يهجو به بعد أن فشل في الظفر بخيره. ولقد أورد ابن خلكان في وفيات الأعيان (ج ٦ ص ٣٥٠) ثلاثة أبيات منها.
- (٢) مات حَتَفَ أَنْفِهِ: مات على فراشه من غير قتل ولا ضرب ولا غرق.
- (٣) قِرَوَاشُ بن حَوْطٍ شاعر جاهلي. معجم الشعراء ص ٣٣٩. وفي نفس المصدر والصفحة أورد المرزباني بيتين آخرين إلى جانب بيت قرواش المذكور ردًا على رجلين توعداه.
- (٤) الْخَمْرُ: كل ما وارك واسترك من شجر وغيره.
- (٥) ذكر ابن عبد ربه في العقد (ج ١ ص ١٤٢ - ١٤٣) أمية بن عبد الله بن خالد بن أيد وعده من الفرارين. وأضاف قائلاً: فَرَّ أُمِيَّةٌ أَفْجَحَ فَرَارٍ مِنْ مَعْرَكَةِ جَرْتِ بَيْنِهِ وَبَيْنَ أَبِي فَدْيِكَ الْخَارِجِيِّ، فَسَارَ مِنَ الْبَحْرَيْنِ إِلَى الْبَصْرَةِ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ. ونسب البيت المذكور لبعض العراقيين وليس لعبد الملك بن مروان.

[طويل]

إذا صَوَّتَ العُصفورُ طار فؤاده وليثُ حديدُ الناب عند الثرائدِ

ونحوه قول الآخر^(١):

[طويل]

ولو أنها عصفورة لحسبتها مَسْؤَمَةٌ تدعو عُبيداً وأزْمناً^(٢)

وقال الله جلَّ وعزَّ: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾^(٣).

ومن أشعار الشُّطَّار في الجبان:

[هزج]

رأى في النوم إنساناً فوارى نفسه أشهر^(٤)

قال ابن المقفع: الجبنُ مَقْتَلَةٌ والحرصُ مَحْرَمَةٌ فأنظر فيما رأيت

وسمعت: من قُتل في الحرب مقبلاً أكثر أم من قُتل مدبراً؟ وأنظر من يطلب

إليك بالإجمال والتكرم أحق أن تسخو نفسك له بالعطية أم من يطلب إليك

بالشره والحرص؟ وقال حنَّش^(٥) بن عمرو:

[طويل]

وأنتم سماءٌ يُعْجِبُ النَّاسَ رِزْهُا^(٦) لها زَجَلٌ باقٍ شديدٌ ويئدُها

تَقْطَعُ أَطْنَابَ الْبُيُوتِ بِحَاصِبٍ^(٧) وأكذبُ شيءٍ برقها ورعوها

(١) هو العَوَّام بن شَوَدْب الشَّيْبَانِي، قال هذا البيت من جملة أبيات في بَسْطَام وأصحابه وردت في العقد الفريد (ج ٥ ص ١٩٥ - ١٩٦).

(٢) أَرْزَمُ: بطن من بني يربوع.

(٣) سورة المنافقون ٦٣، آية ٤. أي أنهم جبناء يرتعدون من كل شيء، ويتوقعون الضربة القاضية بين أن وأن حتى ولونادى البائع على سلعته لظنوا أن الواقعة نزلت على رؤوسهم. التفسير المبين.

(٤) ورد هذا البيت في العقد الفريد (ج ١ ص ١٤٥) لبعض العراقيين في رجل أكل جبان، يعني به أمية بن عبد الله المذكور آنفاً.

(٥) حَنَّش بن عمرو صنعاني وتابعي من أصحاب علي عليه السلام. غزا الأندلس وبنى جامع سرفسطة بالأندلس وأسس جامع قرطبة. توفي بسرقسطة سنة ١٠٠ هـ. جذوة المقتبس للحميدي، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ ص ٢٠١ - ٢٠٣.

(٦) الرِّزُّ: الصوت تسمعه من بعيد، أو صوت الرعد.

(٧) الحاصب: ريح شديدة تحمل التراب وتثير الحصباء وتجيء بها إو هو ما تنأثر من دقاق الثلج والبرَد والسحاب الذي يرمي بهما.

فَوَيْلٌ لَّهَا^(١) خَيْلاً تَهَاوَى شِرَارُهَا إِذَا لَاقَتِ الْأَعْدَاءَ لَوْلَا صَدُودُهَا
وقال الفرزدق أو البّعيث:

[بسيط]

سائل سَلِيطاً^(٢) إِذَا مَا الْحَرْبُ أَفْزَعَهَا مَا بَالُ خَيْلِكُمْو قُعْساً هَوَادِيهَا
لا يرفعون إلى داعٍ أَعْنَتَهَا وفي جَوَاشِينَهَا دَاءٌ يُجَافِيهَا
كان بالبصرة شيخ من بني نهشل يقال له عروة بن مَرثَدٍ وَيُكْنَى أبا الْأَغَرِّ
ينزل ببني أخت له في سكة بني مَازِن، وبنو أخته من قريش، فخرج رجالهم
إلى ضِيَاعِهِمْ في شهر رمضان وخرج النساء يصلّين في مسجدهم فلم يبق في
الدار إلا الإمام^(٣) فدخل كلب يَعْتَسُ^(٤) فرأى بيتاً فدخله وأنصفق الباب فسمع
الحركة بعضُ الإمام فظنوا أن لصاً دخل الدار فذهبت إحداهنَّ إلى أبي الأغر
فأخبرته، فقال أبو الأغر: ما يتغي اللص؟ ثم أخذ عصاه وجاء، فوقف على
باب البيت وقال: إيه، يا مَلَأْمَان^(٥)، أما والله إنك بي لعارف فهل أنت إلا من
لصوص بني مازن شَرِبْتَ حَامِضاً خَبِيثاً حتى إذا دارت القدوح في رأسك مَتَتَكَ
نفسك الأمانى وقلت: أطرقُ ديارَ بني عمرو والرجال خُلُوف والنساء يصلّين في
مسجدهم فأسرقهم؟ سَوْءَةٌ لَكَ، والله ما يفعل هذا ولد الأحرار، وأيم الله^(٦)
لتخرجنَّ أو لأهتفنَّ هَتْفَةً مشؤومة يلتقي فيها الحيان عمرو وحَنُظْلَةٌ وتجيء سَعْدٌ

(١) وَيَلُّهَا: أصل الكلام: وَيَلُّ أُنْهَا. والمعنى: ما أشدّها.

(٢) أي بنو سليط، وذكر ابن حزم في جمهرة أنساب العرب ص ٢٢٥ أن حارثه بن بدر بن ربيعة ابن سليط شهر بقتال الخوارج.

(٣) الإمام: حج أمة، وهي الجارية.

(٤) إَعْتَسَ الْكَلْبُ: طاف بالليل، ومنه المثل: كَلْبٌ أَعْتَسَ خَيْرٌ مِنْ كَلْبٍ رَبَضَ، يضرب في التشويق إلى السعي والكسب.

(٥) يا مَلَأْمَان: أي يا لثيم.

(٦) أَيْمَ اللهُ و «أَيْمَ اللهُ»: قسم؛ يقال أيضاً: أَيْتَنُ اللهُ.

بعدد الحصى وتسيل عليك الرجال من هاهنا ومن هاهنا ولئن فعلت لتكونن أشأم مولود. فلما رأى أنه لا يجيبه أحد أخذ باللين فقال: أخرج بأبي وأمي، أنت مستور، إني والله ما أراك تعرفني ولو عرفتني لقنعت بقولي وأطمأنت إليّ. أنا - فديتك - أبو الأغر النّهشلي، وأنا خال القوم وجلدة بين أعينهم لا يعصوني، ولن تضارّ الليلة فأخرج فأنت في ذمتي وعندي قوصرتان^(١) أهدهما إليّ ابن أختي البارّ الوُصول فخذ إحداهما فانتبذها حلالاً من الله ورسوله. وكان الكلب إذا سمع الكلام أطرق وإذا سكت وثب يُريغ المخرج، فتهاذف أبو الأغر ثم تضاحك وقال: يا ألام الناس وأوضعهم، لا أرى إلا أني لك الليلة في واد وأنت لي في واد، أقلب السوداء والبيضاء فتصيخ وتطرق، وإذا سكت عنك وثبت تُريغ المخرج، والله لتخرجن أو لألجنّ عليك البيت. فلما طال وقوفه جاءت إحدى الإماء فقالت: أعرابي مجنون، والله ما أرى في البيت شيئاً، فدفعت الباب فخرج الكلب شداً وحاد عنه أبو الأغر ساقطاً على قفاه، ثم قال: يا لله ما رأيت كالليلة! والله ما أراه إلا كلباً، أما والله لو علمت بحاله لولجت عليه.

وشبيه بهذا حديث لأبي حية النُميري، وكان له سيف ليس بينه وبين الخشبة فرق، وكان يسميه لعاب المنية. قال جاره له: أشرفت عليه ليلة وقد انتضاه وشمر وهو يقول: أيها المغتر بنا والمجترى علينا، بئس والله ما اخترت لنفسك، خير قليل وسيف صقيل، لعاب المنية الذي سمعت به، مشهور ضربته لا تخاف نبوته. أخرج بالعفو عنك وإلا دخلت بالعقوبة عليك، إني والله إن أدعُ قيساً تملأ الأرض خيلاً ورجلاً. يا سبحان الله، ما

(١) القوصرة: كناية عن المرأة، وهي في الأصل وعاء للتمر يؤخذ من قصب تسمى بها ما دام فيها تمر وإلا يقال: زنبيل.

أكثرها وأطيبها! ثم فتح الباب فإذا كلب قد خرج، فقال: الحمد لله الذي مسحك كلباً وكفاني حرباً..

وقرأت في كتاب كليله ودمنة: يخاف غير المخوف طائر يرفع رجله خشية السماء أن تسقط، وطائر يقوم على إحدى رجله جذار الخسف إن قام عليهما، ودودة تأكل التراب فلا تشبع خوفاً أن يفنى إن شبع فتجوع، والخفافيش تستتر بالنهار تحذار أن تُصطاد لحسنها.

بَيَّنَّا عَبْدُ اللَّهِ بن خازم السُّلَمي عند عبيد الله بن زياد إذ دُخِلَ عليه بِجُرَذٍ^(١) أبيض فعجب منه وقال: يا أبا صالح، هل رأيت أعجب من هذا؟ وإذا عبد الله قد تضاءل حتى صار كأنه فرخ وأصفر حتى كأنه جرادة ذكر. فقال عبيد الله: أبو صالح يعصى الرحمن ويتهاون بالشيطان ويقبض على الثعبان ويمشي إلى الأسد الورْدُ^(٢) ويلقى الرماح بوجهه قد آتراه من هذا الجرذ ما ترون! إن الله على كل شيء قدير!.

كان الحارث بن هشام أخو أبي جهل بن هشام شَهِدَ بَذْراً مع المشركين وأنهم، فقال فيه حسان^(٣):
[كامل]

إِنْ كُنْتَ كاذِبَةً الَّذِي حَدَّثْتَنِي فَنجوتَ مَنْجَى الحارث بن هشام
تَرَكَ الأَجَبَةَ لَمْ يقاتِلْ دونَهُمْ ونجا برأس طِمْرَةٍ^(٤) ولجام

(١) الجُرَذُ: ضرب من الفأر، أو هو ذكر الفأر والعامة تقول جرذون.

(٢) الورْدُ: الأسد.

(٣) هو الصحابي حسان بن ثابت الخزرجي الأنصاري، شاعر الأنصار في الجاهلية وشاعر النبي في النبوة وشاعر اليمانيين في الإسلام. توفي سنة ٥٤ هـ. الأعلام (ج ٢ ص ١٧٥ - ١٧٦). وذكر ابن عبد ربه في العقد (ج ١ ص ١٤٤) بيتاً ثالثاً إضافة إلى البيتين المذكورين وقال: قال حسان بن ثابت هذا الشعر يُعَيِّرُ الحارث بن هشام بفراره يوم بدر.

(٤) الطِمْرَةُ: الأنثى من الجياد، وهي المستفزة للوثب والعدو، وقيل: هي الطويلة القوائم.

فاعتذر الحارث من فراره وقال:

[كامل]

الله يعلم ما تَرَكْتُ قتالَهُمْ حتى عَلَوْا فَرَسِي بِأَشَقَرِ مُزِيدٍ
وعِلِمْتُ أَنِّي إِنْ أَقَاتِلُ واحِداً أَقْتُلُ ولا يَضُرُّ عَدُوِّي مَشْهَدِي
فَصَدَدْتُ عَنْهُمْ والأَحِبَّةَ فِيهِمْ طَمَعاً لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمِ مُفْسِدِ
وَأَسْلَمَ يَوْمَ فَتَحِ مَكَّةَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، وخرج في زمن عمر من مكة إلى
الشام بأهله وماله، فَاتَّبَعَهُ أَهْلُ مَكَّةَ يَبْكُونَ، فَرَقَّ وَبَكَى ثُمَّ قَالَ: أَمَا إِنَّا لَوَكُنَّا
نَسْتَبْدِلُ دَاراً بِدَارِنَا وَجَاراً بِجَارِنَا مَا أَرَدْنَا بِكُمْ بَدَلاً، وَلَكِنَّا الثُّقَلَاءُ إِلَى اللَّهِ، فَلَمْ
يَزَلْ هُنَالِكَ مُجَاهِداً حَتَّى مَاتَ.

المدائني قال: رأى عمرو بن العاص معاوية يوماً يضحك فقال له: مم
تضحك يا أمير المؤمنين أضحك الله سنك؟ قال: أضحك من حضور ذهنك
عند إبدائك سوءتك يومَ أبْنِ أَبِي طَالِبٍ، أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ وَافَقْتَهُ مَنَاناً كَرِيماً، وَلَوْ
شَاءَ أَنْ يَقْتُلَكَ لَقَتَلَك. قال عمرو: يا أمير المؤمنين، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَعَنُ يَمِينِكَ
حِينَ دَعَاكَ إِلَى الْبَرَّازِ فَاحْوَلْتُ عَيْنَكَ وَرَبَّاهُ سَحْرَكَ وَبَدَأَ مِنْكَ مَا أَكْرَهَ ذَكَرَهُ لَكَ
فَمِنْ نَفْسِكَ فَأَضْحَكَ أَوْدَعَ.

وقدم الحجاج على الوليد بن عبد الملك فدخل وعليه دِرْعٌ وعمامة
سوداء وقوس عربية وكِنَانَةٌ، فَبَعَثَتْ إِلَيْهِ أُمُّ الْبَنِينَ بِنْتُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ
فَقَالَتْ: مِنْ هَذَا الْأَعْرَابِيِّ الْمُسْتَلْتِمِ^(١) فِي السِّلَاحِ عِنْدَكَ وَأَنْتِ فِي غِلَالَةٍ؟
فَبَعَثَ إِلَيْهَا أَنَّهُ الْحَجَّاجُ، فَأَعَادَتِ الرَّسُولَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: تَقُولُ لَكَ وَاللَّهِ لَأَنْ يَخْلُو
بِكَ مَلِكُ الْمَوْتِ أَحْيَاناً أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَخْلُو بِكَ الْحَجَّاجُ، فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ
الْوَلِيدُ وَهُوَ يَمَازِحُهُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، دَعْ عَنْكَ مَفَاكِهِةَ النِّسَاءِ بِزَخْرِفِ

(١) الْمُسْتَلْتِمُ: اللابسُ اللَّامَةَ لِلدَّرْعِ.

القول فإنما المرأة رِيحانة وليست قَهْرْمَانَةٌ^(١) فلا تُطلعها على شرك ومكايدة عدوك. فلما دخل الوليد أخبرها بمقالة الحجاج فقالت: يا أمير المؤمنين، حاجتي أن تأمره غداً بأن يأتيني مستلثماً، ففعل ذلك وأتاها الحجاج فحجبته فلم يزل قائماً، ثم قالت: إيه يا حجاج، أنت الممتنّ على أمير المؤمنين بقتال ابن الزبير وآبن الأشعث، أما والله لولا أن الله علم أنك شر خلقه ما آبتلاك برمي الكعبة الحرام ولا بقتل ابن ذات النطاقين^(٢) أول مولود ولد في الإسلام، وأما نهيك أمير المؤمنين عن مفاكهة النساء وبلوغ لذاته وأوطاره فإن كنّ ينفرجن عن مثله فغير قابل لقولك، أنا والله لقد نفّض نساء أمير المؤمنين الطيب من غدائهن فبعته في أعطية أهل الشام حين كنت في أضيق من القرن قد أظلتك رماحهم وأثخنك كفاحهم وحين كان أمير المؤمنين أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم فأنجأك الله من عدو أمير المؤمنين بحبهم إياه، قاتل الله القائل حين نظر إليك وسنان غزّالة^(٣) بين كتفيك:

[كامل]

أَسَدٌ عَلِيٌّ فِي الْحُرُوبِ نِعَامَةٌ فَتَحَاءُ^(٤) تَنْفِرُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ
هَلَّا كَرَّرْتَ عَلَيَّ غَزَالَهٖ فِي الْوَعَى بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَوَانِحِ طَائِرِ
وغزّالة امرأة شبيب الخارجي. ثم قالت: أخرُجْ، فخرج.

(١) القهرمان والقهرمانة لفظة أعجمية استعملتها العرب بمعنى الوكيل أو أمين الدخل، والجمع قهارة.

(٢) ذات النطاقين: هي أسماء بنت أبي بكر، قيل لأنها شقّت نطاقها ليلة خروج رسول الله إلى الغار فجعلت واحدة لسفرة رسول الله والأخرى عصاماً لقربته.

(٣) هي غزّالة الحرورية. وقد ذكر أبو الفرج في الأغاني (ج ١٦ ص ١٥٥ ط. بولاق) أن غزّالة الحرورية لما دخلت على الحجاج هي وشبيب الكوفة تحصن منها وأغلق عليها القصر، فكتب إليه عمران بن حطان، وقد كان الحجاج لجّ في طلبه، بيتاً ثالثاً إضافة إلى البيتين المذكورين. كذلك أورد في العقد الفريد (ج ٥ ص ٤٤) هذه الأبيات ولكن باختلاف بسيط عما هنا.

(٤) فتحاء: مسترخية مفاصلها.

وكان في بني ليث رجل جبانٌ بخيلٌ فخرج رهطه غازين وبلغ ذلك أناساً من بين سليم وكانوا أعداء لهم فلم يشعر الرجل إلا بخيلٍ قد أحاطت بهم فذهب يفر فلم يجد مفرأً، ووجدهم قد أخذوا عليه كل وجه فلما رأى ذلك جلس ثم نثل كنانته وأخذ قوسه وقال^(١):

ما عَليّ، وأنا جَلْدُ نَابِلٍ^(٢) والقوسُ من تَبَعٍ لها بَلَائِلُ
يَسْرُزُ فيها وتَرُ عُنَابِلُ^(٣) إن لم أَقَاتِلْكُمْ فأمَيّ هَابِلُ^(٤)
أَكُلُ يومٍ أنا عَنْكُمْ نَاكِلُ لا أَطْعِمُ القومَ ولا أَقَاتِلُ
الموت حقٌ والحياة باطلُ

ثم جعل يرميهم حتى ردهم، وجاءهم الصريخ وقد مُنِعَ الحيّ، فصار بعد ذلك شجاعاً سمحاً معروفاً.

ولما قتل عبدُ الملك مصعبَ بن الزبير وجّه أخاه بشر بن مروان على الكوفة ووجّه معه رَوْحَ بن زنباع الجذامي كالوزير، وكان روح رجلاً عالماً داهية غير أنه كان من أجبن الناس وأبخلهم، فلما رأى أهل الكوفة من بخله ما رأوا تخوفوا أن يفسد عليهم أمرهم وكانوا قد عرفوا جبهه فاحتالوا في إخراجهم عنهم فكتبوا ليلاً على بابهِ:

إنَّ أبْنِ مروان قد حانت مَنِيَّتُهُ فَاحْتَلْ لِنَفْسِكَ يَا رَوْحُ بَنَ زَنْبَاعٍ
فلما أصبح ورأى ذلك لم يشك أنه مقتول فدخل على بشر فاستأذنه في الشخصوص فأذن له وخرج حتى قدم على عبد الملك فقال له: ما أقدمك؟ قال: يا أمير المؤمنين، تركتُ أخاك مقتولاً أو مخلوعاً. قال: كيف عَرَفْتَ

(١) قائل هذا الشعر هو عاصم بن ثابت كما في اللسان مادة (عنب).

(٢) جَلْدٌ: شديد قوي. ونابل: حاذق بالنبل، والجمع نَبَلٌ.

(٣) الوترُ العُنَابِلُ: الوتر الغليظ. والام الهابل: التي تشكل ولدها، يقال: هَبَلَتْهُ أُمُّهُ: تَكَلَّتْهُ.

ذلك؟ فأخبره الخبر فضحك عبد الملك حتى فحَصَ برجليه، ثم قال: إحتال لك أهل الكوفة حتى أخرجوك عنهم.

كان أُمَيَّة بن عبد الله بن خالد بن أسيد وَجَّه إلى أبي فُذَيْك فأنهزم وأتي الحجاج بدوابٍّ من دوابِّ أمية قد وُسم على أفخاذها «عُدَّة» فأمر الحجاج فكتب تحت ذلك: «للفرار».

وقال عمر رضي الله عنه: إِنَّ الشجاعة والجبن غرائزُ في الرجال، تجد الرجل يقاتل عمن لا ييالي ألا يؤوب إلى أهله، وتجد الرجل يفرّ عن أبيه وأمه، وتجد الرجل يقاتل ابتغاء وجه الله فذلك هو الشهيد.

[طويل]

وقال الشاعر:

يَفِرُّ الجبانُ عن أبيه وأمه وَيَحْمِي شجاعُ القومِ من لا يناسبُهُ^(١)

باب من أخبار الشُّجَعَاء^(٢) والفرسان وأشعارهم

حدّثني أبو حاتم قال: حدّثني الأصمعي قال: سمعت الحرسيّ يقول: رأيت من الجبن والشجاعة عجباً. استَثَرْنَا من مَزْرعة في بلاد الشام رجلين يُدْرِيَان حنطة، أحدهما أصيفر أحيمش^(٣)، والآخر مثل الجمل عِظْماً، فقاتلنا الأصيفر بالمِذْرَى^(٤) لا تدنو منه دابة إلّا نخس أنفها وضربها حتى شقّ علينا فقتل، ولم نصل إلى الآخر حتى مات فَرَقاً^(٥) فأمرت بهما فبقرت بطونهما فإذا

(١) ورد هذا البيت مع بيت آخر في العقد الفريد (ج ١ ص ١٣٩) لبعض الشعراء في الجبان

والشجاع معاً. والبيت الآخر هو:

وَيُرْزَقُ معروفُ الجوادِ عِدْوُهُ وَيُخْرَمُ معروفُ البخيلِ أقاربُهُ

(٢) الشُّجَعَاء: ج شجاع، وهو ذو الشجاعة.

(٣) أَحِيمَش: مصغر أحمش، وهو دقيق الساقين.

(٤) المِذْرَى والمِذْرَاة: خشبة ذات أطراف كالأصابع يُدْرَى بها الطعام وتُنْقَى بها الأكداس،

والجمع مِذَارٍ.

(٥) مات فَرَقاً: مات فزعاً.

فؤاد الضخم يابس مثل الحشفة^(١)، وإذا فؤاد الأصيفر مثل فؤاد الجمل يتخضخض في مثل كوز من ماء.

وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: حدثنا أبو عمرو^(٢) الصَّفَّار قال: حاصر مسلمة حصناً فندب الناس إلى نَقَب منه، فما دخله أحد. فجاء رجل من عُرْض الجيش فدخله ففتح الله عليهم، فنأى مسلمة: أين صاحب النقب؟ فما جاءه أحد، فنأى: إني قد أمرت الأذن بإدخاله ساعة يأتي، فعزمت عليه ألا جاء. فجاء رجل فقال: إستاذن لي على الأمير. فقال له: أنت صاحب النقب؟ قال: أنا أخبركم عنه. فأتى مسلمة فأخبره عنه، فأذن له فقال له: إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثاً: ألا تسودوا أسمه في صحيفة إلى الخليفة ولا تأمروا له بشيء، ولا تسألوه ممن هو. قال: فذاك له. قال: أنا هو. فكان مسلمة لا يصلي بعدها صلاة إلا قال: اللهم أجعلني مع صاحب النقب.

حدثني محمد بن عمرو الجرجاني قال: كتب أنوشروان إلى مرازبته: عليكم بأهل الشجاعة والسخاء فإنهم أهل حسن الظن بالله تعالى. وذكر أعرابي قوماً تحاربوا فقال: أقبلت الفحول تمشي مشي الوعول، فلما تصافحوا بالسيوف فغرت المنيا أفواهاها. وذكر آخر قوماً أتبعوا قوماً أغاروا عليهم فقال: احتشوا كل جمالية غيرانية^(٣) فما زالوا يخصفون أخفاف البطي بحوافر الخيل حتى أدركوهم بعد ثلاثة فجعلوا المُرَّانَ أرشيّة^(٤) الموت وأستقوا بها أرواحهم. حدثني عبد الرحمن عن عمه عن رجل من العرب قال: انهزمنا من قَطْرِي وأصحابه فأدركني رجل على فرس فسمعت حساً منكراً خلفي،

(١) الحَشَفَةُ: أصول الزرع، والجمع حَشَاف.

(٢) لعله حماد بن واقد أبو عمرو الصغار كما في كتب التراجم.

(٣) الجُمَالِيَّةُ من النوق: العظيمة الخلق الوثيقة كالجمل. والغيرانة من الإبل هي التي تشبه بالعير في سرعتها ونشاطها.

(٤) المُرَّانُ: الرماح الصلبة اللدنة، والواحدة مُرَّانة. والأرشيّة: الحبال ومفردها رشاء.

فَالْتَفْتُ إِذَا أَنَا بَقَطَرِي فَيُسْتَمَنُ مِنَ الْحَيَاةِ فَلَمَّا عَرَفَنِي قَالَ: أَشَدُّدُ عِنَانِهَا وَأَوْجَعُ خَاصِرَتَهَا قَطَعَ اللَّهُ يَدَيْكَ. قَالَ: فَفَعَلْتُ فَنَجَوْتُ مِنْهُ.

وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ عَمِّهِ قَالَ: لَمَّا غَرِقَ شَيْبَابُ قَالَتْ أَمْرَأَةٌ: الْغَرَقُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ قَالَ: فَأَخْرَجَ فَشَقَّ بَطْنَهُ وَأَخْرَجَ فُؤَادَهُ إِذَا مِثْلُ الْكُوزِ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِهِ الْأَرْضَ فَيَنْزَوْنَ.

حَدَّثَنَا الرِّيَاشِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنَا صَاحِبُ لَنَا عَنْ أَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْكَلَابِ^(١) خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، أَحْسَبُهُ قَالَ: سَعْدِيُّ، فَقَالَ: لَوْ طَلَبْتُ رَجُلًا لَهُ فِدَاءٌ! قَالَ: فَخَرَجْتُ أَطْلُبُهُ، إِذَا رَجُلٌ عَلَيْهِ مُقْطَعَةٌ يَمَانِيَّةٌ عَلَى فَرَسٍ ذُنُوبٌ، فَقُلْتُ لَهُ: عَلَى يَمِينِكَ. قَالَ: عَلَى يَسَارِي أَقْصَدُ لِي. قُلْتُ: أَيُّهَا^(٢) مِنْكَ الْيَمَنُ. قَالَ: الْعِرَاقُ مِنِّي أَبْعَدُ. قُلْتُ: وَتَاللَّهِ لَا تَرَى أَهْلَكَ الْعَامَ. قَالَ لَا وَاللَّهِ أَهْلُكَ لَا أَرَاهُمْ. قَالَ: فَتَرَكْتُهُ وَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ وَنَعْتُ نَعْتَهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقِيلَ لِي: هُوَ وَغَلَّةُ الْجَرْمِيِّ^(٣).

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ عَنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ: بَعَثَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْأَحْنَفَ بْنَ قَيْسٍ عَلَى جَيْشٍ قَبْلَ خِرَاسَانَ فَبَيَّتَهُمُ الْعَدُوُّ لَيْلًا وَفَرَّقُوا جِيوشَهُمْ أَرْبَعَ فَرَقٍ

(١) هُوَ يَوْمُ الْكَلَابِ الثَّانِي أَوْ يَوْمُ الشَّعْبِيَّةِ (وَادٍ أَعْلَاهُ مِنْ أَرْضِ كَلَابٍ وَبَصَبٌ فِي سَدِّ قَنَاءَ) وَهُوَ يَوْمٌ لِبَنِي تَمِيمٍ وَبَنِي سَعْدٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. الْعَمْدَةُ (ج ٢٢ ص ٢٠٦) وَتَحَدَّثَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ: الْكَلَابُ مَاءٌ بَيْنَ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ.

(٢) أَيُّهَا: إِسْمٌ فَعَلَ أَمْرٌ بِمَعْنَى هِيَا، أَيْ أَبْعَدُ.

(٣) وَغَلَّةُ الْجَرْمِيِّ شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ مِنَ الْفَرَسَانِ. وَلَقَدْ تَدَاوَلَ النَّاسُ قَوْلُهُ (طَوِيلٌ).

أَظُنُّ صُرُوفَ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ سَتَحْمِلُهُ مِنِّي عَلَى مَرْكَبٍ وَغَرٍّ وَهُوَ مِنْ جَرْمٍ قُضَاعَةٍ. كَانَ صَاحِبَ الْوَلَاءِ يَوْمَ الْكَلَابِ الثَّانِي وَأَنْهَزَمَ. الْأَعْلَامُ ج ٨ ص ١١٧.

وأقبلوا معهم الطبل ففرع الناس وكان أول من ركب الأحنف فأخذ سيفه وتقلده ثم مضى نحو الصوت وهو يقول:

إِنَّ عَلَى كُلِّ رَئِيسٍ حَقًّا أَنْ يَخْضِبَ الصُّعْدَةَ^(١) أَوْ تَنْدَقًا

ثم حمل على صاحب الطبل فقتله، فلما فقد أصحاب الطبل الصوت أنهزموا. ثم حمل على الكُرْدُوس^(٢) الآخر ففعل مثل ذلك وهو وحده، ثم جاء الناس وقد أنهزم العدو فأتبعوهم يقتلونهم، ثم مَضَوْا حتى فتحوا مدينة يقال لها مَرَوَ الرُّوذ^(٣).

سأل ابن هُبَيْرَةَ عن مقتل عبد الله بن خازم، فقال رجل ممن حضر:

سألنا وَكَيْعَ بْنَ الدَّوْرَقِيَّةِ كَيْفَ قَتَلْتَهُ؟ قَالَ: غَلَبْتُهُ بِفَضْلِ فَتَاءٍ^(٤) كَانَ لِي عَلَيْهِ فَصْرَعْتُهُ وَجَلَسْتُ عَلَى صَدْرِهِ وَقُلْتُ لَهُ: يَا لثَارَاتِ دُوَيْلَةَ. يَعْنِي أَخَاهُ مِنْ أَبِيهِ. فَقَالَ مِنْ تَحْتِي: قَتَلَكَ اللَّهُ! تَقْتُلُ كِبَشَ مُضَرٍّ^(٥) بِأَخِيكَ وَهُوَ لَا يَسَاوِي كَفَّ نَوَى! ثُمَّ تَنَحَّمُ فَمَلَأَ وَجْهِي نُخَامَةً^(٦)، فَقَالَ ابْنُ هُبَيْرَةَ: هَذِهِ وَاللَّهِ الْبَسَالَةُ! اسْتَدَلَّ عَلَيْهَا بِكَثْرَةِ الرِّيقِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ.

قال هشام لمسلمة: يا أبا سعيد، هل دخلك دُغْرُ قُطٍّ لحرب أو عدو قال: ما سلّمت في ذلك من دُغْرٍ يَنْبُئُهُ عَلَى حِيلَةٍ وَلَمْ يَغْشَنِي فِيهَا ذَعْرُ سَلْبِنِي رَأْيِي. قال هشام: هذه البسالة.

(١) الصُّعْدَةُ: القنّاة المستوية التي لا تحتاج إلى تثقيف، وإلّجمع صُعَدَاتٍ وصِعَادٍ.

(٢) الكُرْدُوس: الكتبية من الخيل في الحرب.

(٣) مَرَوَ الرُّوذ: أشهر مدن خراسان، وهي مدينة مبنية على نهر، والنهر يقال له بالعجمية «الرُّوذ» والنسبة إليها ومَرُوزِي. وفيات الأعيان ج ١ ص ٦٩.

(٤) الْفَتَاءُ: الشباب.

(٥) أَي قَبِيلَةَ مُضَرٍّ.

(٦) تَنَحَّمُ: أَعْيَا. وَالنُّخَامَةُ: النُّخَاعَةُ، وَهِيَ مَا يَخْرُجُ مِنَ الصَّدْرِ مِنَ الْبَلْغَمِ.

خرج رُهم^(١) بن حَزْم الهلاليّ ومعه أهله وماله يريد النُّقْلة من بلد إلى بلد فلقبه ثلاثون رجلاً من بني تَغْلِب. فعرفهم، فقال: يا بَنِي تَغْلِب، شأنكم بالمال وخلُّوا الطعينة. فقالوا: رضينا إن أَلْقَيْتَ الرمح. قال: وإن رُمحي لَمعي. وحمل عليهم فقتل منهم رجلاً وصرع آخر وقال: [رجز]
رُداً على آخرها الأتاليّا إن لها بالمشرَفِي حادياً
ذَكَرْتَنِي الطَّعَنَ وَكُنْتُ ناسياً

قال الزُّبيري: ما أستحيا شجاع أن يفر من عبد الله بن خازم السُّلمي وقطريّ بن الفُجاءة.

أبو اليَقْظان قال: كان حبيب بن عَوْف العبدي^(٢) فاتِكاً، فلقني رجلاً من أهل الشام قد بعثه زياد ومعه ستون ألفاً يتجر بها فسايره، فلما وجد غَفْلةً قتله وأخذ المال فقال يوماً وهو يشرب على لذته: [بسيط]

يا صاحبيّ، أَيْلاً اللومَ والعَذْلاً	ولا تقولاً لشيءٍ فات ما فعلاً
رُداً عليّ كُمَيْت ^(٣) اللون صافية	إني لقيت بأرض خالياً رجلاً
ضَخَمَ الفرائص لو أَبْصَرْتُ قِمَتَهُ	وَسَطَ الرجال إذْ شَبَّهَتْهُ جَمَلاً
ضاحكته ساعة طوراً وقلت له	أَنْفَقْتُ بيعك إن رَيْثاً وإن عَجَلاً
سايرته ساعة ما بي مخافته	إِلَّا أَلْتَلُّتُ حولي هل أرى دَغْلاً ^(٤)
غادرته بين آجامٍ ومُسَبَّعة	لم يَدْرِ غيري بعدي بَعْدُ ما فُعِلاً
يدعو زياداً وقد حانت مَنِيَّتُهُ	ولا زيادَ لمن قد وافق الأَجْلاً

(١) ورد اسمه في أمثال الميداني (ج ٢ ص ٢٤٥): رهم بن حزن.

(٢) جاء في معجم شعراء الحماسة ص ٢٦ ما نصه: «حبيب بن عوف لم أقف له على ترجمة».

(٣) الكُميت: الخمر التي فيها سواد وحمرة.

(٤) الدَّغَل: دَخَلَ في الأمر أو الموضع يخاف فيه الإغتيال، والجمع أدغال.

المفضّل الضبيّ: كان سُلَيْكُ بن سُلَكة التميمي من أشدّ فرسان العرب وأذكّهم وأدلّ الناس بالأرض وأجودهم عدوّاً على رجله لا تَعْلَقُ به الخيلُ وكانت أمّه سوداء وكان يقول: اللهمّ إنك تهبيء ما شئتَ لما شئتَ إذا شئتَ، اللهمّ إني لو كنت ضعيفاً كنت عبداً ولو كنت امرأة كنت أمة، اللهمّ إني أعوذُ بك من الخيبة فأما الهيبة فلا هيبة. وأملق حتى لم يبق له شيء، فخرج على رجله رجاء أن يصيب غرة من بعض من يمرّ عليه فيذهب بإبله، حتى إذا أمسى في ليلة مقمرة واشتمل الصّماء^(١) ونام، إذا برجل قد جثم على صدره وقال: استأسر. فرفع سليك رأسه وقال: «إن الليل طويل وأنت مُقَمِّر» فجرى مثلاً، وجعل الرجل يَلْهَزه^(٢) ويقول: استأسر، يا خبيث، فلما آذاه ضمّه إليه ضمةً ضرط منها وهو فوقه، فقال له سليك: «أضرباً وأنت الأعلى» فجرى مثلاً، ثم قال له: ما أنت؟ قال: أنا رجل أفتقرتُ، فقلت: لأخرجنّ ولا أرجع حتى أستغنى. قال: فأنطلق معي، فمضياً فَوَجَدَا رجلاً قصته مثل قصتهما، فأتوا جوف مُرَاد وهو واد باليمن فإذا فيه نَعَم كثيرة، فقال لهما سليك: كونا قريباً حتى آتي الرّعاء وأعلم لكما بعلم الحي أقرب هو أم بعيد، فإن كانوا قريباً رَجَعْتُ إليكما، وإن كانوا بعيداً قلت لكما قولاً أجي^(٣) به لكما فأغيرا. فأنطلق حتى أتى الرّعاء، فجعل يستنطقهم حتى أخبروه بمكان الحي فإذا هم بعيد، فقال لهم سليك: ألا أغنيكم؟ قالوا: بلى. فتغنّى بأعلى صوته ليُسمع صاحبيه:

[بسيط]

يا صاحبيّ، ألا لا حيّ بالوادي إلا عبيدٌ وأمّ^(٤) بين أذواد

(١) اشتمل الصّماء: ردّ الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى وعاتقه الأيسر لم يردّه ثانية من خلفه على يده اليمنى وعاتقه الأيمن فيغطّيهما جميعاً.

(٢) لَهَزه: لَكَزه.

(٣) من وَحي يحيى إذا أوماً. (٤) الأم: ح أمة، وهي المسنودة.

أَتَنْظُرَانِ قَلِيلًا رَيْثَ غَفَلَتَهُمْ أَمْ تَعْدُونَ فَإِنَّ الرِّبْحَ لِلْعَادِي
فلما سمعا ذلك أتيا التسليك فأطردوا الإبل وذهبوا بها.

حدّثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال: كان سليك يُحْضِرُ^(١) فتقع
السهامُ من كِنَانَتِهِ فترتنُ في الأرض من شدّة احضاره. وقال له بنو كنانة حين
كَبُرَ: أَرَأَيْتَ أَنْ تَرَيْنَا بَعْضَ مَا بَقِيَ مِنْ إِحْضَارِكَ؟ قال: نعم، إجمعوا لي
أربعين شاباً وأبغوني درعاً ثَقِيلَةً. فأخذها فلبسها وخرج بالشباب حتى إذا كان
على رأس ميل أقبل يُحْضِرُ فَلَاثَ الْعَدُوَّ لَوْثًا وَاهْتَبَصُوا^(٢) فِي جَنْبَيْهِ فَلَمْ يَصْحَبُوهُ
إِلَّا قَلِيلًا فَجَاءَ يُحْضِرُ مُنْتَبِرًا مِنْ حَيْثُ لَا يَرُونَهُ وَجَاءَتِ الدَّرْعُ تَخْفُقُ فِي عُنُقِهِ
كَأَنَّهُا خَرَقَةٌ.

قال سهل: حدّثني العُتْبِيُّ قال: حدّثني رجلٌ من بني تميم عن بعض
أشياخه من قومه قال: كنت عند المهاجر بن عبد الله والي اليمامة فأتني
بأعرابي قد كان معروفاً بالسَّرْقِ فقال له: أخبرني عن بعض عجائبك، قال:
إنها لكثيرة، ومن أعجبها أنه كان لي بغير لا يُسَبِّقُ وكانت لي خيل لا تُلَحِّقُ،
فكنت لا أخرج فأرجع خائباً فخرجت يوماً فأحترشتُ ضِبًّا فعلقته على قَتَبِي^(٣)
ثم مررت بِخِباءٍ سَرِيٍّ ليس فيه إلّا عجوز، فقلت: أخلق بهذا الخِباء أن يكون
له رائحة من غنم وإبل، فلما أُمْسِيتُ إذا بإبلٍ مائةٍ فيها شيخٌ عَظِيمُ البَطْنِ
مُثَدَّنٌ^(٤) اللحم ومعه عبد أسودٌ وَغَدٌّ، فلما رآني رَحَّبَ بي ثم قام إلى ناقة
فاحتلبها وناولني العُلْبَةَ فشربتُ ما يشرب الرجلُ فتناول الباقي فضرب به جبهته

(١) حَضَرَ: دنا موته.

(٢) إهْتَبَصُوا: عَدَوْا وَعَجَلُوا وَمَشَوْا مَشْيَةً سَرِيعَةً.

(٣) الْقَتَبُ: الْأَكَافُ الصَّغِيرُ عَلَى قَدَرِ سَنَامِ الْبَعِيرِ، وَالْجَمْعُ أَقْتَابٌ.

(٤) مُثَدَّنٌ اللَّحْمُ: تَثَدَّنَ أَيِ كَثِيرَ النَّحْمِ.

ثم احتلب سبع أَيْنِي^(١) فشرب ألبانهن ثم نَحَرَ حُوراً^(٢) فطبخه ثم ألقى عظامه
 بيضاً وحثاً كُومَةً من بَطْحَاء وتوسَّدها وغطَّ غطيَطَ الْبَكْر، فقلت: هذه والله
 الغنيمة. ثم قُمْتُ إلى فحل إبله^(٣) فخطمته ثم قرنته إلى بعيري وصِحتُ به
 فأتبعني الفحل وأتبعته الإبل إرباباً به، فصارت خلفي كأنها حبلٌ ممدود،
 فمضيتُ أبادر ثنيةً بيني وبينها مسيرة ليلة للمسرع، فلم أزل أضرب بعيري
 بيدي مرةً وأقرعه برجلي أخرى حتى طلع الفجر، فأبصرت الثنية فإذا عليها
 سواد فلما دنوتُ إذا أنا بالشيخ قاعداً وقوسه في حجره فقال: أضيقتنا؟ قلت:
 نعم. قال: أتسخوا نفسك عن هذه الإبل. قلت: لا. فأخرج سهماً كأن نصله
 لسان كلب ثم قال: أبصر بين أذني الضَّب، ثم رماه فصدع عظمه عن دماغه،
 ثم قال: ما تقول؟ قلت: أنا على رأيي الأول. قال: أنظر هذا السهم الثاني
 في فقرة ظهره الوسطى. ثم رمى به فكأنما قدره بيده ثم وضعه بإصبعه، ثم
 قال: أرايت؟ قلت: إني أحب أن أستثبت. قال: أنظر هذا السهم الثالث في
 عُكوة^(٤) ذنبه والرابع والله في بطنك. ثم رماه فلم يخطيء العُكوة، فقلت:
 أنزل أماناً؟ قال: نعم. فنزلتُ فدفعت إليه خِطَام فحله وقلت: هذه إبلك لم
 يذهب منها وبرة وأنا أنتظر متى يرميني بسهم ينتظم به قلبي، فلما تنحيتُ قال
 لي: أقبل. فأقبلت، والله، خوفاً من شره لا طمعاً في خيره، فقال: أي هذا،
 ما أحسبك جشمت^(٥) الليلة ما جشمت إلا من حاجة. قلت: أجل. قال:
 فأقرن من هذه الإبل بعيرين وأمضِ لِطَيْتِكَ، قلت: أما والله حتى أخبرك عن

(١) الأينق: ج ناقة، وهي الأنثى من الإبل.

(٢) الحُوراء: ولد الناقة الذي يُفصل عن أمة، والجمع أُخُورَة وَخُوران.

(٣) خَطَمَ الْفَحْل: وضع الخِطَام على أنفه.

(٤) عُكُوة الذَّنْب: أصله.

(٥) جَشِمَ الأمر: تكلفه على مشقة.

نفسك قبلاً. ثم قلت: والله ما رأيت أعرابياً قط أشدَّ ضِرْساً ولا أعدى رجلاً ولا أرمى يداً ولا أكرم عفواً ولا أسخى نفساً منك.

وقرأت في كتاب سير العجم أن بهرام جُور خرج ذات يوم إلى الصيد ومعه جارية له فعرضت له طباء، فقال للجارية: في أي موضع تريدان أن أضع السهم من الوحش؟ فقالت أريد أن تُشبه دُكرانها بالإناث وإنائها بالذكران، فرمى تيساً من الطباء بنشابة ذات شُعبتين فأقتلع قرنيه ورمى عنزاً منها بنشابتين فأثبتهما في موضع القرنين. ثم سأله أن يجمع أذن الطيبي وظلفه بنشابة واحدة فرمى أصل أذن الطيبي ببندقة فلما أهوى بيده إلى أذنه ليحتك رماء بنشابة فوصل ظلفه بأذنه ثم أهوى إلى القينة فضرب بها الأرض وقال: شدَّ ما أَشْتَطَطْتُ عليَّ وأردت إظهار عجزِي!.

وقرأت في كتبهم أن كسرى استعمل قرابة له على اليمن يقال له المَرَوَزَان، فأقام بها حيناً ثم خالفه أهل المَصْنَع - والمصانع جبل باليمن ممتنع طويل ووراءه جبل آخر بينهما فصل إلا أنه متقارب ما بينهما - فسار إليهم المَرَوَزَان فنظر إلى جبل لا يطمع أحد أن يدخله إلا من باب واحد يمنع ذلك الباب رجل واحد. فلما رأى أن لا سبيل إليهم صعد الجبل الذي هو وراء المصانع من حيث يُحاذِي حِصْنَهُم فنظر إلى أضيق مكان فيه تحته هواء لا يُقدر قدره، فلم يَر شيئاً أقرب إلى افتتاح ذلك الحصن من ذلك الجبل، فأمر أصحابه أن يقوموا به صفين ثم يصيحوا به صيحة واحدة ثم ضرب فرسه حتى إذا استجمع حُضراً رمى به أمام الحصن وصاح به أصحابه فوثب الفرس الوادي فإذا هو على رأس الحصن، فلما نظرت إليه جَمِير قالوا: هذا أيم. والأيم بالحميرية شيطان، فأتتهرهم بالفارسية وأمرهم أن يربط بعضهم بعضاً ففعلوا وأستزلهم من حصنهم فقتل طائفة وسبى طائفة وكتب بما كان منه إلى

كسرى، فتعجب كسرى وأمره بالاستخلاف على عمله والقدوم إليه وأراد أن يسامي به أساورته^(١)، فاستخلف المروزان أبه ثم توجه نحوه فلما صار ببعض بلاد العرب هلك فوضعه في تابوت ثم حملوه حتى قدموا به على كسرى فأمر كسرى بذلك التابوت فوضع في خزانته فكان يخرج في كل عام إليه وإلى من عنده من أساورته فيقول: هذا الذي فعل كذا وكذا.

وروى أبو سؤفة التميمي عن أبيه عن جدّه عن أبي الأغر التميمي قال: بينا أنا واقف بصيفين مرّ بي العباس بن ربيعة مكفراً بالسلاح وعيناه تبصان من تحت المغفر كأنهما عيناً أرقم ويده صفيحة له وهو على فرس له صعب يمنعه ويلين من عريكته إذ هتف به هاتف من أهل الشام يقال له عرار بن أدهم: يا عباس، هلم إلى البراز. قال العباس: فالنزل إذا فإنه إياس من القنول. فنزل الشامي وهو يقول:

[بسيط]

إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا أو تنزلون فإننا معشر نُزل

وثنى العباس ورّكه فنزل وهو يقول:

[كامل]

وتصدّ عنك مخيلة الرجل الـ عريض موضحه عن العظم
بحسام سيفك أو لسانك والـ كلّم الأصيل كأرغب الكلم^(٢)

ثم غصن فضلات درعه في حجزته ودفع قوسه إلى غلام له أسود يقال له: أسلم، كأني أنظر إلى فلائل شعره ثم دلف كل واحد منهما إلى صاحبه فذكرت بهما قول أبي ذؤيب^(٣):

(١) الأساورة: ج إسوار، وهو قائد الفرس.

(٢) هذان البيتان لطرفة بن العبد البكري الشاعر الجاهلي المعداد من الطبقة الأولى والمتوفى سنة ٦٠ ق هـ.

(٣) أبو ذؤيب بن خالد المضري، شاعر فحل أدرك الجاهلية والإسلام. مات نحو ٢٧ هـ. وأشهر شعره عينية رثى بها ستة أبناء له أصيبوا بالطاعون في عام واحد، ومطلعها (كامل):

[كامل]

فتنازلا وتواقفت خيلاهما وكلاهما بطل اللقاء مُخدَع

وكف الناس أَعنة خيولهم ينتظرون ما يكون من الرجلين فتكافحا بينهما مَلِيًّا من نهارهما لا يصل واحد منهما إلى صاحبه لكمال لأمته إلى أن لحظ العباس وهياً في درع الشامي فأهوى إليه بيده فهتكه إلى تُنْدُوته^(١) ثم عاد لمجاولته وقد أَصْحَر له مَفْتَق الدرع فضربه العباس ضربة آتتظم بها جوانح صدره وخرّ الشامي لوجهه وكبرّ الناس تكبيرة آرتجت لها الأرض من تحتهم وأنشام العباس في الناس وأنساع أمره وإذا قاتل يقول من ورائي ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَيُذْهِبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٢) فالتفت وإذا أمير المؤمنين، رضي الله عنه، عليّ بن أبي طالب، فقال: يا أبا الأغر، من المنازلُ لعدونا؟ فقلت: هذا آبن أخيكم، هذا العباس بن ربيعة. فقال: إنه لهو، يا عباس، ألم أنهك وآبن عباس أن تخلأ بمركزكما أو تباشرا حرباً؟ قال: إن ذلك. يعني نعم. قال: فماعدًا مما بدّا؟ قال: فأدعى إلى البراز فلا أجيب؟ قال: نعم، طاعة إمامك أولى بك من إجابة عدوك. ثم تغيظ وأستشاط حتى قلت: الساعة الساعة، ثم تطأمن وسكن ورفع يديه مبتهلاً فقال: اللهم أشكر للعباس مقامه وآغفر له ذنبه، اللهم إني قد غفرت له فأغفر

= أَمِنْ الْمُنُونِ وَرَبِّهِ نَتَوَجَّعُ والدمرُ ليس بِمُعْتَبَرٍ مَنْ يَجْزَعُ
الأعلام ج ٢ ص ٣٢٥. كذلك أنظر مريته في العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٥٣ - ٢٥٤).

(١) التُنْدُوَةُ للرجل بمنزلة الثدي للمرأة.

(٢) سورة التوبة ٩، الآيتان ١٤ و ١٥. والمعنى: قاتلوهم قتلاً فإن الله سبحانه سيخرجهم أسراً وينصرهم عليهم حقاً وينوب على من أسلم بعد فتح مكة وأحسن، وكان قد طغى من قبل وبغى.

له. قال: وتأسف معاوية على عَرَار وقال: متى يَنْطَفُ فحلٌ بمثله! أَيُطَلِّ دمه!
 لاها الله ذا. ألا الله رجلٌ يَشْرِي نفسه يطلب بدم عرار؟ فانتدب له رجلان من
 لحم. فقال: اذهبا فأيكما قتل العباس برازاً فله كذا. فأتياه ودعواه إلى البراز
 فقال: إن لي سيداً أريد أن أوامره. فأتى علياً فأخبره الخبر، فقال علي: والله
 لو د معاوية أنه ما بقي من هاشم نافعٌ ضَرَمَةٍ إِلَّا طُعِنَ في نَيطِه^(١) إطفاءً لنور الله
 ويأبى الله إِلَّا أن يُتَمَّ نوره ولو كره الكافرون، أما والله ليملكنهم منا رجال،
 ورجال يسومونهم الخسف حتى يحفروا الآبار ويتكففوا الناس. ثم قال: يا
 عباس، ناقلني سلاحك بسلاحي، فناقله ووثب على فرس العباس وقصد
 اللخمين. فلم يشكاً أنه العباس فقالا له: أذن لك صاحبك؟ فخرج أن يقول
 نعم، فقال: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَيْنَهُمْ ظُلُمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾^(٢)
 فبرز له أحدهما فضربه ضربة فكانما أخطأه، ثم برز له الآخر فألحقه بالأول،
 ثم أقبل وهو يقول: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ
 اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾^(٣) ثم قال: يا عباس،
 خذ سلاحك وهات سلاحي، فإن عاد لك أحدٌ فعذ إلي، ونمي الخبر إلى
 معاوية فقال: قبح الله اللجاج إنه لقعود ما ركبته قط إلا خذلت. فقال عمرو
 ابن العاص: الخذول والله اللخميان لا أنت. قال معاوية: أسكت، أيها

(١) النَيطُ: نياط القلب، وهو العرق الذي يتعلق به القلب.

(٢) سورة الحج ٢٢، آية ٣٩. وهي أول آية نزلت في الإذن بالقتال دفاعاً عن النفس، ومعناها:
 أذن بالقتال للذين يستطيعون حمل السلاح والجهاد؛ بسبب ما حل بهم من الظلم والتنكيل
 دون أن يقاوموا، إذ كانت المقاومة آنذاك أشبه بعملية انتحارية لضعف المسلمين وقوة
 المشركين. التفسير المبين.

(٣) سورة البقرة ٢، آية ١٩٤. أي لا قتال في الشهر الحرام، أما من أعلن الحرب فإنه يقاتل
 دفاعاً. وإن من ينتهك حرمت الله في الشهر الحرام يسوغ أن يقتصر منه في الشهر المحرم.
 والأشهر الحرم أربعة: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب.

الرجل، فليس هذه من ساعتك. قال: وإن لم تكن، رحم الله اللخمين وما أراه يفعل. قال: ذاك والله أخسر لصفقتك وأضيق لحُجرك. قال: قد علمت ذلك ولولا مِصْرَ لركبتُ المنجاة منها. قال: هي أعمتك ولولا هي لألفيت بصيراً. وقال عمرو بن العاص لمعاوية:

[طويل]

معاوي، لا أعطيك ديني ولم أنل به منك دنيا، فانظُرْ كيف تصنعُ
فإن تُعْطِني مِصْراً فَأَرْبِخَ بصفقةٍ أخذتَ بها شيخاً يضرُّ وينفعُ
خرج الأخينس الجُهَنِّي فلقِيَ الحُصَيْنَ العمري^(١)، وكانا جميعاً فاتكِين،
فسارا حتى لقيا رجلاً من كِنْدَةَ في تجارة أصابها من مسك وثياب وغير ذلك،
فَنَزَلَ تحت شجرة يأكل، فلما أَنتَهيا إليه سلَّما. قال الكندي: ألا تضحَّيان؟
فَنَزَلا. فبينما هم يأكلون مرَّ ظليم فنظر إليه الكندي وأبدَه^(٢) بصره فبدت له
لَبَتُهُ، فاغتره إلْحَصِين فضرب بطنه بالسيف فقتله، وأقتسما ماله وركبا، فقال
الأخينس: يا حصين، ما صَعْلَةٌ^(٣) وصَعْل؟ قال: يوم شُرِبَ وأكل. قال: فأنعتُ
لي هذه العُقَاب. فرفع رأسه لينظر إليها فوجأ بطنه بالسيف فقتله مثل قتله
الأول. ثم إنَّ أختا للحصين يقال لهما صَخْرَةٌ لما أبطأ عليها خرجت تسأل عنه
في جيران لها من مراح وجَرَم. فلما بلغ ذلك الأخينس قال:

[وافر]

وكم من فارسٍ لا تزدرِيه إذا شَخَصَتْ لموقفه العيونُ
يذلُّ له العزيزُ وكلُّ ليثٍ شديدُ الهَضْر مسكنُهُ العَرِينُ
علوتُ بياضَ مَفْرِقه بعَضْبٍ ينوءُ لوقعه الهَامُ السَّكُونُ
فأمست عِرسُه ولها عليه هدوءٌ بعد ليلته أنين

(١) الحصين العمري: ابن عمرو بن معاوية بن عمرو بن كلاب.

(٢) أَبَدَه النظر: أعطاه بُدَّةً من النظر أي أعطاه حَظَّهُ.

(٣) الصَّعْلَة: النخلة.

كَصْخْرَةٍ^(١) إِذْ تُسَائِلُ فِي مَرَاكِ
تَسَائِلُ عَنْ حُصَيْنٍ كُلِّ رَكْبٍ
وَفِي جَرْمٍ، وَعَلِمَهُمَا ظَنُونٌ
وَعِنْدَ جُهَيْنَةَ^(٢) الْخَبْرُ الْيَقِينُ
فَذَهَبَتْ مِثْلًا.

خرج المهدي وعلي بن سليمان إلى الصيد ومعهما أبو دُلَامَة^(٣) الشاعر،
فسنحت لهم ظباء فرمى المهدي ظبياً فأصابه، ورمى علي بن سليمان كلباً
فعفره، فضحك المهدي وقال لأبي دلامة: قل في هذا، فقال:

[مجزوء الرمل]

ورمى المهدي ظبياً شكَّ بالسهم فؤادَه
وعلي بن سليمان ن رمى كلباً فصادَه
فهنيئاً لهما ك ل أمرئ يأكُل زَادَه^(٤)

قال أبو دلامة: كنت في عسكر مروان أيام زحف إلي شبيب الخارجي،
فلما ألتقى الزحفان خرج منهم فارس ينادي: مَنْ يبارز؟ فجعل لا يخرج إليه
إنسان إلا أعجله ولم يُنهْئِه، فغاض ذلك مروان، فجعل يندب الناس على
خمسمائة، فقتل أصحاب الخمسمائة، وزاد مروان على نُدْبته فبلغ بها ألفاً،
فما زال ذلك فعله حتى بلغ بالنديبة خمسة آلاف درهم، وتحتي فرس لا أخاف
خَوْنه، فلما سمعتُ بالخمسة آلاف نَزَقْتُهُ^(٥) وأقتحمت الصف. فلما نظر إليّ

(١) هي صخرة بنت عمرو بن معاوية بن عمرو بن كلاب، أي هي أخت الحصين المترجم له في الحاشية رقم ٤ من ص ١٨١.

(٢) جُهَيْنَة: أبو قبيلة من العرب، ومنه المثل: «عند جُهَيْنَة الخبر اليقين» أو «عند جُهَيْنَة الخبر اليقين» وهو مثل يُضْرَب لمن يعرف المجهول عند غيره معرفة صحيحة. مجمع الأمثال للميداني. وقد ورد البيتان الأخيران في اللسان مادة (جفن).

(٣) وردت ترجمته سابقاً.

(٤) وردت هذه الأبيات الثلاثة في العقد الفريد (ج ٦ ص ٤٣٩).

(٥) نَزَقَ الفرس أو الفحل: أنزاه أي جعله يتزود ويسرع.

الخارجي علم أن خرجت للطمع، فأقبل يتهياً لي وإذا عليه قَرُوءٌ له قد أصابه المطر فأرمعل^(١) ثم أصابته الشمس فأقفعل^(٢) وعينه تَدْرَان^(٣) كأنهما في وقبين^(٤)، فدنا مني وقال:

وخارجٍ أَخْرَجَهُ حُبُّ الطَّمْعِ فَرَّ مِنَ الْمَوْتِ فِي الْمَوْتِ وَقَعُ
من كان ينوي أهله فلا رَجَعُ^(٥)

فلما وَقَرْتُ في أذني آنصرفتُ عنه هارباً، وجعل مروان يقول: من هذا الفاضل؟ اتنوني به. ودخلتُ في غَمَارِ الناس فنجوت.

كان خالد بن جعفر نديماً للنعمان، فبينا هو ذات يوم عنده وقد دعا النعمان بتمر ورُبِدَ فهما يأكلان منه إذ دخل عليهما الحارث بن ظالم. فقال النعمان: أَدُنْ، يا حارث، فكُلْ، فدنا. فقال خالد: من ذا أبيت اللعن؟ قال: هذا سيد قومه وفارسهم الحارث بن ظالم. قال خالد: أما إن لي عنده يدأ. قال الحارث: وما تلك اليد؟ قال: قتلتُ سيدَ قومك فتركْتُك سيدَهم بعده. يعني زُهَيْرَ بن جَذِيمَةَ، قال الحارث أما إني سأجزيك بتلك اليد. ثم أخذه الرَّمْعُ^(٦) وأرعدت يده، فأخذ يعبث بالتمر فقال له خالد: أيتَّهنُ تريد فأناولكها؟ قال الحارث: أيتَّهنُ تَهْمُكَ فأدعُها؟ ثم نهض مغضباً، فقال النعمان لخالد: أما أردت بهذا وقد عرفتُ فتكهُ وسَفَهَهُ؟ فقال: أبيت اللعن، وما

(١) إرمعل: إبتل.

(٢) إقفعل: تقبض.

(٣) تَدْرَان: تلوحان.

(٤) الوقب: نقر في الصخرة يجتمع فيه الماء.

(٥) الشَّعْرُ لشبيب بن يزيد الخارجي، وقد تقدمت ترجمته.

(٦) الرَّمْعُ: شبه الرعدة تأخذ الإنسان.

تَتَخَوَّفُ عَلَيَّ مِنْهُ؟ فَوَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ نَائِمًا مَا أَيقَظَنِي. فَأَنْصَرِفُ خَالِدٌ فَدَخَلَ قُبَّةً لَهُ مِنْ أَدَمٍ بَعْدَ هَذِهِ مِنَ اللَّيْلِ وَقَامَ عَلَى بَابِهَا أَخٌ لَهُ يَحْرُسُهُ. فَلَمَّا نَامَ النَّاسُ خَرَجَ الْحَارِثُ حَتَّى أَتَى الْقُبَّةَ مِنْ مُؤَخَّرِهَا فَشَقَّهَا ثُمَّ دَخَلَ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ عَمْرُو^(١) أِبْنُ الْإِطْنَابَةِ:

[خَفِيف]

عَلَّلَانِي وَعَلَّلَا صَاحِبِيَا	وَأَسْقِيَانِي مِنَ الْمُرَوِّقِ رِيًّا ^(٢)
إِنَّ فِينَا الْقِيَانَ يَعْزِفْنَ بِالضَّرِّ	بِ لَفْتِيَانِنَا وَعَيْشًا رَخِيًّا
يَتَنَاهَيْنَ فِي النِّعِيمِ وَيَضْرِبُ	نَ خِلَالَ الْقُرُونِ مِسْكَاً ذَكِيًّا
أُبْلَغَا الْحَارِثَ بْنَ ظَالِمٍ ^(٣) الرُّعْدَ	بِدِيدٍ وَالنَّاذِرِ النُّذُورِ عَلِيًّا
إِنَّمَا تَقْتُلُ النَّيَامَ وَلَا تَقْدُ	تَلْ يَقْظَانُ ذَا سِلَاحٍ كَمِيًّا

وكان عمرو قد آلى ألا يدعوه رجل بليلٍ إلا أجابه ولم يسأله عن اسمه. فأتاه الحارث ليلاً فهتف به، فخرج إليه، فقال: ما تريد؟ قال أعني على أبلٍ لبني فلان وهي منك غير بعيدة فإنها غنيمة باردة. فدعا عمرو بفروسه وأراد أن يركب حاسراً. فقال له: إلبس عليك سلاحك فإني لا آمن امتناع القوم، فاستلأم وخرج معه، حتى إذا برزا قال له الحارث: أنا أبو ليلي فخذ جذرك، يا عمرو، فقال له: أمتن علي. فجز ناصيته. وقال الحارث:

[خَفِيف]

عَلَّلَانِي بِلَذَّتِي قَيْنَتِيَا	قَبْلَ أَنْ تَبْكِيَ الْعَيُونَ عَلِيًّا
قَبْلَ أَنْ تَذْكَرَ الْعَوَازِلُ أَنِي	كُنْتُ قِدْمًا لِأَمْرَهُنَّ عَصِيًّا

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) المُرَوِّقُ: الذي يُرَوِّقُ الشراب ويصفيه. والرِّيُّ: إسم من روي من الشراب والماء أي شرب وشبع.

(٣) الحارث بن ظالم أشهر العرب في الجاهلية. توفي سنة ٢٢ هـ. الأعلام ج ٢ ص ١٥٥ -

ما أبالي إذا أصطبختُ ثلاثاً أرشيداً دَعَوْتَنِي أم غَوِيّاً،
 غيرَ أَلَا أُسِرَّ إِنْمَاءً في حياتي ولا أخونَ صَفِيّاً
 بَلَعْتَنِي مَقَالَةُ المَرءِ عَمُرٍ بلغتَنِي وكان ذاكَ بِدِيّاً
 فخرَجْنَا لموعِد فَالتَقِينَا فوجدناه ذا سلاح كَمِيّاً
 غيرَ ما نائم يُرَوِّعُ باليدِ ل مُعِدّاً بكفِّهِ مَشَرَفِيّاً^(١)
 فَرجَعْنَا بِالْمَنِّ مِنَّا عليه بعد ما كان منه مِنَّا بدِيّاً

ووفد تميم^(٢) بن مُرَّ وَبَكْر بن وائل^(٣) على بعض الملوك، وكانا ينادمانِه
 فجري بينهما تفاخرٌ فقالا: أيها الملك، أَعْطِنَا سيفين، فأمر الملك بسيفين من
 عودين فَنَحَتَا ومُوَّها بالفضة وأعطاهما إياهما، فجعلا يضطربان بهما مَلِيّاً من
 نهاريهما، فقال بكر:

لو كان سَيْفَانَا حَدِيداً قَطَعَا

وقال تميم:

أَوْ نُحِتَا مِنْ جَنْدَلٍ تَصَدَّعَا

ففرَّق الملك بينهما، فقال بكر لتميم:

[وافر]

أَسَاجِلُكَ العَدَاوَةَ مَا بَقِينَا

وقال تميم:

وَإِنْ مُتْنَا نَوْرُثُهَا بَنِينَا

(١) السيف المَشْرَفِيُّ: نسبة إلى مشارف الشام وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف.
 (٢) تميم بن مرة المضري جد جاهلي، بنوه بطون كثيرة جداً. قال في جمهرة أنساب العرب ص
 ١٩٨ و ٢٠٦ - ٢٠٧: هم قاعدة من أكبر قواعد العرب.
 (٣) بَكْر بن وائل بن ربيعة جد جاهلي، من نسله مرة وتيم الله. المصدر السابق ص ٣٠٠
 و ٣٠٧.

فأورثاها بينهما إلى اليوم.

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ عن خَلْفِ الأحمر قال: كان أبو عُروَةَ^(١) السباعِ يَصيحُ بالسبع وقد احتمل الشاةَ فيسقط فيموت فيُشَقُّ بطنُهُ فيوجد فؤاده قد أنخلع. وهو مُثَلٌّ في شدة الصوت. قال الشاعر^(٢) في ذلك: [منسرح]

رَجَرَ أَبِي عُروَةَ السِّبَاعُ إِذَا أَشْفَقَ أَنْ يَلْتَبَسْنَ بِالْغَنَمِ^(٣)

قال: وأبو عطية عفيف النصرى نادى في الحرب التي كانت بين ثَقِيف وبين بني نَصْر لما رأى الخيل بعقوته^(٤): يا سوء صباحاه، أتيتم يا بني يربوع! فألقِ الحبالى أولادها، فقليل في ذلك: [طويل]

وَأَسْقَطَ أَحْبَالَ النِّسَاءِ بِصَوْتِهِ عَفِيفٌ لَدُنْ نَادَى بِنَصْرِ فَطْرَباً
في أخبار وهب بن مُنبه أن يهوذا قال ليوסף: لتكفنَّ أو لأصيحنَّ صيحة لا تُبْقِي حَامِلَ بِمِصْرَ إِلَّا أَلْقَتْ مَا فِي بطنِهَا.

محمد بن الضحاك عن أبيه قال: كان العباس بن عبد المطلب يقف على سَلْعٍ فينادي غلمانَه وهم بالغابة فيُسمِعهم وذلك من آخر الليل. وبين الغابة وبين سلع ثمانية أميال، وسمع جبل وسط المدينة. وكان شبيب بن ربِيعي يتنحى في داره فيسمع تنحنه بالكُناسة^(٥)، ويصيح براعيه فيسمع نداؤه

(١) أبو عُروَةَ السَّبَاع رجل زعموا أنه كان يصيح بالسَّع فيموت، ويَزجر الذئب فيموت مكانه، فيُشَقُّ بطنُهُ فيوجد قلبُهُ قد زال عن موضعه وخرج عن غشائه. لسان العرب مادة (عَروا).

(٢) هو النابغة الجعدي كما في اللسان مادة (عَروا) وهو شاعر مفلق وصحابي. عمّر فجاوز المئة وتوفي سنة ٥٠ هـ. الأعلام ج ٥ ص ٢٠٧.

(٣) ورد هذا البيت في اللسان مادة (عَروا) بعد البيت التالي:

وَأَرْجَرَ مَالِكَاشِحِ الْعَدُوِّ إِذَا أَعَزَّ تَبَابِكُ، رَجَرَ أَمْنِي عَلَى وَضَمِّ

(٤) العقوة: ما حول الدار أو ساحتها.

(٥) الكُناسة: موضع الزبالة.

على فرسخ وكان هذا مؤذن سَجَاح^(١) التي تنبأت ذكر هذا خالد بن صفوان، وسمعه أبو المجيب النهدي فقال: ما سمع له بصوت أبعد من صوته بأذانه فإنه كان مؤذنها يعني سَجَاح.

ذم رجلٌ الأشرَ فقال له قائل: أسكت فإن حياته هزمت أهل الشام وإن موته هزم أهل العراق.

المبدائي قال: أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلٌ يستحمه، فقال له: خذ بعيراً من إبل الصدقة. فتناول ذنبَ بعيرٍ صعبٍ فجذبه فأقتلعه، فعجب عمر وقال له: هل رأيت أشد منك؟ قال: نعم، خرجت بامرأة من أهلي أريد بها زوجها فترلنا منزلاً أهله خلوف ففُرت من الحوض فبينما أنا كذلك إذ أقبل رجلٌ ومعه دُودٌ^(٢) والمرأة ناحيةً فسرب دوده إلى الحوض ومضى إلى المرأة فساورها ونادتني، فما أنهيت إليها حتى خالطها، فجئت لأدفعه عنها فأخذ برأسي فوضعه بين عضده وجنبه فما أستطعت أن أتحرّك حتى قضى ما أراد ثم استلقى. فقالت المرأة: أيّ فعل هذا! لو كانت لنا منه سَخْلَةٌ^(٣) وأمهلته حتى أمتلاً نوماً فقمّت إليه بالسيف فضربت ساقه فأبنتها، فأنته وتناول رجله فعلمها فغلبه الدم فرماني برجله وأخطأني وأصاب عنق بعيري

(١) سَجَاح هي بنت الحرث بن سُوَيْد اليربوعي، كانت أدعت النبوة في الجزيرة على عهد مُسْلِمَة الكذاب واستحباب لها بنو هذيل وقوم من بني تميم. تزوج مسلمة بها. وكان يضرب بها المثل في شدة الغلظة؛ يقال: أغلم من سَجَاح. ولذلك كانت تلقي نفسها على الرجال فيقال: أزنّى من سَجَاح. محيط المحيط للبستاني، مادة (سجح) كذلك ذكرها في لسان العرب مادة (سجج) ولكن باختصار شديد.

(٢) الدُود من الإبل ما بين ثلاثة إلى العشر أو العشرين أو الثلاثين، مؤنث ولا يكون إلا من الإناث.

(٣) السَخْلَة: ولد الشاة ذكراً أم أنثى، والجمع سَخْل.

فقتله. فقال عمر: ما فعلتِ المرأة؟ قال: هذا حديث الرجل. فكرر عليه مراراً لا يزيده على هذا، فظن أنه قد قتلها.

حدّثني يزيد بن عمرو قال: حدّثنا أشهل بن حاتم قال: حدّثنا ابن عَوْن عن عُمَيْر بن إسحاق قال: كان سعد على ظهر بيت وهو شاكٍ والمشركون يفعلون بالمؤمنين ويفعلون. وأبو مِحْجَن في الوثاق عند أم وَلَدٍ لسعد فأنشأ يقول:

[طويل]

كفى حَزْناً أن تلتقي الخيلَ بالقنا وأترك مشدوداً عليّ وثاقياً
إذا شئتُ غنّاني الحديدُ وغُلّقتُ مغاليقُ من دُونِي تُصمُّ المناديا
فقالت له أم ولد سعد: أتجعلُ لي إن أنا أطلّقتُك أن ترجع إليّ حتى
أعيدك في الوثاق؟ قال نعم، فأطلّقتُه فركب فرساً بلقاء^(١) لسعد وحمل على
المشركين فجعل سعدٌ يقول: لولا أن أبا مِحْجَن في الوثاق لظننت أنه أبو
محجن وأنها فرسي. فأنكشف المشركون وجاء أبو محجن فأعادته في الوثاق
وأنت سعداً فأخبرته، فأرسل إليّ أبي محجن فأطلقه وقال: والله لأحبستُك
فيها أبداً. يعني الخمر، فقال أبو محجن: وأنا الله لا أشربها بعد اليوم أبداً.
وقال الشاعر^(٢):

[طويل]

سأغسل عني العارَ بالسيفِ جالباً عليّ قضاء الله ما كان جالباً
وأذهل عن داري وأجعلُ هَدمَها لِعِرضِي من باقي المذمة حاجباً
وبصغرُ في عيني تِلَادِي إذا أثنتُ يميني بإدراك الذي كنتُ طالباً
فيا لِرِزَامٍ رَشَحُوا بي مُقَدِّماً إلى الموت خواضاً إليه الكرائباً

(١) الفرس البلقاء: التي فيها سواد وبياض والمحمّلة إلى الفخذين.

(٢) هو سعد بن ناشب المازني التميمي، شاعر من أهل البصرة وأحد الفتاك المردة. توفي نحو ١١٠ هـ. أنظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ٨٨.

إذا همَّ لم يَرَدِّعَ كَرِيمَةً هَمَّهُ
أخا غَمَرَاتٍ لا يَريْدُ على الذي
إذا همَّ ألقى بين عينيه عَزَمَهُ
ولم يَسْتَشِرْ في رأيه غيرَ نفسه
عليكمُ بداري فَاهْدِمُوها فإنها
وقال رجل^(١) من بني العنبر:

[بسيط]

لو كُنْتُ من مازنٍ لم تَسْتَبِحْ إبلي
إذن لِقَامَ بنصري مَعْشَرُ خُشْنٍ
قومٌ إذا الشُّرْأبْدَى نَاجَذِيهِ^(٢) لهم
لكنَّ قومي وإن كانوا ذوي عددٍ
يَجْزُونَ من ظُلمِ أهلِ الظلمِ مَغْفِرَةً
كأنَّ رَبَّكَ لم يَخْلُقْ لَخِشْيَتِهِ
فليت لي بهم قوماً إذا رَكِبُوا
لا يَسْأَلُونَ أخاهم حين يَنْدُبُهُمْ
لكن يَطِيرُونَ أَشْتَاتاً إذا فَزِعُوا

(١) إشارة إلى دار له بالبصرة كان هدمها بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، وقيل: هدمها الحجاج وأحرقها.

(٢) هو قُرَيْط بن أُنَيْف العنبري التميمي، شاعر جاهلي. وسبب قوله هذه الأبيات المشهورة أن بعض بني شيبان أغاروا على إبله وأخذوا ثلاثين بعيراً له فاستنجد بقومه فلم ينجدوه، فاستنجد ببني مازن فنهبوا من بني شيبان مئة بعير ودفعوها إليه. وهذا الشعر من عيون الشعر العربي. أنظره في العقد الفريد (ج ٣ ص ١٦) وأنظر ترجمة قريظ في الأعلام ج ٥ ص ١٩٥.

(٣) أبدي الشُّرْأبْدَى نَاجَذِيهِ: مثَلٌ لشدته وصولته لأن السبع إذا صال كُشِرَ عن أنيابه وكذا اللسان إذا حمل على عدوه. وهو مثني ناجذ، والجمع (أقصى الأضراس وهي أربعة).

وقال آخر:

[مجزوء الكامل]

ولئن عَمَرْتُ لِأَشْفِيَنَدُ
وَلَأُعْلِمَنَّ البَطْنَ أَنَدُ
أَمَّا النَّهَارُ فَرَأَيْ أَصَدُ
أَثْرُ الشَّجَاعِ بِهَا كَسَرُ
تَرْدُ السَّبَاعِ مَعِيَ فَأَلُ

وقال آخر:

[بسيط]

إِنَّا مُحْيُونَ يَا سَلْمَى فَحْيِينَا
إِنَّا لَنُرْخِصُ يَوْمَ الرُّوعِ أَنْفُسَنَا
بِیْضُ مَفَارِقُنَا تَغْلِي مَرَاجِلُنَا

وقال المَعْلُوط^(١):

[وافر]

أَلَمْ تَرَنِي خُلِقْتُ أَحَا حُرُوبٍ
إِذَا لَمْ أَجُنْ كُنْتُ مِجَنَّ جَانِي؟

وقال آخر^(٢):

[طويل]

لَعْمَرِي لَقَدْ نَادَى بِأَرْفَعِ صَوْتِهِ
أَجَلٌ صَادِقًا وَالْقَاتِلُ الْفَاعِلُ الَّذِي
فَتَى قَبْلُ لَمْ تَعْنِسِ السِّنُّ وَجْهَهُ
أَشَارَتْ لَهُ الْحَرْبُ الْعَوَانُ فَجَاءَهَا

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) هو سُؤَيْدُ المَرَاثِدِ الحَارِثِي كما في اللسان في مادة (عنس) .

(٣) أَنْبَطُ المَاءِ فِي الثَّرَى: جَعَلَ المَاءُ تَتَبَعَ مِنَ الأَرْضِ أَيْ اسْتَحْرَجَهَا مِنَ الأَرْضِ، وَهَذَا مَبْلَغُهُ وَغُلُوُّهُ.

(٤) لَمْ تَعْنَسْ: لَمْ تُغَيَّرْ. وَالْخُلْسَةُ: مَنْ أَخْلَسَ رَأْسَهُ فِيهِ مَخَسٌ وَخَبَسٌ إِذَا أَبْيَضَ بَعْضُهُ فَإِذَا غَدَا بِبَضَّةٍ سَوَادَةٍ فِيهِوَ أَغْثَمُ.

ولم يَجْزِهَا لَكِنْ جَنَاهَا وَلِئِهُ فَاسَى فَآدَاهُ فَكَانَ كَمَنْ جَنَى

وقال بَشَامَةُ^(١) :

[بسيط]

إِنَّا بَنِي نَهْشَلٍ لَا نَدْعِي لِأَبٍ عَنْهُ وَلَا هُوَ بِالْأَبْنَاءِ يَشْرِينَا
إِنْ تُبْتَدِرْ غَايَةً يَوْمًا لِمَكْرُمَةٍ تَلَقَّ السَّوَابِقَ مِنَّا وَالْمُصَلِّينَا
إِنَّا لِمَنْ مَعْشَرٍ أَفْنَى أَوَائِلِهِمْ قِيلُ الْكُمَاةِ إِلَّا أَيْنَ الْمُحَامُونَا
لَوْ كَانَ فِي الْأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَدَعَا مَنْ فَارَسٌ؟ خَالَهُمْ إِيَّاهُ يَعْنُونَا

وقال زهير^(٢) :

[بسيط]

يَطْعَنُهُمْ مَا أَرْتَمُوا حَتَّى إِذَا أَطَعْنُوا ضَارَبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارِبُوا آعْتَقْنَا

وقالت امرأة من كِنْدَةَ :

[طويل]

أَبُوا أَنْ يَفِرُّوا وَالْقَنَا فِي نَحْوِهِمْ وَلَمْ يَرْتَقُوا مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلْمَا
وَلَكِنْ رَأَوْا صَبْرًا عَلَى الْمَوْتِ أَكْرَمَا وَلَوْ أَنَّهُمْ فَرُّوا لَكَانُوا أَعَزَّةً

وقال آخر :

[طويل]

بَنِي عَمْنَا، رُدُّوا فُضُولَ دِمَائِنَا يَنْمَ لَيْلُكُمْ، أَوْ لَا تَلْمُنَا اللَّوَائِمَ
فِيْنَا وَإِيَّاكُمْ وَإِنْ طَالَ تَرْكُكُمْ كَذِي الدِّينِ يَنْأَى مَا نَأَى وَهُوَ غَارِمٌ

وقال أبو سعيد المَخْزُومِيُّ^(٣) وكان شجاعاً :

[بسيط]

وَمَا يَرِيدُ بَنُو الْأَعْيَارِ مِنْ رَجُلٍ بِالْجَمْرِ مُكْتَجِلٍ بِالنَّبْلِ مُشْتَمِلٍ
لَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا مِنْ قَلْبِ دَمٍ وَلَا يَبِيتُ لَهُ جَارٌ عَلَى وَجَلٍ

(١) هو بَشَامَةُ بن عمرو بن هلال المري، جاهلي من شعراء المفضليات. الأعلام ج ٢ ص ٥٣.

(٢) هو زهير بن أبي سلمى الشاعر المشهور.

(٣) كان أبو سعيد المخزومي دَعِيًّا في بني مخزوم. ولقد ورد هذان البيتان في العقد الفريد (ج ١ ص ١١٩) ومعنى البيت الثاني: إنه شجاع لا يشرب إلا من دم الأعداء، وأنه يحمي جاره من كل عدو لئيم.

وقال عبد القدوس بن عبد الواحد من ولد النعمان بن بشير: [طويل]
 نَدَى تَحْكُمُ الْأَمَالَ فِيهِ، وَنَجْدَةٌ تَحْكُمُ فِي الْأَعْدَاءِ بِالْأَسْرِ وَالْقَتْلِ

وقال آخر:

ضَرَبْنَاكُمْ وَحَتَّى إِذَا قَامَ مَيْلُكُمْ ضَرَبْنَا الْعِدَا عَنْكُمْ بِأَبْيَضٍ صَارِمٍ
 تَمَثَّلَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ يَوْمَ قُتِلَ بِقَوْلِ الْقَائِلِ:
 أَذُلُّ الْحَيَاةِ وَعِزُّ الْمَمَاتِ وَكُلًّا أَرَاهُ طَعَامًا وَبَيْلًا
 فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنْ وَاحِدٍ فَسَيَرُوا إِلَى الْمَوْتِ سَيْرًا جَمِيلًا

[رجز]

وقال قيس^(١) بن الخطيم:
 أَبْلَجُ لَا يَهُمُّ بِالْفِرَارِ قَدْ طَابَ نَفْسًا بِدُخُولِ النَّارِ

وقال آخر^(٢):

وَمَنْ تَكُنِ الْحَضَارَةُ أَعْجَبَتْهُ فَأَيُّ رَجَالٍ بَادِيَةٍ تَرَانَا
 وَمَنْ رَبَطَ الْجِحَاشَ فَإِنَّ فِينَا قَنَاءَ سُلْبًا وَأَفْرَاسًا حَسَانَا
 وَكُنْ إِذَا أَعْرَنْ عَلَى قَبِيلٍ فَأَعْوَزْهُمْ كَوْنٌ حَيْثُ كَانَا
 أَعْرَنْ مِنَ الضُّبَابِ عَلَى جِلَالٍ^(٣) وَضُبَّةٌ إِنَّهُ مَنْ حَانَ حَانَا
 وَأَحْيَانًا نَكِرُ عَلَى أَحْيَانَا إِذَا مَا لَمْ نَجِدْ إِلَّا أَخَانَا

وقال الخنساء^(٤):

تَعَرَّقَنِي الدَّهْرُ نَهْسًا وَحَزًّا وَأَوْجَعَنِي الدَّهْرُ قَرْعًا وَعَمَزًا
 وَأُفْنِي رَجَالِي فَبَادُوا مَعًا فَأَصْبَحَ قَلْبِي بِهِمْ مُسْتَفْزًا

(١) وردت ترجمته سابقاً.

(٢) هو عُمَيْرُ الْبُطَاعِي، وقد تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ١ من ص ٣٣ من هذا الجزء.

(٣) الجلال: جِ جِلَّةٌ وهي القِيَمُ التُّرُوفُ.

(٤) هي الشاعرة الشهيرة أخت صخر.

ومن ظنَّ مَمَّنْ يلاقي الحروبَ بأنَّ لا يصاب فقد ظنَّ عَجْزاً

وفيها^(١) تقول:

[مقارب]

وَنَلْبَسُ للحربِ أثوابَهَا وَنَلْبَسُ في الأَمْنِ خَزْراً وَقَزْراً

وهذا كقولهم: إلبَسْ لكل حالة لُبُوسَهَا.

وقال عبد الله بن سَبْرَةَ الحَرَشِي^(٢) حين قُطعت يده:

[بسيط]

وَيْلٌمٌ^(٣) جَارٍ غَدَاةَ الْجَسْرِ فارقني أعزِرْ عَلَيَّ به إذ بَانَ فأنصدا
يُمْنِي يسدي غدت مني مفارقةً لم أستطع يومَ خِلْطاس لها تبعا
وما ضِنْتُ عليها أن أصحابها لقد حَرَضْتُ على أن نستريح معا
وقائلٍ غاب عن شأني وقائلةً ألا أجتنبَ عدوَّ الله إذ صُرعا
وكيف أتركه يمشي بمُنْصِلِهِ نحوي وأجبنُ عنه بعدما وقعا
ما كان ذلك يومَ الرُّوعِ من خُلُقِي وإن تقارب مني الموتُ وأكتنعا
وَيْلٌمُهُ فارساً ولَّتْ كَتِيبَتُهُ حَامِي وقد ضَيَّعُوا الأحسابَ فارتجعا
يمشي إلى مُسْتَمِيت مثله بَطل حتى إذا مَكْنَا سيفيهما أمتصعا
كلُّ ينوءُ بماضي الحَدِّ ذي شُطْبٍ جَلَى الصَّيَاقِلُ عن دُرِّيهِ^(٤) الطَّبْعَا
حَاسِيَتُهُ الموتَ حتى أَشْتَفَّ آخره فما أَسْتَكْانَ لِمَا لَاقَى وما جَزِعَا
كَأَنَّ لِمَتَهُ هُدَابُ مُخْمَلَةٍ أَحْمُ^(٥) أزرَقُ لم يَشْمَطْ وقد صَلِعَا
فإن يَكُنْ أَطْرَبُونَ الرومِ قَطَّعَهَا فقد تركتُ بها أوصاله قِطْعَا
وإن يَكُنْ أَطْرَبُونَ الرومِ قَطَّعَهَا فإنَّ فيها بحمد الله مُتَفَعَا

(١) أي تقول في الحرب على نفس وزن وقافية الأبيات السابقة.

(٢) عبد الله بن سَبْرَةَ الحَرَشِي هو الذي قطع يده أطر بانوس الرومي.

(٣) وَيْلٌمٌ جَارٍ: وَيْلٌ أَمْ جَارٍ.

(٤) عن دُرِّيهِ: عن تلالئه وإشراقه.

(٥) الْأَحْمُ: ما كان لونه بين الدُّهُمَةِ والكُمَةِ.

صَدَرَ الْقَنَاةِ إِذَا مَا آنَسُوا فَرَعَا

[رجز]

يُبْضُ الظُّبَا سُمَرَ الْقَنَا شُهَبَ اللَّمَمِ
وَيَبْعَثُونَ الْحَرْبَ مِنْ عَقْدِ السَّلَمِ
قَيْسُ النَّدَى قَيْسُ الْعُلَا قَيْسُ الْكَرَمِ

[طويل]

يَنْوُءُ بِقَتْلِهَا الذَّنَابُ الْهَوَامِلِ
وَلِي مِنْهُ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ الْأَنَامِلِ
بِأَيْمَانِنَا يَبْضُ جَلَّتْهَا الصِّيَاقِلِ

[وافر]

وَكُلُّ مُقْلَصٍ سَلِسٍ الْقِيَادِ
رَكُوبٌ فِي الصَّرِيخِ إِلَى الْمَنَادِي

[متقارب]

نَخْوُضُ الْحُتُوفَ غَدَاةَ الْحَتُوفِ
إِذَا مَا الصَّفُوفُ أَنْبَرَتْ لِلصَّفُوفِ

بَنَاتَانِ وَجُدْمُورٌ^(١) أَقِيمُ بِهَا

وقال بعض الشعراء:

إِنَّ لَنَا مِنْ قَوْمِنَا نَاصِرَةً
يَسْتَفِرُّونَ الْمَوْتَ مِنْ مَجْثِمِهِ
أَوَّلَاكَ قَيْسُ قَوْمُنَا أَكْرَمُ بِهِمِ

وقال جعفر^(٢) بن عُلبَةَ الْحَارِثِي:

لِيَهْنِ عُقَيْلَا أَنَّنِي قَدْ تَرَكْتُهَا^(٣)
لَهُمْ صَدْرُ سَيْفِي يَوْمَ بُرْقَةٍ سَحْبَلٍ
إِذَا الْقَوْمُ سَدُّوا مَازِقًا فَرَجَّتْ لَنَا

وقال عمرو^(٤) بن مَعْدٍ يَكْرِبُ:

أَعَاذِلْ، شَكَّتِي بَزَيَ وَرُمَحِي
أَعَاذِلْ، إِنَّمَا أَفْنَى شَبَابِي

وقال أَبُو دُلْفٍ^(٥):

لَقَدْ عَلِمْتُ وَائِلُ أَنَا
وَلَا يَنْتَقِيهَا بِيَزْحِيفِ الْفَرَارِ

(١) الْجُدْمُورُ: ما بقي من يده بعد قطعها.

(٢) جعفر بن عُلبَةَ الْحَارِثِي شاعر غزل من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، ومن شعراء «الحماسة» لأبي تمام. توفي سنة ١٤٥ هـ. الأعلام ج ٢ ص ١٢٥.

(٣) الهاء في «تركتها» تعود إلى قبيلة عقيل.

(٤) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٢ من ص ١٢٧ من هذا الجزء.

(٥) أَبُو دُلْفٍ هو الْقَاسِمُ بن عَيْسَى، من بني عَجَل، أمير الْكَرْخِ وسيد قومه وأحد الشجعان الأجراد الشعراء. توفي سنة ٢٢٦ هـ. الأعلام ج ٥ ص ١٧٩. وذكر في معجم الشعراء ص ٣٣٤ أنه أديب شاعر قلَّده الرشيد أعمال الجبل فليمن يزل عليها إلى أن توفي سنة ٢٢٥ هـ.

ويومَ أفاءتْ لنا خيلُنا لدى جبل الدَّيْلَمي المُنيفِ
 طَوَالَ الفتى بطوالِ القَنَا وبيضَ الوجوه ببيضِ السيوفِ
 وكلَّ حَصَانٍ بكلِّ حِصَانٍ أمينَ شَطَاهِ سليمِ الوَظيفِ
 أَلَا نَعْمَانِي فما نِعْمَتِي بِرَادِعَتِي عن ركوبِ المَحُوفِ
 لِي الصَّبْرُ عندَ حلولِ البَلَا إذا نَزَلْتُ بِي إحدى الصُّروفِ
 وإنْ تسألِي تُخْبِرِي أنني أقي حَسْبِي بألوفِ الألوفِ
 وأحْلُمُ حتى يقولوا ضعيفُ وما أنا قد علموا بالضعيفِ
 خفيفُ على فَرَسِي ما ركبْتُ ولستُ على ظالمي بالخفيفِ

باب الحِيلِ في الحروبِ وغيرها

قال ابن إسحاق: لما خرج رسول الله ﷺ، إلى بدر، مرَّ حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن محمد وقريش وما بلغه من خبر الفريقين. فقال الشيخ: لا أخبركم حتى تخبروني ممن أنتم. فقال رسول الله ﷺ: «إذا أخبرتنا أخبرناك». فقال الشيخ: خُبرْتُ أن قريشاً خرجت من مكة وقت كذا، فإن كان الذي خُبرني صدق فهي اليوم بمكان كذا، للموضع الذي به قريش. وخُبرْتُ أن محمداً خرج من المدينة وقت كذا، فإن كان الذي خُبرني صدق فهو اليوم بمكان كذا، للموضع الذي به رسول الله ﷺ. ثم قال: من أنتم؟ فقال رسول الله ﷺ: نحن من ماء، ثم أنصرف. فجعل الشيخ يقول: نحن من ماء! من ماء العراق أو ماء كذا أو ماء كذا!

حدَّثني سهل بن محمد قال: حدَّثني الأصمعي قال: حدَّثني شيخ من بني العنبر قال: أسَرَت بنو شيبان رجلاً من بني العنبر فقال لهم: أرسل إلِّي أهلي ليقتدوني. قالوا: ولا تكلم الرسول إلا بين أيدينا. فجاءوه برسول فقال

له: إئتِ قومي فقل لهم: إن الشجر قد أورق وإن النساء قد آشتكت. ثم قال له: أتعقل ما أقول لك؟ قال: نعم أعقل. قال: فما هذا؟ وأشار بيده. قال: هذا الليل. قال: أراك تعقل. إنطلق لأهلي فقل لهم: عروا جملي الأصهب وأركبوا ناقتي الحمراء وسلوا حارثاً عن أمري. فأتاهم الرسول فأخبرهم، فأرسلوا إلى حارث فقص عليه القصة، فلما خلا معهم قال لهم: أمّا قوله: «إن الشجر قد أورق» فإنه يريد أن القوم قد تسلّحوا. وقوله: «إن النساء قد آشتكت» فإنه يريد أنها قد آخذت الشكاء^(١) للغزو، وهي أسقية، ويقال للسقاء الصغير شكوة. وقوله: «هذا الليل» يريد أنهم يأتونكم مثل الليل أو في الليل. وقوله: «عروا جملي الأصهب» يريد أرتحلوا عن الصّمان. وقوله: «اركبوا ناقتي الحمراء» يريد أركبوا الدّهناء. قال: فلما قال لهم ذلك تحوّلوا من مكانهم، فأتاهم القوم فلم يجدوا منهم أحداً.

أرسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عبد الله بن عباس لما قدم البصرة فقال: ائتِ الزبير ولا تأتِ طلحة فإن الزبير ألين وأنت تجد طلحة كالثور عاقصاً قرنه، يركب الصعوبة ويقول هي أسهل، فأقرّنه السلام وقل له يقول لك ابن خالك: عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق، فما عدا ممّا بدا؟ قال ابن عباس: فأتيته فأبلغته. فقال قل له: بيننا وبينك عهد خليفة ودم خليفة، واجتماع ثلاثة وأنفراد واحد، وأمّ مبرورة، ومشاورة العشرة، ونشر المصاحف، نحلّ ما أحللت ونحرّم ما حرمت.

الهيثم بن عدي قال: مرّ شبيب الخارجي على غلام في الفرات يستنقع في الماء فقال له شبيب: أخرج إليّ أسائكك. قال: فأنّا آمن حتى ألبس ثوبي؟ قال: نعم. قال: فوالله لا ألبسه.

(١) الشكاء: المرض.

قال الهيثم: أراد عمر رحمه الله قَتَلَ الْهُرْمُزَانَ. فَاسْتَسْقَى فَأَتَى بِمَاءٍ فَأَمْسَكَه بِيَدِهِ وَأَضْطَرَبَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ، إِنِّي غَيْرُ قَاتِلِكَ حَتَّى تَشْرِبَهُ. فَأَلْقَى الْقَدَحَ مِنْ يَدِهِ وَأَمَرَ عُمَرُ بِقَتْلِهِ، فَقَالَ: أَوَلَمْ تُؤْمِنِي؟ قَالَ: كَيْفَ أَمْنَتُكَ؟ قَالَ: قُلْتَ: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ حَتَّى تَشْرِبَهُ، وَلَا بَأْسَ أَمَانًا، وَأَنَا لَمْ أَشْرِبَهُ. فَقَالَ عُمَرُ: قَاتَلَهُ اللَّهُ! أَخَذَ أَمَانًا وَلَمْ نَشْعُرْ بِهِ. قَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: صدق.

الْعُتْبِيُّ: بَعَثَ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ عَبِيدَ اللَّهِ بْنِ عِصَاهِ الْأَشْعَرِيِّ إِلَى أَبِي الزَّبِيرِ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ أَوَّلَ أَمْرِكَ كَانَ حَسَنًا فَلَا تَفْسُدْهُ بآخِرِهِ. فَقَالَ أَبُو الزَّبِيرِ: إِنَّهُ لَيْسَتْ فِي عُنُقِي بَيْعَةٌ لِيَزِيدَ. فَقَالَ عَبِيدُ اللَّهِ: يَا مَعْشَرَ قَرِيشَ، قَدْ سَمِعْتُمْ مَا قَالَ، وَقَدْ بَايَعْتُمْ، وَهُوَ يَأْمُرُكُمْ بِالرُّجُوعِ عَنِ الْبَيْعَةِ.

الْمَدَائِنِيُّ قَالَ: أَقْبَلَ وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ فِي رُفْقَةٍ فَلَقِيَهُمْ نَاسٌ مِنَ الْخَوَارِجِ فَقَالُوا لَهُمْ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالَ لَهُمْ وَاصِلٌ: مُسْتَجِيرُونَ حَتَّى نَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ، فَأَعْرَضُوا عَلَيْنَا، فَعَرَضُوا عَلَيْهِمْ فَقَالَ وَاصِلٌ: قَدْ قَبِلْنَا. قَالُوا: فَأَمْضُوا رَاشِدِينَ. قَالَ وَاصِلٌ: مَا ذَلِكَ لَكُمْ حَتَّى تُبْلِغُونَا مَأْمَنًا. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾^(١) فَأَبْلَغُونَا مَأْمَنًا. فَجَاءُوا مَعَهُمْ حَتَّى بَلَّغُوا مَأْمَنَهُمْ.

وقال معاوية: لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْهَاشِمِيُّ غَيْرَ جَوَادٍ وَلَا الْأُمَوِيُّ غَيْرَ حَلِيمٍ وَلَا الزُّبَيْرِيُّ، غَيْرَ شَجَاعٍ وَلَا الْمَخْزُومِيُّ غَيْرَ تَيَّاهٍ. فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ فَقَالَ: قَاتَلَهُ اللَّهُ! أَرَادَ أَنْ يَجُودَ بَنُو هَاشِمٍ فَيَنْقُذَ مَا بَأْيَدِهِمْ، وَيَحْلُمَ بَنُو

(١) سورة الأنفال ٨، آية ٦. أي إذا طلب المشرك، الذي يحلُّ قتله، أماناً من أي مسلم فعليه أن يجيره ويعطيه الأمان على نفسه وماله ثم يدعوه إلى الإسلام بالحكمة وطرق الإقناع، فإن أسلم فذاك وإلا فعلى المسلم أن يوصله إلى مكان يأمن فيه على نفسه. التفسير المبين.

أمية فيتحيبوا إلى الناس، ويتشجع آل الزبير فيفنونوا، ويّتيه بنو مخزوم فيغضّهم الناس.

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعي عن عيسى بن عمر قال: استقبل الخوارج بن عرباض اليهودي وهم بحرورى^(١) فقال: هل خرج إليكم في اليهود شيء؟ قالوا: لا. قال: فأمضوا راشدين.

المدائني قال: لما بلغ قتيبة بن مسلم أن سليمان يريد عزله عن خراسان وأستعمال يزيد بن المهلب كتب إليه ثلاثة صحائف، وقال للرسول: ادفع إليه هذه، فإن دفعها إلى يزيد فادفع إليه هذه، فإن شتمني عند قراءتها فادفع إليه الثالثة. فلما صار إليه الرسول دفع إليه الكتاب الأول وفيه: يا أمير المؤمنين، إن من بلائي في طاعة أبيك وطاعتك وطاعة أخيك كيت وكيت. فدفع كتابه إلى يزيد فأعطاه الرسول الكتاب الثاني وفيه: يا أمير المؤمنين، تأمن ابن دحمة على أسرارك ولم يكن أبوه يأمنه على أمهات أولاده! فستم قتيبة، فدفع إليه الرسول الكتاب الثالث وفيه: من قتيبة بن مسلم إلى سليمان ابن عبد الملك، سلام على من اتبع الهدى أما بعد، فوالله لأوثقن لك أخية^(٢) لا ينزعها المهر الأرئ^(٣). قال سليمان: عجلنا على قتيبة. يا غلام، جدّد له عهداً على خراسان.

لما صرف أهل مزة الماء عن أهل دمشق ووجهوه إلى الصحارى كتب

(١) حروراء وحرورى: قرية بناحية الكوفة تنسب إليها الحرورية من الخوارج؛ لأنه كان أول اجتماعهم بها وتحكيمهم حين خالفوا علياً رضي الله عنه. وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٥٨ ولسان العرب مادة (حرر).

(٢) الأخية: عود في جبل يدفن طرفاه في الأرض ويبرز طرفه كالحلقة تُشدُّ فيها الدابة، والجمع أخايا وأواخي.

(٣) الأرئ: النشط.

إليهم أبو الهندام: إلى بني آستها أهل مزة، ليمسني الماء أو لتصبحنكم الخيل. فوافاهم الماء قبل أن يُعتموا فقال أبو الهندام: «الصدق يُنبئ عنك لا الوعيد».

ولما بايع الناس يزيد بن الوليد أتاه الخبر عن مروان ببعض التلکؤ والتريص، فكتب إليه يزيد: أما بعد، فإني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيتهما شئت، والسلام.

ولما هُزم أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد لم يدْرِ الناس كيف يُعزونه، فدخل عليه عبد الله بن الأَهم فقال: مرحباً بالصابر المخدول، الحمد لله الذي نَظر لنا عليك ولم ينظر لك علينا، فقد تعرَّضت للشهادة بجهدك إلا أن الله علم حاجة الإسلام إليك فأبقاك له بخذلان من كان معك لك. فصدر الناس عن كلامه.

وكتب الحارث بن خالد المخزومي - وكان عامل يزيد بن معاوية على مكة - إلى مسلم بن عُقبة المُرِّي، فأتاه الكتاب وهو بأخر رمق، وفي الكتاب: أصلح الله الأمير، إنَّ ابنَ الزبير أتاني بما لا قِيلَ لي به فأنحزْتُ. فقال: يا غلام أكتب إليه: أما بعد، فقد أتاني كتابك تذكر أنَّ ابنَ الزبير أتاك بما لا قبل لك به فأنحزت. وأَيم الله ما أبالي على أيِّ جنبيك سقطت إلا أن شرهما لك أحبهما إليَّ، وبالله لئن بقيتُ لك لأنزلنَّك حيث أنزلتَ نفسك والسلام.

أبو حاتم قال: حدَّثنا العتيبي قال: حدَّثنا إبراهيم قال: لما أسنَّ معاوية اعتراه أرقُّ فكان إذا هَوَّم أيقظته نواقيسُ الروم، فلما أصبح يوماً ودخل عليه الناس قال: يا معشر العرب، هل فيكم فتى يفعل ما أمره وأعطيه ثلاث دِيَّات أعجلها له وديتين إذا رجع؟ فقام فتى من غَسَّان فقال: أنا يا أمير المؤمنين.

قال: تذهب بكتابي إلى ملك الروم، فإذا صِرْتُ على بساطه أذُنت. قال: ثم ماذا؟ قال: فقط. فقال: لقد كَلَّفْتُ صغيراً وآتَيْتُ كبيراً. فكتب له وخرج، فلما صار على بساط قيصر أذن، فتناجزت البطارقة وأخترطوا سيوفهم فسبق إليه ملك الروم فجثا عليه وجعل يسألهم بحق عيسى وبحقهم عليه لما كفوا، ثم ذهب به حتى صعد على سريره ثم جعله بين رجليه، ثم قال: يا معشر البطارقة، إن معاوية رجل قد أَسَنَّ وقد أَرَقَّ وقد آذَنُ النواقيس، فأراد أن يقتل هذا على الأذان فيقتل مَنْ قَبْلَهُ مَنْ بِلادِهِ على النواقيس، والله ليرجعنَّ إليه بخلاف ما ظنَّ. فكساه وحمله فلما رَجَعَ إلى معاوية قال: أَوْقَدْ جِئْتَنِي سالماً؟ قال: نعم، أَمَا مِنْ قَبْلِكَ فلا.

وكان يقال: ما ولي المسلمین أحدٌ إلا مَلِكُ الرومِ مثله إن حازماً وإن عاجزاً. وكان الذي ملكهم على عهد عمر هو الذي دَوَّنَ لهم الدواوين ودَوَّخَ لهم العدو، وكان ملكهم على عهد معاوية يشبه معاوية في حزمه وحلمه. وبهذا الإسناد قال: كانت القراطيس تدخل بلاد الروم من أرض العرب وتأتي من قَبْلِهِمُ الدنانير، وكان عبد الملك أول من كتب ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(١) وذكر النبي ﷺ، في الطَّوَامِيرِ^(٢)، فكتب إليه ملك الروم: إنكم قد أحدثتم في طواميركم شيئاً من ذكر نبيكم نكرهه فأنه عنه وإلا أتاكم في دنائيرنا من ذكره ما تكرهون. فكَبَّرَ ذلك في صدر عبد الملك وكره أن يدع شيئاً من ذكر الله قد كان أمر به أو يأتيه في الدنانير من ذكر الرسول ﷺ، ما يكره، فأرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية فقال: يا أبا هاشم، إحدى بناتِ طَبَقِ^(٣)، وأخبره

(١) سورة الإخلاص ١١٣، آية ١.

(٢) الطوامير: ج طُومار أي الصحيفة.

(٣) بناتِ طَبَقِ: الذواهي.

الخبر. فقال: لِيُفْرِخَ رُوعُكَ، حَرِّمَ دَنَانِيرَهُمْ وَأَضْرَبَ لِلنَّاسِ سِكَكًا وَلَا تُعْفِهِمْ مِمَّا يَكْرَهُونَ. فقال عبد الملك: فَرَجَّتْهَا عَنِّي فَرَجَ اللَّهُ عَنْكَ.

حَدَّثَنَا الرِّيشِيُّ قَالَ: لَمَّا هَدَمَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ كَنِيسَةَ دِمَشْقَ كَتَبَ إِلَيْهِ مَلِكُ الرُّومِ: إِنَّكَ قَدْ هَدَمْتَ الْكَنِيسَةَ الَّتِي رَأَى أَبُوكَ تَرَكَّهَا فَإِنْ كَانَ حَقًّا فَقَدْ أَخْطَأَ أَبُوكَ، وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا فَقَدْ خَالَفْتَهُ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾^(١) إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ.

حَدَّثَنَا الزِّيَادِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ عَنْ يَوْسُفَ بْنِ مَهْرَانَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَتَبَ قَيْصَرٌ إِلَى مُعَاوِيَةَ: سَلَامٌ عَلَيْكَ، أَمَّا بَعْدُ، فَأَنْبِئْنِي بِأَحَبِّ كَلِمَةٍ إِلَى اللَّهِ وَثَانِيَةٍ وَثَالِثَةٍ وَرَابِعَةٍ وَخَامِسَةٍ، وَمَنْ أَكْرَمُ عِبَادِهِ إِلَيْهِ وَأَكْرَمُ إِمَائِهِ، وَعَنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ فِيهِنَّ الرُّوحُ لَمْ يَرْتَكُضَنَّ فِي رَحِمٍ، وَعَنْ قَبْرِ يَسِيرٍ بِصَاحِبِهِ وَمَكَانٍ فِي الْأَرْضِ لَمْ تَصْبُهُ الشَّمْسُ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً، وَالْمَجْرَّةُ مَا مَوْضِعُهَا مِنَ السَّمَاءِ، وَقَوْسُ قُزَحٍ وَمَا بَدَأَ أَمْرُهُ؟. فَلَمَّا قَرَأَ كِتَابَهُ قَالَ: اللَّهُمَّ أَلْعَنَهُ! مَا أَدْرِي مَا هَذَا!. فَأَرْسَلَ إِلَيَّ يَسْأَلُنِي فَقُلْتُ: أَمَّا أَحَبُّ كَلِمَةٍ إِلَى اللَّهِ فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا يَقْبَلُ عَمَلًا إِلَّا بِهَا وَهِيَ الْمُنْجِيَّةُ، وَالثَّانِيَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَهِيَ صَلَاةُ الْخَلْقِ، وَالثَّالِثَةُ الْحَمْدُ لِلَّهِ كَلِمَةُ الشُّكْرِ، وَالرَّابِعَةُ اللَّهُ أَكْبَرُ فَوَاتِحُ الصَّلَوَاتِ وَالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، وَالْخَامِسَةُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. وَأَمَّا أَكْرَمُ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيْهِ فَأَدَمُ خَلَقَهُ بِيَدِهِ وَعَلَّمَهُ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا، وَأَكْرَمُ إِمَائِهِ عَلَيْهِ مَرْيَمُ الَّتِي أَحْصَنْتْ فَرْجَهَا. وَالْأَرْبَعَةُ الَّتِي فِيهِنَّ رُوحٌ وَلَمْ يَرْتَكُضَنَّ فِي رَحِمٍ فَأَدَمُ وَحَوَّاءُ وَعَصَا مُوسَى وَالْكَبْشُ. وَالْمَوْضِعُ الَّذِي لَمْ تَصْبُهُ الشَّمْسُ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً فَالْبَحْرُ حِينَ أَنْفَلَقَ لِمُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ. وَالْقَبْرُ الَّذِي سَارَ بِصَاحِبِهِ فَبَطْنَ الْحَوْتَ الَّذِي كَانَ فِيهِ يُونُسُ.

(١) سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ ٢١، آيَةُ ٧٨. فِي الْحَرْثِ: أَيِ فِي الزَّرْعِ.

أبو حاتم عن العتبي عن أبيه قال: قدم معاوية من الشام وعمرو بن العاص من مصر على عمر فأقعدهما بين يديه وجعل يسألهما عن أعمالهما إلى أن اعترض عمرو في حديث معاوية، فقال له معاوية: أعليّ تعيب وإليّ تقصد؟ هلّم حتى أخبر أمير المؤمنين عن عملك وتخبره عن عملي. قال عمرو: فعلت أنه بعملتي أبصر مني بعمله وأنّ عمر لا يدع أول هذا الحديث حتى يأتي على آخره، فأردت أن أفعل شيئاً أقطع به ذلك فرفعت يدي فلطمت معاوية، فقال عمر: تالله ما رأيت رجلاً أسفّه منك، يا معاوية إلطمه. فقال معاوية: إنّ لي أميراً لا أقضي الأمور دونه. فأرسل عمر إلى أبي سفيان فلما رآه ألقى له وساده ثم قال معترداً: قال رسول الله، ﷺ: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموا ثم قصّ عليه ما جرى بين عمرو ومعاوية فقال: ألهذا بعثت إليّ؟ أخوه وأبن عمه وقد أتى غير كبير، قد وهبت له ذلك.

أبو حاتم عن الأصمعي عن نافع قال: ذكر بشر بن أرطاة علياً فقال منه فضرب زيد بن عمر - وأمه أبنة عليّ بن أبي طالب - على رأسه بعضاً فشجّه فبلغ ذلك معاوية فبعث إلى زيد بن عمر: أتدري ما صنعت؟ وثبتّ على بشر ابن أرطاة وهو شيخ أهل الشام فضربت رأسه بعضاً، لقد أتيت عظيماً. ثم بعث إلى بشر فقال: أتدري ما صنعت؟ وثبتّ على ابن الفاروق وأبن علي بن أبي طالب تسبّه وسط الناس وتزدرئه، لقد أتيت عظيماً. ثم بعث إلى هذا بشيء وإلى هذا بشيء.

المدائني قال: كان ابن المقفع محبوساً في خراج كان عليه وكان يُعذّب، فما طال ذلك وخشي على نفسه تعيّن^(١) من صاحب العذاب مائة ألف درهم فكان بعد ذلك يرفق به إبقاء على ماله.

(١) تعيّن: أخذ؛ عيّن التاجر وتعيّن: أخذ، والعَيْن والعينة: الرّبا.

حدَّثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: قال المختار: أدعوا إليَّ المهديَّ محمد بن الحنفية: فلما خشي أن يجيء قال: أما إنَّ فيه علامة لا تخفى، يضربه رجل بالسيف ضربة لا تعمل فيه. قال الأصمعي عرَّضه لأنَّ جرب به.

حدَّثني أبو حاتم عن الأصمعي عن عوانة بن الحَكَم الكلبي قال: ولَّى عليّ، رضي الله عنه، الأشرَ مصرَ فلما بلغ العريش أتى بطراً مصر فقال له مولىَّ لعثمان: (وكان يقول: أنا مولى لآل عمر): هل لك في شربة من سَوِيقُ أَجْدَحُهَا^(١) لك؟ قال: نعم. فجَدَحَ له بعسل وجعل فيها سَمًّا قاضياً فلما شربها ببس، فقال معاوية لما بلغه الخبر: يا بردها على الكبد! «إنَّ الله جنوداً منها العسل». وقال عليّ: «للبيدين وللقم».

حدَّثنا أبو حاتم عن الأصمعي عن ابن أبي الزناد قال: نظر عليٌّ إلى وُلْدِ عثمان كأنهم مستوحشون فسألهم فقالوا: نُزِمَ بالليل، فقال: من أين يأتيكم الرَّمْيُ؟ قالوا: من ههنا. فصعد عليّ ولفَّ رأسه ثم جعل يرمي وقال: إذا عاد فأفعلوا مثل هذا فأنقطع الرمي. قال محمد بن كعب القرظي: جاء رجلٌ إلى سليمان النبي عليه السلام فقال يا نبيَّ الله: إنَّ لي خيراً سرقوا إوزتي فنأدى: الصلاة جامعةً. ثم خطبهم فقال في خطبته: وأحدكم يسرق إوزة جاره ثم يدخل المسجد والريشُ على رأسه! فمسح رجلٌ على رأسه، فقال سليمان: خذوه فهو صاحبكم..

أخذ الحكمُ بنُ أيوب الثَّقَفي عاملُ الحجاج إياسَ بن معاوية في ظَنَّة^(٢) الخوارج، فقال له الحكم: إنك خارجي منافق وشتمه، ثم قال: اثنتي بمنَّ يكفل بك. قال: ما أجد أحداً أعرف بي منك. قال: وما علمي بك وأنا من

(١) السَوِيقُ: الخمر. وَجَدَحَ السويق: خلطها.

(٢) الظَنَّة: التهمة.

أهل الشام وأنت من أهل العراق. قال إياس: فقيم هذه الشهادة منذُ اليوم. فضحك وخلَّى سبيله.

دخل رجل من بني مخزوم على عبد الملك بن مروان وكان زُبَيْرِيًّا، فقال له عبد الملك: أليس قد ردَّك الله على عقبيك؟ قال: ومن ردَّ عليك فقد ردَّ على عقبيه؟ فسكت عبد الملك وعلم أنه قد أخطأ.

وكان رجل من النصارى يختلف إلى الضَّحَّاك بن مُزَاجِم فقال له يوماً: لو أسلمت! قال: يمنعني من ذلك حَبِّي للخمر. قال فأسلِمَ وأشربها. فأسلم، فقال له الضحَّاك: إنك قد أسلمت فإن شربْتَ الخمر حدُّناكَ وإن رَجَعْتَ عن الإسلام قتلناكَ. فحسن إسلامه.

دخلت أُمُّ أَفْعَى العَبْدِيَّة على عائشة رضي الله عنها فقالت: يا أُمُّ المؤمنين، ما تقولين في امرأة قتلت ابناً لها صغيراً؟ قالت: وَجَبَتْ لها النار. قالت: فما تقولين في امرأة قتلت من أولادها الأكابر عشرين ألفاً؟ قالت: خذوا بيد عدوة الله.

العتبيّ قال: كتب يزيد بن معاوية إلى المدينة: أمّا بعد، «فإن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم»^(١) وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له وما لهم من دونه من وال. إني والله قد لَبَسْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَرَفَعْتُ بَكُمْ فَأَخْتَرَقْتُكُمْ. ثم وضعتكم على رأسي ثم على عيني ثم على فمي ثم على بطني. وآثم الله لئن وضعتكم تحت قدمي لأطأَنَّكُمْ وَطَأةً أَقِلُّ بها عددكم وأذلُّ غابركم^(٢) وأترككم

(١) هذا القول مأخوذ من قول الله عزَّ وجلَّ: (ذلك بأن الله لم يكُ مُغيِّراً نعمته أنعمها على قوم حتى يغيّروا وأنَّ الله سميعٌ عليم) سورة الأنفال ٨، آية ٥٣.

(٢) غابركم: ماضيكم.

أحاديث تُنسخُ بها أخبارُكم مع أخبار عاد وشمود. ثم تمثّل: [وافر]
 لعلّ الحلم دَلٌّ عليّ قومي وقد يُستضعفُ الرجلُ الحليمُ
 ومارسْتُ الرجالَ ومارسوني فمُعْوجٌّ عليّ ومستقيم
 أبو حاتم قال: حدّثنا أبو عبيدة قال: أخذَ سُراقَة^(١) بن مُرداس البارقي

أسيراً يومَ جَبانة^(٢) السَّبَّع، فَقَدِمَ في الأسرى فقال: [رجز]
 أمُنَّ عليّ اليومَ يا خيرَ مَعَدٍّ وخيرَ مَنْ حلَّ بصحراء الجندِ
 وخيرَ مَنْ لَبَّى وصَلَّى وسَجَدَ^(٣)

فعفا عنه المختار ثم خرج مع إسحاق بن الأشعث عليه فجيء بسُراقَة
 أسيراً فقال له المختار: ألم أعفُ عنك؟ أما والله لأقتلنك. قال: إنَّ أبي
 أخبرني أن الشام ستفتح لك حتى تهدم مدينة دِمَشق حجراً حجراً وأنا معك
 فوالله لا تقتلني. ثم أنشده: [وافر]

ألا أبلغُ أبا إسحاق أنا نَزَوْنَا نَزْوَةً كانت علينا
 خَرَجْنَا لا نرى الضُّعفاءَ شيئاً وكان خروُجُنا بَطْراً وحيْناً^(٤)
 نراهم في مَصَفٍّ هُمُ قَلِيلاً وهُمُ مثْلُ الدِّبَالِ لَمَّا آلتَقينا
 فَأَسْجَحُ إنْ مَلَكَتْ فلو قَدِرْنَا لَجُرْنَا في الحكومة وأعتدِّنا
 تَقْبَلُ توبةً مني فإني سأشكرُ إنْ جَعَلْتَ النِّقْدَ دِيناً

فخلّى سبيله ثم خرج إسحاق عليه ومعه سُراقَة فأخذَ أسيراً فقال: الحمد
 لله الذي أمكنني منك يا عدوَّ الله، فقال سُراقَة: ما هؤلاء الذين أخذوني! فأين

(١) سُراقَة بن مُرداس البارقي شاعر عراقي، كان ممن قاتل المختار الثقفي سنة ٦٦ هـ. بالكوفة

فأسره أصحاب المختار وحملوه إليه فأمر بإطلاقه. توفي سنة ٧٩ هـ. الأعلام ج ٣ ص ٨٠.

(٢) جَبانة السَّبَّع بالكوفة، وكان بها يومٌ للمختار الثقفي. معجم البلدان.

(٣) في هذا الشعر يخاطب المختار الثقفي.

(٤) الخيْنُ: الهلاك.

هم؟ لا أراهم! إنا لما آلتقينا رأينا قوماً عليهم ثياب بيض على خيل بلق تطير بين السماء والأرض. فقال المختار: خلوا سبيله ليخبر الناس. ثم عاد لقتاله وقال:

[وافر]

ألا مَنْ مُخْبِرُ الْمُخْتَارِ عَنِّي بَأَنَّ الْبُلُقَ بَضٌّ مُضْمَتَاتٌ^(١)
أَرِي عَيْنِي مَا لَمْ تَرَأِيَاهُ كلانا عالمٌ بالترهاتِ
كفرتُ بدينكم وجعلتُ نذراً عليّ قتالكم حتى المماتِ^(٢)

خرج المغيرة بن شعبة مع النبي ﷺ في بعض غزواته وكان له عَنزة^(٣) يتوكأ عليها فربما أثقلته فيرمي بها قارعة الطريق فيمرُّ بها المارَّ فيأخذها، فإذا صار إلى المنزل عَرَفَهَا فأخذها المغيرة ففطن له عليّ رضي الله عنه فقال: لأخبرنَّ النبي ﷺ، فقال: لئن أخبرتَه لا تُردُّ بعدها ضالةً أبداً. فأمسك عليّ.

بَابُ مِنْ أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ وَالْمَنْصُورِ وَالطَّالِبِينَ

حدَّثني محمد بن عبيد قال: حدثنا أبو أسامة عن زائدة عن سِمَاك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كان إذا سمعهم يقولون: يكون في هذه الأمة أثنا عشر خليفة، قال: ما أحققكم! إنَّ بَعْدَ الاثني عشر ثلاثة منا: السفاح والمنصور والمهدي يسلمها إلى الدجال. قال أبو أسامة: تأويل هذا عندنا أن وُلِدَ المهديّ يكونون بعده إلى خروج الدجال.

(١) الْمُضْمَتَاتُ: أي لا يخالط لونها لون آخر، أي أن بياضها خالص لا يشوبه لون آخر.

(٢) أقوى الشاعر هنا في قافية البيت الأول حيث جاء الروي تاء مضمومة بينما جاء في البيت تاء مكسورة. ولا إقواء فيما ذكره في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٧٠ - ١٧١):

أَلَا أَبْلُغُ أَبَا إِسْحَاقَ أَنِّي رَأَيْتُ الْبُلُقَ دُهْمًا مُضْمَتَاتٍ
أي أن الدَّهْمَةَ خالصة لا يشوبها لون آخر.

(٣) الْعَنَزَةُ: شبيهة العكازة أطول من العصا وأقصر من الرمح ولها رَجٌّ من أسفلها، والجمع عَنَزٌ وعَنَزَاتٌ.

وقال محمد بن علي بن عبد الله بن عباس لرجال الدعوة حين اختارهم للدعوة وأراد توجيههم: أما الكوفة وسوادها فهناك شيعة عليّ بن أبي طالب. وأما البصرة فعثمانية تدين بالكفّ وتقول: كُنْ عبد الله المقتول ولا تَكُنْ عبد الله القاتل. وأما الجزيرة فحرورية مارقة وأعراب كأعلاج ومسلمون في أخلاق النصارى. وأما أهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان وطاعة بني مروان، عداوة لنا راسخة وجهلاً متراكماً. وأما أهل مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر، ولكن عليكم بخراسان فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وصدوراً سليمة وقلوباً فارغة لم تتقسّمها الأهواء ولم تتوزّعها النحل ولم تشغلها ديانة ولم يتقدّم فيها فساد وليست لهم اليوم همم العرب ولا فيهم كتحارب الأتباع بالسادات وكتحالف القبائل وعصبية العشائر، ولم يزالوا يذالون ويمتهنون ويُظلمون ويكظمون ويتمنون الفرج ويؤملون الدول وهم جند لهم أجسام وأبدان ومناكب وكواهل وهامات ولحى وشوارب وأصوات هائلة ولغات فخمة تخرج من أفواه منكرة، وبعد فكأنني أتفأل إلى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق.

وقال سعيد بن عمرو بن جعدة المخزومي: كنت مع مروان بن محمد بالزّاب فقال لي: يا سعيد، من هذا الذي يقابلني؟ قلت: عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن عباس. قال: أعرفه؟ قلت: نعم، أما تعرف رجلاً دخل عليك حسن الوجه مصفراً رقيق الذراعين حسن اللسان فوقع في عبد الله بن معاوية؟ فقال: بلى قد عرفته والله، يابن جعدة، ليت عليّ بن أبي طالب في الخيل يقابلني: إنّ عليّاً وأولاده لا حظّ لهم في هذا الأمر، وهذا رجل من بني العباس ومعه ريخ خراسان ونصر الشام، يابن جعدة أتدري لم عَقَدْتُ لعبد الله ولعبيد الله وتركت عبد الملك وهو أكبر منهما؟ قلت: لا أدري. قال: لأنني

وجدتُ الذي يلي هذا الأمر بعدي عبد الله أو عبيد الله، فكان عبيد الله أقرب إلى عبد الله من عبد الملك.

وكتب مروان إلى عبد الله بن عليّ: إني لا أظن هذا الأمر إلا صائراً إليكم، فإذا كان ذلك فأعلم أنّ حَرَمَنَا حَرَمُكُمْ. فكتب إليه عبد الله: إنّ الحقّ لنا في دمك وإن الحق علينا في حرمك.

سمر المنصور ذات ليلة فذكر خلفاء بني أمية وسيَرَهُمْ وأنهم لم يزالوا على استقامة حتى أفضى أمرهم إلى أبنائهم المترفين فكانت همهم من عظيم شأن الملك وجلالة قدره قصد الشهوات وإيثار اللذات والدخول في معاصي الله ومساخطه جهلاً منهم باستدراج الله وأمناً لمكره، فسلبهم الله العزّ ونقل عنهم النعمة. فقال له صالح بن عليّ: يا أمير المؤمنين إن عبد الله بن مروان لما دخل أرض النوبة هارباً فيمن معه سأل ملك النوبة عنهم فأخبر فركب إلى عبد الله فكلّمه بكلام عجيب في هذا النحو لا أحفظه وأزعجه عن بلده، فإن رأى أمير المؤمنين أن يدعوبه من الحبس بحضرتنا في هذه الليلة ويسأله عن ذلك. فأمر المنصور بإحضاره وسأله عن القصة فقال: يا أمير المؤمنين، قدمت أرض النوبة بأثاثٍ سلّم لي فافترشتُ بها وأقمتُ ثلاثاً، فأتاني ملك النوبة وقد خُبر أمرنا، فدخل عليّ رجلٌ طوال أقنى حسن الوجه فقعد على الأرض ولم يقرب الثياب، فقلت: ما يمنعك أن تقعد على ثيابنا؟ قال: لأنني ملك، وحقّ على كل ملك أن يتواضع لعظمة الله إذ رفعه. ثم قال لي: لِمَ تشربون الخمر وهي محرّمة عليكم؟ قلت: اجترأ على ذلك عبيدنا وأتباعنا لأنّ الملك زال عنا. قال: فَلِمَ تطأون الزروع بدوابكم والفسادُ محرم عليكم؟ قلت: يفعل ذلك جهّالنا. قال: فلم تلبسوا الديباج والحريروتستعملون الذهب والفضة وذلك محرّم عليكم؟ قلت: ذهب الملك منا وقلّ أنصارنا

فانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك على الكره منا. قال: فأطرق ملياً وجعل يقلب يديه وينكت في الأرض ويقول: عبيدنا وأتباعنا دخلوا في ديننا وزال الملك عنا! يردده مراراً ثم قال: ليس ذلك كما ذكرت بل أنتم قوم استحللتم ما حرّم عليكم وركبتم ما عنه نهيتم، وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله العزّ وألبسكم الذلّ بذنوبكم، والله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها وأخاف أن يحلّ بكم العذاب وأنتم ببلدي فيصيني معكم، وإنما الضيافة ثلاثة أيام فتزودوا ما احتجتم إليه وآرتحلوا عن بلدي، ففعلت ذلك.

ولما أفتتح المنصور الشام وقتل مروان قال لأبي عون ومن معه من أهل خراسان: إن لي في بقية آل مروان تدبيراً فتأهبوا يوم كذا وكذا في أكمل عُدّة، ثم بعث إلى آل مروان في ذلك اليوم فجمعوا وأعلمهم أنه يفرض لهم في العطاء، فحضر منهم ثمانون رجلاً فصاروا إلى بابه ومعهم رجل من كلب قد ولّدهم^(١) ثم أذن لهم فدخلوا، فقال الأذن للكلبي: ممن أنت؟ قال: من كلب وقد ولّدتهم. قال: فأنصرف ودع القوم. فأبى أن يفعل وقال: إني خالهم ومنهم. فلما استقرّ بهم المجلس خرج رسول المنصور وقال بأعلى صوته: أين حمزة بن عبد المطلب؟ ليدخل، فأيقن القوم بالهلكة، ثم خرج الثانية فنادى: أين الحسن بن عليّ؟ ليدخل، ثم خرج الثالثة فنادى: أين زيد ابن عليّ بن الحسين؟ ثم خرج الرابعة فقال: أين يحيى^(٢) بن زيد؟ ثم قيل: إنذنوا لهم. فدخلوا وفيهم الغمر^(٣) بن يزيد وكان له صديقاً فأومأ إليه: أن ارتفع. فأجلسه معه على طنفسية^(٤) وقال للباقيين: اجلسوا. وأهل خراسان قيام

(١) وَلَدَهُمْ: رِبَاهِم.

(٢) هو يحيى بن زيد بن علي بن الحسين.

(٣) هو الغمر بن يزيد بن عبد الملك بن مروان.

(٤) الطَّنْفَسَة: البساط والحصير من سَعَف عرضه ذراع، فارسي معرّب والجمع طنائس.

بأيديهم العمد فقال: أين العبدِيّ^(١) الشاعر؟ فقام وأخذ في قصيدته التي يقول فيها:

[كامل]

أما الدُّعَاةُ إلى الجِنَانِ فهَاشِمٌ وبنو أُمَيَّةٍ من دُعَاةِ النَّارِ
فلما أنشد أبياتاً منها قال الغمر: يا ابن الزانية. فأنقطع العبدِيّ وأطرق
عبد الله^(٢) ساعة ثم قال: إمض في نشيدك. فلما فرغ رمى إليه بصرة فيها
ثلاثمائة دينار، ثم تمثل بقول القائل^(٣):

[خفيف]

ولقد ساءني وساء سواي قُرْبُهُمْ من منابرٍ وكراسي
أنزلوها بحيث أنزلها الله هُ بدار الهوان والإتعاس
لا تُقِيلَنَّ عبدَ شمسٍ عِثَاراً وأقطعوا كلَّ نخلةٍ وِغْرَاسٍ
وآذكروا مَصْرَعَ الحسين وزيدٍ وقتيلاً بجانب المِهْرَاسِ^(٤)
ثم قال لأهل خراسان: دِهَيْدُ^(٥). فشَدِّخوا بالعمد حتى سالت أدمغتهم
وقام الكلبي فقال: أيها الأمير: أنا رجل من كَلْبٍ لست منهم. فقال:

[بسيط]

ومُدِخلٍ رأسه لم يُدْزِنِه أحدٌ بين القرينين حتى لَزَّه الْقَرَنُ^(٦)
ثم قال: دِهَيْدُ. فشَدِّخَ الكلبي معهم ثم آلتفت إلى الغمر فقال: لا خير

(١) العبدِيّ هو الحارث بن مرة العبدِيّ، قائد له ذكر في فتوح السُّنْد في خلافة علي رضي الله عنه. توفي سنة ٤٢ هـ. الأعلام ج ٢ ص ١٥٧.

(٢) قائل هذا الشعر هو عبد الله بن علي، ويبدو من سياق الحديث أن هذه القصة لم تقع مع المنصور بل وقعت مع عبد الله بن علي يوم كان أمير الشام من قبل المنصور.

(٣) قائل هذه الأبيات هو سُدَيْف بن إسماعيل بن ميمون الشاعر الحجازي. كان متعصباً لبني هاشم متشيعاً لبني علي. توفي سنة ١٤٦ هـ. الأعلام ج ٣ ص ٨٠. وفي العقد الفريد (ج ٤ ص ٤٨٦) ورد البيت الأول والثالث والرابع.

(٤) المِهْرَاس: ماء بجبل أحد، وعنده دفن حمزة رضي الله عنه.

(٥) دِهَيْدُ: كلمة فارسية بمعنى أضربوا.

(٦) الْقَرَنُ: الحبل يقرن به البعيران. وهذا البيت هو لعبد الله بن علي المذكور آنفاً.

لك في الحياة بعدهم. قال: أَجَلٌ، فُقُتِلَ ثم دعا بَرَّاذِعَ^(١) فألقاها عليهم وبسط عليها الأَنْطَاعَ^(٢) ودعا بغدائه فأكل فوقهم وإنَّ أنين بعضهم لم يهدأ، حتى فرغ ثم قال: ما تَهَنَّأتُ بطعام منذ عَقَلْتُ مقتل الحسين إلا يومي هذا. وقام فأمر بهم فَجُرُّوا بأرجلهم وأغنم أهل خراسان أموالهم ثم صُلبوا في بستانه. وكان يأكل يوماً فأمر بفتح باب من الرُّواق إلى البستان فإذا رائحة الجَيْفِ تملأ الأنوف، فقبل له: لو أُمِرْتُ، أيها الأمير، برَدَّ هذا الباب! فقال: والله لرائحتها أحب إليَّ وأطيب من رائحة المسك. ثم قال^(٣): [كامل]

حَسِبْتُ أُمِيَّةً أَنْ سَتَرَضَى هَاشِمٌ عنها ويذهب زَيْدُهَا وَحُسَيْنُهَا
كَلَّا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ وَإِلَهِهِ حتى تُبَاحَ سُهُولُهَا وَحُزُونُهَا^(٤)
وَتَذِلُّ ذُلَّ حَلِيلَةٍ لِحَلِيلِهَا بِالْمَشْرِفِيِّ وَتُسْتَرَدُّ دُيُونُهَا
وَأَتَى المَهْدِيَّ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي أُمِيَّةٍ كَانَ يَطْلُبُهُ فَتَمَثَّلَ بِقَوْلِ هُذَيْفٍ
[خفيف]

شاعرهم:
جَرَّدَ السَيْفَ وَأَرْفَعَ السَّوْطَ حَتَّى لَا تَرَى فَوْقَ ظَهْرِهَا أُمُويًا
لَا يَغِرَّتْكَ مَا تَرَى الْيَوْمَ مِنْهُمْ إِنَّ تَحْتَ الضَّلُوعِ دَاءٌ دُويًا^(٥)
[بسيط]

فقال الأموي: لكن شاعرنا يقول:
شَمْسُ الْعَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا^(٦)

- (١) البراذع: ج بَرْدَعَةٌ وهي الجِلْسُ يُلقَى تحت الرَّحْلِ يُوقَى به ظهر البعير من الرَّحْلِ.
(٢) الأنطاع: ج نَطْع وهو البساط من الأديم.
(٣) ثم قال: أي قال عبد الله بن علي الأنف الذكر. والشعر هو لسُدَيْفِ بن ميمون الذي ترجم له في الحاشية رقم ٧ من الصفحة ٢٠٧.
(٤) ورد البيت الأول والثاني في العقد الفريد (ج ٤ ص ٤٨٤ و ٤٨٧).
(٥) ورد هذان البتان في المصدر السابق ص ٤٨٦.
(٦) البيت للأخطل من قصيدة له مطلعها:
خُفَّ القَطِينِ فَرَاخُوا مِنْكَ أَوْ بَكُرُوا وَأَزَعَجَتْهُمْ نَوَى فِي صَرْفِهَا غَيْرُ
المصدر السابق ص ٤٨٧.

فقال المهديّ: قال شاعركم ما يشبهكم وقا شاعرنا ما يشبهنا. ثم أمر به فقتل.

وقال رجل: كنا جلوساً مع عمرو بن عبيد في المسجد، فأتاه رجل بكتاب المنصور على لسان محمد بن عبد الله بن الحسن يدعوه إلى نفسه، فقرأه ثم وضعه فقال الرسول: الجواب. فقال: ليس له جواب، قل لصاحبك: دَعْنَا نجلس في هذا الظل ونشرب من هذا الماء البارد حتى تأتينا آجالنا في عافية.

وكان عمرو بن عبيد إذا رأى المنصورَ يطوف حول الكعبة في قُرَطين يقول: إن يرد الله بأمةٍ محمدٍ خيراً يُولِّ أمرها هذا الشاب من بني هاشم. وكان له صديقاً فلما دخل عليه بعد الخلافة وكلمه وأراد الأنصراف، قال: يا أبا عثمان سل حاجتك. قال: حاجتي ألا تبعث إليّ حتى آتيك ولا تعطيني حتى أسألك. ثم نهض فقال المنصور: [مجزوء الرمل]

كُلُّكُمْ مَا شِئِ رُوِيْدُ كُلُّكُمْ خَاتِلُ صِيْدُ^(١)

غيرَ عمرو بن عُبيد

فلما مات عمرو رثاه المنصور فقال: [كامل]

صَلَّى الْإِلَهَ عَلَيْكَ مِنْ مُتَوَسِّدٍ	قَبْرًا مَرَرْتُ بِهِ عَلَى مَرَّانٍ
قَبْرًا تَضُمَّنَ مُؤْمِناً مُتَحَنِّفًا	صَدَقَ الْإِلَهَ وَدَانَ بِالْقُرْآنِ
وَإِذَا الرِّجَالُ تَنَازَعُوا فِي سُنَّةٍ	فَصَلَ الْحَدِيثَ بِحِكْمَةٍ وَبَيَانٍ
فَلَوْ أَنَّ هَذَا الدَّهْرَ أَبْقَى صَالِحًا	أَبْقَى لَنَا حَيًّا أَبَا عُثْمَانَ

(١) رُوِيْدُ: أصل الكلام: «كُلُّكُمْ مَا شِئِ رُوِيْدًا وَ«رُوِيْد» صفة، أي كلكم بيطء. وخَاتِلُ صيد: مُتَحَنِّفٌ لَهُ.

قال الوضاح بن حبيب: كنا إذا خرجنا - يعني أصحابه - من عند المنصور صرنا إلى المهدي وهو يومئذ ولي عهده ففعلنا ذلك يوماً فأبرز إليّ يده، ولم يكن ذلك من عادته، فأكبتُ عليها فقبَّلْتُها وضرب بيدي إلى يده، ثم علمت أنه لم يفعل ذلك إلا لشيء في يده، فوضع في يدي كتاباً صغيراً تستره الكفُّ، فلما خرجت فتحتُه فإذا فيه: يا وضاح، إذا قرأت كتابي فاستأذنْ إلى ضياعك بالريِّ، فرجعت فقلت للربيع: استأذنْ لي. فدخل فاستأذن، فأذن لي، فدخلت فقلت: يا أمير المؤمنين، ضياعي بالري قد آخلت وبني حاجة إلى مطالعتها فقال: لا، ولا كرامة، فخرجت. ثم عدت إليه اليوم الثاني والقوم معي فدخلنا فاستأذنته، فردَّ إليّ مثل الجواب الأوّل. فقلت: يا أمير المؤمنين، ما أريد إصلاحها إلّا لأقوى بها على خدمتك. فسُرِّي عنه، ثم قال: إذا شئت فودّع. فقلت: يا أمير المؤمنين، ولي حاجة أذكرها. قال: قل. قلت: أحتاج إلى خلوة. فنهض القوم وبقي الربيع قلت: أخلني. قال: ومن الربيع وبينكما ما بينكما! قلت: نعم. فتنحى الربيع، فقال: قد خلوت فقل إن جئت لي بمالك ودمك. فقلت: يا أمير المؤمنين، وهل أنا ومالي إلّا من نعمتك، حقنت دمي ودم أبي ورددت عليّ مالي وآثرتني بصحبتك. قال: إنه يهجنس في نفسي أن جهوراً^(١) على خلع وليس على غيرك لما أعرفه بينكما، فأظهر إذا صرت إليه الوقعة فيّ والتنقُّص لي حتى تعرف ما عنده، وإن رأيته بهم بخلع فأكتب إليّ، ولا تكتبني على يد بريد ولا مع رسول ولا يفوتني خبرك في كل يوم فقد نصبت لك فلاناً القطن في دار القطن فهو يوصل كتبك في كل يوم إليّ. قال: فمضيتُ حتى أتيتُ الريّ فدخلت على جهور فقال: أفلت؟ فقلت: نعم والحمد لله. ثم أقبلت أوأنسه بالوقعة فيه حتى أظهر ما

(١) هو جهور بن مرار العجلي أحد قواد المنصور.

ظَنَّ به المنصور فكتبت إليه بذلك.

دخل عبد الله بن الحسن الطالبي على المنصور وعنده إسحاق بن مسلم العقيلي وعبد الملك بن حميد الشامي الكاتب، فتكلم عبد الله بكلام أعجب إسحاق فغم ذلك المنصور، فلما خرج عبد الله قال: يا غلام، رُدَّه. فلما رجع قال: يا أبا محمد، إن إسحاق بن مسلم حدثني أن رجلاً هلك بدمشق وترك ناضاً^(١) كثيراً وأرضاً ورقيقاً وزعم أنه مولاكم وأشهد على ذلك. قال: نعم يا أمير المؤمنين، ذلك مولانا قد كنت أعرفه وأكاتبه. فقال المنصور: يا إسحاق، أعجبك كلامه فأحببت أن تعرفه.

أبو الحسين المدائني قال: لما بنى أبو العباس المدينة بالأنبار قال لعبد الله بن الحسن: يا أبا محمد، كيف ترى؟ فمثل عبد الله فقال: [وافر]

ألم تر حَوْشِباً أَمْسَى يُبْنِي قصوراً نَفَعُهَا لِبَنِي بُقَيْلَه
يُؤْمَلُ أَنْ يُعْمَرَ عُمَرُ نُوحٍ وَأَمْرُ اللَّهِ يَحْدُثُ كُلَّ لَيْلَه

ثم أنتبه فقال: أقالني أقالك الله. قال: لا أقالني الله إن بت في عسكري، فأخرجه إلى المدينة. حَنَشُ بن المغيرة قال: جئت وأبو ذرٍّ أخذ بحلقة باب الكعبة وهو يقول: أنا أبو ذر الغفاري، من لم يعرفني فأنا جُنْدَبُ صاحب رسول الله ﷺ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي مَثَلُ سَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا».

حدثنا خالد بن محمد الأزدي قال: حدثنا شَبَابَةُ بن سَوَّار عن يحيى بن إسماعيل بن سالم عن الشعبي قال: قيل لابن عمر: إن الحسين قد توجه إلى

(١). الناض: المال، وهو في الأصل الدرهم والدينار.

العراق، فلحقه على ثلاث ليال من المدينة وكان عند خروج الحسين غائباً في مال له فقال: أين تريد؟ قال: العراق. وأخرج إليه كتباً وطوامير^(١) قال: هذه كتبهم وبيعتهم. فناشده الله أن يرجع فأبى فقال: أما إني سأحدثك حديثاً: إن جبريل، عليه السلام، أتى النبي ﷺ فخيّره بين الدنيا والآخرة فأختار الآخرة، وإنكم بضعة من النبي ﷺ، والله لا تليها أنت ولا أحد من أهل بيتك وما صرفها الله عنكم إلا لما هو خير لكم فأرجع. فأبى فأعتقه وبكى وقال: أستودعك الله من قتيل.

حدثني القاسم بن الحسن عن علي بن محمد عن مسلمة بن مُحَارِب عن السَّكَن قال: كتب الحسين بن علي رضي الله عنهما إلى الأحنف يدعوه إلى نفسه فلم يردّ الجواب وقال: قد جَرَّبْنَا آلَ أَبِي الْحَسَنِ فلم نجدْ عندهم إِيَالَةً ولا جمعاً للمال ولا مكيدة في الحرب. وقال الشعبي: ما لقينا من آل أبي طالب؟ إن أحببناهم قتلونا، وإن أبغضناهم أدخلونا النار.

ولما قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ الزَّبِيرِ خَرَجَتْ سُكَيْنَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ تَرِيدُ الْمَدِينَةَ فَأَطَافَ بِهَا أَهْلُ الْكُوفَةِ فَقَالُوا: أَحْسَنَ اللَّهُ صَحَابَتَكَ يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ. فقال: والله لقد قتلتُم جَدِّي وأبي وعمِّي وزوجي مُصْعَبًا، أَيَتَمُّونِي صَغِيرَةً وَأَرْمَلْتُمُونِي كَبِيرَةً فلا عَافَاكُمْ اللَّهُ من أَهْلِ بَلَدٍ ولا أَحْسَنَ عَلَيْكُمْ الْخِلاَفَةَ. وقال بعض الشعراء:

[منسرح]

إِنَّكَ حُسَيْنًا لِيَوْمِ مَضْرَعِهِ بِالطَّفِّ بَيْنَ الْكَتَائِبِ الْخُرُسِ
أَضْحَتْ بَنَاتُ النَّبِيِّ إِذْ قُتِلُوا فِي مَاتَمٍ وَالسَّبَاعِ فِي عُرْسِ

روى سِنَانُ بْنُ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: انْتَهَبَ النَّاسُ وَرَسَاءَ فِي عَسْكَرِ

(١) الطوامير: ج طُومَار أي الصحيفة.

الحسين بن علي يوم قُتل فما تطيبت منه امرأة إلا برِصت. ولما قتل حسين قالت بنت لعقيل بن أبي طالب:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم ماذا فعلتُمْ وأنتم أفضل الأمم بعترتي وبأهلي بعد مُنْطَلقي
منهم أسارى وقتلى ضُرجوا بدم ما كان هذا جزائي أن نصحت لكم
فما سمعها أحدٌ إلا بكى.

دخل زيد بن عليّ على هشام فقال: ما فعل أخوك البقرة؟ قال زيد: سماه رسول الله ﷺ باقراً وتسميه بقرة! لقد آخلفتما.

أخبرنا جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «يا جابر، إنك ستعمّر بعدي حتى يولد لي مولود أسمه كَأَسْمِي يَبْقُرُ العلم بَقْراً فإذا لقيته فأقرئه مني السلام» فكان جابر يتردّد في سكك المدينة بعد ذهاب بصره وهو ينادي: يا باقر، حتى قال الناس: قد جُنَّ جابر. فبينما هو ذات يوم بالبلاط إذ بَصُرَ بجارية يتورّكها صبيٌّ فقال لها: يا جارية، من هذا الصبي؟ قالت: هذا محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. فقال: أَدْنِيهِ مِنِّي فأدْنَتْهُ منه فقبَّل بين عينيه وقال: يا حبيبي، رسول الله يقرئك السلام. ثم قال: نُعِيْتُ إِلَيَّ نفسي وربُّ الكعبة. ثم أنصرف إلى منزله وأوصى فمات من ليلته.

قال هشام لزيد بن علي: بلغني أنك تَرَبِّصُ نَفْسَكَ للخلافة وتطمع فيها وأنت ابن أمة. قال له زيد: مهلاً يا هشام، فلو أن الله علم في أولاد السَّرَارِيِّ^(١) تقصيراً عن بلوغ غاية ما أعطى إسماعيل ما أعطاه. ثم خرج زيد وبعث إليه بهذه الأبيات:

مهلاً بني عَمَّنَا عن نحت أثلَّتِنَا^(٢) سيروا رويداً كما كنتم تسيرونَا

(١) السَّرَارِيُّ: ج سُرِّيَّة وهي الأمة التي أنزلتها بيتاً.

(٢) الأثْلَةُ: الأصل، والجمع إثال.

لا تجمعوا أن تهينونا ونكرمكم وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا
 فالله يعلم أننا لا نحبككم ولا نلومكمو ألا تحببونا
 ثم إن زيدا أعطى الله عهداً ألا يلقي هشاماً إلا في كتية بيضاء أو حمراء
 فدخل الكوفة فطبع بها السيوف وكان من أمره ما كان حتى قتل رحمه الله .

ذكر الأمصار

قالت الحكماء: المدائن لا تُبنى إلا على ثلاثة أشياء: على الماء
 والكلا والمُحتطب.

قال ابن شهاب: من قدم أرضاً فأخذ من ترابها فجعله في مائها ثم شربه
 عُوفي من وبائها. وقال معاوية لقوم قدموا عليه: كلوا من فحاً^(١) أرضنا فقلما
 أكل قوم من فحاً أرض فضرهم ماؤها .

حدثني الرياشي قال: حدثني الأصمعي قال: معاوية: أغبط الناس
 عندي سعد مولاي، وكان يلي أمواله بالحجاز، يتربّع جُدةً ويتقيظ الطائف
 ويتشّى مكة.

حدثنا الرياشي قال: حدثنا الأصمعي قال: أربعة أشياء قد ملأت الدنيا
 لا تكون إلا باليمن: الخطر والكندر والعصب والورس.

حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال: اليهود لا تأكل من بقل سُوراً^(٢)
 وتقول: هي مغيض الطوفان. قال: وقال الأصمعي عن معمر^(٣) قال: سبعُ

(١) الفحّاء: البصل، وقيل: توابل القدور كالفلّفل والكُمون ونحوهما.

(٢) سُوراً: موضع بالعراق من أرض بابل، وهو بلد السريانيين. لسان العرب مادة (سور) وقال

ياقوت في معجم البلدان: نسبوا إلى سُورى الخمر، وهي قريبة من الجلة المزبدية

(٣) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى اللغوي النحوي، وكان معاصراً للأصمعي.

محفوظات وسبع ملعونات، فمن المحفوظات نَجْرَان ومن الملعونات أَثَافُتُ
وَبَرْدَعَةُ^(١). وَأَثَافُتُ بِالْيَمَنِ. وقفت باليمن على قرية فقلت لامرأة: ما تسمى
هذه القرية؟ فقالت ويحك! أما سمعت قول الشاعر:
أَجِبُّ أَثَافُتَ عِنْدَ الْقَطَافِ وعند عُصَاةِ أَعْنَابِهَا
[مقارب]

قال الأصمعي: سواد البصرة الأهواز وَدَسْتِيمِسَانَ وفارس، وسواد الكوفة
كَسَكْرَ إلى التراب^(٢) إلى عمل حُلُون إلى القادسية، وعمل العراق هَيْتُ إلى
الصين والسُّنْدَ والهند ثم كذلك إلى الرِّيِّ وخُرَاسَانَ إلى الديلم والجبّال كلها،
وأصبهان صرّة العراق أفتتحها أبو موسى الأشعري، والجزيرة ما بين دجلة
والفرات، والموصل من الجزيرة، ومكة من المدينة ومصر لا تدخل في عمل
العراق.

حدّثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال:
أول قرية بنيت بعد الطوفان قرية بَقَرْدَى تسمى سوقَ ثمانين، كان نوح لما
خرج من السفينة أبتناها وجعل فيها لكل رجل آمن معه بيتاً وكانوا ثمانين فهي
اليوم تسمى سوقَ ثمانين. قال: وَحَرَّانَ سَمِيتُ بِهَارَانَ بنَ آزَرَ أخِي إبراهيم
النبي ﷺ وهو أبو لوط.

قال النبي، ﷺ لِبُرَيْدَةَ: «يا بُرَيْدَةَ، إنه سيُبْعَثُ بعدي بُعُوثٌ فإذا بُعِثَ
فكن في أهل بَعَثَ المشرق ثم في بعث خراسان ثم في بعث أرض يقال لها:
مَرُو، فإذا أتيتها فأنزل مدينتها فإنه بناها ذو القرنين وصلّى فيها، غزيرة أنهارها
تجري بالبركة، في كل نقب منها ملكٌ شاهرٌ سَيْفُهُ يدفع عنها السوء إلى يوم
القيامة» فقدمها بُرَيْدَةَ فمات بها.

(١) بَرْدَعَةُ: كرسي أعمال أذربيجان، وقيل إنها من أَرَانَ. وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٥٠.

(٢) التراب: قد يعني بها الزاب، وهذا هو الأصح كما في معجم البلدان.

حدّثني أحمد بن الخليل قال: حدّثني الأصمعي قال: أخبرني النّير بن هلال الحَبْطِي عن قَتادة عن أبي جلدة قال: الدنيا كلها أربعة وعشرون ألف فرسخ فملك السودان اثنا عشر ألف فرسخ وملك الروم ثمانية آلاف فرسخ وملك فارس ثلاث آلاف فرسخ وأرض العرب ألف فرسخ.

وقال أبو صالح: كنا عند ابن عباس فأقبل رجل فجلس، فقال له: ممن أنت؟ قال: من أهل خراسان، قال: من أيّ خراسان؟ قال: من هَرَاة. قال: من أيّ هَرَاة؟ قال: من بُوشَنج. ثم قال: ما فعل مسجدها؟ قال: عامر يُصَلِّي فيه. قال ابن عباس: كان لإبراهيم مسجدان: المسجد الحرام ومسجد بُوشَنج. ثم قال: ما فعلت الشجرة التي عند المسجد؟ قال: بحالها. قال: أخبرني العباس أنه قال في ظلها.

حدّثني محمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا يزيد بن خالد بن عبد الله بن ميمون الحرّاني عن عوف بن أبي جميلة عن الحسن البصري قال: لما قدم عليّ، رضي الله عنه، البصرة آرتقى على منبرها فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أهل البصرة، يا بقايا ثُمُودٍ ويا جُند المرأة^(١) ويا أتباع البهيمة، رَغَا فَاتَّبَعْتُمْ وَعَقَرْتُمْ فَانْهَزْتُمْ. أما إني لا أقول رغبة فيكم ولا رهبة منكم، غير أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تُفْتَحُ أَرْضُ يَمَامَةَ لَهَا الْبَصْرَةُ أَقْوَمُ الْأَرْضِينَ قَبْلَهُ، قَارِئُهَا أَقْرَأُ النَّاسِ، وَعَابِدُهَا أَعْبَدُ النَّاسِ، وَعَالِمُهَا أَعْلَمُ النَّاسِ، وَمُتَصَدِّقُهَا أَعْظَمُ النَّاسِ صَدَقَةً، وَتَاجِرُهَا أَعْظَمُ النَّاسِ تِجَارَةً. مِنْهَا إِلَى قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا الْأُبْلَةُ^(٢) أَرْبَعَةٌ

(١) يا جند المرأة: يعني بالمرأة عائشة. ويا أتباع البهيمة: يعني بالبهيمة الجمل الذي ركبتة عائشة، وبه سمي هذا اليوم وهو معروف مشهور.

(٢) الْأُبْلَةُ: بلدة قديمة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة، ويبعد عنها أربعة فراسخ وإليها ينسب نهر الْأُبْلَةُ الذي هو أحد منتزهات الدنيا الأربعة. وهي من جنات الدنيا. وفيات الأعيان ج ٤. ص ٧٩ ومعجم البلدان ونهاية الأرب (ج ٩ ص ١٧٩).

فرسخ . يُسْتَشْهَدُ عند مسجد جامعها أربعون ألفاً ، الشهيد منهم يومئذ كالشهيد معي يوم بدر» .

حدَّثنا القاسم بن الحسن قال : حدَّثنا أبو سَلَمَةَ قال : أخبرني أبو المهزَّم عن أبي هريرة قال : مُثِّلَت الدنيا على مثال طائر ، فالبصرة ومصر الجناحان فإذا خربتا وقع الأمر .

وحدَّثني أيضاً عن هارون بن معروف عن ضَمْرَةَ عن آبن شَوَذْب عن خالد بن ميمون قال : البصرة أشدُّ الأرض عذاباً وشرها تراباً وأسرعها خراباً . قال : وقال آبن شوذب عن يزيد الرُّشَك^(١) قِسْتُ البصرة في ولاية خالد بن عبد الله القسري فوجدت طولها فرسخين غير دائق .

وقال محمد بن سلام عن شُعَيْب بن صَخْر : تذاكروا عند زياد البصرة والكوفة فقال زياد : لو ضَلَّتِ البصرة لجعلتُ الكوفةَ لمن دَلَّني عليها . قال محمد بن سيرين : كان الرجل يقول : غضب الله عليك كما غضب أمير المؤمنين على المغيرة ، عزله عن البصرة وأستعمله على الكوفة . وقال عليّ حين دخل البصرة : يا أتباع البهيمة ويا جند المرأة ، رَغَا فأجبتُم وعُقر فأنهزمتهم ، ودينكم نفاق وأخلاقكم رِقاق ومأوؤكم زُعاق ، يا أهل البصرة والبُصيرة والسُّيُخَّة والخُرَيْبة ، أرضكم أبعد الأرض من السماء وأبعدها من الماء وأسرعها خراباً وغرقاً .

مرَّ عُتْبَةُ بن غَزْوان بموضع المِرْبَد فوجد فيها الكَذَّان^(٢) الغليظ فقال : هذه البصرة فأنزلوا بسم الله . وقال أبو وائل : اختطَّ الناسُ البصرة سنة سبع عشرة .

(١) الرُّشَك : لقب يزيد بن أبي الضُّبَيْي .

(٢) الكَذَّان : حجارة رخوة كالْمَدَر وربما كانت نَخْرَةً ، والواحدة كَذَّانَةٌ .

فَخَرَّ نَاسٌ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ عِنْدَ أَبِي الْعَبَّاسِ، فَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ
لِخَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ: أَلَا تَكَلِّمُ يَا خَالِدٌ؟ قَالَ: أَخْوَافُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَهْلِهِ. قَالَ:
فَأَنْتُمْ أَعْمَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَصَبَتُهُ. قَالَ خَالِدٌ: مَا عَسَى أَنْ أَقُولَ لِقَوْمٍ بَيْنَ
نَاسِجٍ بُرْدٍ وَدَابِغٍ جِلْدٍ وَسَائِسٍ قُرْدٍ، دَلٌّ عَلَيْهِمْ هَدَّهْدٌ وَغَرَقَتَهُمْ فَأَرَةٌ وَمَلَكَتَهُمْ
أَمْرَةٌ.

سُئِلَ خَالِدٌ عَنِ الْكُوفَةِ فَقَالَ: نَحْنُ مُنَابِتُنَا قِصْبَ، وَأَنْهَارُنَا عَجَبَ،
وِثْمَارُنَا رُطْبَ، وَأَرْضُنَا ذَهَبَ. قَالَ الْأَحْنَفُ: نَحْنُ أَبْعَدُ مِنْكُمْ سَرِيَّةً وَأَعْظَمُ
مِنْكُمْ بَحْرِيَّةً وَأَعْدَى^(١) مِنْكُمْ بَرِّيَّةً. وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْهَذَلِيُّ: نَحْنُ أَكْثَرُ مِنْكُمْ سَاجِاً
وَعَاجِاً وَدِيْبَاجِاً وَخِرَاجِاً وَنَهْرَاً عَجَاجِاً.

وَقَالَ الْخَلِيلُ^(٢) فِي ظَهْرِ الْبَصْرَةِ مِمَّا يَلِي قَصْرَ أَوْسٍ مِنَ الْبَصْرَةِ:

[بسيط]

زُرْ وَادِيَ الْقَصْرِ نِعْمَ الْقَصْرُ وَالْوَادِي لَا بُدَّ مِنْ زُورَةٍ عَنْ غَيْرِ مِيعَادِ
تُرْفَا بِهِ السُّفْنُ وَالظُّلْمَانُ وَاقِفَةٌ وَالضُّبُّ وَالنُّونُ وَالْمَلَّاحُ وَالْحَادِي

وَقَالَ ابْنُ أَبِي عُيَيْنَةَ^(٣) فِي مِثْلِ ذَلِكَ:

[منسرح]

يَا جَنَّةَ فَاتِ الْجَنَانِ فَمَا تَبْلُغُهَا قِيَمَةٌ وَلَا ثَمَنُ
أَلْفَتْهَا فَاتَّخَذْتُهَا وَطْناً إِنَّ فَوَادِي لِحُبِّهَا وَطَنُ
زَوْجَ حَيْثَانَهَا الضَّبَابُ بِهَا فَهَذِهِ كَنَّةٌ وَذَا خَنْتَنُ
فَأَنْظُرْ وَفَكَّرْ فِيمَا نَطَقَتْ بِهِ إِنَّ الْأَرِيبَ الْمُفَكِّرُ الْفِطْنُ

(١) الْأَعْدَى: الْأَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ، يُقَالُ: غَذَا الْبَلَدَ يَغْدُو: طَابَ هَوَاؤُهُ.

(٢) هُوَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِي صَاحِبُ كِتَابِ الْعَيْنِ وَمُبْتَكِرُ الْبُحُورِ الشَّعْرِيَّةِ. تَوَفَّى سَنَةَ
١٧٥ هـ. وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الْبَيْتَانِ، مَعَ خِلَافٍ بَسِيطٍ، فِي مَعْجَمِ الشَّعْرَاءِ ص ٢٦٧ وَفِي الْعَقْدِ

الْفَرِيدِ (ج ٥ ص ٤٢٢).

(٣) تَقْدِمُ الْحَدِيثِ عَنْهُ.

مِنْ سُفْنٍ كَالنَّعَامِ مَقْبِلَةٍ وَمِنْ نَعَامٍ كَأَنَّهَا سُفْنٌ^(١)

أنشد محمد بن عمر عن ابن كِنَاسَةَ^(٢) في ظهر الكوفة: [طويل]
وإن بها، لو تعلمين، أصائلاً وليلاً رقيقاً مثل حاشية البرد

بلغني عن إبراهيم بن مهدي عن إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن إبراهيم التيمي قال: لما أُمِرَتِ الأَرْضُ أَنْ تَغِيضَ غَاضَتِ إِلَّا أَرْضَ الكوفة فَلُغِنَتْ، فجميع الأرض تُكْرَبُ على ثورين وأرض الكوفة تُكْرَبُ على أربعة ثيران. وكان يقال: إذا كان علم الرجل حجازياً وسخاؤه كوفياً وطاعته شامية فَقَدْ كَمَلَ.

لما احتوى المسلمون المدائن بعد ما نزلوا وآذاهم الغبار والذباب، كتب عمر إلى سعد في بعثة رواد يرتادون منزلاً برياً فإن العرب لا يصلحها إلا ما يصلح الإبل والشاء. فسأل مَنْ قَبْلَهُ عن هذه الصفة فيما يليهم، فأشار عليه من رأى العراق من وجوه العرب باللسان. وظهر الكوفة يقال له اللسان، وهو فيما بين النهرين إلى عين بني الحذاء وكانت العرب تقول: أدلَعَ الْبَرُّ لِسَانَهُ^(٣) في الرِّيف، فما كان يلي الفرات منه فهو الْمِلْطَاط وما كان يلي الظهر منه فهو النَّجَاف، فكتب إلى سعد يأمره به.

(١) يصف الشاعر في هذه الأبيات بستاناً له كما ورد في العقد الفريد (ج ٥ ص ٤٢٢) وقد سبق له أن وصف نفس البستان في شعر ورد في نفس المصدر المذكور ص ٤٢١ نذكر منه هذا البيت (طويل).

يُذَكِّرُنِي الْفِرْدَوْسُ طَوْرًا فَأُنْشِي طَوْرًا يُوَاتِنِي إِلَى الْقَصْفِ وَالْفَتَكِ
(٢) هو محمد بن عبد الله الملقب بكِنَاسَةَ، من شعراء الدولة العباسية، كان يجتنب في شعره المدح والهجاء. توفي سنة ٢٠٧ هـ. الأعلام ج ٦ ص ٢٢١.

(٣) أدلَعَ الْبَرُّ لِسَانَهُ: أخرجه.

وقال النابغة^(١) الجعدي يمدح الشام:
 جاعلين الشامَ حمًّا^(٢) لهم ولئن همّوا لننعمَ بالمتنقل
 موته أجرٌ ومحياء غنى وإليه عن أذاه مُعْتَزَل

وقال أيضاً:
 [طويل]

ولكنّ قومي أصبحوا مثل خيبر بها داؤها ولا تضرّ الأعادي
 قال الأصمعي: لم يولد بغدير خمّ مولودٌ فعاش إلى أن يحتمل إلا أن
 يتحوّل عنها. قال: وحرّة ليلي^(٣) ربما مرّ بها الطائر فيسقط ريشه. قال عمرو
 ابن بحر: يزعمون أن من دخل أرض تُبّت لم يزل ضاحكاً مسروراً من غير
 عَجَب حتى يخرج منها، ومن أقام بالموصل عاماً ثم تفقّد قوّته وجد فيها
 فضلاً، ومن أقام بالأهواز حولاً فتفقّد عقله وجد النقصان فيه بيناً. والناس
 يقولون: الحُمى خيبر وطحّال البحرين ودمامل الجزيرة وطواعين الشام.

قالوا: من أطال الصوم بالمصيّصة^(٤) في الصيف خيف عليه الجنون. وأما
 قصبة الأهواز فتقلب كل من ينزلها من الأشراف إلى طبائع أهلها، ووبائها
 ومُحّاها يكون في وقت آنكسار الوباء ونزوع الحمى عن جميع البلدان، وكل
 محموم فإن حمّاه إذا أفلعت عنه فقد أخذ عند نفسه منها البراءة إلى أن تعود إلى
 التخليط وإلى أن يجتمع في جوفه الفساد إلا محموم الأهواز فإنها تعاود من فارقتها

(١) تقدّمت ترجمته في الحاشية رقم ٥ ص ١٨٥ من هذا الجزء.

(٢) يقال: حمّ: قَصَدَ قَصْدَهُ.

(٣) حرّة ليلي تقع بالمدينة. اللسان مادة (حرر) وقد تقدّم شرح وافي عن مفهوم «حرّة».

(٤) المصيّصة: مدينة على ساحل البحر الرومي تجاور طرطوس والسين وتلك النواحي. بناها
 صالح بن علي عمّ أبي جعفر المنصور في سنة ١٤٠ هـ. بأمر المنصور نفسه. وفيات الأعيان
 (ج ١ ص ١٢٧). وقال في الأعلام (ج ١ ص ٣١) أنها من أرض كيليكيا.

لغير علة حدثت، ولذلك جمعت سوق الأهواز الأفاعي في جبلها المطل عليها والجرارات^(١) في بيوتها ومن ورائها سباح ومناقع مياه غليظة وفيها أنهار تشقها مسایل كنهم ومياه أمطارهم فإذا طلعت الشمس وطال مقامها واستمرت مقابلتها لذلك الجبل قبل الصخرية التي فيها الجرات، فإذا امتلأت ييساً وحرّاً وعادت جمرة واحدة قذفت ما قبلت من ذلك عليهم وقد بخرت تلك السباح وتلك الأنهار، فإذا آلتقى عليهم ما بخرت به السباح وما قذفه ذلك الجبل فسد الهواء وفسد بفساد الهواء كل ما يشتمل عليه الهواء. وقال إبراهيم بن العباس الكاتب: حدثني مشايخ أهل الأهواز عن القوابل أنهم ربما قُبلن الطفل فيجدنه في تلك الساعة محموراً يعرفن ذلك ويتحدثن به. قال: ومن قدم من شق العراق إلى بلد الزنج لم يزل حزناً ما أقام بها فإن أكثر من شرب نبيذها وأكل النَّارجيل^(٢) طمس الحُمار^(٣) على عقله حتى لا يكون بينه وبين المعتوه إلا شيء يسير. قال: وفي عهد سجستان على العرب حين آفتحوها: ألا يقتلوا قنفذاً ولا يصيدوه؛ لأنها بلاد أفاع والقنافذ تأكلها ولولا ذلك ما كان لهم بها قرار.

وقال ابن عيَّاش لأبي بكر الهذلي يوم فاخره عند أبي العباس: إنما مثْلُ الكوفة مثل اللّٰهة من البدن يأتيها الماء ببرده وعذوبته، والبصرة بمنزلة المشانة يأتيها الماء بعد تغيّره وفساده.

وقال محمد بن عمير بن عطار: إن الكوفة قد سفلت عن الشام ووبائها وارتفعت عن البصرة وعمقها فهي مريئة مريئة عذبة ثرية، إذا أتتنا الشمال

(١) الجرارات: ج جرارة وهي عُقْرَب قتالة تحرّ ذنبها إذا مشت لا ترفعه كما تفعل سائر العقارب.

(٢) النَّارجيل: الجوز الهندي، وهو شجر كالنخل إلا أن وجه الجريد فيه إلى أسفل، وإذا قطع لم يمت. الواحدة: نارجيل.

(٣) الحُمار: الصّداع، وهو صداع الخمر وبقية السكر.

ذهبت مسيرة شهر على مثل رَضْرَاض الكافور، وإذا هَبَّتِ الْجَنُوبُ جاءتنا بريح
السَّوَاد وورْدِهِ وَيَاسَمِينِهِ وَأُتْرُجُّهُ، وماؤنا عَذْب وعيشنا خَصْب. وقال الحجاج:
الكوفة بِكُرِّ حَسَنَاءُ والبصرة عَجُوزٌ بِخَرَاءُ^(١) أُوتِيَتْ من كل حَلْي وزينة.

اجتمع أهل العراق ليلةً في سَمَرٍ يزيد بن عمر بن هُبَيْرَة، فقال يزيد: أيّ
البلدين أطيب ثمرة: الكوفة أم البصرة؟ فقال خالد بن صفوان: بل ثمرتنا أيها
الأمير منها الأَزَادُ والمَعْقِلِيّ وكذا وكذا. فقال عبد الرحمن بن بَشِير العَجَلِيّ: لست
أشك أيها الأمير أنكم قد اخترتم لأمير المؤمنين ما تبعثون به إليه. قال: أجل،
قال: قد رضينا بأختياريك لنا وعلينا. قال: فأَيُّ الرُّطْب تحملون إليه؟ قال:
المُشَان. قال: ليس بالبصرة منه واحدة. ثم أيّة؟ قال: السَّابِرِي. قال: ولا
بالبصرة منه واحدة. قال خالد بن صفوان: بلى عندنا بالبصرة منه شيء يسير.
قال: فأَيُّ التمر تحملون إليه؟ قال: النَّرْسِيَّان. قال: ولا بالبصرة منه واحدة.
قال: ثم أيّة؟ قال: الهَيْرُونَ أَزَاد. قال: ولا بالبصرة منه واحدة. قال: فأَيُّ
القَسْب^(٢) تحملون إليه؟ قال: قَسْب العنبر. قال: ولا بالبصرة منه واحدة. قال
أبن هُبَيْرَة لخالد: ادّعى عليك خمساً فشاركته في واحدة وسلّمت له أربعاً، ما
أراه إلا قد غلبك.

دخل فتى من أهل المدينة البصرة ثم أنصرف، فقال له أصحابه: كيف
رأيت البصرة؟ قال: خير بلاد الله للجائع والعَرَب والمفلس: أما الجائع فيأكل
خبز الأرز والصَّحْنَاء^(٣) لا ينفق في الشهر درهمين، وأما العَرَب فيتزوج بشق
درهم، وأما المحتاج فلا عَيْلَة عليه ما بقيت عليه آسَتُهُ يخرأ ويبيع.

(١) البَخْرَاء: المنتنة ريحها.

(٢) القَسْب: تمر يابس يتفتت في الفم صلب النواة، والواحدة قَسْبَة.

(٣) الصَّحْنَاء: إدام يتخذ من السمك الصغار.

أبو الحسن المدائني قال: قال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة لمعاوية: أما والله لو كنا بمكة على السواء لعلمت. قال معاوية: إذا كنت أكون ابن أبي سفيان، منزلي الأبطح ينشق عنه سيله، وكنت ابن خالد، منزلك أجساد أعلاه مدرة وأسفله عذرة.

رأى رجل من قريش رجلاً له هيئة رثة، فسأل عنه فقالوا: من بني تغلب. فوقف له وهويطوف بالبيت، فقال له: أرى رجلين قلماً وطئتا البطحاء. قال له التغلبي: البطحاء ثلاث: بطحاء الجزيرة وهي لي دونك، وبطحاء ذي قار وأنا أحق بها منك، وهذه البطحاء، وسواء العاكف فيه والبادي.

وقال بعض الأعراب: اللهم، لا تنزلي ماء سوء فأكون أمراً سوء. قال خالد بن صفوان: ما رأينا أرضاً مثل الأبلّة أقرب مسافة ولا أعذب نطفة ولا أوطأ مطية ولا أربح لتاجر ولا أخفى لعابد. وقال ابن أبي عيينة^(١) يذكر قصر أنس^(٢) بالبصرة: [طويل]

بأفح سهلٍ غيرٍ وعِرٍ ولا ضنكٍ ^(٣)	فيا حُسنَ ذاك القصرِ قصراً ونزهةً
كأن ثراها ماءً ورِدٍ على مسكٍ	بغرسٍ كأبكارِ الجواري وتربةٍ
إلى ملكٍ موفٍ على منبرِ الملك	كأن قصورَ الأرض ينظرون حوله
ويضحك منها وهي مطرقةٌ تبكي ^(٤)	يبدلُ عليها مستطيلاً بحسنه

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) ذكر ابن خلكان هذا القصر في وفيات الأعيان (ج ٤ ص ١٨٢) فقال: إنه قصر أنس بن مالك بالطف، وعندما مات أنس غسله ابن سيرين في هذا القصر وكفنه.

(٣) ضنك: ضيق.

(٤) ذكر ابن عبد ربه في العقد (ج ٥ ص ٤٢١) هذا الشعر وجعله في وصف بستان ابن عيينة الشاعر. وبذلك يتناقض عما هنا.

قال جعفر بن سليمان: العراق عين الدنيا، والبصرة عين العراق، والمربد عين البصرة، وذارين عين المربد. وقالوا: من خصال الحرم أن المطر إذا أصاب الباب كان الخصب من شق العراق، وإذا أصاب المطر الناحية من شق الشام كان الخصب بالشام، وإذا عمّ جوانب البيت كان المطر عاماً. قال: وذرع الكعبة أربعمائة وتسعون ذراعاً.

المدائني قال: قال الحجاج: لما تبوّأت الأمور منازلها قالت الطاعة: أنزل الشام، قال الطاعون: وأنا معك. وقال النفاق: أنزل العراق، قالت النعمة: وأنا معك. وقالت الصحة: أنزل البادية، قالت الشقوة: وأنا معك.

* * *

نجز كتاب الحرب ويتلوه كتاب السؤدد

كتاب السؤدد

مخايل السؤدد وأسبابه ومخايل السوء

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة رحمه الله: حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن قُرَيْب عن عمه الأصمعي قال: أخبرنا جميع بن أبي غاضرة وكان شيخاً مُسِنَّاً من أهل البادية وكان من ولد الزَّبْرِقَان بن بدر من قبل النساء، قال: كان الزبرقان يقول: أَبْغَضُ صَبِيَانِنَا إِلَى الْأَقْيَسُ الذَّكَرُ الَّذِي كَأَنَّمَا يَطَّلَعُ فِي حَجَرِهِ، وَإِنْ سَأَلَهُ الْقَوْمُ أَيْنَ أَبُوكَ، هَرَّ فِي وَجُوهِهِمْ وَقَالَ: مَا تَرِيدُونَ مِنْ أَبِي. وَأَحَبُّ صَبِيَانِنَا إِلَى الطَّوِيلِ الْغُرْلَةُ^(١)، السَّبَطُ الْغُرَّةُ، الْعَرِيضُ الْوَرَكُ، الْأَبْلَةُ الْعَقُولُ الَّذِي يَطِيعُ عَمَّعٍ وَيَعْصِي أُمَّهُ، وَإِنْ سَأَلَهُ الْقَوْمُ أَيْنَ أَبُوكَ، قَالَ: مَعَكُمْ. قَالُوا: وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: قَالَ مَعَاوِيَةُ: ثَلَاثُ مِنَ السُّؤْدُدِ: الصَّلْعُ، وَأَنْدَحَاقُ الْبَطْنِ، وَتَرْكُ الْإِفْرَاطِ فِي الْغَيْرَةِ.

قال وقيل لأعرابي: بَمَ تَعْرِفُونَ سُؤْدُدَ الْغَلَامِ فِيكُمْ؟ فَقَالَ: إِذَا كَانَ سَائِلُ الْغُرَّةِ طَوِيلَ الْغُرْلَةِ ثَلَاثَ الْإِزْرَةِ وَكَانَتْ فِيهِ لَوْنَةٌ فَلَسْنَا نَشْكُ فِي سُؤْدُدِهِ. وَقِيلَ لِآخَرَ: أَيُّ الْغُلَمَانِ أَسْوَدُ؟ قَالَ: إِذَا رَأَيْتَهُ أَغْنَقَ أَشْدَقَ أَحْمَقَ فَأَقْرَبَ بِهِ مِنَ السُّؤْدُدِ. وَكَانَ يُقَالُ: إِذَا رَأَيْتَ الْغَلَامَ غَائِرَ الْعَيْنَيْنِ ضَيِّقَ الْجَبْهَةِ حَدِيدَ الْأَرْنَبَةِ كَأَنَّمَا جَبِيْنُهُ صَلَاحِيَّةٌ^(٢) فَلَا تَرْجُهُ، إِلَّا أَنْ يَرِيدَ اللَّهُ أَمْرًا فَيَبْلُغَهُ.

(١) الْغُرْلَةُ: جِلْدَةُ الذَّكَرِ، وَالْجَمْعُ غُرُلٌ.

(٢) الصَّلَاحِيَّةُ: الْجَبْهَةُ.

حدَّثنا الرياشي عن الأصمعي قال: قریش تُمدَّحُ بالصِّلَعِ.

وأنشد:

[رجز]

إِنَّ سَعِيداً وَسَعِيدُ فَرْعٍ أَصْلَعُ تُنْمِيهِ رَجَالُ صُلْعٍ
ونظر رجل إلى معاوية وهو غلام صغير فقال: إني أظن هذا الغلام سيسود
قومه. فقالت هند: ثكلته إن كان لا يسود إلا قومَه.

قال شبيب بن شيبه لبعض فرسان بني منقر: ما مُطِلَّتْ مَطَلُ الْفُرْسَانِ وَلَا
فُتِنَتْ فَتَقُ السَّادَةِ. وقال آخر لِسنان بن سلمة الهذلي: ما أنت بأَرْسَحَ^(١) فتكون
فارساً ولا بعظيم الرأس فتكون سيداً. وقال بعض الشعراء: [طويل]

فَقَبِلْتُ رَأْساً لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيِّدٍ وَكَفّاً كَكَفِّ الضَّبِّ^(٢) أَوْ هِيَ أَحَقَرُ
وقال آخر:

[طويل]

دَعَا ابْنُ مُطِيعٍ لِلْبَيْاعِ فَجَنَّتُهُ إِلَى بَيْعَةٍ قَلْبِي لَهَا غَيْرُ آلِفٍ
فَنَاوَلَنِي خَشْنَاءَ لَمَّا لَمَسْتُهَا بِكَفِّي لَيْسَتْ مِنْ أَكْفِ الْخَلَائِفِ.
وقرأت في كتاب للهند أنه قد قيل في الفِرَاسَةِ والتَّوَسُّمِ: إنه مَنْ صَغُرَتْ
عينه ودام اختلاجها وتتابع طَرْفُهَا ومال أنْفُهُ إلى أَيْمَنِ شَقِيهِ وَبَعْدَ مَا بَيْنَ حَاجِبَيْهِ
وكانت منابتُ شعره ثلاثاً ثلاثاً وطال إكبابه إذا مشى، وتلفت تارة بعد أخرى،
غَلَبَتْ عَلَيْهِ إِخْلَاقُ السَّوِّءِ.

كان يقال: أربَعُ يُسَوِّدُنَ الْعَبْدَ: الْأَدَبُ، وَالصَّدَقُ، وَالْعَفَّةُ، وَالْأَمَانَةُ.

[بسيط]

وقال بعض الشعراء في النبي صلى الله عليه وسلم: لَوْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُبَيِّنَةٌ كَانَتْ بَدَاهَتُهُ تُنْبِئُكَ بِالْخَبِيرِ

(١) الْأَرْسَحُ: قَلِيلُ لَحْمِ الْعِجْزِ وَالْفَخْذَيْنِ.

(٢) الضَّبُّ: دُوَيْبَّةٌ مِنَ الْحَشَرَاتِ.

وقال معاوية: إني لأكره البكاء^(١) في السيد وأحب أن يكون عاقلاً متغافلاً

وقال الشاعر في هذا المعنى: [كامل]
ليس الغبيُّ بسيد في قومِهِ لكنَّ سيِّدَ قومِهِ المتغابي
ويقال في مثله: «ليس أمير القوم بالخَبِّ^(٢) الخديع». وقال
الفرزدق: [بسيط]

لا خير في خَبِّ^(٣) مَنْ تُرجى فواضِلُهُ فاستمطروا من قريشٍ كلَّ مُنخَدِعٍ
كأنَّ فيه إذا حاولتَهُ بَلْهًا عن ماله وهو وافي العقل والورع
وقال إياس بن معاوية: لستُ بخَبٍّ والخَبُّ لا يخدعني. وقال مالك بن
أنس عن ابن شهاب: الكريم لما تُحكِّمهُ التجارب.

قال بعض الشعراء: [خفيف]
غيرَ أفي أراك من أهل بيتٍ ما على المرء أن يسودَّوه عارُ
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: السيد الجواد حين يُسأل، الحليم
حين يُستجهل، البار بمن يعاشر. قال عدي بن حاتم: السيد الدليل في نفسه،
الأحمق في ماله، المطرَح لحقده، المعنيُّ بأمر عامته. سئل خالد بن صفوان عن
الأحنف بن ساد، فقال: بفضل سلطانه على نفسه. وقيل لقيس بن عاصم: بم
سُدَّتَ قومَكَ؟ فقال: ببذل القرى وترك المِرَا^(٤) ونُبْرة المولى. وقال علي بن عبد
الله بن عباس: سادة الناس في الدنيا الأسخياء وفي الآخرة الأتقياء. وقال سلم

(١) البكاء: قلة الكلام.

(٢) الخَبُّ: بفتح الخاء وكسرهما: الخداع والأنتى خَبَّة.

(٣) الخَبُّ: الخداع.

(٤) المِرَا: أصلها المِرءاء، من ما راه وراء أي جادله ونازعه وطعن في قوله تصغيراً للقاتل.

ابن قُتيبة لولده: إنكم لن تسودوا حتى تصبروا على سَرَارِ الشيوخ البُخر. وقال: الدنيا هي العافية، والصحة هي الشباب، والمروءة الصبر على الرجال. قال عمرو بن هذّاب: كنا نعرف سُؤدد سلم بن قتيبة بأنه كان يركب وحده ويرجع في خمسين. وقال رجل للأحنف وأراد عيَّبه: بَمَ سُدَّتَ قومك؟ قال: بتركي من أمرك ما لا يعنيني كما عناك من أمري ما لا يعنيك. وقال عبد الملك بن مروان لابن مطاع^(١) العَنَزِيّ: أَخْبِرْنِي عن مالك بن مَسَمَع. فقال له: لو غضب مالك لغضب معه مائة ألف لا يسألونه في أي شيء غضب. فقال عبد الملك: هذا وأبيك السؤدد، ولم يَلِ شيئاً قط. وكذلك أسماء بن خارجة لم يَلِ شيئاً قط. قيل لعرّابة الأوسِيّ: بَمَ سُدَّتَ قومك؟ فقال بأربع: أنخدع لهم عن مالي، وأذلُّ لهم في عِرْضي، ولا أحقِر صغيرهم، ولا أحسدُ رَفِيعهم. وقال المُقَنِّع الكِنْدِيّ وهو محمد بن عميرة^(٢):

[طويل]

ولا أَجِلُ الحِقْدِ القديم عليهم	وليس رئيسُ القوم من يحمل الحِقْدَا
وليسوا إلى نَصْري سِرَاعاً وإن هُمُ	دَعُونِي إلى نصرٍ أَتَيْتُهُم شَدًّا
إذا أَكَلُوا لحمي وَفَرَّتْ لحومُهُمُ	وإن هدموا مجدي بَنَيْتُ لهم مجدا
يُعَيِّرُنِي بالذِّينِ قومي وإِغْمَا	ديُونِي في أَشْيَاء تَكْسِبُهُم حَمْدًا ^(٣)

وقال آخر:

[بسيط]

هَيْئُونَ^(٤) لَيِّنُونَ أَيَسَارُ ذَوو يَسَرٍ سَوَاسُ مَكْرَمَةٍ أَبْنَاءِ أَيَسَارٍ

(١) ذكر ابن عبد ربه هذه القصة في العقد (ج ٢ ص ٢٨٧) في باب السؤدد وقال: «سأل عبد الملك بن مروان رُوح بن زُبَيْع عن مالك بن مَسَمَع... الخ».

(٢) محمد بن عميرة الكندي شاعرٌ من أهل حضرموت، كان مقنعا طول حياته، والمقنّع لقب له وهو الرجل اللابس سلاحه. كانت وفاته نحو ٧٠ هـ. الأعلام (ج ٦ ص ٣١٩ - ٣٢٠).

(٣) ورد البيتان الأخيران في العقد الفريد (ج ٢ ص ٣٦٨) باختلاف يسير عما هنا.

(٤) هَيْئُونَ لَيِّنُونَ أي لا يعرفون الخشونة، جمع هَيْنٌ وَلَيِّنٌ. وقد ورد البيت الأول في لسان العرب مادة (عزز) ومنه قول الكميت (منسرح).

لا ينطقون على الفحشاء إن نطقوا ولا يُمارُونَ إن مارَوْا بِإِكْثَارِ
مَنْ تَلَقَّى مِنْهُمْ تَقَلُّ لَاقِيَتْ سَيِّدَهُمْ . مثل النجوم التي يسري بها الساري
وقال آخر:

وإن سيادة الأقبام فاعلم لها صعداء مَطلَعُها طويلُ
وقال رجل من العرب: نحن لا نُسودُّ إلا من يُوطئنا رَحله ويُفرِّشنا عِرْضه
وَمِلْكنا ماله. وفي الحديث المرفوع: «مَنْ بَذَلَ مَعْرُوفه وَكَفَّ أَذاهُ فَذلِكَ السَّيِّدُ».
ويقال: لا سُودد مع انتقام. والعرب تقول: «سيد مُعَمَّم» يريدون أن كل جناية
يجنيها أحد من عشيرته معصوبة برأسه. ويقال: بل السيد منهم كان يَعْتَمُّ
بِعِمامة صفراء لا يعتَمُّ بها غيره. وإنما سُمِّي الزُّبَيْرُقان بصفرة عِمامته. يقال:
زُبِرْتُ الشيء إذا صَفَّرته، وكان اسمه حَصِينًا. قيل لابن هُبَيْرَة: مَنْ سَيِّدُ
الناس اليوم؟ قال: الْفَرَزْدَقُ، هجاني مَلِكًا ومدحني سُوقَةً. وقال عامر^(١) بن
الطُّفَيْل:

إني وإن كنتُ أبَنَ سَيِّدِ عامِرٍ وفارسها المشهور في كل مَوَكِبٍ
فما سَوَّدَتْنِي عامِرٌ عن وِرائَةٍ أبا الله أن أَسْمُو بَأْمٌ ولا أب
ولكنني أحمي حَماها وأتقي أذاها وأرمي مَنْ رماها بِمَنَكِبٍ^(٢)
لهذا نحو قول الآخر:

= هَيْنُونٌ لَيْنُونٌ فِي بِيوتِهِمْ سِنْجُ الثَّقَى وَالْفَضائلُ الرُّتَبِ
أنظر لسان العرب مادة (لين).

(١) عامر بن الطفيل العامري فارس قومه وأحد فُتاك العرب وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية.
أدرك الإسلام شيخاً دون أن يدخل فيه. وهو ابن عم لبيد الشاعر. توفي في ١١ هـ. الأعلام
ج ٣ ص ٢٥٢.

(٢) وردت هذه الأبيات في العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٩١).

[رجز]

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَّدَتْ عِصَاماً وَعَلَّمَتْهُ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامَا
وَصَيَّرَتْهُ مَلِكاً هُمَامَا

وعصام عبدٌ كان للنعمان بن المنذر. وله يقول النابغة

فإني لا ألوم على دُخُولٍ ولكن ما وراءك يا عِصَامُ؟

الكمال والتناهي في السؤدد

حدّثني أبو حمزة الأنصاري عن العُتبيّ قال: قال الأحنف: الكامل من عُدَّتْ هَفَوَاتِهِ. وكتب معاوية إلى زياد: أنظر رجلاً يصلح لشغل الهند فولّه، فكتب إليه إن قبلي رجلين يصلحان لذلك: الأحنف بن قيس، وسنان بن سلعة الهذلي. فكتب إليه معاوية: بأيّ يومي الأحنف نكافيه: أبخذاً لانه أم المؤمنين، أم بسعياً علينا يوم صفين؟ فوجه سناناً، فكتب إليه زياد: إن الأحنف قد بلغ من الشرف والحلم والسؤدد ما لا تنفعه الولاية ولا يضره العزل. وقال أبو نواس يمدح رجلاً:

[سريع]

أَوْحَدَهُ اللَّهُ فَمَا مِثْلُهُ لَطَالِبٍ ذَاكَ وَلَا نَاشِدٍ
وَلَيْسَ لِلَّهِ مُسْتَنْكَرٌ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ

وقال أيضاً في نحو هذا:

[بسيط]

يَا نَاقَ، لَا تَسَامِي أَوْ تَبْلُغِي رَجُلًا
مَتَى تُحْطِي إِلَيْهِ الرَّحْلُ سَالِمَةً
مُحَمَّدٌ ^(١) خَيْرٌ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ
مَنْ بَرَا اللَّهَ مِنْ إِنْسٍ وَمَنْ جَانِ

(١) هو الأمين محمد بن هارون الرشيد.

تَنَازَعَ الْأَحْمَدَانِ الشُّبَّةَ فَاشْتَبَهَا خَلَقًا وَخُلُقًا كَمَا قَدَّ الشُّرَاكَا
مِيَّانٍ لَا فَرْقَ فِي الْمَعْقُولِ بَيْنَهُمَا مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ وَالْعِدَّةُ اثْنَانِ

[بسيط]

وقال الطائي :

لَوْ أَنَّ إِجْمَاعَنَا فِي فَضْلِ سُودِّهِ فِي الدِّينِ، لَمْ يَخْتَلَفْ فِي الْمِلَّةِ اثْنَانِ

[وافر]

وقال أيضاً :

فَلَوْ صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لَمْ تَزِدْهَا عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ

وقال خالد بن صفوان : كان الأحنف يفرّ من الشرف والشرف يتبعه .

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : وفد الأحنف والمنذر بن الجارود إلى معاوية ، فتهيّا المنذر وخرج الأحنف على قعود وعليه بُتٌ ، فكلما مرّ المنذر قال الناس : هذا الأحنف ، فقال المنذر : أراي تزيتُ لهذا الشيخ . وقالت بنو تميم للأحنف : ما أعظم ميتتنا عليك ! فضلناك وسودناك ، فقال : هذا شبل بن معبد ، من سوده وليس بالحضرة بجليّ غيره ؟ أو قال بالبصرة .

قال عبد الملك بن مروان لعبد الله بن عبد الأعلى الشاعر الشيباني : مَنْ أَكْرَمُ الْعَرَبِ أَوْ مَنْ خَيْرُ النَّاسِ ؟ قال : مَنْ يُحِبُّ النَّاسَ أَنْ يَكُونُوا مِنْهُ ، وَلَا يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَحَدٍ ، يَعْنِي بَنِي هَاشِمٍ . قال : مَنْ أَلَمَّ النَّاسَ ؟ قال : مَنْ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ مِنْ غَيْرِهِ ، وَلَا يُحِبُّ غَيْرَهُ أَنْ يَكُونُوا مِنْهُ . قال رجل من أشراف العجم لرجل من أشراف العرب : إِنْ الشَّرَفُ نَسَبٌ مَفْرَدٌ ، فَالشَّرِيفُ مِنْ كُلِّ قَوْمٍ نَسِيبٌ . وَكَانَ يَقَالُ : أَكْرَمُ الصَّفَايَا أَشَدُّهَا وَلَهَّأَ إِلَى أَوْلَادِهَا ، وَأَكْرَمُ الْإِبِلِ أَحْنُهَا إِلَى أَوْطَانِهَا ، وَأَكْرَمُ الْأَفْلَاءِ^(١) أَشَدُّهَا مِلَازِمَةً لَأَمْهَاتِهَا ، وَخَيْرُ النَّاسِ أَلْفُ النَّاسِ لِلنَّاسِ

(١) الْأَفْلَاءُ : جِ فَلُو ، وَهُوَ الْجَحْشُ أَوْ الْمَهْرُ إِذَا فَطِمَ أَوْ بَلَغَ السَّنَةَ .

السيادة والكمال في الحداثة

قال الأحنف: السؤدد مع السواد، يريد أنه يكون سيداً مَنْ أُنْتُه السيادة في حدائنه وسواد رأسه ولحيته، وقد يُذهب بمعناه إلى سواد الناس وعامتهم يُراد أن السؤدد يكون بتسويد العامة. وقال أبو اليقظان: وَلَى الْحَجَّاجَ مُحَمَّدَ ابْنِ الْقَاسِمِ بن محمد بن الحَكَمِ الثَّقَفِيِّ قتال الأكراد بفارس فأباد منهم، ثم وَلَاهُ السُّنْدَ فَأَفْتَحَ السُّنْدَ وَالْهِنْدَ وقاد الجيوشَ وهو آبن سبع عشرة سنة، فقال فيه الشاعر:

[كامل]

إن السماحة والمُروءة والنّدى لمحمد بن القاسم بن محمد^(١)
قاد الجيوش لِسَبْعِ عَشْرَةِ حِجَّةٍ يا قَرَبَ ذَلِكَ سؤدداً من مولد!
ويُروى: يا قَرَبَ ذَلِكَ سُورَةَ من مولد؛ السُّورَةُ المنزلة الرفيعة. قال أبو اليقظان: وهو جعل شِيرَازَ معسكراً ومترلاً لُولَاةِ فارس. وقال حمزة^(٢) بن بِيضَ لمخلّد بن يزيد بن المهلب:

[متقارب]

بَلَّغْتَ لِعَشْرِ مَضَتْ مِنْ سِنِيهِ ك ما يبلغ السيّدُ الأشيبُ
فَهَمُّكَ فِيهَا جِسَامُ الْأُمُورِ وَهَمُّ لِدَاتِكَ أَنْ يَلْعَبُوا
نظر الحُطَيْثَةِ إلى آبن عباس يتكلم في مجلس عمر، فقال: مَنْ هَذَا الَّذِي نَزَلَ عَنِ النَّاسِ فِي سَنَةٍ وَعَلَاهُمْ فِي قَوْلِهِ! وقال آبن مسعود: لو بلغ أسناننا ما عشره مَنَا رَجُلٌ^(٣). ونظر رجل إلى أبي دُلْفٍ في مجلس المأمون

(١) مثل هذا قول زياد الأعجم في مدح عبد الله بن الحَشْرَج أحد امراء قيس.

(٢) حمزة بن بِيضَ (بكسر الباء وفتحها) الحنفي شاعر من بني بكر بن وائل، كثير المجون، كان منقطعاً إلى المهلب بن أبي صفرة وولده. توفي سنة ١١٦ هـ. الأعلام ج ٢ ص ٢٢٧.

(٣) ذكر ابن منظور في اللسان مادة (عشر): لو كان في السنّ مثلنا ما بلغ أحدٌ منا عشر علمه.

فقال: إن همته ترمي به وراء سنه. وولي عبید الله بن زياد خراسان وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، وليها لمعاوية. قيل لزياد عند موته: استخلف عبید الله، فقال: إن يك فيه خير فسيوليه عمه، فلما مات زياد شخص عبید الله إلى عمه معاوية فقال له: ما منع أباك أن يوليك؟ أما إنه لو فعل فعلت، فقال عبید الله: يا أمير المؤمنين، لا يقولنّها أحدٌ بعدك: ما منع أباه وعمه أن يكونا أستعملاه، فرغب فيه فاستعمله على خراسان. وولي معاذ اليمن وهو ابن أقل من ثلاثين سنة. وحمل أبو مسلم أمر الدولة والدعوة وهو ابن إحدى وعشرين سنة، وحمل الناس عن إبراهيم النخعي وهو ابن ثماني عشرة سنة. وولى رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد مكة وهو ابن خمس وعشرين سنة. وسودت قريش أبا جهل ولم يطرّ شاربهُ فأدخلته مع الكهول دار الندوة. قال الكُميت^(١):

[مجزوء الكامل]

رُفِعَتْ إِلَيْكَ، وَمَائِغِرٌ^(٢) تَ، عِيُونٌ مُسْتَمِعٍ وَنَاطِرٌ
وَوَأُوا عَلَيْكَ وَمِنْكَ فِي الدَّ مَهْدُ النُّهَى ذَاتُ الْبَصَائِرِ

قال: قدم وفد على عمر بن عبد العزيز من العراق، فنظر إلى شاب منهم يتحوّز^(٣) يريد الكلام، فقال عمر: كَبُرُوا كَبُرُوا، فقال الفتى: يا أمير المؤمنين، إن الأمر ليس بالسن، ولو كان كذلك كان في المسلمين من هو أسنّ منك، قال صدقت فتكلّم. قال الشاعر في خلاف هذا المعنى:

[خفيف]

إِنَّمَا أَهْلُكَ أَنْ يُسَاسُوا بِغَيْرٍ لَمْ تُعِرْهُ الْأَيَّامُ رَأْيًا وَثِيقًا^(٤)

(١) تقدّمت ترجمته.

(٢) يقال: ثغر الغلام إذا سقطت أسنانه التراوضع.

(٣) تحوّز الرجل: تنحى.

(٤) ذكر في العقد الفريد (ج ٥ ص ٢٩١) أن هذا الشعر قيل ردّاً على عتبة بن شماس في قوله =

وقال آخر:

[طويل]

ألا قالت الحسناء يومَ لقيتها كبرتُ، ولم تجزُع من الشيب مَجْزَعَا
 رأْتُ ذا عصاً يمشي عليها وشيئةً تَقْنَعُ منها رأسُهُ ما تَقْنَعَا
 فقلتُ لها: لا تَهْزُئي بي فقلِّما يسود الفتى حتى يشيب ويصلعا
 وللقارحُ اليعسوبُ خيرُ غلالةٍ من الجذعِ المُجْرَى وأبعدُ مَنْزَعَا

رأى بُكَيْرٌ^(١) بن الأخنس المَهَلَبَ وهو غلام فقال: [طويل]

خذوني به إن لم يَسُدْ سرَّواتِهِمْ ويَبْرُعْ حتى لا يكونَ له مثْلُ

الهمة والخطر بالنفس

قال: أخبرنا خالد بن جويرية عن محمد بن ذؤيب الفُقَيْمِيِّ^(٢) وهو العُمانيّ الراجز عن دُكَيْنِ الراجز قال: أتيت عمر بن عبد العزيز يعد ما أَسْتَخْلِفُ أَسْتَنْجِزُ منه وَعَدَاً كان وَعَدِيهِ وهو والي المدينة، فقال لي: يا دُكَيْنُ، إن لي نَفْساً تَوَاقَّةً، لم تزل تتوق إلى الإمارة، فلما نِلْتَهَا تَاقَتْ إلى الخلافة، فلما نِلْتَهَا تَاقَتْ إلى الجنة. وما رَزَأْتُ من أموال المسلمين شيئاً، وما عندي إلا ألفا درهم، فأخترَ أَيُّهُمَا شِئْتُ، وهو يضحك. فقلت: يا أمير المؤمنين، قليلُك خيرٌ من كثير غيرك، ويقال قليلُك خير من كثير غيرك، فأختر لي أنت، فدفع إلي ألفاً وقال: خذها بارك الله لك فيها، فأبتعتُ بها إِبْلاً وسُقْتَهَا إلى البادية، فرمى الله في أذنانها بالبركة بدعوته حتى رزقني الله ما ترون.

= يمدح عمر بن العزيز (خفيف).

إِنَّ أَوْلَى بِالْحَقِّ فِي كُلِّ حَقٍّ ثُمَّ أَحْرَى بِأَنْ يَكُونَ حَقِيقَا
 مَنْ أَبْوَهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَا نَ وَمَنْ كَانَ جَدُّهُ الْفَارُوقَا

(١) لم نقف له على ترجمة في الكتب التي بين أيدينا.

(٢) محمد بن ذؤيب الفُقَيْمِيِّ نسبة إلى بني فقيم، له أخبار مع المهدي والرشيد توفي نحو

٢٢٨ هـ. الأعلام ج ٦ ص ١٢٣.

قال معاوية لعمر بن العاص حين نظر معسكر علي عليه السلام: من طلب عظيماً خاطر بعظيمته. وكان عمرو يقول: عليكم بكل أمر مَزْلَقَةٍ مَهْلَكَةٍ.

أي عليكم بِجَسَامِ الْأُمُور. وقال كَعْبٌ^(١) بن زُهَيْر: [طويل]
وليس لمن لم يَرْكَبِ الْهَوْلَ بُغْيَةً وليس لِرَحْلِ حَطَّةِ اللَّهِ حَامِلٌ
إذا أنت لم تُقْصِرْ عن الجهل والخَنَا أَصَبْتَ حَلِيمًا أو أَصَابَكَ جَاهِلٌ
وفي كتاب للهند: ثلاثة أشياء لا تنال إلا بارتفاع هَمَّةٍ وعظيم خَطَرٍ:

عمل السلطان، وتجارة البحر، ومناجزة العدو. وفيه أيضاً: لا ينبغي أن يكون
الفاضل من الرجال إلا مع الملوك مكرماً أو مع النُّسَاك مُتَبَتِّلاً، كالفيل لا
يَحْسُنُ أن يُرَى إلا في موضعين: في البرِّيَّةِ وَحَشِيًّا أو للملوك مركباً وفيه أيضاً:
ذو الهمة إن حُطَّ فَنَفْسُهُ تَأْبَى إِلَّا عُلوًّا كَالشُّعْلَةِ مِنَ النَّارِ يُصَوِّبُهَا صَاحِبُهَا وَتَأْبَى
إلا أَرْتِفَاعًا. وقال الْعَتَّابِيُّ^(٢): [طويل]

طَوَى الدَّهْرُ عَنْهَا كُلَّ طَرَفٍ وَتَالِدٍ ^(٣)	تَلَوْمٌ عَلَى تَرْكِ الْغِنَى بِأَهْلِيَّةٍ
مِنَ الْمُلْكِ أَوْ مَا نَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ	يَسُرُّكَ أَنِّي نَلْتُ مَا نَالَ جَعْفَرُ
مَغْصَهُمَا بِالْمُشْرِقَاتِ الْبُورَادِ	وَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَغْصَنِي
وَلَمْ أَتَقَحَّمْ هَوْلَ تِلْكَ الْمَوَارِدِ	ذَرِنِي تُجَنِّنِي مِيتِي مُطْمَئِنَّةً
بِمُسْتَوْدَعَاتٍ فِي بَطُونِ الْأَسَاوِدِ	فَإِنَّ كَرِيمَاتِ الْمَعَالِي مَشُوبَةٌ

وقال الطائي:

وأخري لَحَنِي يَوْمَ لَمْ أَمْنَعِ النَّوَى قِيَادِي وَلَمْ يَنْقُضْ زَمَاعِي نَاقِضُ

(١) كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني شاعر عالي الطبقة، ابن الشاعر الشهير. كانت وفاته سنة

٢٦ هـ. الأعلام ج ٥ ص ٢٢٦. ولقد ورد هذان البيتان في العقد الفريد (ج ٣ ص ١٩).

(٢) هو كلثوم العتابي، وقد مرَّت ترجمته في الحاشية رقم ٢ من ص ٩٤. وقد ذكرت أبياته هذه في العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٠٨).

(٣) الطَّرْفُ: الطارف والحديث. والتالد ضد الطَّرْفِ.

أرادت بأن يحوي الغنى وهو وادعُ وهل يفرسُ اللَّيْثُ الطَّلَا^(١) وهو رابض؟
وقال أيضاً:

فأطلب هدوءاً في التقلُّلِ وأستترُ بالعِيسِ من تحت السُّهادِ هُجُوداً
ما إن ترى الأحسابَ بيضاً ووضُحاً إلا بحيثُ ترى المنايا سُوداً
وقال آخر:

ما العِزُّ إلا تحت ثوب الكَدِّ^(٢)

وقال آخر:
الذُّلُّ في دَعَةِ النفوسِ ولا أرى عزَّ المعيشةِ دون أن يُشَقَى لها

وقال بعض المُحدِّثين وأظنه البُحْتُريُّ:
فأطلبها ثالثاً سِوَايَ فَإِنِّي رابعُ العِيسِ والدُّجَى والسِّيدِ
لستُ بالواهنِ المقيمِ ولا القا ثل يوماً إن الغنى بالجُودِ
وإذا استُضْعِبَتْ مَقَادَةُ أمرٍ سهَّلَتْها أيدي المَهَارَى القُودِ

وقال عبد الله بن أبي الشَّيْصِ^(٣)
أظنَّ الدهرَ قد آلى فَبَرًّا بأن لا يَكْسِبَ الأموالُ حُرًّا
لقد قعد الزمانُ بكل حُرٍّ ونَقَضَ مِن قُواه المُسْتَمِرًّا
كأنَّ صفائحَ الأحرارِ أُرِدَّتْ أباه فحاربَ الأحرارَ طُرًّا
فأصبح كلُّ ذي شرفٍ رَكُوباً لأعناق الدجى بَرًّا وبَحْرًا
فهتَكَ جَيْبُ دِرْعِ الليلِ عنه إذا ما جَيْبُ دِرْعِ الليلِ زُرًّا

(١) الطَّلَا: ولد الظبي ساعه يولد.

(٢) المعنى: إنك لن تصل إلى مبتغاك إلا بعد جهد وتعب.

(٣) وردت ترجمته آنفاً.

يراقبُ لِلْغَنَى وَجْهًا ضُحُوكَا ووجهًا لِلْمَنِيَّةِ مُكْفَهَرَا
وَمَنْ جَعَلَ الظَّلَامَ لَهُ قَعُودَا أصاب به الدجى خيراً وشرّاً
وكان يقال: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَعِيشَ مَسْرُوراً فَلْيَقْنَعْ، وَمَنْ أَرَادَ الذِّكْرَ فَلْيَجْهَدْ.
قيل للعتابي: فَلَانُ بَعِيدُ الْهَمَّةِ، قَالَ: إِذَنْ لَا يَكُونُ لَهُ غَايَةٌ دُونَ الْجَنَّةِ. وقيل
لبعض الحكماء: مَنْ أَسْوَأُ النَّاسِ حَالاً؟ قَالَ: مَنْ اتَّسَعَتْ مَعْرِفَتُهُ وَضَاقَتْ
مَقْدَرَتُهُ وَبُعِثَتْ هَمَّتُهُ.

وقال عديّ^(١) بن الرِّقَاع:

[كامل]

والمَرءُ يُورِثُ جُودَهُ أَبْنَاءَهُ ويموتُ آخِرُ وَهْوَ فِي الْأَحْيَاءِ
أَبُو الْيَقْظَانِ قَالَ: كَانَ أَوَّلُ عَمَلٍ وَلِيهِ الْحَجَّاجُ تَبَالَةً، فَسَارَ إِلَيْهَا فَلَمَّا
قُرِبَ مِنْهَا قَالَ لِلدَّلِيلِ: أَيْنَ هِيَ وَعَلَى أَيِّ سَمْتٍ هِيَ؟ قَالَ: تَسْتَرِهَا عَنْكَ هَذِهِ
الْأَكْمَةُ. قَالَ لَا أَرَانِي أَمِيرًا إِلَّا عَلَى مَوْضِعٍ تَسْتَرُ مِنْهُ أَكْمَةٌ! أَهْوَنُ بِهَا وَلايَةٌ!
وكررَ راجعاً. فقيل في المثل: «أَهْوَنُ مِنْ تَبَالَةٍ عَلَى الْحَجَّاجِ». وقال

الطائي:

[طويل]

وطولُ مُقَامِ المَرءِ فِي الْحَيِّ مُخْلَقٌ لِدِيَاغَتِيهِ فَاعْتَرَبَ تَتَجَدَّدُ
فإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً إِلَى النَّاسِ أَنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدٍ

وقال رجل لآخر: أبوك الذي جهل قدره وتعدى طوره فشق العصا وفرق
الجماعة، لا جرمَ لقد هُزِمَ ثم أُسِرَ ثم قُتِلَ ثم صُلِبَ. قال الآخر: دَغْنِي مِنْ
ذِكْرِ هَزِيمَةِ أَبِي وَمِنْ صُلْبِهِ، أَبُوكَ مَا حَدَّثَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا قَطُّ. قال حاتم

طبي:

[طويل]

لَحَى اللُّهُ صُغْلُوكَا مُنَاهُ وَهْمُهُ مِنَ الْعِيشِ أَنْ يَلْقَى لَبُوسًا وَمَطْعَمًا
يَرَى الْخَمْصَ^(٢) تَعْذِيبًا وَإِنْ يَلْقَى شَعْبَةً يَبْتَ قَلْبُهُ مِنْ قِلَّةِ الْهَمِّ مُبْهَمًا

ولله صُعلوك يُساورُ هَمَّه
يرى قَوْسَه أو رُمحه ومِجَنه
وأحناء سَرَجٍ قاتِرٍ^(١) ولجامه
فذلك إن يَهْلِك فَحَيٌّ ثناؤه

ويمضي على الأهوال والدهرُ مُقدما
وذا شَطَبٍ لَدَنَ الْمَهْزَةِ مِخْذَمًا^(٢)
مُعَدًّا لَدَى الْهَيْجَا وَطَرْفًا مُسَوِّمًا
وإن يَحْيَى لَا يَقْعُدُ لَيْثًا مُذَمِّمًا

وقال آخر:

[بسيط]

لا يَمْنَعُكَ خَفْضُ الْعِيشِ تَطْلُبُهُ
تَلْقَى بِكُلِّ بِلَادٍ إِنْ حَلَلْتَ بِهَا

نِزَاعُ شَوْقٍ إِلَى أَهْلِ وَأُوطَانٍ
أَهْلًا بِأَهْلِ وَجِيرَانًا بِجِيرَانٍ

ويقال: ليس بينك وبين البلدان نسبٌ فخير البلاد ما حملك. وقال عُرْوَةُ

ابن الْوَرْدِ^(٣):

[طويل]

لَحَى اللَّهُ صُعْلُوكًا إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ
يَعْدُ الْغِنَى مِنْ دَهْرِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ
يَنَامُ عِشَاءً ثُمَّ يُصْبِحُ قَاعِدًا
يُعِينُ نِسَاءَ الْحَيِّ لَا يَسْتَعِينُهُ
وَلِلَّهِ صُعْلُوكٌ صَفِيحَةٌ وَجْهُهُ
مُطْلٌ عَلَى أَعْدَائِهِ يَزْجُرُونَهُ

مُصَافِي الْمُشَاشِ^(٤) آلفًا كُلَّ مَجْزِرٍ
أَصَابَ قِرَاهَا مِنْ صَدِيقٍ مُيَسَّرٍ
يَحْتِ الْحِصَا مِنْ جَنْبِهِ الْمُتَعَفِّرِ
وَيُمِيسِي طَلِيحًا كَالْبَعِيرِ الْمُحْسَرِ
كَضُوءِ شَهَابِ الْقَابَسِ الْمُتَنَوِّرِ
بِسَاحَتِهِمْ زَجَرَ الْمَنِيحِ الْمَشْهُرِ

وقال آخر:

[طويل]

تَقُولُ سُلَيْمِي: لَوْ أَقَمْتُ بِأَرْضِنَا!
وَلَمْ تَذِرْ أُنِي لِلْمُقَامِ أَطُوفُ

(١) ذُو شَطَبٍ: السيف. والمِخْذَمُ: القاطع.

(٢) الْقَاتِرُ وَالْمُقْتِرُ مِنَ الرِّحَالِ وَالسُّرُوجِ: الجيد الوقوع على الظهر أو اللطيف منها.

(٣) عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ عَنَسِيٌّ مِنْ غُطَفَانَ وَمِنْ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَرَسَانَهَا وَأَجْوَادَهَا، كَانَ يَلْقَبُ بِعُرْوَةِ

الصَّعَالِيكِ لَجَمْعَةِ إِيَاهُمْ. تَوَفَّى نَحْوَ ٣٠ ق. هـ. الأعلام ج ٤ ص ٢٢٧.

(٤) الْمُشَاشُ: ج. مَشَاشَةٌ وَهِيَ رَأْسُ الْعَظْمِ الْمَمْكُنِ مَضْغُهُ.

[وافر]

وقال الطائي في نحوه:

أَلِفَةُ النَّجِيبِ كَمْ أَفْتَرَاكِ أَلَمْ فَكَانَ دَاعِيَةً أَجْتَمَعَ
وَمَا إِنْ فَرَحَةُ الْأَوْبَاتِ إِلَّا لِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَحِّ الوَدَاعِ

نظر رجل إلى رَوْح بن حاتم واقفاً في الشمس على باب المنصور فقال له: قد طال وقوفك في الشمس. فقال روح: لِيَطُولَ مُقَامِي فِي الظل. وقال

[بسيط]

خِذَاش^(١) بن زهير:

وَلَنْ أَكُونَ كَمَنْ أَلْقَى رِحَالَتَهُ عَلَى الْحِمَارِ وَخَلَى صَهْوَةَ الْفَرَسِ

[بسيط]

وقال آخر:

لَا أَنْتَ قَصَّرْتَ عَنْ مَجْدٍ وَلَا أَنَا، إِذْ أَسْمُو إِلَيْكَ بِنَفْسِي، قَصَّرْتَ هِمَمِي

قال عمر بن الخطاب: أَشْنَعُوا بِالْكُنَى فَإِنَّهَا مَنبَهَةٌ. دخل عبيد الله بن زياد بن ظبيان التيمي على أبيه وهو يجود بنفسه فقال له: أَلَا أُوصِي بِكَ الْأَمِيرَ؟ فقال عبيد الله: إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْحَيِّ إِلَّا وَصِيَّةُ الْمَيِّتِ فَالْحَيُّ هُوَ الْمَيِّتِ.

[وافر]

وقال الشاعر في نحوه:

إِذَا مَا الْحَيِّ عَاشَ بَعْظُمَ مَيِّتٍ فَذَاكَ الْعِظْمُ حَيٌّ وَهُوَ مَيِّتٌ

وقال معاوية لعمر بن سعيد وهو صبي: إِلَى مَنْ أَوْصَى بِكَ أَبُوكَ؟ قال: أَوْصَى إِلَيَّ وَلَمْ يُوصَ بِي. نظر أبو الحارث حمير إلى بُرْدَوْنٍ^(٢) يُسْتَقَى عَلَيْهِ، فقال: المرء حيث يجعل نفسه، لو هَمَلَجَ^(٣) هذا لم يُبَلَّ بِمَا تَرُونَ. قال الطائي:

(١) خِذَاش بن زهير العامري شاعر جاهلي من أشراف بني عامر بن صعصعة. غلب على شعره

الحماسة والفخر. الأعلام ج ٢ ص ٣٠٢.

(٢) الْبُرْدَوْنُ: الدابة أو الفرس غير الأصيل.

(٣) هَمَلَجَ الْبُرْدَوْنُ: مشى مشية سهلة في سرعة، أو مشى مشياً حسناً.

[طويل]

وَقَلَقَلَ نَابِي مِنْ خِرَاسَانَ جَاشُهَا فَقَلْتُ أَطْمَئِنِّي أَنْضِرُ الرُّوضِ عَازِبُهُ
وَرَكْبُ كَاطِرَافِ الْأَسِنَّةِ عَرَسُوا عَلَى مِثْلِهَا، وَاللَّيْلُ تَسْطُو غِيَاهُ
لَأَمْرِ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صَدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهُ

وقال آخر:

[طويل]

وَعَشْ مَلَكًا أَوُمْتُ كَرِيمًا، وَإِنْ تَمْتُ وَسَيْفُكَ مَشْهُورٌ بِكَفِّكَ تُعَذِّرُ

والمشهور في هذا قول امرئ القيس:

[طويل]

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَذْنِي مَعِيشَةٍ كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ
وَلَكِنَّمَا أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤْتَلٍ وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَجْدُ الْمُؤْتَلُ أَمْثَالِي

وقوله:

[طويل]

بَكَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرَبَ دُونَهُ وَأَيَّقَنَ أَنَا لِاحِقَانٍ بِقَيْصَرَا
فَقُلْتُ لَهُ: لَا تَبْكِ عَيْنُكَ، إِنَّمَا نُحَاوِلُ مُلُكًا أَوْ نَمُوتُ فَنُعَذِّرَا

وقال أبو نُوَاس:

[طويل]

سَأْبَغِي الْغِنَى إِمَّا جَلِيسَ خَلِيفَةٍ نَقُومُ سَوَاءً، أَوْ مُخِيفَ سَبِيلِ
وَقِيلَ لِيَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ: أَلَا تَبْنِي دَارًا! فَقَالَ: مَنْزِلِي دَارُ الْإِمَارَةِ أَوْ

الحبس. والمشهور في سقوط الهمة قول الحُطَيْئَةِ^(١):

[بسيط]

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

(١) الحطيفة هو جرّول بن أوس بن مالك العبسي، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام. كان هجاء عنيفاً. توفي نحو ٤٥ هـ. الأعلام ج ٢ ص ١١٨. قال هذا البيت للزُّبَيْرِ قَانٍ فِي قِصْرِ الْهَمَّةِ. ولقد أورد في اللسان مادة (طعم) وقال: رجل طاعم: حسن الحال في المطعم. وسيذكر هذا البيت في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

وقال مالك^(١) بن الرِّبِّ:

[طويل]

فإنْ تُصِفُونَا، آلَ مروان، نَقْتَرِبُ
فإنْ لَنَا عَنْكُم مَرَاحاً وَمَرَحَلَا
وفي الأرض عن دار المَذَلَّةِ مَذْهَبُ
فماذا عسى الحَجَّاج يَبْلُغُ جُهِدُهُ
فَبَاسَتْ أَلْبِي الحَجَّاج وَأَسَتْ عَجُوزُهُ
فلولا بنو مروان كان أبْنُ يُوسُف^(٢)
زَمَانٌ هُوَ الْمُقَرِّي الْمُقَرُّ^(٣) بِذَلَّةِ
إِلَيْكُم وَإِلَّا فَادُّنُوا بِإِعَادِ
بُعْسٍ إِلَى رِيحِ الْفَلَاةِ صَوَادِي
وَكُلُّ بِلَادٍ أَوْطَنْتُ كِبْلَادِي
إذا نحن جَاوَزْنَا حَفِيرَ^(٤) زِيَادِ
عَتِيدٍ^(٥) بِهِمْ يَرْتَعِي بِوَهَادِ
كما كان عَبْدُأُ مِنْ عِيْدِ إِيَادِ
يُرَاوِحُ غِلْمَانَ الْقُرَى وَيُغَادِي

بعث ينحab خليفتها إلى ابن عائشة المحدث وهو عُبيد الله بن محمد
ابن حَفْص التَّمِيمِي، فَأَتَاهُ فِي حَلْقَتِهِ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ لَهُ: أَبُو مَنْ؟ قَالَ: هَلَّا
عَرَفْتَ هَذَا قَبْلَ مَجِيئِي؟ قَالَ: أَرِيدُ أَنْ تُخْلِيَنِي. قَالَ: فِي حَاجَةٍ لَكَ أُمُّ فِي
حَاجَةٍ لِي؟ قَالَ: فِي حَاجَةٍ لِي. قَالَ: فَالْقِنِي فِي الْمَنْزِلِ. قَالَ: فَإِنَّ الْحَاجَةَ
لَكَ. قَالَ: مَا دُونَ إِخْوَانِي سَرَّ.

وقال بعض لصوص هَمْدَان وهو مالك^(٦) بن حَرِيم:

[طويل]

كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ لَا تَأْخُذُونَهَا مُرَاغِمَةً مَا دَامَ لِلسَّيْفِ قَائِمٌ

(١) مالك بن الرِّبِّ المازني التميمي شاعرٌ من الظرفاء الأدباء الفتاك، كان من أجمل العرب
توفي نحو ٦٠ هـ. الأعلام ج ٥ ص ٢٦١.

(٢) هو زياد بن أبيه.

(٣) العَتِيد: الجدِّي الذي اسْتَكْرَشَ، وهو من أولاد المَعَز ما رَعَى وَقَوِيَ وَأَتَى عَلَيْهِ حَوْلٌ. وهنا
يصفه الشاعر بالضعف.

(٤) ابن يوسف هو الحجاج بن يوسف؛ والمعروف أن الحجاج - قبل أن يتولى شرطة عبد الملك
ويصبح والياً على العراق - كان يعلم الصبيان بالطائف كما كان أبوه يوسف معلماً أيضاً.

(٥) المُقَرِّي: طالب الضيافة.

(٦) مالك بن حَرِيم من بني دالان الهمداني وشاعر هَمْدَان وفارسها جاهلي يمانِي. الأعلام ج ٥
ص ٢٦٠.

متى تجمع القلب الذكي وصارماً^(١) وأنفأ حميماً تجتنبك المظالم
ومن يطلب المال الممنع بالقنا يعيش مُثرياً أو تختبره المخارم
وكنْتُ إذا قوم غزوني غزوتهم فهل أنا في ذا يا لهمدان ظالم

وقال أبو النشاش^(٢)، من اللصوص:

[طويل]

إذا المرء لم يسرخ سواماً^(٣) ولم يُرخ
فللموت خير للفتى من حياته
وسائلة بالغيب عني وسائل
وطامسة الأعلام مائلة الصوى^(٤)
فلم أر مثل الفقر ضاجعه ألفتى
ولا كسواد الليل أخفق صاحبه

سواماً ولم تعطف عليه أقاربه
فقيراً ومن مولى تدب عقاربه
ومن يسأل الصعلوك أين مذهبُه؟
سرت بأبي النشاش فيها ركائبه
ولا كسواد الليل أخفق صاحبه

وقال آخر من اللصوص:

[طويل]

وإني لأستحي من الله أن أرى
وأن أسأل المرء اللثيم بغيره
فلليل، إن وارانني الليل، حكمة
عوى الذئب فاستأنست للذئب إذ عوى
رأى الله أني لأنيس لشانيء
أطوف بجبل^(٥) ليس فيه بغير

وبُعْران ربي في البلاد كثير
وللشمس إن غابت عليّ تدور
وصوت إنسان فكذت أطيرو
وتبغضهم لي مقلّة وضيمرو

(١) الصارم: السيف القاطع.

(٢) أبو النشاش هو أحد لصوص بني تميم في العصر الأموي، كان يعترض القوافل بين طريق الحجاز والشام فيجتاحها. أنظره في معجم شعراء الحماسة ص ١٣١. وفي معجم الشعراء ص ٥١٥ ذكر المرزباني كنيته دون أن يترجم له فقال: «أبو النشاش النهشلي».

(٣) السوام: الإبل الراعية.

(٤) الصوى: ج صوة وهي ما ارتفع من الأرض ولم يبلغ أن يكون جبلاً.

(٥) الحبل: الرمل المستطيل الممتد.

وقال النَّمِرُ^(١) بن تَوَلَّب:

[كامل]

خاطرُ بنفسك كَي تُصِيبَ غَنِيمةً
فالمالُ فيه تَجِلَّةٌ ومهابةٌ

إِنَّ الجُلوسَ مع العِيالِ قَبِيحٌ
والفقرُ فيه مَذَلَّةٌ وقُبُوحٌ

وقال آخَرُ:

[طويل]

تَقولُ آبَتِي: إِنَّ أَنْطلاقَكَ واحداً
ذَرِني مِنَ الإِشفاقِ أو قَدِّمي لَنَا
سَتَلَفُ نَفْسي أو سَأْجَمُعُ هَجْمَةً

إلى الرُّوعِ يوماً تَارِكِي لا أَبَالِيَا
مِنَ الحَدَثَانِ والمُنِيَّةِ واقِيا
تَرى ساقِيها يَأْلَمَانِ التَّراقِيا

وقال أوس^(٢) بن حَجَر:

[طويل]

وَمَنْ يَكُ مثلي ذَا عِيالٍ ومُقْتِراً
لِيُئِلِّي عُذْراً أو لِيَبْلُغَ حَاجةً

مِنَ المَالِ يَطْرَحُ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحٍ
وَمُبْلِغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحٍ

وقال آخَرُ:

[طويل]

رَمَى الفَقْرُ بالأقْوامِ حَتَّى كَانَتْهُمْ

بِأَطْرارِ آفاقِ البِلادِ نَجُومُ

الشاعر:

قال كسرى: إحدروا صولةً الكريم إذا جاع، واللثيم إذا شبع. وقال

[طويل]

خُلِقَانِ لا أَرْضِي آخْتِلافَهُما
فإذا غَنِيَتَ فلا تَكُنْ بَطِراً
واصْبِرْ، فَلَسْتَ بِوَاجِدٍ خُلُقاً

تِيَهُ الغِنَى، وَمَذَلَّةُ الفَقْرِ
وإذا أَفْتَقَرْتَ فَتِيَهُ على الدَّهرِ
أَدْنَى إلى فَرَجٍ مِنَ الصَّبْرِ

(١) النَّمِرُ تَوَلَّبَ العكلي شاعر مخضرم أدرك الإسلام وهو كبير السن. كانت وفاته نحو ١٤ هـ.

الأعلام (ج ٨ ص ٤٨).

(٢) تقدمت ترجمته.

كان أعرابي يمنع أبته من التصرف إشفافاً عليه، فقال شعراً فيه:

[طويل]

إذا ما الفتى لم يَبْغِ إِلَّا لِبَاسَهُ وَمَطْعَمَهُ، فالخيرُ منه بعيدُ
يُذَكِّرُنِي خَوْفَ الْمَنَايَا، ولم أَكُنْ لِأَهْرَبَ مِمَّا لَيْسَ مِنْهُ مَحِيدُ
فلو كُنْتُ ذَا مَالٍ لَقُرْبَ مَجْلِسِي وَقِيلَ إِذَا أَخْطَأْتُ: أَنْتَ رَشِيدُ
رَأَيْتُ الْغِنَى قَدْ صَارَ فِي النَّاسِ سُودْدًا وَكَانَ الْفَتَى بِالْمَكْرُمَاتِ يَسُودُ
وإن قُلْتُ لَمْ يُسْمَعْ مَقَالِي وَإِنِّي لَمُبْدِيءٌ حَقٌّ بَيْنَهُمْ وَمُعِيدُ
فَذَرْنِي أَجُولُ فِي الْبِلَادِ لَعَلَّهُ يُسَرُّ صَدِيقٌ أَوْ يُسَاءُ حَسُودُ
أَلَا رَبِّمَا كَانَ الشَّفِيقُ مَضَرَّةً عَلَيْكَ مِنَ الْإِشْفَاقِ وَهُوَ وَدُودُ

[طويل]

وقال أعرابي من باهلة:
سَأَعْمَلُ نَصَّ الْعَيْسِ^(١) حَتَّى يَكْفُنِي غِنَى الْمَالِ يَوْمًا أَوْ غِنَى الْحَدَثَانِ
فَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ يُرَى لَهَا عَلَى الْحَرِّ بِالْإِقْلَالِ وَسَمُّ هَوَانِ
مَتَى يَتَكَلَّمُ يُلْغِ حُسْنُ كَلَامِهِ وَإِنْ لَمْ يَقُلْ قَالُوا: عَدِيمٌ بَيَانِ
كَأَنَّ الْغِنَى عَنْ أَهْلِهِ - بُورِكَ الْغِنَى - بَغَيْرِ لِسَانٍ نَاطِقٍ بِلِسَانِ

الشرف والسؤدد بالمال وذم الفقر والحض على الكسب

[طويل]

أنشد ابن الأعرابي^(٢):
وَمَنْ يَفْتَقِرْ فِي قَوْمِهِ يَحْمَدِ الْغِنَى وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ مَا جَدَّ الْعَمُّ مُخَوَّلَا

(١) نَصُّ الْعَيْسِ: أقصى ما عندها من سير.

(٢) ابن الأعرابي هو محمد بن زياد، راوية كوفي وعالم بالشعر، وله تصانيف كثيرة. توفي سنة

٢٣١ هـ. الأعلام ج ٦ ص ١٣١.

يَمْنُونُ إِنْ أَعْطُوا وَيَبْخُلُ بَعْضُهُمْ
وَيُزْرِي بِعَقْلِ الْمَرْءِ قِلَّةُ مَالِهِ
وَيُخَسِبُ عَجْزاً سَكْتُهُ إِنْ تَجَمَّلَا
وَإِنْ كَانَ أَقْوَى مِنْ رَجَالٍ وَأَحْوَلَا
وَقُرَأَتْ فِي كِتَابٍ لِلْهِنْدِ: لَيْسَ مِنْ خَلَّةٍ يُمَدِّحُ بِهَا الْغَنِيَّ إِلَّا دُمَّ بِهَا
الْفَقِيرُ، فَإِنْ كَانَ شَجَاعاً قَلِيلُ أَهْوَجُ، وَإِنْ كَانَ وَقُوراً قَلِيلُ بَلِيدٌ، وَإِنْ كَانَ لَسِيئاً
قَلِيلُ مَهْدَارٍ، وَإِنْ كَانَ زَمِيئاً^(١) قَلِيلُ عَيْيٍّ. وَقَالَ آخَرُ: [بسيط]

الْفَقْرُ يُزْرِي بِأَقْوَامٍ ذَوِي حَسَبٍ
وَأَنْشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ:
وَقَدْ يُسَوِّدُ غَيْرَ السَّيِّدِ النِّمَالُ

وَأَنْشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ:
رَزَقْتُ لُبّاً وَلَمْ أُرْزَقْ مَرْوَةً
وَمَا الْمَرْوَةُ إِلَّا كَثْرَةُ الْمَالِ
إِذَا أَرَدْتُ مُسَامَاةً يُقَعِّدُنِي
عَمَّا يُنَوِّهُ بِأَسْمِي رِقَّةَ الْحَالِ

وَقَالَ آخَرُ: [طويل]

يُعْطِي عِيُوبَ الْمَرْءِ كَثْرَةُ مَالِهِ
يُصَدِّقُ فِيمَا قَالَ وَهُوَ كَذُوبٌ
وَيُزْرِي بِعَقْلِ الْمَرْءِ قِلَّةُ مَالِهِ
يُحَمِّقُهُ الْأَقْوَامُ وَهُوَ لَبِيبٌ^(٢)

وَقَالَ آخَرُ: [منسرح]

كَمْ مِنْ لَتِيمٍ الْجُدُودِ سَوْدَهُ الْـ
مَالِ، أَبَوْهُ وَأُمَّهُ الْوَرِقُ
وَكَمْ كَرِيمٍ الْجُدُودِ لَيْسَ لَهُ
عَيْبٌ سِوَى أَنْ ثَوْبَهُ خُلِقَ
أَدَبُهُ سَادَةٌ كِرَامٍ فَمَا
ثَوْبَاهُ إِلَّا الْعَفَافُ وَالْخُلُقُ

وَأَنْشَدَ الرِّيَاشِيُّ^(٣):

(١) الزَّمِيئُ: الكثير الوقار.

(٢) في فهرس القوافي ص ٢٥٨ جعل المحقق هذين البيتين على بحر الكامل، وهما كما نرى، على الطويل.

(٣) قال ابن عبد ربه في العقد (ج ٣ ص ٢٩ - ٣٠): الرياشي قال: «أنشدنا أبو بكر بن عياش»
مورداً الأبيات الثلاثة المذكورة باختلاف يسير عما هنا.

[بسيط]

ما لم يَسْقُهُ له دِينَ ولا خُلُقُ
إلى ثلاثين ألفاً ضاقتِ الطُّرُقُ
فأكرمُ الناسِ مَنْ كانت له وَرِقُ

غضبانُ يعلم أنَّ المالَ ساقٌ له
لولا ثلاثون ألفاً سَقَتْها بَطْراً
فمَنْ يكن عن كِرامِ الناسِ يسألني

[بسيط]

مِنْ أبْنِ عَمٍّ ولا عَمٍّ ولا خالٍ
وعن صديقهمو والمال بالوالي
إنَّ الكريمِ على الإخوانِ ذو المالِ
إلَّا ندائي إذا ناديتُ يا مالي

وقال أُحِيحَةُ^(١) بن الجَلَّاحِ:

يَسْتَغْنِ أو مُتٌ ولا يَغْرُزُكَ ذو نَشَبٍ^(٢)
يَلُوءُونَ ما عندهم من حقٍ أَقْرَبِهِمْ
ولا أزال على الزُّوراءِ^(٣) أَعْمُرُها،
كُلُّ النداءِ إذا ناديتُ يَخْذُلْنِي

[خفيف]

ل وَجَهْلٍ غَطَّى عليه النعيمُ

وقال حَسَّانُ^(٤):

رُبَّ حِلْمٍ أَضاعه عَدَمُ الما

[وافر]

إذا شَبِعُوا وأَوْجَهُهُم قَباحُ

وقال الهَذَلِيُّ^(٥):

رَأَيْتُ مَعاشِراً يُثْنِي عَلَيْهِمُ

(١) أُحِيحَةُ بن الجَلَّاحِ الأوسي شاعر جاهلي من دهاة العرب وشجعانهم، كان سيِّد الأوس في الجاهلية. توفي نحو ١٣٠ هـ. الأعلام (ج ١ ص ٢٧٧).

(٢) النَشَبُ: المال أو العقار.

(٣) الزُّوراء: مال لأحيحة الشاعر.

(٤) هو حَسَّان بن ثابت، وقد تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ١ من ص ١٦٩.

(٥) أغلب الظن أنه أبو خراش خويلد بن مرة الهذلي، وليس أبا ذؤيب الهذلي. وأبو خراش شاعر

مخضرم وفارس مشهور: أسلم وهو شيخ كبير. نهشته حية فقتلته نحو ١٥ هـ. الأعلام (ج ٢ ص ٣٢٥).

يَظَلُّ الْمُضْرِمُونَ لَهُمْ سُجُودًا وَلَوْ لَمْ يُسَقَّ عَنْدَهُمْ وَضِيحٌ^(١)
ويروى يُلَف. وقال بعضهم: وددتُ أَنْ لي مثلُ أُحدَ ذهباً لا أُنْتَفَعُ مِنْهُ
بشيء. قيل له: فما تصنع به؟ قال: لكثرة من يخدمني عليه. قال الصَّلْتَانِ^(٢):

[مقارب]

إِذَا قُلْتُ يَوْمًا لِمَنْ قَدْ تَرَى: أَرُونِي السَّرِيَّ، أَرُوكَ الْغَنِيَّ
وَسِرُّكَ مَا كَانَ عِنْدَ أَمْرِي وَسِرُّ الثَّلَاثَةِ غَيْرُ الْخَفِيِّ^(٣)

[بسيط]

وَقَالَ آخَرُ: لا تَسْأَلِي النَّاسَ: مَا مَجْدِي وَمَا شَرَفِي،
لَوْ لَمْ يَكُنْ لِي مَالٌ لَمْ يَطْرُقْ أَحَدٌ

[طويل]

وَكُلُّ غَنِيٍّ فِي الْعَيُونِ جَلِيلٌ أَجَلَّكَ قَوْمٌ حِينَ صِرْتَ إِلَى الْغِنَى
ذَلَّلَتْ لَدَيْهِمْ وَالْفَقِيرُ ذَلِيلٌ وَلَوْ كُنْتَ ذَا عَقْلٍ وَلَمْ تُؤْتَ ثَرْوَةً
إِلَيْهِ وَمَالَ النَّاسِ حَيْثُ يَمِيلُ إِذَا مَالَتِ الدُّنْيَا عَلَى الْمَرْءِ رَغَبَتْ
عَشِيَّةَ يَقْرِي أَوْ غَدَاةَ يُنِيلُ وَلَيْسَ الْغِنَى إِلَّا غِنَى زَيْنِ الْفَتَى

[طويل]

وَقَالَ آخَرُ: وَكُلُّ مُقِلٍّ حِينَ يَغْدُو لِحَاجَةٍ
إِلَى كُلِّ مَنْ يَعْدُو مِنَ النَّاسِ مُذْنِبٌ وَكَانَ بَنُو عَمِي يَقُولُونَ مَرْحَبًا
فَلَمَّا رَأَوْنِي مُعْدِمًا مَاتَ مَرْحَبًا^(٤)

(١) الْمُضْرِمُونَ: مُضْرِمٌ وَهُوَ الْفَقِيرُ الْكَثِيرُ الْعِيَالِ.

(٢) هُوَ الصَّلْتَانِ الْعَبْدِي، وَقَدْ مَرَّتْ تَرْجَمَتُهُ.

(٣) فِي فَهْرَسِ الْقَوَافِي ص ٢٩٤، جَعَلَ الْمُحَقِّقُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ضَمْنَ قَافِيَةِ النُّونِ، وَهَذَا خَطَأٌ؛ لِأَنَّهُمَا عَلَى قَافِيَةِ الْيَاءِ.

(٤) ذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي الْعَقْدِ (ج ٣ ص ٣٥) هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ فَقَالَ: «قَالَ إِبْرَاهِيمُ الشَّيْبَانِيُّ: رَأَيْتُ فِي جِدَارٍ مِنْ جُدُرِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ بَيْتَيْنِ مَكْتُوبَيْنِ بِالذَّهَبِ...». وَنَظِيرُ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ ابْنِ عَبْدِ =

وقال آخر:

[طويل]

فإنَّ صلاحَ المالِ خيرٌ من الفقرِ
على قومه إنَّ يعلموا أنه مُثْري

أبا مصلح أصلح، ولا تَكْ مُفسِداً
ألم ترَ أنَّ المرءَ يزداد عِزَّةً

وقال عروة^(١) بن الورد:

[وافر]

رأيتُ النَّاسَ شرُّهمُ الْفَقِيرُ
وإنْ أمسى له حَسَبٌ وَخَيْرُ
حليته وينهره الصَّغِيرُ
يكاد فؤاد صاحبه يطيرُ
ولكنْ للغنى ربُّ غفورُ

ذريني للغنى أسعى فإني
وأبعدهم وأهونهم عليهم
ويقصيه النِّدْيُ وتزدريه
وتُلفي ذا الغنى وله جلالُ
قليلُ ذنبه والذنبُ جَمٌّ

وقال زيد بن عمرو^(٢) بن نفيل:

[خفيف]

بَبْ، ومن يفتقرَ يعيشَ عَيْشَ ضِرٍّ
نَ أخا المالِ مُحْضَرٍ كلَّ سرٍّ

ويَكُنْ مَنْ يَكُنْ له نَشَبٌ^(٣) يُحْ
ويُجَنَّبُ سرَّ النِّجْيِ ولكنْ

وقال آخر:

[طويل]

وبيتَ الغنى يُهْدَى له ويُزارُ

ألم ترَ بيتَ الفقرِ يُهَجِّرُ أهلهُ

وقال آخر:

[وافر]

وأَيُّ الناسِ زَوَّارُ الْمُقِلِّ؟

إذا ما قَلَّ مَالُكَ كُنْتَ فرداً

= ربه (طويل).

أرى كلَّ قَدَمٍ قد تَبَجَّحَ في الغنى وذو الظُّرْفِ لا تَلْقَاهُ غيرَ عَدِيمٍ
والقِدَمُ: العَيُّ عن الكلام وقلة الفهم والغليظ الأحمق.

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) زَيْد بن عمرو بن نَفِيل العدوي أحد الحكماء ونصير المرأة في الجاهلية. كان عدوًّا لرواد

البنات. وهو ابن عم عمر بن الخطاب. توفي سنة ١٧ ق هـ. الأعلام ج ٣ ص ٦٠.

(٣) النَشَب: المال.

وقال عبد العزيز^(١) بن زُرارة:

وما لبَّ اللبيب بغير حظٍّ
رأيتُ الحظَّ يستُر عيبَ قومٍ

وقال الطائي:

الصبرُ كاسٍ وبطنُ الكف عاريةٌ
ما أضيعَ العقلَ إن لم يرعَ ضيعته

وقال آخر:

عشْ بِجَدٍّ ولا يَضُرْك نَوْكُ
عشْ بِجَدٍّ وَكُنْ هَبْنَقَةَ القيدِ

وقال الطائي:

ينالُ الفتى من عيشه وهو جاهلٌ
ولو كانت الأرزاق تجري على الحجا

وقال المَرَّار^(٢):

إذا لم تُرافدْ في الرِّفادِ ولم تَسُقْ

وقال ابن الدِّمِينَة^(٣) الثقفي:

أطعْتُ العِرسَ^(٤) في الشهواتِ حتى

[وافر]

بأغنى في المعيشة من قَتيلٍ
وهيهاتِ الحظوظُ مِنَ العقولِ

[بسيط]

والعقلُ عارٍ إذا لم يُكسَ بالنَّشَبِ
وَفَرٌّ، وأيُّ رحيٍّ دارتْ بلا قُطْب؟

[خفيف]

إنما عَيْشٌ مَنْ تَرى بالجُدودِ
سَيِّ نَوْكَاً أو خالداً بن يزيد^(٥)

[طويل]

ويُكْدي الفتى في دهره وهو عالمٌ
هلَكْنَ إذاً من جهلهنَّ البهائمُ

[طويل]

عدواً ولم تستغنِ فـالموتُ أروحُ

[وافر]

أعادتني عَسِيفاً عبدَ عبدٍ

(١) تقدمت ترجمته في الحاشية.

(٢) في مادة (هَبَّنَق) من لسان العرب أورد ابن منظور هذين البيتين وقال: هبنقة القيسي رجل كان أحمق بني قيس بن ثعلبة، واسمه يزيد بن ثروان، وكان يضرب به المثل في الحمق.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) ابن الدِّمِينَة الثقفي هو عبد الله بن عبيد الله بن تيم الله، من خنعم، والدمينة أمه. كان شاعراً بدوياً من أرق الناس شعراً. وأكثر شعره في الغزل والسيب والخمر.

(٥) العِرس: الزوجة.

إذا ما جئتها قد بعث عذقاً تُعانقُ أو تقبلُ أو تُفدي

وقال الأسعر^(١) الجعفي:

[كامل]

وخصاصة الجعفي ما دأنته لا ينقضي أبداً وإن قيل أنقضى
إخوان صدق ما رأوك بغبطة فأن افتقرت فقد هوى بك ما هوى

وقال آخر:

[طويل]

إذا المرء لم يكسبه معاشاً لنفسه شكا الفقر أو لاقى الصديق فأكثر
وصار على الأذنين كلاً وأوشكت صلات ذوي القرى له أن تنكراً
فيسر في بلاد الله وألتمس الغنى تعيش ذا يسار أو تموت فتعذراً
وما طالب الحاجات من حيث تبتغي من الناس إلا من أجد وشمراً
فلا ترخص من عيش بدون ولا تنم وكيف ينأى الليل من كان معسراً^(٢)

وقال آخر:

[رجز]

من يجمع المال ولا يثبت به ويترك العام لعام جديبه
يهن على الناس هوان كلبه

قال أبو اليقظان: ما ساد مُمْلِقُ قط إلا عُتْبَةُ بن ربيعة.

حدثني أبو حاتم قال: حدثنا الأصمعي عن حماد بن سلمة عن عبيد الله

(١) الأسعر الجعفي هو مرثد بن معاوية الجعفي، شاعر جاهلي، لُقِبَ بالأسعر لقوله (طويل).
فلا يدعني قومي لسعد بن مالك إذا أنا لم أسعر عليهم وأثقب
الأعلام ج ٧ ص ٢٠١.

(٢) هذه الأبيات لربيعة بن الورد. قال في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣١) ما نصه:
كان الرماحس بن حفصة بن قيس وابن عم له يدعى ربيعة بن الورد يسكنان الأردن، وكان
ربيعة مؤسراً، والرماحس مُعْسِراً، وكان هذا الأخير كثيراً ما يشكو الحاجة إلى ربيعة فيعطف
ربيعة عليه بعض العطف. فلما أكثر عليه كتب إليه هذه الأبيات.

ابن العَيزَار عن عبد الله بن عمرو أنه قال: اَحْرُثْ لَدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَدًا
وَأَحْرُثْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدًا.

قال: حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي أَصْحَابُ أَيُّوبَ عَنْ أَيُّوبَ
قَالَ: كَانَ أَبُو قِلَابَةَ يُحْتَنِي عَلَى الْإِحْتِرَافِ وَيَقُولُ: إِنَّ الْغِنَى مِنَ الْعَافِيَةِ.

قال: وقال الأصمعي: سَأَلَ أَعْرَابِيٌّ عَنْ رَجُلٍ فَقَالُوا: أَحْمَقُ مَرْزُوقٌ،
فَقَالَ: ذَاكَ وَاللَّهِ الرَّجُلُ الْكَامِلُ. وَكَانَ يُقَالُ: مَنْ حَفِظَ مَالَهُ فَقَدْ حَفِظَ
الْأَكْرَمَيْنِ: الدِّينَ وَالْعِرْضَ. وَيُقَالُ فِي بَعْضِ كُتُبِ اللَّهِ: أَطْعَنِي فِيمَا أَمَرْتُ وَلَا
تُعَلِّمْنِي بِمَا يَنْفَعُكَ وَأَمْدُدْ يَدَكَ لِبَابِ مِنَ الْعَمَلِ أَفْتَحْ لَكَ بَابًا مِنَ الرِّزْقِ. وَكَانَ
يُقَالُ: مَنْ غَلَى دِمَاغَهُ فِي الصَّيْفِ غَلَتْ قِدْرُهُ فِي الشِّتَاءِ. وَيُقَالُ: حَفِظُ الْمَالِ
أَشَدُّ مِنْ جَمْعِهِ. وَقَالَ الْحَسَنُ: إِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَعْلَمُوا مِنْ أَيْنَ أَصَابَ الْمَالُ
فَانْظُرُوا فِيمَ يَنْفِقُهُ فَإِنَّ الْخَبِيثَ يُنْفِقُ سَرَفًا. وَنَحْوَهُ قَوْلُهُمْ: مَنْ أَصَابَ مَالًا مِنْ
نَهَائِشِ أَذْهَبَهُ اللَّهُ فِي نَهَائِرٍ^(١). وَيُقَالُ فِي مِثْلِ «الْكَدِّ قَبْلَ الْمَدِّ» يَرَادُ الطَّلُبُ قَبْلَ
الْحَاجَةِ وَالْعَجْزِ. وَقَالَ لَقِيطُ «الْغَزْوُ أَدْرُ لِلْقَاحِ وَأَحَدٌ لِلْسَلَاخِ». وَقَالَ أَبُو
الْمُعَافَى^(٢):

وإن التواني أنكح العجز بنته وساق إليها حين زوجهما مهرا
فراشاً وطيشاً ثم قال لها أتكي قصاراهما لا بد أن يلدا الفقرا
وقال زيد بن جبلة: لا فقير أفقر من غني أمين الفقر. وروى عن علي بن

(١) ذكر في اللسان في مادة (نهر) هذا القول على النحو التالي: «من كسب مالا من نهائش أنفقته
في نهائير». ونهائش من غير جلة كما تنهش الحية من ههنا وههنا. ونهائير حرام؛ والمعنى:
من أكتسب مالا من غير جلة أنفقته في غير طريق الحق. وقيل: النهائير: المهالك، أي أذهب
الله في مهالك وأمور متباعدة.

(٢) أبو المعافى هو يعقوب بن إسماعيل المزني، شاعر من أبناء العصر العباسي توفي نحو
١٨٠ هـ. الأعلام ج ٨ ص ١٩٦.

أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: ما دون أربعة آلاف درهم نفقة، وما فوقها كنز. ويقال: القبر ولا الفقر. ويقال: ما سبق عيالاً مالاً قط إلا كان صاحبه فقيراً. وقيل لرجل من البصريين: مالك لا ينمي مالك؟ قال: لأنني آتخذت العيال قبل المال وآتخذ الناس المال قبل العيال. ويقال: العيال سوس المال. وقيل لمديني: كيف حالك؟ قال: كيف يكون حال من ذهب ماله وبقيت عادته. ويقال: الغني في الغربة وطن والفقر في الوطن غربة.

حدّثني محمد بن يحيى بإسناد ذكره قال: شكّا نبي من الأنبياء إلى الله شدة الفقر فأوحى الله إليه: هكذا جرى أمرك عندي أفتريد من أجلك أن أعيد الدنيا.

قال أبو حاتم: حدّثنا العُتبيّ قال: سمعت يونس بن حبيب يقول: ما أجذب أهل البادية قط حتى تسويهم السنة ثم جاءهم الخصب إلا عاد الغنى إلى أهل الغنى.

قال الأصمعيّ: رأيت أعرابية ذات جمال رائع تسأل بمنى فقلت: يا أمة الله، تسألين ولك هذا الجمال! قالت: قدّر الله فما أصنع؟ قلت: فمن أين معاشكم؟ قالت: هذا الحاج نتقمّمهم ونغسل ثيابهم. فقلت: فإذا ذهب الحاج فمن أين؟ فنظرت إليّ وقالت: يا صلب الجبين! لو كنا إنما نعيش من حيث نعلم لما عشنا. وقال الشاعر^(١):

أُتْرَانِي أَرَى مِنَ الدَّهْرِ يَوْمًا لِي فِيهِ مَطِيَّةٌ غَيْرُ رَجُلِي
وَإِذَا كُنْتُ فِي جَمِيعٍ فَقَالُوا قَرَّبُوا لِلرَّحِيلِ قَدَّمْتُ نَعْلِي
حَيْثُمَا كُنْتُ لَا أَخْلَفَ رَحْلاً مَنْ رَأَنِي فَقَدْ رَأَنِي وَرَحْلِي

(١) هو أبو الشَّمْقَمَقِ مروان بن محمد، والشَّمَقَمَقُ لقب له. شاعر هجاء صُغِّلُوْكَ من أهل البصرة. توفي نحو ٢٠٠ هـ. الأعلام ج ٧ ص ٢٠٩.

قيل لمديني: ما عندك من آلة الحج؟ قال: التلبية. وقيل لآخر: ما عندك من آلة العصيدة^(١)؟ قال: الماء. وقيل لآخر: ما عندك من آلة القريس^(٢)؟ قال: الشتاء.

دَمُ الْغِنَى وَمَدْحُ الْفَقْرِ

قال شُريح: الجِدَّةُ كَنِيَّةُ الْبَهْلِ^(٣). وقال أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِي: ما يسرني أني مَكْفِيٌّ كُلَّ أَمْرِ الدُّنْيَا. قيل: وإن أَسَمْتَ وَأَلْبَنْتَ؟ قال: نعم، أكره عادة الْعَجْزِ. وكان يقال: عَيْبُ الْغِنَى أَنَّهُ يُورِثُ الْبَلَّةَ، وَفَضِيلَةُ الْفَقْرِ أَنَّهُ يُوْرِثُ الْفِكْرَةَ. وقال محمد بن حازم^(٤) الباهلي:

[منسرح]
ما الفقرُ عارٌ ولا الغنى شرفٌ ولا سخاءٌ في طاعةٍ سرفٌ
مالكٌ إلَّا شيءٌ تُقدِّمه وكلُّ شيءٍ آخرته تلفٌ
ترُكُّكَ مالاً لو ارِثَ يته ناه وتصلى بحرّه أسفٌ

وقال آبن مُناذر^(٥): [وافر]

رَضِينَا قِسْمَةَ الرَّحْمَنِ فِينَا لَنَا عِلْمٌ وَلِلثَّقَفِيِّ مَالٌ
وَمَا الثَّقَفِيُّ إِنْ جَادَتْ كُسَاهُ وَرَاعَكَ شَخْصُهُ إِلَّا خِيَالٌ
وقال أنس بن مالك: لَمَّا خَرَجَ مِرْوَانُ مِنَ الْمَدِينَةِ مَرَّ بِمَالِهِ بَذَى خُشْبٍ^(٦).

(١) العصيدة: طعام وهي دقيق يُعْقَدُ بِالطَّبِيخِ، قيل: سَمَّيْتُ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تُعَصَّدُ بِالْمِسْوَاطِ أَنْ تَقْلَبَ وَتُلَوَّى.

(٢) القريس: البرد الشديد.

(٣) الْبَهْلُ: الْمَالُ. وَالْجِدَّةُ: الْبِسَارُ وَالْغِنَى.

(٤) محمد بن حازم الباهلي شاعر مطبوع كثير الهجاء. ولد ونشأ بالبصرة وسكن بغداد ومات فيها نحو ٢١٥ هـ. الأعلام ج ٦ ص ٧٥.

(٥) هو محمد بن مناذر الزبوعي، وقد تقدمت ترجمته.

(٦) خُشْبٌ: وَإِدْ عَلَى مَسِيرَةِ لَيْلَةٍ مِنَ الْمَدِينَةِ، لَهُ ذِكْرٌ كَثِيرٌ فِي الْحَدِيثِ وَالْمَغَازِي؛ وَيُقَالُ لَهُ: ذُو خُشْبٍ. أَنْظَرَ اللِّسَانَ، مَادَّةُ (خُشْب).

فلما نظر إليه قال: ليس المال إلا ما أُشْرِجَتْ عليه المناطقُ. ورُوي عن المسيح أنه قال: في المال ثلاثُ خصالٍ، قالوا: وما هي يا رُوحَ الله: قال: لا يَكْسِبُهُ مَنْ جَلَّه قالوا: فإن فعل قال: يمنعه من حقِّه، قالوا: فإن لم يفعل، قال: يَشْغَلْهُ إصلاحُه عن عبادة ربه. قيل لابن عمر: توفي زيد بن حارثة وترك مائة ألف درهم، قال: لكنها لا تتركه. وقال المَعْلُوطُ^(١). [طويل]

ولا سَوَدَ المالُ الدُّنْيَى ولا دَنَّا لذاك ولكنَّ الكريمَ يَسُودُ
متى ما يَرِ الناسُ الغنيَّ وجارَه فقيراً يقولوا عاجزٌ وجلیدُ
وليس الغني والفقير من حيلة الفتى ولكن أحاط قَسَمْتُ وجُدودُ
فكم قد رأينا من غنيٍّ مُذَمَّمٍ وصُعْلُوكٍ قومٍ مات وهو حميدُ
إذا المرءُ أُعْيَتْهُ المُرُوءة ناشئاً فمطلبها كهلاً عليه شديدُ
وقال آخر:

[منسرح]

ولا تَهَيِّنَ^(٢) أَلْفَقِيرَ عَلكَ أنْ تركع يوماً والدهرُ قد رَفَعَه
الأخفَشُ قال: قال المبرد: أريدُ النونَ الخفيفةَ في ولا تَهَيِّنَ فأسقط
التنوين لسكونه وسكون اللام. وقال آخر:

[طويل]

ولستُ بنظَّارٍ إلى جانبِ الغني إذا كانت العَلْيَاءُ في جانبِ الفقْرِ
وإني لَصَبَّارٌ على ما يُنُوبُني لأنِّي رأيتُ الله أثْنَى على الصبرِ
وقال أعرابيٌّ يمدح قوماً:

[طويل]

إذا آفَتَقَرُوا عَضُّوا على الصبرِ حَسْبَةً وإن أَيْسَرُوا عادوا سِراعاً إلى الفقْرِ
يقول: يُعطون ما عندهم حتى يفتقروا. قال الحسن: عَيَّرَتِ اليهودُ

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) اراد القول: ولا تَهَيِّنَنَّ بالنون الخفيفة فحذفها لالتقاء الساكنين.

عيسى بن مريم بالفقر فقال: من الغنى أُتِيتُمْ، وقال: حَسْبُكَ من شرف الفقر أنك لا تَرى أحداً يعصي الله ليفتقر. أنشد ابن الأعرابي^(١): [بسيط]

المال يَغْشَى رجالاً لا طَبَاخَ بهم كَالسَّيْلِ يَغْشَى أَصُولَ الدَّنْدَنِ البالي^(٢)
وقال الطائي: [كامل]

لا تُنْكِرِي عَطْلَ الكَرِيمِ مِنَ الْغِنَى فَالسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي^(٣)
قال عمر بن الخطاب: من دخل على الأغنياء خرج وهو ساخط على الله. قال أعرابي: الْغِنَى مَنْ كَثُرَتْ حَسَنَاتُهُ وَالْفَقِيرُ مَنْ قَلَّ نَصِيبُهُ مِنْهَا. وقال ذو الأصبع^(٤): [بسيط]

لِي أَبْنُ عَمٍّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقِي مُخَالَفٌ لِي أَقْلِيهِ وَيَقْلِينِي^(٥)
أُرْزَى بِنَا أَنَا شَالَتْ نَعَامَتُنَا فَخَالِنِي دُونَهُ بَلْ خِلْتُهُ دُونِي

(١) هو محمد بن زياد وقد تقدمت ترجمته. وفي لسان العرب مادة (طبخ) عزا ابن منظور هذا البيت لحسان بن ثابت. ثم عاد وقال: جاء هذا البيت في شعر لحيّة بن خلف الطائي يخاطب امرأة من بني شمحي بن جرم يقال لها أسماء.
(٢) الطَّبَاخُ: القوة، والمعنى: لا عقل لهم. والدَّنْدُنُ: ما بلي وعَفِنَ من أصول الشجر، والواحدة دِنْدَنَةٌ.

(٣) عَطْلُ الكَرِيمِ مِنَ الْغِنَى: خُلُوهُ مِنَ الْغِنَى. وهذا البيت قاله أبو تمام لزوجته وقد شَكَتْ بأمره؛ لأنه كان ينال الكثير من الأعطيات ويعود للمنزل فارغ اليدين فأجابها بهذا البيت، وما يشبهه ضمناً حال الكريم المحروم من الغنى بحال قمم الجبال الخالية من السيل، بجوامع كثر العطاء.

(٤) ذو الإصبع لَقَبُ لُحْرَثَانَ بن الحارث بن ثعلبة، لَقَبَ بذلك لأن حَيَّةً نهشت إصبع رجله فقطعها، ويقال: كانت له إصبع زائدة. ينتهي نسبه إلى مضر، وهو شاعر حكيم شجاع، جاهلي. عاش طويلاً. وشعره مليء بالحكمة والعظة. توفي نحو ٢٢ ق هـ. الأعلام ج ٢ ص ١٧٣.

(٥) يَقْلِينِي: ييغضني.

وقال آخر:

[كامل]

إِنَّ الْحَرَامَ غَزِيرَةٌ حَلْبَاتُهُ وَوَجَدْتُ حَالِبَةَ الْحَلَالِ مَصُورًا^(١)
 وقيل لأعرابي: إن فلاناً أفاد مالا عظيماً قال: فهل أفاد معه أياماً يُنفقه
 فيها؟. وفي كتاب للهند: ذو المروءة يُكْرَمُ مُعْدِماً كالأسد يُهَابُ وإن كان
 رابضاً، ومن لا مروءة له يُهَانُ وإن كان مُوسِراً كالكلب وإن طُوقَ وحُلِّي. وقال
 خِذَاشُ^(٢) بن زُهَيْر:

[طويل]

أَعَاذِلْ، إِنَّ الْمَالَ أَعْلَمُ أَنَّهُ وَجَامِعُهُ لِلْغَائِلَاتِ الْغَوَائِلِ
 مَتَى تَجْعَلْنِي فَوْقَ نَعْشِكَ تَعْلَمِي أَغْنِي مَكَانِي أَبْكُرِي وَأَفَائِلِي؟

وقال آخر:

[طويل]

إِذَا الْمَرْءُ أَثَرَى ثَمَّ قَالَ لِقَوْمِهِ أَنَا السَّيِّدُ الْمَقْضِي إِلَيْهِ الْمُعْظَمُ
 وَلَمْ يُعْطِهِمْ خَيْراً أَبَوْا أَنْ يَسُودَهُمْ وَهَانَ عَلَيْهِمْ رَغْمُهُ وَهُوَ أَظْلَمُ
 وَقَالَ زَبَّانُ^(٣) بن سَيَّار:

[طويل]

وَلَسْنَا كَقَوْمٍ مُخَدِّثِينَ سِيَادَةً يُرَى مَالُهَا وَلَا يُحَسُّ فَعَالُهَا
 مَسَاعِيهِمْو مَقْصُورَةٌ فِي بَيْوتِهِمْ وَمَسْعَاتُنَا ذُبْيَانُ طُرّاً عِيَالُهَا

وقال أبو عبيد الله الكاتب: الصبرُ على حقوق المروءة أشدُّ من الصبر
 على ألم الحاجة، وذِلَّةُ الفقر مانعةٌ من عَزِّ الصبر كما أنَّ عَزَّ الْغِنَى مانعٌ من
 كرم الإنصاف. وقال بعض المتكلمين في ذَمِّ الْغِنَى: أَلَمْ تَرَ ذَا الْغِنَى مَا أَدْوَمَ
 نَصَبَهُ، وَأَقْلَّ رَاحَتَهُ، وَأَخْسَ مِنْ مَالِهِ حَقَّهُ، وَأَشَدَّ مِنْ الْأَيَّامِ حَذَرَهُ، وَأَغْرَى

(١) مُصَوَّرًا: من صاره يَصُوِّرُهُ أي أماله.

(٢) وردت ترجمته في الحاشية رقم ١ من ص ٢٣٥.

(٣) زَبَّانُ بن سَيَّار الفزاري شاعر جاهلي من شعراء المفضليات. توفي نحو ١٠ ق هـ. الأعلام ج ٣ ص ٤١.

الدَّهْرُ بَثَّلَمَهُ وَنَقَضَهُ، ثُمَّ هُوَ بَيْنَ سُلْطَانٍ يَرْعَاهُ، وَحَقُوقٍ تَسْتَرِثِيهِ، وَأَكْفَاءٍ يَتَنَافِسُونَهُ، وَوَلَدٍ يَوَدُّونَ فِرَاقَهُ، قَدْ بَعَثَ عَلَيْهِ الْغِنَى مِنْ سُلْطَانِهِ الْعَنَاءَ، وَمِنْ أَكْفَائِهِ الْحَسَدَ، وَمِنْ أَعْدَائِهِ الْبَغْيَ، وَمِنْ ذَوِي الْحَقُوقِ الدِّمَّ، وَمِنْ الْوُلَدِ الْمَلَامَةَ، لَا كَذِبِي الْبُلْغَةَ قَنِعَ فِدَامَ لَهُ السُّرُورُ، وَرَفُضَ الدُّنْيَا فَسَلِمَ لَهُ الْجَسَدُ، وَرَضِيَ بِالْكَفَافِ فَتَنَكَّبَتَهُ الْحَقُوقُ. ضَجَرَ أَعْرَابِيٌّ بِكَثْرَةِ الْعِيَالِ وَالْوَلَدِ مَعَ الْفَقْرِ وَبَلَغَهُ أَنَّ الْوَبَاءَ بِخَيْرٍ شَدِيدٍ فَخَرَجَ إِلَيْهَا بَعِيَالَهُ يُعَرِّضُهُمُ لِلْمَوْتِ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

[رجز]

قُلْتُ لِحُمَيَّ خَيْرَ أَسْتَعِيدِّي هَاكِ عِيَالِي وَأَجْهَدِي وَجْدِي
وَيَا كِرِي بِصَالِبٍ وَوَرْدٍ أَعَانِكَ اللَّهُ عَلَى ذَا الْجُنْدِ

فَأَخَذَتْهُ الْحُمَيَّ فَمَاتَ هُوَ وَبَقِيَ عِيَالُهُ. وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ: يَا بُنَيَّ، إِتَّقِ اللَّهَ، فَإِنَّهُ مَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَقَاهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ، وَمَنْ شَكَرَهُ زَادَهُ، فَلْتَكُنِ التَّقْوَى عِمَادَ عَيْنَيْكَ وَجَلَاءَ قَلْبِكَ، وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ وَلَا أَجْرَ لِمَنْ لَا حِسْبَةَ لَهُ، وَلَا مَالَ لِمَنْ لَا رِفْقَ لَهُ، وَلَا جَدِيدَ لِمَنْ لَا خَلْقَ لَهُ. وَقَالَ مُحَمَّدُ الْوَرَّاقُ^(١):

[سريع]

يَا عَائِبَ الْفَقْرِ أَلَا تَزْدَجِرُ عَيْبُ الْغِنَى أَكْثَرُ لَوْ تَعْتَبِرُ
مِنْ شَرَفِ الْفَقْرِ وَمِنْ فَضْلِهِ عَلَى الْغِنَى إِنْ صَحَّ مِنْكَ النَّظَرُ
أَنَّكَ تَعْصِي اللَّهَ تَبْغِي الْغِنَى وَلَسْتَ تَعْصِي اللَّهَ كَيْ تَفْتَقِرُ

[مجزوء المديد]

وقال آخر:

لَيْسَ لِي مَالٌ سِوَى كَرَمِي فِيهِ لِي أَمْنٌ مِنَ الْعُدْمِ
لَا أَقُولُ أَلَّهُ أَعْدَمَنِي كَيْفَ أَشْكُو غَيْرَ مَتَّهِمِ

قَنِعْتُ نَفْسِي بِمَا رَزَقْتُ وَتَمَطَّطْتُ بِالْعُلَى هَمِيمِي
وَجَعَلْتُ الصَّبْرَ سَابِغَةً فَهِيَ مِنْ قَرْنِي إِلَى قَدَمِي
فَإِذَا مَا آلَ دَهْرٌ عَاتَبَنِي لَمْ يَجِدْنِي كَافِرًا نَعِيمِي

التجارة والبيع والشراء

قال: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ عَنْ معاوية بن عمرو عن ابن إسحاق عَمَّنْ حَدَّثَهُ يَرْفَعُهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بُعِثْتُ مَرْغَمَةً وَمَرْحَمَةً وَلَمْ أُبْعَثْ تَاجِرًا وَلَا زَرَّاعًا وَإِنَّ شَرَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ التَّجَارُ وَالزَّرَّاعُونَ إِلَّا مَنْ شَحَّ عَنْ دِينِهِ». وَفِي حَدِيثٍ/آخَرَ رَوَاهُ أَبُو معاوية عن الأعمش عن وائل بن داود عن سعيد بن جبيرة: سَأَلَ النَّبِيَّ، ﷺ، أَيُّ الْكَسْبِ أَطْيَبُ قَالَ: «عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ».

حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ: حَدَّثَنَا عَوْنُ بْنُ عُمَارَةَ عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ عَنْ الْحَسَنِ أَنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَنْ تَجَرَ فِي شَيْءٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَمْ يُصِبْ فِيهِ فَلْيَتَحَوَّلْ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ. وَقَالَ: فَرَّقُوا بَيْنَ الْمَنِيَا، وَاجْعَلُوا الرَّأْسَ رَأْسَيْنِ وَلَا تَلْتُمُوا بَدَارَ مَعْجَزَةٍ^(١). وَقَالَ: إِذَا أَشْتَرَيْتَ بَعِيرًا فَأَشْتَرِهِ عَظِيمَ الْخَلْقِ فَإِنْ أَخْطَأَكَ خَيْرٌ لَمْ يُخْطِئَكَ سَوْقٌ. وَقَالَ: بَعْ الْحَيَوَانَ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ فِي عَيْنِكَ. وَقَالَ الْحَسَنُ: الْأَسْوَاقُ مَوَائِدُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ أَتَاهَا أَصَابَ مِنْهَا. ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ الزُّبَيْرِيِّ قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، بِرَجُلٍ يَبِيعُ شَيْئًا، فَقَالَ: «عَلَيْكَ بِالسُّومِ أَوَّلَ السُّوقِ فَإِنَّ الرِّبَاحَ مَعَ السَّمَاحِ». وَكَانَ يَقَالُ:

(١) رَوَاهُ ابْنُ مَنْظُورٍ فِي اللِّسَانِ (فَرَّقَ) هَكَذَا: «فَرَّقُوا عَنِ الْمَنِيَةِ وَاجْعَلُوا الرَّأْسَ رَأْسَيْنِ». وَمَعْنَاهُ: إِذَا أَشْتَرَيْتَ الرَّقِيقَ أَوْ غَيْرَهُ مِنَ الْحَيَوَانَ فَلَا تُغَالُوا فِي الثَّمَنِ وَأَشْتَرُوا بِثَمَنِ الرَّأْسِ الْوَاحِدِ رَأْسَيْنِ، فَإِنْ مَاتَ الْوَاحِدُ بَقِيَ الْآخَرُ فَكَأَنَّكُمْ فَرَّقْتُمْ مَا لَكُمْ مِنَ الْمَنِيَةِ. وَلَا تَلْتُمُوا بَدَارَ مَعْجَزَةٍ: أَيِ لَا تَقِيمُوا بَدَارَ يَعْجُزِكُمْ فِيهَا طَلَبَ الرِّزْقِ وَتَحَوَّلُوا عَنْهَا إِلَى دَارٍ أُخْرَى.

إِسْمَحْ يُسَمِّحْ لَكَ. وفي بعض الحديث المرفوع: «أمر رسول الله، ﷺ، الأغنياء باتخاذ الغنم والفقراء باتخاذ الدجاج». وقيل للزبير: بَمَ بَلُغْتَ مَا بَلُغْتَ مِنَ الْيَسَارِ؟ قَالَ: لَمْ أَرَدْ رِبْحاً وَلَمْ أُسْتَرْ عِيّاً. دخل ناسٌ على معاوية فسألهم عن صنائعهم، فقالوا: بيعُ الرقيق. قال: بشِ التَّجَارُ ضَمَانُ نَفْسٍ وَمَوْئِنُهُ ضَرْسٌ.

باع رجلٌ ضَيْعَةً فقال للمشتري: أما والله لقد أخذتها ثَقِيلَةً المَوْئِنَةُ قَلِيلَةً المنفعة، فقال: وأنت والله لقد أخذتها بَطِيئَةً آلَاجْتِمَاعٍ سَرِيعَةً التَّفَرُّقِ. وأشتري رجل من رجل داراً فقال له المشتري: لو صَبَرْتَ لَأَشْتَرَيْتُ مِنْكَ الذَّرَاعَ بِعَشْرَةٍ، فقال: وأنت لو صَبَرْتَ بِعْتُكَ الذَّرَاعَ بِدَرَاهِمٍ.

حدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ الْعَلَاءِ بَاعَ غَلَاماً لَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفاً فَقَالَ عُمَرُ بْنُ أَبِي زَائِدَةَ: هَذَا أَحْمَقُ، قَالُوا: كَيْفَ؟ قَالَ: لِأَنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ ثَلَاثِينَ أَلْفاً حَتَّى أُعْطِيَ قَبْلَ ذَلِكَ عَشْرُونَ أَلْفاً فَكَيْفَ انْتَظَرَ وَلَمْ يَغْتَنُمَهَا. وَرُئِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ يُمَاكِسُ^(١) فِي دَرَاهِمٍ فَقِيلَ لَهُ: أَتُمَاكِسُ فِي دَرَاهِمٍ وَأَنْتَ تَجُودُ مِنَ الْمَالِ بِمَا تَجُودُ بِهِ؟ قَالَ: ذَلِكَ مَالِي جُدْتُ بِهِ وَهَذَا عَقْلِي بَخِلْتُ بِهِ. ابْتَاعَ ابْنُ عُمَرَ شَيْئاً فَحَنَّا لَهُ الْبَائِعُ عَلَى الْمَكْيَالِ فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: أَرْسَلْ يَدَكَ وَلَا تُمَسِّكْ عَلَى رَأْسِهِ فَإِنَّمَا لِي مَا يَحْمِلُهُ الْمَكْيَالُ. كَانَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِذَا اشْتَرَى شَيْئاً قَالَ لِمَالِكِهِ: إِنَّ الَّذِي أَخَذْنَا مِنْكَ خَيْرٌ مِمَّا أَعْطَيْنَاكَ إِذْ أَظُنُّ أَنَّهُ كَذَلِكَ فَأَنْتَ بِالْخِيَارِ. اشْتَرَى عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِزَاراً لِلْحَسَنِ بِسِتَّةِ دَرَاهِمٍ وَنِصْفٍ فَأَعْطَاهُ سَبْعَةَ دَرَاهِمٍ فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنَّمَا بَعْتُهُ بِسِتَّةِ دَرَاهِمٍ وَنِصْفٍ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي اشْتَرَيْتُهُ لِرَجُلٍ لَا يَقَاسِمُ أَخَاهُ دَرَاهِمًا.

(١) مَأْكَسَهُ فِي الْبَيْعِ: شَاخَهُ.

قال: حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ قَالَ: إِذَا عَزَبَ^(١) الْمَالُ قَلَّتْ فَوَاضِلُهُ، لَا بَلْحَةَ وَلَا بُسْرَةَ وَلَا رُطْبَةَ وَلَا كُرْنَاةً^(٢). وَنَحْوَهُ قَوْلُ بَعْضِ الْحَجَازِيِّينَ:

[طويل]

سَأَبْغِيكَ مَالًا بِالْمَدِينَةِ إِنِّي أَرَى عَازِبَ الْأَمْوَالِ قَلَّتْ فَوَاضِلُهُ

قال عمر بن عبد الرحمن بن عوف: قَسَمَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ بَيْنَنَا أَمْوَالَنَا وَقَالَ لِي: يَا بَنَ أَخْتِي، إِنِّي أَوْتَرَكُ بِالْقِرَابَةِ، أَعْلَمُ أَنَّهُ لَا مَالَ لِأَخْرَقَ وَلَا عَيْلَةً عَلَى مُصْلَحٍ، وَخَيْرُ الْمَالِ مَا أَطْعَمَكَ لَا مَا أَطْعَمْتَهُ، وَإِنَّ الرِّقِيقَ جَمَالٌ وَلَيْسَ بِمَالٍ. قَالَ زِيَادٌ: لَيْسَ لَذِي ضَعْفٌ مِثْلُ أَرْضٍ عُشْرِ وَلَيْسَ لَذِي جَاهٌ مِثْلُ خَرَجٍ وَلَيْسَ لِتَاجِرٍ مِثْلُ صَامِتٍ. قَالَ رَجُلٌ لِأَخْر: بِكُمْ تَبِيعَ الشَّاةُ؟ قَالَ: أَخَذْتُهَا بِسِتَةٍ وَهِيَ خَيْرٌ مِنْ سَبْعَةٍ وَقَدْ أُعْطِيتُ بِهَا ثَمَانِيَةً فَإِنْ كَانَتْ مِنْ حَاجَتِكَ بِتَسْعَةِ فَرَنْ عَشْرَةً. كَانَ يُقَالُ: خَيْرُ الْمَالِ عَيْنُ خَرَّارَةٍ، فِي أَرْضِ خَوَّارَةٍ، تُفَجِّرُهَا الْفَارَةُ، تَسْهَرُ إِذَا نِمْتُ، وَتَشْهَدُ إِذَا غِبْتُ، وَتَكُونُ عِقْبًا إِذَا مِتُّ. عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ الزَّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ: إِنْ اللَّهُ إِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا جَعَلَ رِزْقَهُ فِي الصِّيَّاحِ. وَقَالَ الْفَضِيلُ مِثْلَ ذَلِكَ وَقَالَ: أَمَا سَمِعْتَ إِلَى أَهْلِ دَارِ الْبَطِيخِ وَالْمَلَّاحِينَ وَدَوِيَّهِمْ.

قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْخَلِيلِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ الْهَجِيمِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُبَارَكُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ بُرْدِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ نَافِعٍ عَنْ أَبِي عَمْرٍ أَنَّهُ كَانَ لَا يَرَى بِالْمُكَايَسَةِ وَالْمُمَاكِسَةِ فِي الشِّرَاءِ وَالْبَيْعِ بِأَسَاءٍ.

(١) عَزَبَ الْمَالُ: غَابَ وَأَخْتَفَى.

(٢) الْكُرْنَاةُ، بَضْمُ الْكَافِ وَكُسْرُهَا، وَاحِدَةُ الْكُرْنِافِ وَهُوَ أَصُولُ السَّعْفِ (جَرِيدِ النَّخْلِ أَوْ وَرْقِهِ)

الَّتِي تَبْقَى بَعْدَ قِطْعِهِ فِي جَذْعِ النَّخْلَةِ.

قال: حدثني محمد قال: حدّثني الأصبهانيّ عن يحيى بن أبي زائدة عن مُجَالِدٍ عن أبي بُردة. قال: أتى عمرُ غلاماً له يبيع الحُللَ، فقال له: إذا كان الثوب عاجزاً فأنشره وأنت جالسٌ وإذا كان واسعاً فأنشره وأنت قائم. قال: فقلتُ له: اللّهُ اللّهُ يا عمرُ. قال: إنما هي السُّوق. قال عبد الله بن الحسين: غَلَّةُ الدورِ مُسَكَّةٌ وغَلَّةُ النخلِ كَفَافٌ وغَلَّةُ الحَبِّ الغِنَى. قال

[طويل]

أعرابيٌّ: زيادةُ شيءٍ تُلجِقُ النفسَ بالمُنَى وبعضُ الغلاءِ في التجارة أَرْبَحُ ولَمَّا بلغَ عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ أَنَّ أَهْلَ البصرةِ قد آتَخَذُوا الضِّيَاعَ وَعَمَرُوا الأرضينَ كتبَ إليهم: لا تُتْهِكُوا وَجْهَ الأرضِ فإن شَحْمَتَهَا في وجهها. قال أعرابيٌّ:

[طويل]

وفي السُّوقِ حاجاتٌ وفي النَّقْدِ قِلَّةٌ وليس مُقْضِي الحاجِ^(١) غيرُ الدِّراهمِ

قال ميمون بن ميمون: من اشترى الأشياءَ بِنَعْتِ أهلها غِنَى

حدّثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال: حدّثني شُكْرُ الحَرشي قال: جاء الحسن بشاةٍ فقال لي: بِعْها وأَبْرَأْ من أَنَّها تَقْلِبُ المَعْلَفَ وتَنْزِعُ الوَتْدَ مِنْ قَبْلِ البَيْعِ لثلاثا يقولوا ندم. قال الشاعر:

[وافر]

إذا ما تاجرُ لم يُوفِّ كَيْلاً فَصُبَّ على أنامله الجُذامُ

[طويل]

ابن الزيات^(٢) في الطائي:

رَأَيْتَكَ سَهْلَ البَيْعِ سَمَحاً وإِنَّمَا يُغَالِي إذا ما ظَنَّ بالشَّيءِ بائِعُهُ هو المَاءُ إِنْ أَحْمَيْتَهُ طابَ شَرْبُهُ وَيَكْدُرُ يوماً أَنْ تُبَاحَ مِشَارِعُهُ

(١) الحاج: ج حاجة وهي السُّؤال.

(٢) ابن الزيات هو محمد بن عبد الملك، وزير المعتصم وابنه الواثق ومن بلغاه الكتاب والشعراء. مات ببغداد سنة ٢٣٣ هـ. الأعلام ج ٦ ص ٢٤٨.

حُدِّثَتْ عَنْ شَيْبَانَ بْنِ فَرَّوْخٍ عَنْ أَبِي الْأَشْهَبِ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يَتَجَرُّ فِي الْبَحْرِ وَيَحْمِلُ الْخَمْرَ يَأْتِي بِهَا قَوْمًا، فَعَمَدَ إِلَيْهَا فَمَزَجَهَا نَصْفَيْنِ وَأَتَاهُم بِهَا فَبَاعَهَا بِحَسَابِ الصَّرْفِ وَاشْتَرَى قَرْدًا فَحَمَلَهُ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ، فَلَمَّا لَجَّجَ فِي الْبَحْرِ لَمْ يَشْعُرْ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ الْقَرْدُ الْكَيْسَ وَعَلَا عَلَى الصَّارِي وَجَعَلَ يُلْقِي دِينَارًا فِي الْبَحْرِ وَدِينَارًا فِي السَّفِينَةِ حَتَّى قَسَمَهُ قِسْمَيْنِ. قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْحَاجِّ: أَتَانَا رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ بِالرَّمْلِ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ بِغَرَارَةٍ^(١) فِيهَا كَمَاءٌ، فَقُلْنَا لَهُ: بِكُمُ الْغَرَارَةُ؟ فَقَالَ: بَدْرَهْمَيْنِ، فَقُلْنَا: لَكَ ذَلِكَ، فَأَخَذْنَاهَا وَدَفَعْنَا إِلَيْهِ الثَّمَنَ، فَلَمَّا نَهَضَ قَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَّا: فِي آسَتِ الْمَغْبُونِ عُودٌ، فَقَالَ: بَلْ عُودَانِ وَضَرَبَ الْأَرْضَ بِرِجْلِهِ فَإِذَا نَحْنُ عَلَى الْكَمَاءِ قِيَامٌ. قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ: أَلَا تَشْتَرِي لَابَنَكَ بِطَيْخَةٍ. فَقَالَ: لَا، أَوْ يَبْلُغَ مِنْ كَسَادِهِ أَنْ يَكُونَ إِذَا تَنَاوَلَ مِنْ بَيْنِ يَدَيِ الْبَقَالِ وَأَخَذَهُ وَعَدَا رَمَاهُ بِأُخْرَى وَلَمْ يَعُدْ خَلْفَهُ. اشْتَرَى أَعْرَابِيٌّ غُلَامًا فَقَالَ لِلْبَائِعِ: هَلْ فِيهِ مِنْ عَيْبٍ، فَقَالَ: لَا، غَيْرَ أَنَّهُ يَبُولُ فِي الْفَرَاشِ. فَقَالَ: لَيْسَ هَذَا بَعِيبٌ، إِنْ وَجَدَ فِرَاشًا فَلْيُبَلِّ فِيهِ.

الدِّين

قَالَ ثَابِتُ قُطْنَةَ: الدِّينُ عُقْلَةُ الشَّرِيفِ. وَقَالَ دُلَيْمٌ^(٢): [طويل]
 اللَّهُ لَقَى مِنْ عَرَابَةٍ بَنِيْعَةً عَلَى حِينِ كَادَ النَّقْدُ يَعْسُرُ عَاجِلُهُ^(٣)
 وَلَوْ بَنَانُ الْكَفِّ يَحْسِبُ رُبْحَهُ وَلَمْ يَحْسِبِ الْمَظْلَ الَّذِي أَنَا مَا طَائِلُهُ
 سِيرَضَى مِنَ الرِّيحِ الَّذِي كَانَ يَرْتَجِي بِرَأْسِ الَّذِي أُعْطِيَ وَهَلْ هُوَ قَابِلُهُ؟^(٤)

(١) الغرارة: الموالق بضم الجيم وكسرهما وهي العذل من صوف أو شعر والغرارة في المكيلات أننا عشر كيلاً.

(٢) لم أحظ بترجمة له.

(٣) يَعْسُرُ: ضَدَّ يَسُرُّ، أي أفتقر. وعرابة: إسم رجل من الأنصار من الأوس.

(٤) في فهرس القوافي ص ٢٨٣ جعل المحقق هذه الأبيات على الكامل، وهي - كما انثرى - على الطويل.

عبد الرزاق عن ابن جُرَيْج قال: رأني عمر وأنا متقنع، فقال: يا أبا خالد، إنَّ لقمانَ كان يقول: القِنَاعُ بالليل رِيبةٌ وبالنهار مذلةٌ، فقلتُ: إنَّ لقمانَ لم يكن عليه دينٌ. كتب يعقوب بن داود إلى بعض العُباد يسأله القُدومَ عليه، فأتني محمد بن النضر الحارثي فاستشاره وقال: لعلَّ الله يقضي ديني، فقال محمد بن النضر: لأنَّ تلقى اللهَ وعليكَ دينٌ ولك دينٌ خيرٌ من أن تلقاه وقد قضيتَ دينَكَ وذهبَ دينُكَ. قال عِيَّاض بن عبد الله: الدِّينُ رايةُ الله في أرضه فإذا أراد أن يُذِلَّ عبداً جعلها طوقاً في عنقه. دخل عُتبة بن عمرو على خالد القسري. فقال خالد يُعرِّضُ به: إنَّ ههنا رجالاً يَدَّانُون في أموالهم فإذا فُنيَتْ أَدَّانُوا في أعراضهم. فقال عتبة: إن رجالاً تكونُ مُروءاتهم أكثرَ من أموالهم فيَدَّانُون^(١) على سعة ما عند الله، فخجل خالد وقال: إنَّكَ منهم ما علمتُ. وقال أعرابيٌّ يذكرُ غُرماءً^(٢) له:

[بسيط]

جاءوا إليَّ غَضاباً يَلْغَطُونَ معاً
لما أبوا جَهْرَةً إلا ملازمتي
وقلتُ: إني سيأتيني غداً جَلْبِي^(٣)
وما أواعدتهم إلا لِأَرْبَثِهِمْ^(٤)
وما جلبتُ إليهم غيرَ راحلةٍ
إن القضاء سيأتي دونه زمنٌ
وقال آخر: لَغُرمائه:

(١) إِذَا نَ الرَّجُلُ أَدْيَانًا: أَخَذَ دَيْنًا.

(٢) الْغُرماءُ: ج غريم، وهو الدائن.

(٣) الْجَلْبُ: المجلوب، أي ما تجلب من خيل أو غيرها، والجمع أجلاب.

(٤) أَرْبَثُهُمْ عني: أبعدهم؛ يقال: ربته عن حاجته يربته: حبسه عنها.

[وافر]

ولو علّقتُموني كلَّ يومٍ برجلي أو يدي في المنجنيق^(١)
لَمَّا أعطيتُكم إلا تُراباً يُطِيرُ في الخياشم والحلوق

وقال آخر^(٢):

[وافر]

إذا جئتَ الأميرَ فقلْ سلامٌ عليك ورحمةُ اللهِ الرحيمِ
وأما بعد ذاكِ فلي غريمٌ من الأعرابِ قُبْحَ من غريمِ
دراهمُ ما آتفتُ بها ولكن وصلتُ بها شيوخَ بني تميمِ

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعي . قال : جاء رجل من بني مخزوم إلى الحارث بن عبد الله بن نوفل وهو يقضي عن أخيه ديناً فقال : إنَّ لي على أخيك حقاً ، قال : ثبَّتْ حقَّك تُعطهُ . قال : أفمن مَلَأةِ أخيك ووفائه ندَّعي عليه ما ليس لنا ؟ فقال : أَمِنْ صدِّقك وبرِّك نقبل قولك بغير بينة ؟ . لزم سهل ابن هارون دينٌ كثيرٌ ، فقال أعرابي يوصيه بالتَّواري عن غُرمائه : [طويل]

انزل أبا عمرو على حدِّ قريَةٍ تَرَبَّعَ إلى سهلٍ كثيرِ السَّلائقِ
وخذْ نَفَقَ اليربوعِ فاسلُك طريقَه ودَعْ عنك إنِّي ناطقٌ وأبْنُ ناطقِ
وكنْ كأبي قُطْبٍ على كلِّ رائعٍ له بابُ دارِ ضيقِ العَرَضِ سامقِ

وأبو قُطْبَةَ خَنَاقٍ كانَ بالكوفةِ مولى لِكِنْدَةَ .

حدّثني محمد بن عبيد . قال : حدّثني سُفيان بن عُيينة عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير أنَّ رجلاً كان يبايع الناسَ ويدينهم ، وكان له كاتب ومتجَرٌ ، فيأتيه المُعَسِّرُ والمستنظِرُ فيقول لكَاتبه : أَكَلِيءُ وأستنظِرُ ليومٍ يتجاوز

(١) المنجنيق : آلة تُرمى بها الحجارة ، مؤنثة ، والجمع مجانيق . .

(٢) هو أبو دُلَامة زُئد بن الجَوْن ، وقد تقدّمت ترجمته .

اللَّهُ عِنا فِيهِ، فَمَاتَ لَا يَعْمَلُ عَمَلًا غَيْرَهُ فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ. قَالَ شُقْرَانُ الْقُضَاعِيُّ^(١):
[طويل]

لَوْ كُنْتُ مَوْلَى فَيْسَ عَيْلَانَ لَمْ تَجِدْ عَلَيَّ لِإِنْسَانٍ مِنَ النَّاسِ دِرْهَمًا
وَلَكِنِّي مَوْلَى قُضَاعَةَ كُلِّهَا فَلَسْتُ أَبَالِي أَنْ أُدِينَ وَتَغْرَمَا

بلغني عن يحيى بن أيوب عن الأعمش عن إبراهيم. قال: أرسل عمر
إلى عبد الرحمن بن عوف يستسلفه أربع مائة درهم، فقال عبد الرحمن:
أَتَسْتَسْلِفُنِي وَعِنْدَكَ بَيْتُ الْمَالِ، أَلَا تَأْخُذُ مِنْهُ ثُمَّ تَرُدُّهُ؟ فقال عمر: إني أخوف
أن يصيبني قَدْرِي، فتقول أنت وأصحابك: أَتَرَكُوا هَذَا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟ حتى
يؤخذ من ميزاني يوم القيامة، ولكنني أتسلفها منك لِمَا أَعْلَمُ مِنْ شُحِّكَ فَإِذَا
مِتُّ جِئْتُ فَاسْتَوْفَيْتُهَا مِنْ مِيرَاثِي.

كتب أبو عباد المهلب^(٢) إلى صديق له مُكثِرٍ يَسْتَسْلِفُهُ مَالًا، فَأَعْتَلَّ عَلَيْهِ
بِالتَّعَذُّرِ وَضِيقِ الْحَالِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبْنُ عَبَّادٍ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَجْعَلْكَ اللَّهُ صَادِقًا
وَإِنْ كُنْتَ مَبْلُومًا فَجْعَلْكَ اللَّهُ مَعْذُورًا. أَبُو الْيَقْظَانَ قَالَ: كَانَ الْفَضْلُ^(٣) بْنُ
الْعَبَّاسِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ الشَّاعِرِ يُعَيِّنُ^(٤) النَّاسَ إِذَا حَلَّتْ دِرَاهِمُهُ رَكْبَ
حِمَارًا لَهُ يُقَالُ لَهُ شَارِبُ الرِّيحِ فَيَقِفُ عَلَى غُرْمَانِهِ وَيَقُولُ:
[طويل]

بَنِي عَمَّنَا، رُدُّوا الدِّرَاهِمَ إِنَّمَا يُفَرِّقُ بَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الدِّرَاهِمِ.

(١) لم أقف له على ترجمة.

(٢) أبو عباد المهلب هو محمد بن عباد بن حبيب المهلب.

(٣) الفضل بن العباس من قریش ومن فصحاء بن هاشم. مدح عبد الملك بن مروان، وهو أول

هاشمي يمدح أمويًا. توفي نحو ٩٥ هـ. الأعلام ج ٥ ص ١٥٠.

(٤) يُعَيِّنُ النَّاسَ: مَنْ يَعْينُ التَّاجِرَ تَعْيِينًا، وَالْإِسْمُ الْعَيْنَةُ، وَذَلِكَ إِذَا بَاعَ سَلْعَتَهُ إِلَى أَجَلٍ ثُمَّ اشْتَرَاهَا
بِأَقْلٍ مِنْ ذَلِكَ الثَّمَنِ. وَكَانَ أَكْثَرُ الْفُقَهَاءِ يَكْرَهُونَ الْعَيْنَةَ.

وكان رجل من بني الدَّيْل عَسِرَ القضاء فإذا تعلَّق به غرماؤه فرَّ منهم وقال:

[وافر]

فلو كنتُ الحديدَ لكسروني ولكني أشدُّ من الحديدِ
فَعَيْنُهُ الْفَضْلُ فلما كان قبلَ الْمَحَلِّ جاءَ فَبْنِي مَعْلَفًا على باب داره، وكان
يقال للرجل عَقْرَبُ فلقي كل واحد من صاحبه شِدَّةً، فهجاه الفضل فقال:

[سريع]

قد تَجَرَّتْ في دارنا عَقْرَبُ لا مرحباً بالعقربِ التاجِرَةِ
إنَّ عادتِ العقربُ عُدنا لها وكانت النعلُ لها حاضره
كُلُّ عَدُوٍّ يُتَّقَى مُقْبِلًا وعقربُ تُخْشَى من الدَّابِرهِ
إنَّ عَدُوًّا كِيدُهُ في آستِه لَغَيْرُ ذِي كَيْدٍ ولا نائِرهِ

قال بعضهم: ثلاثةٌ مَنْ عازَّهمُ عادتْ عزَّتُه ذَلَّةٌ: السلطانُ. والوالدُ،
والغريمُ. وفي الحديث المرفوع: «لصاحب الحقِّ اليدُ واللسانُ». المدائني
قال: سائرُ بعضِ خلفاءِ بني أمية رجلاً وهو يحادثه ثم قطعَ حديثه وأصفرَ لونه،
فقال له الرجل: ما هذا الذي رأيتُ منك؟ قال: رأيتُ غريباً لي، قال الشاعر:

[طويل]

إذا ما أخذتُ الدَّيْنَ بالدَّيْنِ لم يكن قضاءً ولكنْ كان غُرْماً على غُرْمِ
وقال آخر:

[وافر]

أخذتُ الدَّيْنَ أدفعُ عن بِلادي وأخذُ الدَّيْنَ أهْلُكُ لَلتَّلادِ
كان لرجل من يَحْصُبَ على رجل من باهلة دَيْنٍ، فلما حل دَيْنُهُ هرب
الباهلي وأنشأ يقول:

[طويل]

إذا حلَّ دَيْنُ الْيَحْصِيِّ فقلْ له: تزوّدْ بزادٍ وأستعينْ بدليلِ

سَيُصْبِحُ فَوْقِي أَقْتَمُ الرَّأْسِ وَقَعًا بَقَالِي قَلَا أَوْ مِنْ وَرَاءَ دَبِيلٍ^(١)
 قال المحدث بهذا: فحدثني من رآه بقالي قَلَا أو بدبيل وهو مصلوب
 وقد وقعت عليه عُقَابٌ. وقف أبو فرعون الأعرابي على باب قوم يسألهم،
 فحلفوا له: ما عندهم شيء يُعْطُونَهُ، فقال: استقرضوا لنا شيئاً، فقالوا: ما
 يُقرضنا أحدٌ شيئاً، فقال أبو فرعون: ذلك لأنكم تأخذون ولا تُعْطُونَ، أو قال
 ولا تَقْضُونَ. أتى قومٌ عِبَادِيًّا فقالوا: نحب أن تُسَلِّفَ فلاناً ألفَ درهم وتؤخره
 بها سنة، قال: هاتان حاجتان وسأقضي لكم إحداهما، وإذا أنا فعلتُ فقد
 أنصفتُ، أنا أؤخره ما شاء. كتب عمر بن عبد العزيز إلى رجل له عليه دينٌ.
 قد آن للحق الذي عندك أن يرجع إلى أهله، وتستغفر الله تعالى من حبه.

اختلاف الهمم والشهوات والأمانى

اجتمع عبد الله بن عمر وعروة بن الزبير ومُصْعَبُ بن الزبير وعبد
 الملك بن مروان بفناء الكعبة، فقال لهم مصعب: تمنّوا فقالوا: إبدأ أنت.
 فقال: ولاية العراق وتزوج سَكِينَةَ ابنة الحسين وعائشة بنت طلحة بن عبيد
 الله، فنال ذلك وأصدق كل واحد خمسمائة ألف درهم وجهّزها بمثلها.
 وتمنى عروة بن الزبير الفقه وأن يحمل عنه الحديث فنال ذلك. وتمنى عبدُ
 الملك الخلافة فنالها. وتمنى عبد الله بن عمر الجنة.

قال قتيبة بن مسلم لحُصَيْن بن المُنْذِر: ما السُّرور؟ قال: امرأةٌ حسناء،

(١) قالي قَلَا: من أعمال ديار بكر، وقيل: هي أُرْزَن الروم. وذكر البلاذري في فتوح أرمينية أو
 زوجة أرميناس، وتسمى قالي، هي التي بنت مدينة قالي قلا وسمتها «قالي قاله» ومعنى
 ذلك: إحسان قالي، فعربت العرب «قالي قاله» فقالوا: قالي قلا. ودبيل هي دبيل أرمينية.
 وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٢٧ - ٢٢٨ وح ٦ ص ٣٤٢.

ودارُ قَوْرَاء^(١)، وفرسٌ مُرتَبِطٌ بالفِئاءِ. وقيل لِضِرَارِ بنِ الحُسَيْنِ: ما السَّرورُ؟ قال: لِيَواءٍ منشور، وجُلوسٌ على السَّرير، والسلامُ عليك أَيُّها الأمير. وقيل لعبد الملك^(٢) بن صالح: ما السَّرورُ؟ فقال: [مجزوء الكامل]

كُلُّ الكِرامَةِ نِلْتُهَا إِلَّا التَّحِيَّةَ بِالسَّلامِ
يَريدُ أَنَّهُ لَمْ يُسَلِّمْ عَلَيْهِ بِالْخِلاَفَةِ. وَأَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الْآخَرِ:

[مجزوء الكامل]

مِنْ كُلِّ مَا نَالَ الْفَتَى قَدْ نَلْتُهُ إِلَّا التَّحِيَّةَ
يَريدُ الْمُلْكَ. قِيلَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الْأَهْتَمِ: مَا السَّرورُ؟ فَقَالَ: رَفْعُ
الْأَوْلِيَاءِ، وَحُطُّ الْأَعْدَاءِ، وَطَوْلُ الْبَقَاءِ، مَعَ الْقُدْرَةِ وَالنَّمَاءِ. وَقَالَ آخَرُ:

[خفيف]

أَطِيبِ الطَّيِّبَاتِ قَتْلُ الْأَعَادِي وَأَخْتِيَالٌ عَلَى مُتُونِ الْجِيَادِ
وَأَيَادٍ حَبَوْتُهُنَّ كَرِيماً إِنَّ عِنْدَ الْكَرِيمِ تَزْكُو الْأَيَادِي

قِيلَ لِلْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ: مَا السَّرورُ؟ فَقَالَ: تَوْقِيعُ جَائِزٍ وَأَمْرٌ نَافِذٌ. وَقَالَ
يَزِيدُ بْنُ أَسَدٍ يَوْمًا: أَيُّ شَيْءٍ أَسْرُؤُ لِلْقُلُوبِ؟ فَقَالُوا: رَجُلٌ هَوِيَ زَمَانًا ثُمَّ قَدَّرَ،
فَقَالَ: إِنَّ هَذَا السَّرورُ. وَقَالَ آخَرُ: رَجُلٌ طَلَبَ الْوَلَدَ زَمَانًا فَلَمْ يُولَدْ لَهُ ثُمَّ بَشَّرَ
بِغُلَامٍ، فَقَالَ يَزِيدُ: أَسْرَ مِنْ هَذَا كُلُّهُ قَفْلَةٌ عَلَى غَفْلَةٍ. قِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ:
تَمَنَّ، فَقَالَ: مُحَادَثَةُ الْإِخْوَانِ، وَكَفَافٌ مِنْ عَيْشٍ يُسَدُّ خَلَّتِي وَيَسْتُرُ عَوْرَتِي،
وَالِانْتِقَالَ مِنْ ظِلٍّ إِلَى ظِلٍّ. قِيلَ لِآخَرٍ: مَا بَقِيَ مِنْ مَلَاذِكُ؟ قَالَ: مَنَاقِلَةُ
الْإِخْوَانِ الْحَدِيثِ عَلَى التَّلَاعِ الْعُقْرِ فِي اللَّيَالِي الْقُمَرِ. قِيلَ لِامْرِئِ الْقَيْسِ: مَا

(١) دَارُ قَوْرَاءَ: دَارٌ وَاسِعَةٌ، وَالْمَذْكُورُ أَقْوَرُ.

(٢) عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ أَمِيرٌ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ، تَوَفَّى سَنَةَ ١٩٦ هـ. الْأَعْلَامُ ج ٤ ص ١٥٩.

أَطِيبْ عَيْشِ الدُّنْيَا؟ فَقَالَ: بِيَضَاءِ رُغْبُوبَةٍ^(١)، بِالطَّيْبِ مَشْبُوبَةٍ، بِالشَّحْمِ
مَكْرُوبَةٍ. وَقِيلَ لَطَرْفَةٌ مِثْلُ ذَلِكَ فَقَالَ: مَطْعَمٌ شَهِيٌّ وَمَلْبَسٌ دَفِيٌّ، وَمَرْكَبٌ
وَطِيٌّ. وَقِيلَ لِلْأَعَشَى مِثْلُ ذَلِكَ، فَقَالَ: صَهْبَاءٌ صَافِيَةٌ، تَمْزُجُهَا سَاقِيَةٌ، مِنْ
صَوْبٍ غَادِيَةٍ^(٢). وَقَالَ طَرْفَةٌ^(٣):
[طويل]

وَلَوْلَا ثَلَاثُ هُنَّ مِنْ عَيْشَةِ الْفَتَى وَجَدَّكَ لَمْ أَحْفَلْ مَتَى قَامَ عُودِي
فَمَنْهَنْ سَبَقِي الْعَاذِلَاتِ بِشَرْبَةٍ كُمَيْتٍ^(٤) مَتَى مَا تُغَلِّ بِالْمَاءِ تُزِيدِ
وَتَقْصِيرُ يَوْمَ الدَّجْنِ وَالذَّجْنُ مُعْجَبٌ بِيَهْكَنَةٍ تَحْتَ الطَّرَافِ الْمَعْمَدِ
وَكَرِّي إِذَا نَادَى الْمُضَافُ مُحْنَبًّا كَسِيدِ الْغَضَا نَبَهَتْهُ أَلْمَتُورِدِ
وَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ: [مجزوء الكامل]

قَلْتُ بِالْقَفْصِ لِيَحْيَى وَنَدَامَايَ نِيَامُ
يَا رَضِيعِي ثَدْيِي أُمَّ لَيْسَ لِي عَنْهُ فِطَامُ
إِنَّمَا الْعَيْشُ سَمَاعٌ وَمُدَامُ وَنَدَامُ
فَإِذَا فَاتَكَ هَذَا فَعَلَى الْعَيْشِ السَّلَامُ

وَقَالَ سُحَيْمٌ^(٥): [منسرح]

تَقُولُ حَذْرَاءُ: لَيْسَ فَيْكَ سَوَى الْ خَمْرَ مَعَابٍ يَعِيبُهُ أَحَدُ
فَقُلْتُ: أَخْطَأْتُ، بَلْ مُعَاقِرْتِي الْ خَمْرَ وَبَذَلِي فِيهَا الَّذِي أَجِدُ

(١) بِيَضَاءِ رُغْبُوبَةٍ: فَنَاءٌ أَوْ جَارِيَةٌ رُغْبُوبٌ، أَيُّ بِيَضَاءٍ حَسَنَةٍ نَاعِمَةٍ.

(٢) صَوْبُ الْغَادِيَةِ: مَطَرُ السَّحَابَةِ الَّتِي تَنْشَأُ غَدَوَةً.

(٣) هُوَ طَرْفَةُ بِنِ الْعَبْدِ الْبَكْرِيِّ، وَقَدْ مَرَّتْ تَرْجَمَتُهُ.

(٤) كُمَيْتٌ: أَيُّ خَمْرٍ كُمَيْتٌ.

(٥) هُوَ سُحَيْمُ بْنُ وَثِيلِ بْنِ عَمْرِو التَّمِيمِيِّ، الشَّاعِرُ الْمَخْضَرُمُ الَّذِي عَاشَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ. نَازَهُ عَمْرُهُ الْمِئَةَ. تَوَفَّى نَحْوَ ٦٠ هـ. الْأَعْلَامُ ٣ ص ٧٩. وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ فِي الْبَيَانِ

وَالثَّبِينِ (ج ٣ ص ٥٤٤ - ٥٤٥) بِاخْتِلَافٍ يَسِيرٍ فِي الْبَيْتِ الثَّلَاثِ فَقَطْ.

هو السَّناء الذي سمعت به
وَيَحْك لولا الخمور لم أخفل الـ
هي الحيا والحياة واللَّهُو لا
وقال أبو الهندي^(١):

تركتُ الخمورَ لأربابها
وقد كنتُ حيناً بها مُعجَباً
وما كان تركي لها أنني
ولكن قولي له مَرَحَباً
وقال آخر:

اسقني بالكبير إني كبيرُ
لا يغرُنك يا عبيدُ خُشوعي
كان ابن عائشة يُنشد:

لَمَّا رَأَيْتُ الحَظَّ حَظَّ الجاهلِ
رَحَلْتُ عَنَساً من كروم بابلِ
وقال آخر:

شَرِبْنَا من الدَّاذِي^(٢) حتى كأننا
فلَمَّا أنجَلتُ شمسُ النهار رأيتنا
تَوَلَّى أَلْغَى عَنَّا وعَاوَدَنَا الْفَقْرُ

(١) السَّبْدُ: الشَّعْرُ. واللَّبْدُ: الصوف ومُحْتَدِي: من احتدى بالمكان أي لزمه فلم يبرحه.

(٢) أبو الهندي هو غالب بن عبد القدوس اليربوعي، شاعر مطبوع أدرك الدولتين الأموية والعباسية. استفرغ شعره في وصف الخمر، وهو أول من تفتن في وصفها من شعراء الإسلام. توفي بسجستان نحو ١٨٠ هـ. الأعلام ج ٥ ص ١٤٤. كذلك وردت ترجمة له مع ذكر الأبيات الأربعة في الشعر والشعراء ص ٥٧٢ - ٥٧٣.

(٣) الدَّاذِي: خمر وهي شراب الفاسقين.

قال بعضهم: العيش كله في كثرة المال وصحة البدن وخمول الذكر. وكان يقال: ليس السُّرورُ للنفس بالجدَّة،^(١) إنما سرورُ النفس بالأمل. قال يزيد بن معاوية: ثلاث تُخلِّقُ العقلَ وفيها دليلٌ على الضَّعف: سرعةُ الجواب؛ وطولُ التَّمَنِّي، والاستغراب في الضحك. وكان يقال: المُنَى والحُلُمُ أخوان. وسئل ابن أبي بكرة: أيُّ شيءٍ أدومُ إمتاعاً؟ فقال: المُنَى. وقال الشاعر:

إذا تَمَنَّيْتُ بَتُّ اللَّيْلِ مُغْتَبِطاً إِنَّ المُنَى رَأْسُ أَمْوَالِ المَفَالِسِ

[سريع]

وقال آخر:

ما فَاتَنِي مِنْكَ فَإِنَّ المُنَى تَدْنِيهِ مِنِّي فَكأنَّا مَعَا

[سريع]

وقال آخر:

وإنَّ لَوّاً لَيْسَ شَيْئاً سَوَى تَسْلِيَةِ اللُّومَاءِ بِالْبَاطِلِ

[طويل]

وقال بعض الأعراب:

مُنَى إِنْ تَكُنْ حَقّاً تَكُنْ أَحْسَنَ المُنَى وإلَّا فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمناً رَغْداً
أَمَانِيٍّ مِنْ سُعْدَى عَذَاباً كَأَنَّمَا سَقَّتْكَ بِهَا سُعْدَى عَلَى ظَمَأٍ بَرْداً

[طويل]

وقال بشار:

كَرَرْنَا أَحَادِيثَ الزَّمَانِ الَّذِي مَضَى فَلَدُّ لَنَا مَحْمُودُهَا وَذَمِيمُهَا

[طويل]

وقال المجنون^(٢):

أَيَا حَرَجَاتِ الحَيِّ حَيْثُ تَحْمَلُوا بِذِي سَلَمٍ، لَا جَادُكُنَّ رِيْعُ^(٣)

(١) الجدَّة: اليسار والغنى.

(٢) المجنون لقبُ لقيس بن المُلُوح العامري لهيامه في حب ليلي بنت سعد. شاعر غزل متيم.

توفي سنة ٦٨ هـ. الأعلام ج ٥ ص ٢٠٨.

(٣) الحَرَجَاتُ: حَرَجَةٌ وهي الشجر الملتف أو الشجرة تكون بين الأشجار لا تصل إليها الأكلة. =

وخيماتك اللَّاتِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى
فَقَدْتُكَ مِنْ نَفْسِ شَعَاعٍ فَطالَمَا
فَقَرَّبْتُ لِي غَيْرَ الْقَرِيبِ وَأَشْرَفْتُ
وقال ابن الدُّمَيْنَةِ^(١):

بِلَيْنٍ بِلَى لَمْ تَبْلَهُنَّ رُبُوعُ
نَهَيْتُكَ عَنْ هَذَا وَأَنْتِ جَمِيعُ
إِلَيْكَ ثَنَايَا مَا لَهْنُ طُلُوعُ
[بسيط]

يَا لَيْتَنَا فَرَدَا وَحْشٍ نَدُورُ مَعَا
أَوْ لَيْتَ كُذِرَ الْقَطَا حَلَقْنَ بِي وَبِهَا
أَكْثَرْتُ مِنْ لَيْتَنَا لَوْ كَانَ يَنْفَعُنِي
وقال كُثَيْرٌ^(٢):

نَرَعَى الْيَمَانَ وَنَحْفَى فِي نَوَاحِيهَا^(٣)
دُونَ السَّمَاءِ فَعِشْنَا فِي خَوَافِيهَا
وَمِنْ مَنَى النَّفْسِ لَوْ تُعْطَى أَمَانِيهَا
[طويل]

فِيَا لَيْتَنَا، يَا عَزَّ^(٤)، مِنْ غَيْرِ رَيْبَةٍ
نَكُونُ لِذِي مَالٍ كَثِيرٍ يُضِيعُنَا
وقال جِرَانُ^(٥) الْعَوْدُ:

بَعِيرَانِ نَرَعَى فِي الْفَلَاةِ وَنَعَزُبُ
فَلَا هُوَ يَرْعَانَا وَلَا نَحْنُ نُطَلَبُ
[طويل]

أَلَا لَيْتَنَا طَارَتْ عُقَابٌ لَنَا مَعَا
وقال مَالِكُ^(٦) بْنِ أَسْمَاءَ:

أَنِيقاً وَبُسْتَاناً مِنَ النُّورِ حَالِيَا
مُنَى فَتَمْنِينَا فَكُنْتَ الْأَمَانِيَا
[طويل]

وَلَمَّا نَزَلْنَا مَنْزَلاً طَلَّهَ النَّدَى
أَجْدَدُ لَنَا طَيْبُ الْمَكَانِ وَحُسْنُهُ

= وقد ورد في اللسان مادة (حرج): «حين تحملوا» بدل «حيث تحملوا». والسلم: شجر من
الغضاه وورقها القَرْظ الذي يُدْنِج به الأديم. وهنا يدعو لها الشاعر بعدم السقيا.

(١) تقدمت ترجمته. وفي الأصل: ابن أبي الدمينه، وهو خطأ.

(٢) الفرد: الواحد. والمُتَان: جمع مَتْن وهو ما صلب من الأرض وأرتفع.

(٣) هو كُثَيْرٌ عَزَّة وقد تقدمت ترجمته.

(٤) يا عَزَّ: منادى مرخم من عَزَّة.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) تقدمت ترجمته.

وأنشدنا الرياشي :

[طويل]

نهارِي نهارُ الناس حتَّى إذا دجا ليَّ الليلُ ملَّتني هناك المضاجعُ
أقضي نهارِي بالحديث وبالمنى ويجمعُني والهَمُّ بالليلِ جامعٌ^(١)

وأنشد أبو زيد :

[طويل]

كأنِّي، إذ أسعى لِأَظْفَرَ، طائرُ مع النجم في جوِّ السماء يَطيْرُ
فَتَي مُتَلَهَّى بِالْمُنَى في خلائه وهنَّ وإنَّ حَسَنَتُهُنَّ غُرُورًا
أبو حاتم عن الأصمعيِّ قال: زعم شيخ من بني القُحَيْف قال: تَمَيَّتْ
داراً فمكثت أربعة أشهر مغتماً للدرجة أين أضعها. قال الوليد بن عبد الملك
لُبْدَيْح^(٢) المَغْنِي: خُذْ بنا في التَمَنِّي فوالله لأَغْلِبَنَّكَ. قال: والله لا تَغْلِبَنِي أبداً.
قال: بلى. قال بُدَيْح: فإني أتمنى كَفْلَيْن من العذاب، وأن يلعنني الله لعناً
كثيراً فخذُ ضَعْفِي ذلك. قال: غلبتني، لعنك الله. قيل لِمُزَيْد: أيسرُّكَ أن هذه
الجنة لك؟ قال: وأضربُ عشرين سوطاً. قالوا: ولم تقول هذا؟ قال: لأنه لا
يكون شيء إلا بشيء.

الأصمعيُّ عن مُبَشَّر بن بَشِير أن رجلاً كان يطلبه الحجاج فمرَّ بساباط^(٣)
فيه كلب بين حُبَيْن^(٤) يَقْطُر عليه ماؤهما. فقال: يا ليتني مثلُ هذا الكلب، فما
لبث ساعة أن مرَّ بالكلب في عنقه حبلاً، فسأل عنه، فقالوا: جاء كتابُ

(١) هذان البيتان لابن الدمينية المتقدم الذكر أعلاه.

(٢) إختص بُدَيْح المَغْنِي بمعاوية، فكثيراً ما كان يحضر مجالسه ليروِّج عنه متاعب النهار، وكان مفتناً بالضرب على العود، وكان صديق طُوَيْس المَغْنِي. قال ابن منظور في اللسان مادة (بدح) ما نصه: قال أبو عمرو: يقال: ذبحه وبدحه، ودبحه وبدحه، ومنه سمي بُدَيْح المَغْنِي؛ كان إذا غنى قطع غناء غيره بحسن صوته.

(٣) الساباط: سقيفة بين دارين تحتها طريق.

(٤) مثني حُبٍ والحُب جَرَّةٌ أو الضخمة من الجرار أو الخابية، وهي فارسية معربة، والجمع أحباب وحببة.

الحجاج يأمر فيه بقتل الكلاب. قال مَدِينِي لَكُوفِي: ما بلغ من حبك لرسول الله ﷺ؟ فقال: وَدِدْتُ أَنِّي وَقَيْتُهُ وَلَمْ يَكُنْ وَصَلَ إِلَيْهِ يَوْمَ أُحُدٍ وَلَا غَيْرِهِ شَيْءٌ مِنَ الْمَكْرُوهِ إِلَّا كَانَ بِي دُونَهُ. قال المَدِينِي: وَدِدْتُ أَنْ أَبَا طَالِبٍ كَانَ أَسْلَمَ فَسُرَّ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنِّي كَافِرٌ.

تَمَنَّى ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ أَنْ يُهْدَى لَهُ مَسْلُوحٌ يَتَّخِذُ مِنْهُ طَعَامًا، فَسَمِعَتْهُ جَارَةٌ لَهُ فَظَنَّتْ أَنَّهُ قَدْ أَمَرَ أَنْ يُشْتَرَى لَهُ، فَانْتَظَرَتْ إِلَى وَقْتِ الطَّعَامِ ثُمَّ جَاءَتْ تَدُقُّ البابَ، وَقَالَتْ: شَمَمْتُ رِيحَ قُدُورِكُمْ فَجِئْتُ لِتَطْعِمُونِي، فَقَالَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ: جِيرَانِي يَشْمُونَ رِيحَ الْأَمَانِي.

وفي كتاب للهند أن ناسكاً كان له عسل وسمن في جرة، ففكر يوماً فقال: أَبِيعُ الْجَرَّةَ بَعِشْرَةَ دِرَاهِمٍ، وَأَشْتَرِي خَمْسَةَ أَعْنَزٍ فَأُولِدُهُنَّ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّتَيْنِ؛ وَيَبْلُغُ النَّتَاجُ فِي سَنَيْنِ مَائَتَيْنِ، وَأَبْتَأُ بِكُلِّ أَرْبَعٍ بَقْرَةً، وَأُصِيبُ بَذْرًا فَأُزْرِعُ، وَيَنْمِي الْمَالُ فِي يَدِي؛ فَأَتَّخِذُ الْمَسَاكِينَ وَالْعَبِيدَ وَالْإِمَاءَ وَالْأَهْلَ وَيُولِدُ لِي ابْنٌ فَأُسَمِّيهِ كَذَا وَأَخْذَهُ بِالْأَدَبِ، فَإِنْ هُوَ عَصَانِي ضَرَبْتُ بَعْصَايَ رَأْسَهُ وَكَانَتْ فِي يَدِهِ عَصَا فَرَفَعَهَا حَاكِيًا لِلضَّرْبِ، فَأَصَابَتْ الْجَرَّةَ فَانْكَسَرَتْ، وَأَنْصَبَ الْعَسْلُ وَالسَّمْنُ عَلَى رَأْسِهِ.

ابن الكلبي قال: كان رجل من ولد عمر بن الخطاب إذا كان مسروراً قال:

[خفيف]

لَيْتَ أَيَّامَنَا بِرُقَّةٍ^(١) خَاخٍ وَلِيَالِيكَ، يَا طَوِيلُ، تَعُودُ

(١) رُقَّة: موضع بالمدينة كانت صدقات سيدنا، رسول الله ﷺ، منها. وقد يريد الشاعر: بروضة خاخ، بين الحرمين كما ورد في اللسان مادة (خوخ).

[طويل]

وإذا كان مغتماً قال :

تَرَى الشَّيْءَ مِمَّا تَتَّقِي فَتَخَافُهُ وَمَا لَا تَرَى مِمَّا يَقِي اللَّهَ أَكْثَرَ

الأصمعي عن أبيه قال : قال زياد : أيّ الناس أنعم ؟ قالوا : معاوية .

قال : فأين ما يلقي من الناس ! قالوا : فأنت . قال : فأين ما ألقى من الثغور
والخراج ! قالوا : فمن ؟ قال : شاب له سِدَادٌ من عيش ، وأمرأةٌ قد رضيها
ورضيته ، لا يعرفنا ولا نعرفه ، فإن عرفناه أفسدنا عليه دينه ودنياه .

التواضع

قال : حدّثني محمد بن خالد بن خدّاش قال : حدّثنا مسلم بن قتيبة عن
شيخ من أهل المدينة قال : قال رجاء بن حيوة : قام عمر بن عبد العزيز
ذات ليلة فأصلح من السراج فقلت : يا أمير المؤمنين ، لِمَ لا أمرتني بذلك ، أو
دعوت له من يصلحه ؟ فقال : قمتُ وأنا عمرُ وعدتُ وأنا عمرُ .

قال : حدّثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : كتب محمد بن كعب
فانتسب وقال : القرظي ، ف قيل له : أو الأنصاري . فقال : أكره أن أُمّن على الله
بما لم أفعل .

قال : حدّثني أحمد بن الخليل قال : حدّثنا عبد الله بن مسلمة عن
يعقوب بن حمّاد المدني عن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه قال : كان عمر بن
الخطّاب إذا سافر لا يقوم في الظلّ ، وكان يراجلنا رِحالنا ويُرَحِّلُ رحله وحده .

[سريع]

وقال ذات يوم :

لَا يَأْخُذُ اللَّيْلُ عَلَيْكَ بِالْهَمِّ إِذَا الْبَسَنْ لَهَ الْقَمِيصَ وَأَعْتَمَّ^(١)

(١) كذا ورد هذا الشطر وهو مختل الوزن وأرتأت أن يكون هكذا :

إِذَا الْبَسَنْ لَهَ الْقَمِيصَ وَأَعْتَمَّ «واعتمَّ الرجلُ : لبس العمامة .

وكن شريك نافعٍ وأسلم ثم آخِذُ الأقوامِ حتى تُخَدَمَ
وروى وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال:
جاء رجل إلى النبي ﷺ، فأصابته رعدةٌ فقال النبي ﷺ: «هَوْنٌ عليك فإنما أنا
أبن امرأة من قريش كانت تأكل القديد»^(١).

قال: حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: جلس الأحنف على باب دار،
فمرّت به ساقيةٌ فوضعت قِربتها وقالت: يا شيخُ، احفظ قِربتي حتى أعودَ
ومضت، فأتاه الأذن وقال: انهض. فقال: إن معي وديعةً، وأقام حتى جاءت.

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ عن جرير بن حازم عن الزُّبير بن
الحارث عن أبي لبید، قال: مرُّ بنا زياد وهو أمير البصرة ومعه رجل أو رجلان
وهو على بغلة قد طوّق الحبل في عنقها تحت اللجام.

الأصمعيّ قال: قال يحيى بن خالد: الشريف إذا نُقِرَ^(٢) تواضع والوضيع
إذا نُقِرَ تكبر. الأصمعيّ قال: لا أراه أخذه إلا من كيسٍ غيره.

حدّثنا حسين بن حسن البرّوزيّ قال: حدّثنا عبد الله بن المبارك عن
يحيى بن أيّوب عن عُمارة بن غَزِيّة عن عبد الله بن عُروة بن الزُّبير قال: إلى
الله أشكو حمدي ما لا آتي، وذمي ما لا أترك.

قال: حدّثني أحمد بن الخليل عن أبي نُعيم عن مُنْذَلٍ عن حُميد عن
أنس قال: مرّ النبي ﷺ وأنا في غلمانٍ فسلم علينا.

وحَدّثني أحمد بن الخليل عن عمر بن عامر عن شُعْبة عن جابر عن
طارق التيمي عن جرير بن عبد الله البجليّ قال: مرّ رسول الله ﷺ بنسوة فسلم عليهن.

(١) القديد: اللحم المُشَرَّر المقدّد أو ما قطع منه طولاً.

(٢) نُقِرَ: عَيَّب أو نودي بأسمه من بين الأسماء.

قال: حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي مَعْمَرٌ قَالَ: قُلْتُ لَجَارٍ لِعَطَاءِ السُّلَمِيِّ: مَنْ كَانَ يَخْدُمُ عَطَاءً؟ قَالَ: مُخْتَثُونَ كَانُوا فِي الدَّارِ يَسْتَقُونَ لَهُ وَضُوءَهُ. فَقُلْتُ: أَيُوضُّهُ مُخْتَثُونَ! فَقَالَ: هُوَ كَانَ يَظْنُهُمْ خَيْرًا مِنْهُ. الْأَصْمَعِيُّ عَنْ رَجُلٍ عَنِ النَّبِيِّ قَالَ: آذَى ابْنُ لِمَحْمَدَ بْنِ وَاسِعٍ رَجُلًا، فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ: اتَّوْذِيهِ وَأَنَا أَبُوكَ وَإِنَّمَا أَشْتَرَيْتُ أَمْلَكَ بِمِائَةِ دِرْهَمٍ.

قال عامر بن الظرب العدواني: يَا مَعْشَرَ عَدَوَانِ، إِنَّ الْخَيْرَ أَلُوفٌ عَرُوفٌ عَزُوفٌ، وَإِنَّهُ لَنْ يُفَارِقَ صَاحِبَهُ حَتَّى يَفَارِقَهُ، وَإِنِّي لَمْ أَكُنْ حَكِيمًا حَتَّى صَحِبْتُ الْحُكَمَاءَ، وَلَمْ أَكُنْ سَيِّدُكُمْ حَتَّى تَعَبَّدْتُ لَكُمْ. قَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: التَّوَاضُّعُ أَحَدُ مَصَائِدِ الشَّرَفِ. كَانَ يَقَالُ: اسْمَانِ مُتَضَادَّانِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ: التَّوَاضُّعُ وَالشَّرَفُ. وَقَالَ بُزُرْجَمَهْرٌ: ثَمَرَةُ الْقَنَاعَةِ الرَّاحَةُ، وَثَمَرَةُ التَّوَاضُّعِ الْمَحَبَّةُ. وَقَالَ الْوَلِيدُ: خِدْمَةُ الرَّجُلِ أَخَاهُ شَرَفٌ. وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ^(١) بْنُ طَاهِرٍ: [وَأَفْر]

أَمِيلُ مَعَ الذَّمِّ مَعَ عَلِيِّ ابْنِ عَمِّي وَأَحْتَمِلُ الصَّدِيقَ عَلَى الشَّقِيقِ
وَإِنْ أَلْفَيْتَنِي مَلِكًا مُطَاعًا فَإِنَّكَ وَاجِدِي عَبْدَ الصَّدِيقِ
أَفَرَّقُ بَيْنَ مَعْرُوفِي وَمَنِّي وَأَجْمَعُ بَيْنَ مَالِي وَالْحَقِيقِ

[طويل]

وقال آخر:

وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مِنْ غَيْرِ ذَلَّةٍ وَمَا فِيَّ إِلَّا تِلْكَ مِنْ شِيْمَةِ الْعَبْدِ^(٢)

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) هذا البيت لِذُعْبَلِ بْنِ عَلِيٍّ الْخَزَاعِيِّ كَمَا صَرَّحَ بِذَلِكَ أَبُو قَتِيبَةَ فِي الْجُزْءِ الثَّالِثِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ.

كَذَلِكَ ذَكَرَهُ الْأَصْفَهَانِيُّ فِي الْأَغَانِي (ج ١٢ ص ١٥٠ ط. بولاق) ضَمَّنَ آيَاتٍ مَنْسُوبَةً لِقَيْسِ بْنِ عَاصِمِ الْمَنْقَرِيِّ. وَقَدْ تَقَدَّمَ تَرْجُمَةُ ذُعْبَلِ.

ويقال: كُلُّ نِعْمَةٍ مُحَسُّودٌ عَلَيْهَا إِلَّا التَّوَاضُّعُ. قال المسيح عليه السلام لأصحابه: إِذَا آتَاكُمْ النَّاسُ رُؤُوساً فَكُونُوا أَذْنَاباً. اعْتَمَّ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَامَ الْأَبْرَشَ لِيُسَوِّيَ عِمَامَتَهُ، فَقَالَ هِشَامُ: مَهْ إِنَّا لَا نَتَّخِذُ الْإِخْوَانَ خَوَلاً. كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَلْقُطُ النَّوَى وَيَأْخُذُ النَّكْثَ مِنَ الطَّرِيقِ، فَإِذَا مَرَّ بِدَارٍ رَمَى بِهَا فِيهَا وَقَالَ: انْتَفَعُوا بِهَذَا.

قال يوسف بن أسباط: يَجْزِي قَلِيلُ الْوَرَعِ مِنْ كَثِيرِ الْعِلْمِ، وَيَجْزِي قَلِيلُ التَّوَاضُّعِ مِنْ كَثِيرِ الْأَجْتِهَادِ. وقال بكر بن عبد الله: إِذَا رَأَيْتَ أَكْبَرَ مِنْكَ فَقُلْ: سَبَقَنِي بِالْإِسْلَامِ وَالْعَمَلَ الصَّالِحِ فَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، وَإِذَا رَأَيْتَ أَصْغَرَ مِنْكَ فَقُلْ: سَبَقْتُهُ بِالذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي فَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، وَإِذَا رَأَيْتَ إِخْوَانَكَ يُكْرِِمُونَكَ فَقُلْ: نِعْمَةٌ أَحْدَثُوهَا، وَإِذَا رَأَيْتَ مِنْهُمْ تَقْصِيراً فَقُلْ: بِذَنْبِ أَحَدٍ مِنْهُمْ. قال عبد الملك ابن مروان: أَفْضَلُ الرِّجَالِ مَنْ تَوَاضَعَ عَنْ رَفْعَةٍ، وَزَهَّدَ عَنْ قُدْرَةٍ، وَأَنْصَفَ عَنْ قُوَّةٍ. قال ابن السَّمَّاكِ لِعِيسَى بْنِ مُوسَى: تَوَاضَعُكَ فِي شَرْفِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ شَرْفِكَ. وقال عبد الملك بن مروان: ثَلَاثَةٌ مِنْ أَحْسَنِ شَيْءٍ: جُودٌ لغيرِ ثَوَابٍ، وَنَصَبٌ^(١) لغيرِ دُنْيَا، وَتَوَاضُّعٌ لغيرِ ذَلٍّ.

قال إبراهيم النَّخَعِيُّ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُجِيبُ دَعْوَةَ الْعَبْدِ وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ رِدْفًا. الْأَعْمَشُ عَنْ أَنَسٍ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُدْعَى إِلَى خُبْرِ الشَّعِيرِ وَالْإِهَالَةِ السَّنَخَةِ^(٢) فَيُجِيبُ. قال غيره: وَكَانَ لَا يَأْكُلُ مُتَكِنًا وَيَأْكُلُ بِالْحَضِيضِ، ويقول: «إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ أَكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ» قال أَوْسُ بْنُ الْحَدَّثَانِ: رَأَيْتُ أَبَا هُبَيْرَةَ وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ رَاكِبًا عَلَى حِمَارٍ عُرِّي يَقُولُ: الطَّرِيقَ الطَّرِيقَ، قَدْ جَاءَ الْأَمِيرُ. قال حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ: رَأَيْتُ الْأَعْمَشَ خَارِجًا إِلَى الْعِيدِ عَلَى حِمَارٍ

(١) النَّصَبُ: التَّعَبُ.

(٢) الْإِهَالَةُ: مَا يُؤْتَدَمُ بِهِ مِنَ الْأَدِهَانِ. وَالسَّنَخَةُ: الْمَتَغَيَّرَةُ الرِّيحِ.

مقطوع الذنب قد سدّل رجليه من جانب. المدائني قال: بينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر إذ أحسّ من نفسه بريح خرجت منه، فقال: أيها الناس إني قد ميّلتُ بين أن أخافكم في الله وبين أن أخاف الله فيكم، فكان أن أخاف الله فيكم أحبّ إليّ، ألا وإني قد فسوتُ، وهأنذا أنزلُ لأعيدَ الوضوء. كان يقال: من لم يستحِ من الحلال قلتُ كبريأؤه وخفتُ موازينه. قال معاوية: ما منا أحد إلا قُتِسَ عن جائفةٍ أو مُنْقَلَةٍ^(١) خلا عمر بن الخطاب. المُنْقَلَةُ الشجة التي يخرج منها العظام، والجائفة التي تبلغ جوف الدماغ. يحيى بن آدم عن محمد بن طلحة عن أبي حمزة قال: قال إبراهيم: لقد تكلمتُ ولو وجدتُ بُدًّا ما تكلمت، وإنَّ زماناً تكلمتُ فيه لزمانٌ سوء. كان

[كامل]

رجل من خثعم رَدِيَ فقال في نفسه:

لو كنتُ أَصْعَدُ في التكرم والعُلا كَتَحْدُرِي أَصْبَحْتُ سَيِّدَ خثعم.

[كامل]

فبادَ أهلُ بيته حتى ساد فقال:

خَلَتِ الدِّيارُ فَسَدَتْ غيرَ مُسَوِّدٍ ومن الشَّقَاءِ تَفَرَّدِي بالسَّؤْدِدِ

[طويل]

أنشدني أبو حاتم عن الأصمعيّ في مثله:

إِنَّ بِقَوْمٍ سَوْدُوكَ لَحَاجَةً إِلَى سَيِّدٍ لَوْ يَظْفَرُونَ بِسَيِّدٍ

قال يحيى بن خالد: لست ترى أحداً تكبر في إمارته إلا وهو يعلم أن الذي نال فوق قدره، ولست ترى أحداً يضع نفسه في إمارة إلا وهو في نفسه أكثر مما نال في سلطانه. ومثله، قيل لعبيد الله بن بسّام: فلان غيرته الإمارة، فقال: إذا ولي الرجل ولايةً فرأها أكثر منه تغير، وإذا ولي ولايةً يرى أنه أكثر منها لم يتغير. ويقال: التواضع مع السخافة والبخل أحد من السخاء والأدب مع الكبر، فأعظمُ بنعمة عَفَّتْ من صاحبها بسيتتين، وأقبحُ بسيئة حَرَمَتْ

(١) يريد ليس فينا أحد إلا وفيه عيب عظيم، فاستعار الجائفة والمنقلة لذلك.

صاحبها حسنتين. وفي بعض كتب العجم: علامة الأحرار، أن يُلَقَّوْا بما يُحبون ويُحرموا أحب إليهم من أن يُلَقَّوْا بما يكرهون ويُعطَّوْا؛ فأنظر إلى خلة أفسدت مثل الجود فأجتنبها، وأنظر إلى خلة عفت مثل البخل فالزمها. كان يقال: الشرف في التواضع، والعز في التقوى، والغنى في القناعة. أبو الحسن قال: خطب سلمان إلى عمر فأجمع على تزويجه، فشق ذلك على عبد الله ابن عمر وشكاه إلى عمرو بن العاص فقال: أنا أردّه عنك، فقال: إن ردّته بما يكره أغضبت أمير المؤمنين، قال: عليّ أن أردّه عنك راضياً، فأتى سلمان فضرب بين كتفيه بيده، ثم قال: هنيئاً لك أبا عبد الله، هذا أمير المؤمنين يتواضع بتزويجك، فالتفت إليه مغضباً وقال، أبي يتواضع! والله لا أتزوجها أبداً. وقال المرار بن مُنْقِذِ العدوي^(١):

يا حبذا، حين تُمسي الريحُ باردةً وادي أشيٍّ وفتيانٌ به هُضُمٌ^(٢)
مُخَدَّمون، كِرامٌ في مجالسهم، وفي الرحال، إذا لاقيتهم، خَدُمٌ
وما أصحابُ قوماً ثم أذكُرهم إلّا يزيدُهُمُ حُبّاً إليّ هُمُ^(٣)

ابن المبارك عن دَرّ عن الشعبي قال: ركب زيد بن ثابت، فدنا عبد الله

(١) المرار بن مُنْقِذِ العدوي هو زيد بن منقذ، من بني العدويّة، ويلقب بالمرار. وهو من شعراء الدولة الأموية. توفي نحو ١٠٠ هـ. الأعلام ج ٣ ص ٥٥.

(٢) وادي أشيٍّ: موضع بالوشم، والوشم: وادٍ باليمامة فيه نخل، وهو تصغير الأشياء، وهو صغار النخل والواحدة أشاة. وخضم: ج هضم وهو الضامر اللطيف الكشح. والمعنى أن هؤلاء الفتيان يجودون في وقت الضيق، وأصيق ما في عيشهم يكون في وقت الشتاء.

(٣) هذه الأبيات من قصيدة للمرار قالها في ذم صنعاء ومدح بلده وقومه، وأولها:
لا حبذا أنت يا صنعاء من بلدٍ ولا شعوبٌ هوى مني ولا نُقُمٌ
وسُعُوبٌ ونُقمٌ: موضعان باليمن. وقد ورد البيت الأول في لسان العرب، في مادتي (أشي) و(هضم) كما ورد البيت الثاني والثالث في معجم الشعراء للمرزباني ص ٤٠١ باختلاف بسيط عما هنا. وذكر المرزباني أن هذا الشعر يروى أيضاً لأخي المرار. كذلك وردت هذه الأبيات الثلاثة ضمن خمسة أبيات في معجم البلدان مادة (أشي).

ابن عباس ليأخذ بركابه، فقال: لا تفعل يا ابن عم رسول الله، فقال: هكذا أمرنا أن نفعّل بعلمائنا. فقال زيد: أرني يدك، فأخرج يده فقبلها زيد، ثم قال: وهكذا أمرنا أن نفعّل بأهل بيت نبينا عليه السلام. قال عبد الله بن مسعود: رأس التواضع أن تبدأ من لقيت بالسلام، وأن ترضى بالدون من المجلس. ابن أبي الزناد عن أبيه أن العباس بن عبد المطلب لم يمر قط بعمر ولا بعثمان وهما راكبان إلا ترجلا حتى يجوزهما إجلالا له أن يمر وهما راكبان وهو يمشي. كان سلمان يتعوذ بالله من الشيطان والسلطان والعِلج^(١) إذا استعرب. المدائني قال: سلم رجل على حسان بن أبي سنان فدعا له، فقيل: أتدعو لمثل هذا! فقال: إن مما يفضّلني به أن يرى أنني خير منه. قال عبد الله بن شداد: أربع من كن فيه فقد برىء من الكبر: من اعتقل العنز، وركب الحمار^(٢)، ولبس الصوف، وأجاب دعوة الرجل الدون.

باب الكبر والعجب

حدثني إبراهيم بن مسلم قال: حدثنا أبو السكين قال: حدثني عم أبي زحر بن حصن قال: قال رجل للحجاج: أصلح الله الأمير، كيف وجدت منزلك بالعراق؟ قال: خير منزل لو كان الله بلغني أربعة فتقرّبت بدمائهم إليه. قال: ومن هم؟ قال: مقاتل بن مسعم، ولي سجستان فأتاه الناس فأعطاهم الأموال، فلما عزل دخل مسجد البصرة فبسط الناس له أريدتهم فمشى عليها، وقال لرجل يماشيهِ: لمثل هذا فليعمل العاملون. وعبيد الله بن زياد بن طبيان

(١) العِلج: الرجل الضخم من كفار العجم.

(٢) الجمار: الصغار من الحجارة. وركب الجمار: مشى عليها.

واعتقل العنز: عقّله أي ثنى وظيفه مع ذراعه فشدهما معاً بحبل هو العقال، أو وضع رجلها بين ساقه وفخذه وحلبها.

التميمي، حزب أهل البصرة أمر فخطب خطبة أوجز فيها، فنادى الناس من أعراض المسجد: أكثر الله فينا أمثالك. فقال: لقد كلفتم الله شططاً. ومعبّد ابن زُرارة، وكان ذات يوم جالساً في طريق، فمرت به امرأة فقالت: يا عبد الله، كيف الطريقُ إلى موضع كذا، فقال: لهدّ عبد الله! أنا لهدّ؛ أراد: كفى بك أنا، يريد الفخر. وأبو سماك الأسدي، أضلّ راحلته فالتمسها الناس فلم يجدوها، فقال: والله لئن لم يردّد عليّ راحلتي لا صليتُ له أبداً، فالتمسها الناس حتى وجدوها، فقالوا: قد ردّ الله عليك راحلتك فصلّ، فقال: إن يميني كانت صرّى^(١).

قال أبو حاتم عن الأصمعيّ عن كُرْدِين المِسْمَعِيّ. قيل لرجل متكبر: هل مرت بك أحمرة؟ فقال للسائل: تلك دَوَاب لا يراها عمك. قال: وقال كُرْدِين: رأيتُ ابنُ مَيّادَةَ الشاعر فأعجبته لما رأى من جَلْدِي وبياني. فقال: ممن أنت؟ قلت: من بكر بن وائل، فقال: وفي أيّ الأرض يكون بكر بن وائل؟ قال أبو اليقظان: جلس رافع بن جُبَيْر بن مُطْعِم في حلقة العلاء بن عبد الرحمن الخرقِيّ وهو يُقرئ الناس. فلما فرغ قال: أتدرون لِمَ جلستُ إليكم؟ قالوا: لتسمع، قال: لا، ولكن أردتُ التّواضعُ لله بالجلوس إليكم. قال: ومرّ محمد بن المنذر بن الزُّبَيْر بن العوّام في حاجة له، فأنقطع قِبَالُ^(٢) نعله، فنزع الأخرى بقدمه ومضى وتركهما ولم يُعرج عليهما. قال بعض الشعراء:

[طويل]

وَأَعْرِضْ عَن ذِي الْمَالِ حَتَّى يُقَالَ لِيْ قَدْ أَحْدَثَ هَذَا نَخْوَةً وَتَعْظَمًا
وَمَا بِيَ كِبَرٌ^(٣) عَن صَدِيقٍ وَلَا أَخٍ وَلَكِنَّهُ فِعْلِي إِذَا كُنْتُ مُعْدِمًا

(١) صرّى: عزيمة قاطعة ويمين لازمة.

(٢) قبال النعل: زمّام بين الإصبع الوسطى والتي تليها.

(٣) الكبر: العظمة والتجبر.

قِيلَ لِبَعْضِهِمْ: مَا الْكِبَرُ. قَالَ: حُمُقٌ لَمْ يَدْرِ صَاحِبُهُ أَيْنَ يَضَعُهُ. قَالَ
مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ: قَدِمَ عَلَقَمَةُ بْنُ وائِلِ الْحَضْرَمِيِّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
فَأَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ أَنْ أَنْطَلِقَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ، وَكَانَ
مَنْزَلُهُ فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ، فَأَنْطَلَقْتُ مَعَهُ وَهُوَ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ وَأَنَا أَمْشِي فِي سَاعَةِ
حَارَّةٍ وَلَيْسَ عَلَيَّ جِذَاءٌ، فَقُلْتُ: إِحْمِلْنِي بِأَعْمٍ مِنْ هَذَا الْحَرِّ فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَيَّ
حِذَاءٌ، فَقَالَ: لَسْتَ مِنْ أَرَادِفِ الْمُلُوكِ، قُلْتُ: إِنِّي أَبْنَى أَبِي سُفْيَانَ، قَالَ: قَدْ
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَذْكُرُ ذَلِكَ، قَالَ قُلْتُ: فَأَلْقِ إِلَيَّ نَعْلَكَ، قَالَ:
لَا تَقْبَلُهَا قَدَمَاكَ وَلَكِنْ أَمْشِ فِي ظِلِّ نَاقَتِي فَكَفَاكَ بِذَلِكَ شَرْفًا، وَإِنَّ الظِّلَّ لَكَ
لَكَثِيرٌ. أَقَالَ مَعَاوِيَةُ: فَمَا مَرَّ بِي مِثْلُ ذَلِكَ الْيَوْمِ قَطُّ ثُمَّ أَدْرَكَ سُلْطَانِي فَلَمْ
أُؤَاخِذْهُ بَلْ أَجْلَسْتُهُ مَعِيَ عَلَى سُرِيرِي هَذَا. قَالَ ابْنُ يَسَارٍ^(١): [مُتَقَارِب]

لَوْ لَحِظَ الْأَرْضَ لِي وَالِدُ تَطَاطَأَتِ الْأَرْضُ مِنْ لَحْظَتِهِ
وَقَالَ آخَرُ:

أَتَيْتُهُ عَلَى جَنِّ الْبِلَادِ وَإِنْسَاهَا وَلَوْ لَمْ أَجِدْ خَلْقًا لَتَهْتُ عَلَى نَفْسِي
أَتَيْتُهُ فَمَا أَدْرِي مِنَ التَّيِّبَةِ مَنْ أَنْسَا سِوَى مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيَّ وَفِي جَنْسِي
فَإِنْ زَاعَمُوا أَنِّي مِنَ الْأَنْسِ مِثْلُهُمْ فَمَا لِي عَيْبٌ غَيْرَ أَنِّي مِنَ الْأَنْسِ

وَكَانَ عِنْدَ الرُّسْتَمِيِّ قَوْمٌ مِنَ التُّجَّارِ فَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَنَهَضَ لِيَصَلِّيَ
فَنَهَضُوا فَقَالَ: مَا لَكُمْ وَلِهَذَا وَمَا أَنْتُمْ مِنْهُ! الصَّلَاةُ رُكُوعٌ وَسُجُودٌ وَخُضُوعٌ،
وَإِنَّمَا فَرَضَ اللَّهُ هَذَا يَرِيدُ بِهِ الْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ وَالْمُلُوكَ وَالْأَعَاظِمَ مِثْلِي
وَمِثْلَ فِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ وَغُرُودِ وَأَنْوَشِرَوَانَ. وَكَانَ يُقَالُ: مَنْ رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ

(١) ابْنُ يَسَارٍ هُوَ مَعَاوِيَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَسَارٍ، اتَّصَلَ بِالْمَهْدِيِّ الْعَبَّاسِيِّ قَبْلَ خِلَافَتِهِ فَكَانَ كَاتِبَهُ
وَوَازِيرَهُ. وَلَمَّا آلَتِ الْخِلَافَةُ إِلَيْهِ قَامَ بِتَدْيِيرِ الْمَمْلَكَةِ وَالِدَوَائِينَ. تَوَفَّى سَنَةَ ١٧٠ هـ. الْأَعْلَامُ
ج ٧ ص ٢٦٢.

كثر الساخطون عليه . قال الحسن : ليس بين العبد وبين ألا يكون فيه خير إلا أن يرى أن فيه خيراً . رأى رجل رجلاً يختال في مشيته ويتلفت في أعطافه ، فقال : جعلني الله مثلك في نفسك ولا جعلني مثلك في نفسي . قيل لعبد الله ابن المبارك : رجل قتل رجلاً فقلت إني خير منه ، فقال : ذنبك أشد من ذنبه . قال الأحنف : عجبْتُ لمن جرى في مجرى البول مرتين كيف يتكبر . ابن عُلَيَّة عن صالح بن رُسَيم عن رجل عن مُطَرِّف ، قال : لأن أبيتَ نائماً وأصبحَ نادماً أحبُّ إليَّ من أن أبيتَ قائماً وأصبحَ مُعجباً . وقال هشام بن حسان . سيئة تسوءك خيرٌ من حسنة تُعجبك . قال أبو حازم : إن الرجل ليعمل السيئة ما عمل حسنةً قط أنفعَ له منها وإنه ليعمل الحسنة ما عمل سيئةً قط أضرَّ عليه منها . قال الشاعر :

[طويل]

أما ابنُ فَرَوَةَ يونسُ فكأنه من كبره أيرُ الحمارِ القنائمُ
ما الناسُ عندك غيْرَ نَفْسِكَ وَحَدَّها والناسُ عندك ما خلاك بهائمُ

[طويل]

قال المسعودي :

مُسَا ترابَ الأرضِ منها خُلِقْتُما وفيها المعادُ والمصيرُ إلى الحَشْرِ
ولا تَعْجَبَا أنْ تَرْجِعَا فِتْسَلَّما فما خَشِيَ الأقوامُ شَرّاً من الكِبَرِ
ولو شئتُ أدلِّي فيكما غيرُ واحد علانيةً أو قال عندي في سِتْرِ
فإن أنا لم أَمُرْ ولم أنه عنكما ضحكْتُ له حتى يُلِحَّ وَيَسْتَشِيرِي

الأصمعي قال : قال رجل : ما رأيتُ ذا كِبَرٍ قط إلا تحوّل داؤه فيّ ، يريد أني أتكبر عليه . وقال آخر : ماتاه أحد قط عليّ مرتين ، يريد إذا تاه مرة لم أعاوده . قال الشاعر :

[بسيط]

يا مظهر الكبر إعجاباً بصورته أنظرُ خلاءك إن التّنّ تثریبُ

لو فكر الناس فيما في بطونهم ما استشعر الكبر شَبَانٌ ولا شَيْبٌ
هل في آبن آدم غير الرأس مكرمة وهو بخمسٍ من الأقدار مضروب؟
أنف يسيل وأذن ريحها سهك والعين مرمصة والثغر ملعوب^(١)
يا آبن التراب ومأكول التراب غداً أقصر فإنك مأكول ومشروب

دفع أَرْدَشِيرُ الملك إلى رجل كان يقوم على رأسه كتاباً، وقال له: إذا
رأيتني قد اشتد غضبي فادفعه إليّ، وفي الكتاب: أَمْسِكْ فَلَسْتَ بِإِلَهٍ إِنَّمَا أَنْتَ
جَسَدٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْكُلَ بَعْضُهُ بَعْضاً وَيَصِيرَ عَنْ قَرِيبٍ لِلدُّودِ وَالتَّرَابِ. كان
للسُّنْدِيِّ والي الجسر غلامٌ صغير قد أمره بأن يقوم إليه إذا ضرب الناس
بالسَّيَاط فيقول له: ويلك يا سِنْدِيُّ، أذكر القصاص. كتب إبراهيم^(٢) بن
العباس إلى محمد بن عبد الملك^(٣): [طويل]

أبا جعفر، عَرَّجَ عَلَى خُلَطَائِكَ وَأَقْصَرَ قَلِيلاً عَنْ مَدَى غُلَوَائِكَ
فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أُعْطِيتَ فِي الْيَوْمِ رَفْعَةً فَإِنَّ رَجَائِي فِي غَدٍ كَرَجَائِكَ^(٤)
قال لي بعض أصحابنا وأحسبه محمد بن عمر: سمعت رجلاً
يُشَدُّ:

طويل التمني قليل الفكر
إذا هز في المشي أعطافه
تبيئت في منكبيه البطر

- (١) رَنَحَ سَهْكَ أَي عاصفة شديدة. والعين مُرْمَصَةٌ: أَي سأل منها الرَّمَصُ (وسخ أبيض جامد يجتمع في الموق).
- (٢) إبراهيم بن العباس كاتب المعتصم والواق والمتوكل ببغداد. له ديوان رسائل وديوان شعر. توفي سنة ٢٤٣ هـ. الأعلام ج ١ ص ٤٥.
- (٣) هو المعروف بابن الزيات، وقد تقدمت ترجمته.
- (٤) أورده في العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٥٦) هذين البيتين لعلي بن الجهم.

قال: فغدوت عليه لأكتب تمام القصيدة فوجدته قد مات. المدائني
قال: رأيت فلاناً مولى ياهلة يطوف بين الصفا والمروة على بغلة ثم رأته بعد
ذلك راجلاً في سقر، فقلت له: أراجل في هذا الموضع؟ قال: نعم، إني
ركبت حيث يمشي الناس فكان حقاً على الله أن يرجلني حيث يركب الناس.
وقال أبو نواس في جعفر بن يحيى البرمكي:

[طويل]

وأعظم زهواً من ذبابٍ على خُرءٍ وأبخل من كلبٍ عقورٍ على عَرَقٍ
ولو جاء غيرُ البخل من عند جعفرٍ لما وضعوه الناس إلا على حُمقٍ
وقال آخر:

[مقارب]

ألجُ لجاجاً من الخُنَفَسَاءِ وأزهى إذا ما مشى من غرابٍ^(١)
قيل لرجل من بني عبد الدار: ألا تأتي الخليفة، قال: أخشى ألا يحمل
الجسرُ شرفي. وقيل له: ألبس شيئاً فإن البرد شديد، فقال: حسبي يذفني.
قال أبو اليقظان: كان الحجاج استعمل بلالاً الضبي على جيش وأغراه قلاع
فارس، وكان يقال لذلك الجيش: ببيي^(٢)، سُمي بذلك لأنه فرض فرضاً من
أهل البصرة فكان أهلهم وأمهاتهم يأتونهم يقولون: ببيي. وفي جيشه قال
الشاعر:

[طويل]

إلى الله أشكو أنني بت حارساً فقام بلالي فبال على رجلي
فقلت لأصحابي أقطعوها فلإني كريم وإني لن أبلغها رجلي

(١) الخُنَفَسَاءُ: دُوَيْبَةُ سوداء أصغر من الجعل. ستنة الرياح، والجمع خنافس، وذكرها تسمى الجعلان.

(٢) ببيي: أصله: بأبي فأبدلت الهمزة فيه ياء. لسان العرب مادة (أبي) وفي الأغاني (ج ٢ ص ١٥٥) أن الحجاج ضرب البعث على المحتملين ومن أنبت من الصبيان فكانت المرأة تجيء إلى أبنها وقد جرد فتضمه إليها وتقول له: «بأبي» جزعاً عليه فسمي ذلك الجيش جيش بأبي.

مدّ أعرابي يده في الموقف وقال: اللهم إن كنت ترى يداً أكرم منها فأقطعها. قال نوح: سمعتُ الحجاج بن أَرْطاة يقول: قتلني حُبُّ الشرف. وقيل له: ما لك لا تحضر الجماعة؟ قال: أكره أن يزحمني البقالون. كان جَذِيمَةُ الأبرش - وهو الوضاح سُمِّيَ بذلك لبرص كان به - لا يُنادِمُ أحداً ذهاباً بنفسه، وقال: أنا أعظمُ من أن أنادِمَ إلا الفرقَدين^(١)، فكان يشرب كأساً ويصبُّ لكلِّ واحدٍ منهما في الأرض كأساً، فلما أتاه مالك^(٢) وعقيل بأبن أخته الذي أستهوته الشياطين قال لهما: إحتكما، فقالا له: مُنادمتك، فنادهما أربعين سنةً يحادثانه فيها ما أعادا عليه حديثاً. وفيهما يقول مُتَمِّمٌ^(٣) بن نُويرَة: [طويل]

وَكُنَّا كَنَدَمَانِي جَذِيمَةَ حِقْبَةٍ من الدهر حتى قِيلَ لَن نَتَصَدَّعَا^(٤)

[طويل]

وقال الهذلي:

ألم تَعَلِّمِي أَنْ قَدْ تَفَرَّقَ قَبْلَنَا خَلِيلاً صفاءِ مالك وعقيل^(٥)

قيل لإياس بن معاوية: ما فيك عيبٌ إلا أنك مُعَجَّبٌ، قال: أفاعِجُكُمْ؟ قالوا: نعم قال: فأنا أحقُّ أنْ أُعَجَّبَ بما يكون مني. ويقال: للعادة سلطانٌ

(١) الفرقَدان: نجمان قريبان من القطب الشمالي، شديداً الإتصال يُهْتَدَى بهما.

(٢) هو مالك أخو الشاعر مُتَمِّمٌ بن نُويرَة. وقد ذكر في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٧٢) أن مالك وعقيل هما أبنا فارج القضاعي.

(٣) مُتَمِّمٌ بن نُويرَة اليربوعي التميمي شاعر فحل وصحابي من أشراف قومه، سكن المدينة واشتهر في الجاهلية والإسلام. توفي نحو ٣٠ هـ. الأعلام ج ٥ ص ٢٧٤.

(٤) نَدَمَانَا جَذِيمَة: هما مالك وعقيل السالفا الذكر. وهذا البيت من مرثية تعدُّ من أشهر شعره قالها مُتَمِّمٌ في أخيه مالك، الذي حزن عليه حزناً شديداً.

(٥) هو أبو جُرَاش الهذلي، وقد تقدمت كما نسب هذا البيت في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٧٢) للمُنَخَّل.

ومالك وعقيل وردا ذكرهما في الصفحة السابقة.

على كل شيء، وما استنبط الصواب مثل المشاورة، ولا حُصِنَت النعم بمثل
المواساة، ولا اكتسبت البغضة بمثل الكبر.

باب مدح الرجل نفسه وغيره

قال الله عز وجل حكاية عن يوسف: ﴿أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ
إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ﴾^(١). وقال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر». وقال
للأنصار: «والله ما علمتكم إلا تَقْلُون عند الطمع وتَكْثُرُونَ عند الفزع». وذكر
أعرابي قوماً فقال: والله ما نالوا بأطراف أناملهم شيئاً إلا وقد وطئناه بأخامص
أقدامنا، وإن أقصى مناهم لأدنى فعالنا. ابن إدريس عن إسماعيل بن أبي
خالد، قال: كنت أمشي مع الشَّعْبِيِّ وأبي سَلَمَةَ، فسأل الشَّعْبِيُّ أبا سَلَمَةَ: مَنْ
أَعْلَمُ أهل المدينة؟ فقال: الذي يَمْشِي بينكما، يعني نفسه. وقال الشَّعْبِيُّ: ما
رأيت مثلي، وما أشاء أن ألقى رجلاً أعلم مني بشيء إلا لقيته. قال معاوية
لرجل: مَنْ سَيِّدُ قومك؟ قال: أنا. قال: لو كنت كذلك لم تَقُل. الوليد بن
مُسلم عن خلود عن الحسن قال: ذم الرجل نفسه في العلانية مدح لها في
السِّرِّ. كان يقال: مَنْ أَظْهَرَ عَيْبَ نفسه فقد زكَّاه. الأعمش عن إبراهيم عن عبد الله
قال: إذا أَثْنَيْتَ على الرجل بما فيه في وجهه لم تُزَكِّه. قال عمر بن الخطاب:
المدح دَبْح. ويقال المدح وإفد الكبر. وقال علي بن الحسين: لا يقول رجل
في رجل من الخير ما لا يعلم إلا أوشك أن يقول فيه من الشر ما لا يعلم، ولا
يصطحب أثنان على غير طاعة الله إلا أوشكا أن يفتريا على غير طاعة الله.
قال وهب بن منبه: إذا سمعت الرجل يقول فيك من الخير ما ليس فيك فلا

(١) سورة يوسف ١٢، آية ٥٥. والمعنى: يقول يوسف للملك: أنا أنقذ البلاد من شر المجاعة
المقبلة لخبرتي الإقتصادية وإخلاصي وأمانتي. فوافق الملك على اقتراح يوسف وجعله أميناً
مطلقاً على خزائن المال والاقتصاد، وأصبح الرئيس الثاني للبلاد بعد الملك. التفسير المبين.

تَأْمَنُ أَنْ يَقُولَ فِيكَ مِنَ الشَّرِّ مَا لَيْسَ فِيكَ. وَيُقَالُ فِي بَعْضِ كُتُبِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: عَجَبًا لِمَنْ قِيلَ فِيهِ الْخَيْرُ وَلَيْسَ فِيهِ كَيْفُ يَفْرَحُ! وَلِمَنْ قِيلَ فِيهِ الشَّرُّ وَلَيْسَ فِيهِ كَيْفُ يَغْضَبُ! وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ مَنْ أَحَبَّ نَفْسَهُ عَلَى الْيَقِينِ وَأَبْغَضَ النَّاسَ عَلَى الظُّنُونِ! وَكَانَ يُقَالُ: لَا يَغْلِبَنَّ جَهْلُ غَيْرِكَ بِكَ عِلْمَكَ بِنَفْسِكَ. وَقَالَ أَعْرَابِي: كَفَى جَهْلًا أَنْ يَمْدَحَ الْمَادِحُ بِخِلَافِ مَا يَعْرِفُ الْمَمْدُوحُ مِنْ نَفْسِهِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَحَشَقَ لِلْمَعْرُوفِ ^(١) مِنْهُ. قَالَ أَبُو الْمُقَفَّعِ: إِيَّاكَ إِذَا كُنْتَ وَالِيًا أَنْ يَكُونَ مِنْ شَأْنِكَ حُبُّ الْمَدْحِ وَالتَّزْكِيَةِ وَأَنْ يَعْرِفَ النَّاسُ ذَلِكَ مِنْكَ فَتَكُونَ ثُلُمَةً مِنَ الثُّلُمِ يَفْتَحِمُونَ عَلَيْكَ مِنْهَا، وَبَابًا يَفْتَحُونَكَ مِنْهُ، وَغِيْبَةً يَغْتَابُونَكَ بِهَا وَيُضْحِكُونَ مِنْكَ لَهَا. وَأَعْلَمُ أَنَّ قَابِلَ الْمَدْحِ كَمَا دَحَ نَفْسَهُ، وَالْمَرْءُ جَدِيرٌ أَنْ يَكُونَ حُبُّهُ الْمَدْحَ هُوَ الَّذِي يَحْمِلُهُ عَلَى رَدِّهِ، فَإِنْ الرَّادُّ لَهُ مَمْدُوحٌ وَالْقَابِلُ لَهُ مَعِيبٌ. وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ ^(٢):

وَلَسْتُ بِمَفْرَاحٍ إِذَا الدَّهْرُ سَرَّنِي وَلَا جَاذِعٍ مِنْ صَرْفِهِ الْمُتَقَلِّبِ
وَلَا أَتَمْنَى الشَّرَّ وَالشَّرُّ تَارِكِي وَلَكِنْ مَتَى أَحْمَلَ عَلَى الشَّرِّ أَرْكَبُ ^(٣)
وَيَعْتَدُّهُ قَوْمٌ كَثِيرٌ تِجَارَةً وَيَمْنَعُنِي مِنْ ذَاكَ دِينِي وَمَنْصِبِي
فَإِنْ مَسِيرِي فِي الْبِلَادِ وَمَنْزِلِي لِبِالْمَنْزِلِ الْأَقْصَى إِذَا لَمْ أَقْرَبْ

قول الممدوح عند المدحة

حَدَّثَنِي سَهْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: كَانَ أَبُو بَكْرٍ يَقُولُ عِنْدَ الْمَدْحَةِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي وَأَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْهُمْ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي خَيْرًا مِمَّا يَحْسُبُونَ وَأَغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ وَلَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ.

(١) يظهر عدم الارتباط بوضوح بين الجملتين «كفى... من نفسه» و«والله... للمعروف».

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) ورد البيتان الأول والثاني في العقد الفريد (ج ٣ ص ١٣ و ١٠٨) -

قال: حَدَّثَنَا الرَّيَاشِيُّ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ قَالَ: أَتَنَى رَجُلًا عَلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ فِي وَجْهِهِ، وَكَانَ تُهَمَّةً، فَقَالَ عَلِيٌّ: أَنَا دُونَ مَا تَقُولُ وَفَوْقَ مَا فِي نَفْسِكَ.

قيل لأعرابي: مَا أَحْسَنَ الثَّنَاءَ عَلَيْكَ! فقال: بَلَاءُ اللَّهِ عِنْدِي أَحْسَنُ مِنْ وَصْفِ الْمَادِحِينَ وَإِنْ أَحْسَنُوا، وَذَنُوبِي إِلَى اللَّهِ أَكْثَرُ مِنْ عَيْبِ الذَّامِينَ وَإِنْ أَكْثَرُوا، فَيَا أَسْفًا عَلَى مَا فَرَطْتُ وَيَا سُوءًا مِمَّا قَدَّمْتُ. كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، لَا يَقْبَلُ الثَّنَاءَ إِلَّا مِنْ مُكَافِيٍّ. وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي مَدْحِ الرَّجُلِ نَفْسَهُ قَوْلُ أَعَشَى^(١) بَنِي رِبِيعَةَ:

[طويل]

مَا أَنَا فِي أَهْلِي وَلَا فِي عَشِيرَتِي	بِمُهْتَظَمٍ حَقِّي وَلَا قَارِعٍ سِنِّي
وَلَا مُسْلِمٍ مَوْلَايَ عِنْدَ جَنَابَةٍ	وَلَا خَائِفٍ مَوْلَايَ مِنْ سُوءٍ مَا أَجْنِي
وَأَنْ فُؤَادًا بَيْنَ جَنْبَيَّ عَالَمٍ	بِمَا أَبْصَرْتُ عَيْنِي وَمَا سَمِعْتُ أُذْنِي
وَفَضَّلَنِي فِي الشُّعْرِ وَاللُّبِّ أَنَّنِي	أَقُولُ عَلَى عِلْمٍ وَأَعْلَمُ مَا أَغْنِي
فَأَصْبَحْتُ إِنْ فَضَّلْتُ مَرَوَانَ وَأَبْنَه	عَلَى النَّاسِ قَدْ فَضَّلْتُ خَيْرَ أَبٍ وَأَبْنٍ ^(٢)

وقال آخر:

[طويل]

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَمْدَحْهُ حُسْنُ فَعَالِهِ فَمَادِحُهُ يَهْذِي وَإِنْ كَانَ مُفْصِحًا

وقال آخر:

[طويل]

لَعَمْرُ أَبِيكَ الْخَيْرِ إِنِّي لَخَادِمٌ لِصَحْبِي وَإِنِّي إِنْ رَكِبْتُ لِفَارِسٍ

(١) أَعَشَى بَنِي رِبِيعَةَ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَارِجَةَ، بْنُ أَبِي رِبِيعَةَ بْنِ شَيْبَانَ. مَدَحَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ مَرَوَانَ وَأَبْنَهُ سَلِيمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ. تَوَفَّى نَحْوَ ١٠٠ هـ. الأعلام ج ٤ ص ٨٤.

(٢) أَوْرَدَ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ١٣٢) هَذِهِ الْأَبْيَاتُ، فَقَالَ: أَنْشَدَ أَبُو الْمَغِيرَةِ أَعَشَى رِبِيعَةَ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرَوَانَ بَيْنَمَا كَانَ عَنْ يَمِينِهِ وَلَدُهُ الْوَلِيدُ وَعَنْ يَسَارِهِ أَبْنَهُ سَلِيمَانَ.

وقال آخر:

[طويل]

ونحن ضيَاء الأرض ما لم نَسِرْ بها غَضَاباً، وإن نَغْضَبْ فنحن ظَلَامُهَا

وأَنشدَ الحسنُ البصريُّ قولَ الشاعر:

[رجز]

لولا جَرِيرٌ هَلَكْتُ بِجَيلِهِ نَعَمَ الْفَتَى وَبُشَيْتِ الْقَبِيلَةَ

قال الحسنُ: ما مُدِحَ رجلٌ هُجِيَ قَوْمُهُ. وقال أبو الهَندَامُ^(١): [وافر]

يقولون الحَديدُ أَشدُّ شَيْءٍ وقد تُنِي الحَديدُ وما تُنِيْتُ

تَخِرُّ الأَرْضُ إن نُودِيَتْ بِأَسْمِي وتَنهَدُ الجبالُ إذا كُنِيْتُ

ومَذَحَ النفسَ في الشَّعرِ كثيرٌ، وهو فيه أَسهلُ منه في الكلامِ المنشور.

باب الحياء

حدَّثني أبو مسعود الدَّارِمِيُّ، قال: حدَّثني جَدِّي خِرَاشُ عن أَنَسٍ أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «الحياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيْمَانِ». وروى أَبُو نُعَيْمٍ عن الأَحْوَصِ ابْنَ حَكِيمٍ، قال: حدَّثني أَبُو عَوْنٍ المَدَنِيُّ قال: سَمِعْتُ سَعِيدَ بنَ الْمُسَيَّبِ يَقُولُ: قال رسولُ الله ﷺ: «قَلَّةُ الْحَيَاءِ كُفْرٌ». وروى جَرِيرٌ بنُ حَازِمٍ عن يَعْلَى ابْنَ حَكِيمٍ عن رجلٍ عن أبْنِ عمرٍ، قال: الحياءُ والإِيْمَانُ مَقْرُونَانِ جَمِيعاً فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا أَرْفَعُ الْآخَرُ. وكان يقال: أَحْيُوا الْحَيَاءَ بِمَجَالَسَةِ مَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ. ذكر أَعْرَابِيُّ رجلاً فقال: لا تَراهِ الدَّهْرَ إِلَّا وَكَأَنَّهُ لا غَنَى بِهِ عَنْكَ وَإِنْ كُنْتَ إِلَيْهِ أَحْوَجَ، فَإِنْ أَذْنِبْتَ غَفَرَ وَكَأَنَّهُ الْمَذْنُوبُ، وَإِنْ أَسَأْتَ إِلَيْهِ أَحْسَنَ وَكَأَنَّهُ الْمَسِيءُ. وقالت لَيْلَى^(٢) الأَخِيلِيَّةُ:

(١) لم أَظْهَرُ بِتَرْجُمَتِهِ.

(٢) لَيْلَى الأَخِيلِيَّةُ هِيَ لَيْلَى بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ شَدَادٍ بنِ كَعْبٍ، شاعرةٌ فصِيحةٌ ذَكِيَّةٌ جَمِيلَةٌ. هِيَ مِنْ بَنِي عَامِرِ بنِ صَمْعَةَ، وَطَبَقَتِهَا فِي الشَّعْرِ عَلَى طَبَقَةِ الْخَنَسَاءِ تَوَفِيَتْ نَحْوَ ٨٠ هـ. الْأَعْلَامُ

[كامل]

وَمُخَرَّقٍ عَنْهُ الْقَمِيصُ تَخَالَه وَسَطَ الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيَاءِ سَقِيماً^(١)
 حَتَّى إِذَا رُفِعَ السَّلَوءُ رَأَيْتَهُ تَحْتَ اللَّوَاءِ عَلَى الْخَمِيسِ^(٢) زَعِيماً

[بسيط]

وَنَحْوَهُ قَوْلُ الْآخِرِ إِلَّا أَنَّهُ فِي التَّوَاضُعِ :
 يَبْدُو فَيَبْدُو ضَعِيفاً مِنْ تَوَاضُعِهِ وَيَكْفَهُرُّ فَيُلْفَى الْأَسْوَدَ اللَّحِماً

[كامل]

وَقَالَ أَبُو ذَهَبٍ الْبُجْمَحِيُّ^(٣) :
 إِنَّ الْبُيُوتَ مَعَادِنَ فَنَجَارُهُ ذَهَبٌ وَكُلُّ جُدُودِهِ ضَخْمٌ^(٤)
 مُتَهَلِّلٌ بِنَعَمٍ لِإِلَاءِ مُجَانِبٍ سَيَّانٍ مِنْهُ الْوَفْرُ وَالْعُدْمُ
 نَزَرُ الْكَلَامِ مِنَ الْحَيَاءِ تَخَالَه ضَمِناً وَلَيْسَ بِجَسَمِهِ سُقْمُ
 عُقْمُ النِّسَاءِ فَلَا يِلْدَنَ شَبِيهَهُ إِنَّ النِّسَاءَ بِمِثْلِهِ عُقْمُ

حَدَّثَنَا أَبُو الْخَطَّابِ قَالَ : حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ ، قَالَ : سَمِعْتُ لَيْثَ بْنَ أَبِي
 سَلِيمٍ يُحَدِّثُ عَنْ وَاصِلِ بْنِ حَيَّانَ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ ، قَالَ : كَانَ
 آخِرَ مَا حُفِظَ مِنْ كَلَامِ النَّبِوةِ «إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَأَصْنَعْ مَا شِئْتَ» . قَالَ

[طويل]

الشاعر^(٥) :

تَخَالُهُمُو لِلْحَلَمِ صُمّاً عَنِ الْخَنَا وَخُرْساً عَنِ الْفَحْشَاءِ عِنْدَ التَّهَاجُرِ

(١) معنى البيت : إن قميصه مُتَخَرَّقٌ مِنْ كَثْرَةِ مَا يَتَجَاذِبُهُ الْعُفَاةُ .

(٢) الخميس : الجيش لأنه خمس فرق هي المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة .

(٣) أَبُو ذَهَبٍ الْبُجْمَحِيُّ هُوَ وَهْبُ بْنُ زَمْعَةَ بْنِ أَسَدٍ ، مِنْ قُرَيْشٍ . مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَأَحَدِ الشُّعْرَاءِ الْعَشَاقِ الْمَشْهُورِينَ . تَوَفَّى سَنَةَ ٦٣ هـ . الْأَعْلَامُ ج ٨ ص ١٢٥ .

(٤) جُدُودُهُ : الْقَبَائِلُ الَّتِي أَكْتَنَفَتْهُ مِنْ أَخْوَالِهِ وَأَعْمَامِهِ . وَهَذَا يَمْدَحُ الرَّسُولَ الْكَرِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٥) هُوَ ابْنُ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ تَرْجُمَتُهُ .

وَمَرَضَى إِذَا لُوقُوا حَيَاءً وَعِفَّةً وعند الحِفاظ كاللِّيثِ الخِوادر

وقال آخر:

[طويل]

عليه من التقوى رداءً سَكِينَةً وللحقِّ نورٌ بين عينيه ساطعٌ
وقال الشَّعْبِي: تعايش الناسُ زماناً بالدين والتقوى، ثم رُفِعَ ذلك
فتعايشوا بالحياء والتذمُّم، ثم رُفِعَ ذلك فما يتعايش الناسُ إلا بالرغبة والرهبة،
وأظنه سيجيء ما هو أشدَّ من هذا.

باب العَقْل

حدَّثني إِسْحاقُ بن إبراهيم الشَّهِيدِي، قال: حدَّثنا الحارثُ بن النُّعْمَان،
قال: حدَّثنا خَلِيدُ بن دَعْلَجٍ عن معاوية بن قُرَّة يرفعه، قال: «إن الناس يعملون
الخيرَ وإنما يُعْطَوْنَ أجورَهم يوم القيامة على قَدَرِ عقولهم». مَهْدِيُّ بن غِيلَانَ
ابن جرير قال: سمعت مُطَرِّفًا يقول: عُقُولُ الناس على قَدَرِ زمانهم.

حدَّثني عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن مُنَبِّه قال:
وجدتُ في حِكْمَةِ داودَ: ينبغي للعاقل أن لا يَشْغَلَ نفسه عن أربع ساعاتٍ،
ساعةٍ يُنَاجِي فيها رَبَّهُ، وساعةٍ يُحَاسِبُ فيها نفسه، وساعةٍ يَخْلُو فيها
هو وإخوانه والذين يَنْصَحُونَ له في دينه وَيَصْدُقُونَهُ عن عيوبه، وساعةٍ يُخَلِّي
بين نفسه وبين لذاتها فيما يَحِلُّ وَيُحْمَدُ فإن هذه الساعة عونٌ لهذه الساعاتِ
وَفَضْلٌ بُلْغَةٌ^(١) واستجمامٌ للقلوب. وينبغي للعاقل أن لا يَرى إلا في إحدى
ثلاث خِصَالٍ: تزوُّدٍ لِمَعَادٍ، أو مَرَمَةٍ لِمَعَاشٍ، أو لَذَّةٍ، في غير محرم. وينبغي
للعاقل أن يكون عارفاً بزمانه، حافظاً للسان، مُقْبِلاً على شأنه. قال: حدَّثني
أبو حاتم عن الأصمعي قال: حدَّثنا هِلَالُ بنُ جَوْ قال: قال عمرو بن العاص:

(١) البُلْغَةُ: ما يُتَبَلَّغُ به من العيش، أي القوام منه.

ليس العاقل الذي يَعْرِفُ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ ولكنه الذي يَعْرِفُ خَيْرَ الشَّرِّينَ، وليس
الواصل الذي يَصِلُ مَنْ يَصِلُهُ ولكنه الذي يَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ. وقال زياد: ليس
العاقل الذي يَحْتَالُ لِلْأَمْرِ إِذَا وَقَعَ ولكنه الذي يَحْتَالُ لِلْأَمْرِ أَلَّا يَقَعَ فِيهِ. قال
معاوية لعمر: ما بَلَغَ مِنْ ذَهَائِكَ يَا عَمْرُو؟ قال عمرو: لم أَدْخُلْ فِي أَمْرٍ قَطُّ
فَكَرِهْتُهُ إِلَّا خَرَجْتُ مِنْهُ. قال معاوية: لَكِنِّي لم أَدْخُلْ فِي أَمْرٍ قَطُّ فَأَرَدْتُ
الْخُرُوجَ مِنْهُ. وقرأت في كتابٍ للهند: النَّاسُ حَازِمَانٍ وَعَاجِزٌ، فَأَحَدُ الْحَازِمِينَ
الذي إِذَا نَزَلَ بِهِ الْبَلَاءُ لَمْ يَنْظُرْ بِهِ وَتَلَقَّاهُ بِحِيلَتِهِ وَرَأْيِهِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْهُ، وَأَحْزَمُ
مِنْهُ الْعَارِفُ بِالْأَمْرِ إِذَا أَقْبَلَ فَيُدْفَعُهُ قَبْلَ وَقُوعِهِ، وَالْعَاجِزُ فِي تَرَدُّدٍ وَتَنَنٍ حَائِزٌ بِائِسٌ
لَا يَأْتِمِرُّ رَشْداً وَلَا يُطِيعُ مُرْشِداً. وقال أعرابي: لَوْ صُوِّرَ الْعَقْلُ لِأُظْلِمَتْ مَعَهُ
الشَّمْسُ، وَلَوْ صُوِّرَ الْحَقُّ لِأُضَاءَ مَعَهُ اللَّيْلُ. قال بعض الحكماء: مَا عُبِدَ اللَّهُ
بشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَقْلِ وَمَا غُصِيَ اللَّهُ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ السُّتْرِ. أَبُو رَوْقٍ
عَنِ الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾^(١) قال: مَنْ كَانَ
عَاقِلاً. ذَكَرَ الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ عَمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ: كَانَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ يَخْدَعَ
وَأَعْقَلَ مِنْ أَنْ يُخْدَعَ.

حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَبِيبٍ بْنُ الشَّهِيدِ عَنْ قُرَيْشِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ
حَبِيبِ بْنِ الشَّهِيدِ قَالَ: قَالَ إِيَّاسُ: لَسْتُ بِخَبٍّ وَالْخَبُّ لَا يَخْدَعُنِي وَلَا يَخْدَعُ
أَبْنَ سِيرِينَ وَيَخْدَعُ أَبِي وَيَخْدَعُ الْحَسَنَ. قَالَ غَيْرُهُ: وَكَانَ كَثِيراً مَا
يُنْشِدُ:

[متقارب]

أَبَى لِي الْبَلَاءُ وَأَنْبَى أَمْرُؤُ إِذَا مَا تَثَبَّتْ لَمْ أَرْتَبْ
وَفِي كِتَابِ كَلِيلَةِ وَدَمْنَةِ: الْأَدَبُ يُذْهِبُ عَنِ الْعَاقِلِ السَّكْرَ وَيَزِيدُ الْأَحْمَقَ
سُكْراً، كَمَا أَنَّ النَّهَارَ يَزِيدُ كُلَّ ذِي بَصَرٍ بَصْراً وَيَزِيدُ الْخَفَافِشَ سُوءَ بَصَرٍ.

وفيه: ذو العقل لا تُبْطِرُهُ المنزلة والعِزُّ كالجبل لا يَتَزَعَزُعُ وَإِنْ أَشْتَدَّتْ عليه
الريُّحُ، والسَّخِيفُ يُبْطِرُهُ أَدْنَى مَنْزِلَةٍ كالحشيش يُحَرِّكُهُ أضعفُ ريحٍ. وقال
تأبط^(١) أشراً في هذا المعنى:

[طويل]

ولستُ بِمَفْرَاحٍ إِذَا الدَّهْرُ سَرَّنِي ولا جازعٍ مِنْ صَرْفِهِ المَتَقَلِّبِ
ولا أتمنى الشرَّ والشرَّ تاركِي ولكن متى أُحْمَلُ على الشرِّ أُرْكَبُ^(٢)

وفي كتاب كليلة: رأسُ العقلِ التمييزُ بين الكائن والممتنع، وحُسنُ
العِزِّاءِ عما لا يُسْتَطَاعُ. وفيه: العاقلُ يُقِلُّ الكلامَ ويُبَالِغُ في العملِ ويعترفُ بزلَّةِ
عقله ويستقيها كالرجل يَعْتُرُّ بالأرض وبها ينتعشُ. ويقال: كلُّ شيءٍ محتاجٌ
إلى العقلِ، والعقلُ محتاجٌ إلى التَّجَارِبِ. قال يحيى بن خالد: ثلاثةُ أشياء
تدلُّ على عقول الرجال: الكتابُ، والرسولُ، والهديةُ. وكان يقال: دَلَّ على
عقل الرجلِ اختيارُهُ، وما تَمَّ دَيْنٌ أَحَدٍ حَتَّى يَتَمَّ عقلُهُ، وأفضلُ الجهادِ جهادُ
الهوى. سئل أنوشروان: ما الذي لا تَعْلَمُ له، وما الذي لا تَغَيِّرُ له، وما الذي
لا مَدْفَعَ له، وما الذي لا حِيلَةَ له. فقال: تَعْلَمُ العقلِ، وتَغَيِّرُ العُنُصْرَ، ودَفْعُ
القَدَرِ، وحِيلَةُ الموتِ. وكان يقال: كِتَابُكَ عقلُكَ تَضَعُ عليه خاتَمَكَ. وقالوا:
كِتَابُ الرجلِ مَوْضِعُ عقله، ورسولُهُ مَوْضِعُ رأيهِ. كان الحسنُ إِذَا أُخْبِرَ عن
رجلٍ بِصَلاحٍ قال: كيفَ عقلُهُ. وفي الحديث أن جبريلَ عليه السلام أتى آدمَ
عليه السلام فقال له: إِنِّي أَتَيْتُكَ بِثَلَاثٍ فَأَخْتَرُ واحِدَةً، قال: وما هي يا
جبريلُ؟ قال: العقلُ والحياءُ والدينُ. قال: قد آخَرْتُ العقلَ فخرج جبريلُ
إلى الحياءِ والدينِ فقال: إرْجِعَا فقد آخَرْتُ العقلَ عليكما، فقالا: أَمَرْنَا أَنْ

(١) تأبطُ شراً هو ثابت بن سفيان، من مضر ومن فُتاك العرب في الجاهلية، شاعر فحل. توفي

نحو ٨٠ ق. هـ. الأعلام ج ٢ ص ٩٧.

(٢) تقدم هذان البيتان ضمن أربعة أبيات ص ٢٧٦ من هذا الجزء منسوبة للبعيث.

كون مع العقل حيث كان. كان يقال: العقل يظهرُ بالمعاملة وشيئُ الرجال تظهر بالولاية. ويقال: العاقل بقي ما له بسلطانه، ونفسه بماله، ودينه بنفسه. قال الحسن: لو كان للناس جميعاً عقولٌ لخربت الدنيا. خير رجل فأيُّ أن يختار وقال: أنا بحظي أوثقُ مني بعقلي فأقرعوا بيننا.

باب الحلم والغضب

قال: حدَّثني الزِّيَادِيُّ قال: حدَّثنا حمَّاد بن زيد عن هشام عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيَعِجْزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ كَأَبِي ضَمُصَمٍ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ قَالَ: اللَّهُمَّ، إِنِّي قَدْ تَصَدَّقْتُ بِعَرَضِي عَلَى عِبَادِكَ».

حدَّثنا زياد بن يحيى قال: حدَّثنا بشر بن المفضل عن يونس عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ تَوْقَدُ فِي جَوْفِ ابْنِ آدَمَ، أَلَمْ تَرَوْا إِلَى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ وَأَنْتَفَاحِ أَوْدَاجِهِ»^(١). قال: حدَّثني أحمد بن الخليل قال: حدَّثني عبد الله بن رجاء عن إسرائيل عن أبي حُصَيْن عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رجل: يا رسول الله أوصني، فقال: لَا تَغْضَبْ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ فَقَالَ: لَا تَغْضَبْ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ فَقَالَ: لَا تَغْضَبْ. قال: حدَّثني أحمد بن الخليل قال: حدَّثني عبد الله بن نافع عن مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيَّب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ»^(٢) إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ». قال: حدَّثنا حسين بن الحسن المَرْوَزِيُّ، قال: حدَّثنا عبد الله بن المبارك قال: حدَّثنا حبيب بن حجر القَيْسِيُّ قال: كان يقال: مَا أَحْسَنَ الْإِيمَانَ يَزِينُهُ الْعِلْمُ وَمَا أَحْسَنَ الْعِلْمَ يَزِينُهُ

(١) الأوداج: ج وَدَج وهو عرق إذا قُطِع مات صاحبه.

(٢) الصُّرْعَةُ: من يصرع الناس.

العملُ وما أحسنَ العملَ يزيُّنه الرفقُ، وما أضيَّفَ شيءٌ إلى شيءٍ أزيَنَ من حلمٍ إلى علمٍ ومن عفوٍ إلى مَقْدَرَةٍ. وكان يقال: مَنْ حَلُمَ سَادَ ومن تَفَهَّمَ أَزْدَادَ. والعربُ تقول: أَحْلُمُ تَسُدُّ. وقال: سَمِيَ اللهُ يحيى سَيِّداً بِالْحِلْمِ. وقال عبد الملك بن صالح: الْحِلْمُ يَحْيَا بِحَيَاةِ السُّودِدِ. أَغْلَظَ رَجُلٌ لِمَعَاوِيَةَ فَحَلُمَ عَنْهُ، فَقِيلَ لَهُ: تَحْلُمُ عَنْ هَذَا! فَقَالَ: إِنِّي لَا أَحُولُ بَيْنَ النَّاسِ وَبَيْنَ أَلْسِنَتِهِمْ مَا لَمْ يَحُولُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سُلْطَانِنَا. شَتَمَ رَجُلٌ الْأَحْنَفَ وَالْحَّحَّ عَلَيْهِ، فَلَمَّا فَرَّغَ قَالَ لَهُ: يَا أَبْنُ أَخِي، هَلْ لَكَ فِي الْغَدَاءِ؟ فَإِنَّكَ مِنْذُ الْيَوْمِ تَحْدُو بِجَمَلٍ ثَقَالٍ^(١).

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَكْرِ الْمُرَزِيِّ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ فَشَتَمَ الْأَحْنَفَ فَسَكَتَ عَنْهُ، وَأَعَادَ فَسَكَتَ، فَقَالَ: وَالْهَفَاهُ! مَا يَمْنَعُهُ مِنْ أَنْ يَرُدَّ عَلَيَّ إِلَّا هَوَانِي عَلَيْهِ.

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ مِنْ آلِ حَارِثَةَ بْنِ الْأُمِّ، قَالَ: نَزَلْتُ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي تَغْلِبَ فَأَتَانِي بِقِرَى فَأَنْفَلَتَ مِنِّي فَقُلْتُ:

[كامل]

والتَّغْلِبِيُّ إِذَا تَنَحَّحَ لِلْقِرَى حَكَ أَسْتَهُ وَتَمَثَّلَ الْأَمْثَالَ
فَأَنْقَبَضْتُ فَقَالَ: كُلُّ أَيُّهَا الرَّجُلُ فَإِنَّمَا قُلْتَ كَلِمَةً مَقُولَةً.

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ، قَالَ: أَسْمَعَ رَجُلٌ الشَّعْبِيَّ كَلَاماً فَقَالَ لَهُ الشَّعْبِيُّ: إِنْ كُنْتَ صَادِقاً فَغْفِرَ اللَّهُ لِي وَإِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَغْفِرَ اللَّهُ لَكَ. وَمَرَّ بِقَوْمٍ يَنْتَقِصُونَهُ فَقَالَ:

[طويل]

هَنِيئاً مَرِيئاً غَيْرَ دَاءٍ مُخَامِرٍ لِعَزَّةٍ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتْ

(١) الْجَمَلُ الثَّقَالُ: الْبُطْيَاءُ.

وَأَسْتَطَالَ رَجُلٌ عَلَى أَبِي معاوية الأسود فقال: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنَ الذَّنْبِ
الَّذِي سُلِّطْتَ بِهِ عَلَيَّ. قال معاوية: إِنِّي لَأَرْفَعُ نَفْسِي أَنْ يَكُونَ ذَنْبٌ أَوْزَنَ مِنْ
حِلْمِي. وقال معاوية لأبي جهم^(١) العَدَوِيُّ: أَنَا أَكْبَرُ أَمْ أَنْتَ يَا أَبَا جَهْم؟ قال: .
لَقَدْ أَكَلْتُ فِي عُرْسِ أَمَكْ هِنْدٍ، قال: عند أَيِّ أَزْوَاجِهَا؟ قال: عند حَفْصِ بْنِ
المَغِيرَةِ، قال: يَا أَبَا جَهْم، إِيَّاكَ وَالسُّلْطَانَ فَإِنَّهُ يَغْضَبُ غَضَبَ الصَّبِيِّ وَيُعَاقِبُ
عَقُوبَةَ الْأَسَدِ، وَإِنَّ قَلِيلَهُ يَغْلِبُ كَثِيرَ النَّاسِ. وَأَبُو الْجَهْمِ هَذَا هُوَ الْقَاتِلُ فِي
معاوية: [وافر]

نَمِيلُ عَلَى جَوَانِبِهِ كَأَنَا إِذَا مِلْنَا نَمِيلُ عَلَى أَبِينَا
نُقَلِّبُهُ لِنَخْبُرَ حَالَتِيهِ فَنَخْبُرَ مِنْهُمَا كَرَمًا وَلِينَا

سَمِعَ الْأَحْنَفُ رَجُلًا يَنَازِعُ رَجُلًا فِي أَمْرٍ فَقَالَ لَهُ الْأَحْنَفُ: لَا أَحْسِبُكَ إِلَّا
ضَعِيفًا فِيمَا تُحَاوِلُ، فَقَالَ الرَّجُلُ: مَا عَلَى ظَنِّكَ خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِ أَهْلِي، فَقَالَ
الْأَحْنَفُ لِأَمْرِ مَا قِيلَ: إِحْذَرُوا الْجَوَابَ. جَعَلَ رَجُلٌ جُعْلًا لِرَجُلٍ عَلَى أَنْ يَقُومَ إِلَى
عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَسْأَلُهُ عَنْ أُمِّهِ، فَقَامَ إِلَيْهِ وَهُوَ يَخْطُبُ عَلَى مَنِيرٍ تَنِيَسَ، فَقَالَ
لَهُ: أَيُّهَا الرَّجُلُ أَخْبِرْنَا مَنْ أُمُّكَ، فَقَالَ: كَانَتْ أَمْرَاءَةً مِنْ عَنَزَةٍ أُصِيبَتْ بِأَطْرَافِ
الرِّمَاحِ فَوَقَعَتْ فِي سَهْمِ الْفَاكِهِ بْنِ الْمَغِيرَةِ فَأَشْتَرَاهَا أَبِي فَوَقَعَ عَلَيْهَا، إِنْطَلِقْ
وَحُذِّ مَا جُعِلَ لَكَ عَلَى هَذَا. قال الشاعر:

قُلْ مَا بَدَا لَكَ مِنْ زُورٍ وَمِنْ كَذِبٍ حِلْمِي أَصَمٌّ وَأُذْنِي غَيْرُ صَمَاءٍ
نَظَرَ معاويةُ إِلَى ابْنِهِ يَزِيدَ وَهُوَ يَضْرِبُ غَلَامًا لَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَتُقْسِدُ أَدَبَكَ
بَأَدْبِهِ فَلَمْ يَرِ ضَارِبًا غَلَامًا لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ. قِيلَ لِيَحْيَى بْنِ خَالِدٍ: إِنَّكَ لَا تُؤَدِّبُ

(١) أَبُو جَهْمِ الْعَدَوِيُّ هُوَ عَامِرُ بْنُ حُذَيْفَةَ بْنِ غَانِمٍ، مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ بْنِ كَعْبٍ، أَحَدُ
الْأَرْبَعَةِ الَّذِينَ دَفَنُوا عُثْمَانَ. وَلَهُ خَبَرٌ مَعَ معاوية. تَوَفَّى نَحْوَ ٧٠ هـ. الْأَعْلَامُ ج ٣ ص ٢٥٠.

غِلْمَانَكَ وَلَا تَضْرِبُهُمْ، قَالَ: هُمْ أَمْنَاؤُنَا عَلَى أَنْفُسِنَا فَإِذَا نَحْنُ أَخْفَنَاهُمْ فَكَيْفَ نَأْمَنُهُمْ. وَكَانَ يُقَالُ: «الْحَلِيمُ مَطِيَّةُ الْجَهُولِ». وَذَكَرَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ: كَانَ أَحْلَمَ مِنْ فَرَخٍ طَائِرٍ. وَفِي الْإِنْجِيلِ: كُونُوا حُلَمَاءَ كَالْحَيَاتِ وَبُلَهَاءَ كَالْحَمَامِ. قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ:

[بسيط]

إِنِّي لِأَعْرِضُ عَنْ أَشْيَاءَ أَسْمَعُهَا حَتَّى يَقُولَ رَجَالٌ إِنَّ بِي حُمَقًا
أَخْشَى جَنَابَ سَفِيهِ لَا حَيَاءَ لَهُ فَسَلِّ^(١)، وَظَنَّ أَنَسٌ أَنَّهُ صَدَقَا
قَالَ الْأَحْنَفُ: مَنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى كَلِمَةٍ سَمِعَ كَلِمَاتٍ وَرُبَّ غِيظٍ قَدْ
تَجَرَّعَتْهُ مَخَافَةً مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ. قَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ: الْعِزُّ وَالْغَلْبَةُ لِلْجَلَمِ. وَقَالَ
عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَوَّلُ عِوَضِ الْحَلِيمِ مِنْ جَلِمِهِ أَنَّ النَّاسَ
أَنْصَارُهُ عَلَى الْجَهُولِ. وَقَالَ الْمَنْصُورُ: عَقُوبَةُ الْحُلَمَاءِ التَّعْرِیْضُ، وَعَقُوبَةُ
السُّفَهَاءِ التَّصْرِیْحُ.

قَالَ: حَدَّثَنِي سُهَيْلٌ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا قَالَ
لِآخَرٍ: وَاللَّهِ لَئِنْ قُلْتُ وَاحِدَةً لَتَسْمَعَنَّ عَشْرًا، فَقَالَ لَهُ الْآخَرُ: لَكُنْكَ إِنْ قُلْتَ
عَشْرًا لَمْ تَسْمَعْ وَاحِدَةً. قَالَ: وَبَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا شَتَمَ عَمْرَ بْنَ ذَرٍّ فَقَالَ لَهُ: يَا
هَذَا، لَا تُغْرِقْ فِي شَتْمِنَا وَدَعْ لِلصَّالِحِ مَوْضِعًا، فَإِنِّي أَمْتُ مُشَاتِمَةَ الرِّجَالِ
صَغِيرًا وَلَنْ أُحْيِيهَا كَبِيرًا، وَإِنِّي لَا أَكْفَىءُ مَنْ عَصَى اللَّهَ فِيَّ بِأَكْثَرٍ مِنْ أَنْ أُطِيعَ
اللَّهَ فِيهِ. وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ:

[وافر]

وَإِنَّ السَّلَةَ ذُو جِلْمٍ وَلَكِنْ بِقَدْرِ الْحِلْمِ يَنْتَقِمُ الزَّيْنِمُ^(٢)
لَقَدْ وُلِّتَ بِدَوْلَتِكَ اللَّيَالِي وَأَنْتَ مُعَلَّقٌ فِيهَا ذَمِيمٌ

(١) الْفَسْلُ: مِنْ لَا خَيْرَ فِيهِ.

(٢) الزَّيْنِمُ: الدَّعِيُّ وَاللَّيْمُ الْمَعْرُوفُ بِلُؤْمِهِ، أَوِ الْمَلْحَقُ بِقَوْمٍ لَيْسَ مِنْهُمْ وَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ.

وَزَالَتْ لَمْ يَعِشْ فِيهَا كَرِيمٌ وَلَا أَسْتَغْنَى بِثَرَوَتِهَا عَدِيمٌ
فَبَعْدًا لَا أَنْقِضَاءَ لَهُ وَسُحْقًا فَغَيْرُ مُصَابِكَ آلِ حَدَثِ الْعَظِيمِ

المدائني. قال: كان شبيب بن شيبَةَ يقول: مَنْ سَمِعَ كَلِمَةً يَكْرَهُهَا
فَسَكَتَ عَنْهَا أَنْقَطَعَ عَنْهُ مَا يَكْرَهُ، فَإِنْ أَجَابَ عَنْهَا سَمِعَ أَكْثَرَ مِمَّا يَكْرَهُ، وَكَانَ
يَتِمَثَّلُ بِهَذَا الْبَيْتِ:

وَتَجْزَعُ نَفْسُ الْمَرْءِ مِنْ وَقَعِ شَتْمَةٍ وَيُشْتَمُ أَلْفًا بَعْدَهَا ثُمَّ يَصْبِرُ
قَاتِلَ الْأَحْنَفُ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ قِتَالًا شَدِيدًا، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا بَحْرٍ،
أَيْنَ الْجِلْمُ قَالَ: عِنْدَ الْحُبَى. وَقَالَ مُسْلِمٌ^(١) بَنَ الْوَلِيدِ:

حُبَى لَا يَطِيرُ الْجَهْلُ فِي جَنَابَاتِهَا إِذَا هِيَ حُلَّتْ لَمْ يَفْتَ حَلَّهَا ذَحَلُ
أَغْضَبَ زَيْدُ بْنُ جَبَلَةَ الْأَحْنَفَ، فَوُثِبَ إِلَيْهِ فَأَخَذَ بِعِمَامَتِهِ وَتَنَاصَبَا، فَقِيلَ
لِلْأَحْنَفِ: أَيْنَ الْجِلْمُ الْيَوْمَ! فَقَالَ: لَوْ كَانَ مِثْلِي أَوْ دُونِي لَمْ أَفْعَلْ هَذَا بِهِ. كَانَ
يَقَالُ: آفَةُ الْجِلْمِ الضَّعْفُ. وَقَالَ الْجَعْدِيُّ^(٢):

وَلَا خَيْرَ فِي جِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ بِوَادِرٍ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا
وَقَالَ إِيَّاسُ بْنُ قَتَادَةَ:

تُعَاقِبُ أَيِّدِينَا وَيَحْلُمُ رَأَيْنَا وَنَشْتُمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلُّمِ
وَأَنشَدَ الرِّيَاشِيُّ:

إِنِّي أَمْرٌ يُذُبُّ عَنْ حَرِيمِي جِلْمِي وَتَرْكِي اللَّوْمِ لِلَّئِيمِ
وَالْعِلْمُ أَحْمَى مِنْ يَدِ الظُّلْمِ

(١) مسلم بن الوليد هو الشاعر المشهور المعروف بصريح الغواني. وقد تقدمت ترجمته في
الحاشية رقم ٢ من ص ٤٢.

(٢) هو النابغة الجعدي؛ وقد تقدمت ترجمته.

وقال الأحنف: أَصَبْتُ الْحِلْمَ أَنْصَرَ لِي مِنَ الرِّجَالِ. قال أبو اليقظان: كان الْمُتَشَمِّسُ بْنُ معاويةَ عَمُّ الأحنفَ يَفْضُلُ فِي جِلْمِهِ عَلَى الأحنفَ قَبْلُ، فأمره أبو موسى أن يَقْسِمَ خَيْلاً فِي بني تميم فقسَمَها، فقال رجل من بني سعد: ما منعك أن تُعْطِنِي فرساً ووَثَبَ عَلَيْهِ فَمَرَشَ^(١) وَجْهَهُ، فقام إليه قوم ليأخذوه، فقال: دَعُونِي وإِياهُ، إني لا أُعَاذُ عَلَى واحدٍ، ثم انْطَلَقَ بِهِ إِلَى أَبِي موسى، فلما رآه أبو موسى سَأَلَهُ عما بوجهه فقال: دَعُ هذا ولكنِ ابْنُ عَمِّي سَاخِطٌ فَأَحْمِلْهُ عَلَى فرسٍ، ففعل.

قيل للأحنف: ما أَحْلَمَكَ قال: تَعَلَّمْتُ الْحِلْمَ مِنْ قيسٍ^(٢) بن عاصم المِنْقَرِي، بينا هو قاعِدٌ بِفَنَائِهِ مُحْتَبٍ بِكسائِهِ، أَتَتْهُ جِماعةٌ فِيهِمْ مَقْتُولٌ ومَكْتُوفٌ وقيل له: هذا ابْنُكَ قَتَلَهُ ابْنُ أَخِيكَ، فوالله ما حَلَّ حَبِوتِهِ حتَّى فرغ من كلامِهِ، ثم أَلْتَفَتَ إِلَى ابْنِ لَه فِي المَجْلِسِ، فقال له: قم فأطْلُقْ عَنِ ابْنِ عَمِّكَ وَوَارِ أَخَاكَ وَأَحْمِلْ إِلَى أمه مائةً مِنَ الإِبِلِ فَإِنَّهَا غَرِيبَةٌ، ثم أنشأ يقول:

[طويل]

إني أَمْرُؤُ لا شائِنٌ حَسْبِي. دَنْسٌ يُغَيِّرُهُ ولا أَفْنُ
مِنْ مَنَقَرٍ فِي بَيْتِ مَكْرُمَةٍ. وَالْغُصْنُ يَنْبُتُ حَوْلَهُ الْغُصْنُ
حُطَبَاءُ حِينَ يَقُولُ قَائِلُهُمْ. بِيضُ الْوَجْوهِ، أَعْفَةُ لُسْنُ
لا يَفْطَنُونَ لِعَيْبِ جَارِهِمْ. وَهُمْوا لِحَفْظِ جِوَارِهِ فُطْنُ^(٣)

ثم أَقْبَلَ عَلَى القاتِلِ فقال: قَتَلْتَ قَرَابَتَكَ، وَقَطَعْتَ رَجِمَكَ، وَأَقَلَلْتَ

(١) مَرَشَ وَجْهَهُ: خَدَّشَهُ.

(٢) قيس بن عاصم المِنْقَرِي السعدي التميمي أحدُ أمراء العرب الموصوفين بِالْحِلْمِ والشجاعة. كان شاعراً مشهوراً فِي الجاهلية، وكان حَرَمَ عَلَى نَفْسِهِ الخمر. توفي نحو ٢٠ هـ. الأعلام ج ٥

ص ٢٠٦.

(٣) وردت هذه الأبيات فِي العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٧٧).

عَدَدَكَ، لَا يُبْعِدُ اللَّهُ غَيْرَكَ. وفي قيس بن عاصم يقول عَبْدَةُ بْنُ الطَّيِّبِ^(١)،
إِسْلَامِي: [طويل]

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا
تَجِيَّةً مَنْ أَلْبَسَتْهُ مِنْكَ نِعْمَةً إِذَا زَارَ عَنْ شَحْطٍ بِلَادَكَ سَلَمَا
وَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلُكُهُ هُلُكٌ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهْدَمَا

وقال الأحنف: لقد آختلفنا إلى قيس بن عاصم في الحِلْمِ كما نَخْتَلِفُ
إلى الفقهاء في الفقه. شتم رجل الأحنف وجعل يتبعه حتى بلغ حَيَّه، فقال
الأحنف: يا هذا، إن كان بقي في نفسك شيء فهايته وأنصرف لا يَسْمَعُكَ
بعض سُفَهَائِنَا فَتَلْقَى مَا تَكْرَهُ. شتم رجل الحسن وأرَبَى عليه، فقال له: أَمَا
أَنْتَ فَمَا أَبْقَيْتَ شَيْئاً، وما يعلم الله أكثر. قال بعض الشعراء: [بسيط]

لَنْ يُدْرِكَ الْمَجْدَ أَقْوَامٌ وَإِنْ كَرُمُوا حَتَّى يَذِلُّوا - وَإِنْ عَزُّوا - لِأَقْوَامٍ
وَيُسْتَمْتَمُوا فَتَرَى الْأَلْوَانَ مُشْرِقَةً لَا صَفْحَ ذُلٍّ وَلَكِنْ صَفْحُ أَحْلَامٍ

قال: حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: لَا يَكَادُ يَجْتَمِعُ عَشْرَةٌ إِلَّا
وَفِيهِمْ مُقَاتِلٌ وَأَكْثَرُ، وَيَجْتَمِعُ أَلْفٌ لَيْسَ فِيهِمْ حَلِيمٌ. ابن عُيَيْنَةَ قال: كَانَ عُرْوَةُ
ابن الزُّبَيْرِ إِذَا أَسْرَعَ إِلَيْهِ رَجُلٌ بِشْتَمٍ أَوْ قَوْلٍ سَيِّئٍ لَمْ يُجِبْهُ وَقَالَ: إِنِّي أَتْرُكُكَ
رَفْعاً لِنَفْسِي عَنْكَ، فَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ كَلَامٌ، فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ
لَهُ عَلِيٌّ: خَفِضْ عَلَيْكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ فَإِنِّي أَتْرُكُكَ الْيَوْمَ لِمَا كُنْتَ تَتْرُكُ لَهُ النَّاسَ.

قال: حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: قال رجل: لِمَثَلِ هَذَا الْيَوْمِ
كُنْتُ أَدْعُ الْفُحْشَ عَلَى الرِّجَالِ، فَقَالَ لَهُ خَصْمُهُ: فَإِنِّي أَدْعُ الْفُحْشَ عَلَيْكَ

(١) عَنَّةُ بْنُ يَزِيدَ (الطَّبِيبُ) شَاعِرُ فَحْلٍ مِنْ تَمِيمٍ وَمِنْ مَخْضَرَمِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ. كَانَ أَسْوَدَ
شَجَاعاً وَكَانَتْ وَفَاتُهُ نَحْوَ ٢٥ هـ. الأعلام ج ٤ ص ١٧٢.

اليومَ لما تركته أنتَ له قبل اليوم. وأغلظَ عبدٌ لسيده، فقال: إني أَصْبِرُ لهذا الغلامِ على ما تَرَوْنَ لأَرْوِضَ نفسي بذلك، فإذا صَبَرْتُ للمملوكِ على المكروهِ كَانَتْ لغير المملوكِ أَصْبَرُ.

كَلَّمَ عمر بن عبد العزيز رجلاً من بني أمية وقد وَلَدَتْهُ نساء بني مُرَّة فعاب عليه جَفَاءً رآه منه، فقال: قَبِّحَ اللهُ شَبَهًا غلب عليك من بني مُرَّة، وبلغ ذلك عَقِيلَ بن عُلْفَةَ المُرِّي وهو بَجَنَفَاءَ من المدينة على أُميال في بلد بني مُرَّة، فركب حتى قَدِمَ على عمر وهو بِذِيرِ سَمْعَانَ، فقال: هيه يا أمير المؤمنين! بلغني أنك غضبتَ على فتى من بني أبيك، فقلت: قبح الله شَبَهًا غلب عليك من بني مُرَّة، وإني أقول: قَبِّحَ اللهُ أَلَّامَ طرفيه، فقال عمر: دَعْ، ويَحْكُ، هذا وهات حاجتَكَ. فقال: والله ما لي حاجة غير حاجته، وولَّى راجعاً من حيث جاء، فقال عمر: يا سبحان الله! من رأى مثل هذا الشيخ؟ جاء من جَنَفَاءَ ليس إلَّا يَشْتِمُنَا ثم أنصرف! فقال له رجل من بني مُرَّة: إنه والله يا أمير المؤمنين ما شتمك وما شتم إلا نفسه، نحن والله أَلَّامَ طرفيه.

المدائني قال: لما عزل الحجاج أمية بن عبد الله عن خراسان أمر رجلاً من بني تميم فعابه بخراسان وشَنَّعَ عليه، فلما قفل لقيه التميمي فقال: أصلح الله الأمير لا تَلُمْنِي فَإِنِّي كُنْتُ مَأْمُورًا، فقال: يا أخا بني تميم أَوْ حَدَّثْتُكَ نَفْسُكَ أَنِّي وَجَدْتُ عَلَيْكَ؟ قال: قد ظننتُ ذاك، قال: إن لنفسك عندك قَدْرًا! كان يقال: طَيَّرُوا دِمَاءَ الشَّابَابِ فِي وجوههم. ويقال: الغضبُ غُولُ الحلم؛ ويقال: القدرة تُذهِبُ الحَفِيفَةَ. وكتب كِسْرَى أَبْرُويز إلى ابنه شِيرَوِيَّة من الحبس: إن كلمة منك تَسْفِكُ دَمًا، وإن كلمة أخرى منك تَحْقِنُ دَمًا، وإن سَخَطَكَ سيوفٌ مسلولةٌ على مَنْ سَخَطْتَ عليه، وإن رضاك بركة مستفيضة على مَنْ رَضِيتَ عنه، وإن نَفَازَ أَمْرِكَ مع ظهور كلامك، فأحترس في غضبك

من قولك أن يُخطيء ومن لونك أن يتغير ومن جسدك أن يخف، وإن الملوك
تُعاقب قُدرةً وحزمًا، وتعفو تفضلاً وحلمًا، ولا ينبغي للقادر أن يُستخف ولا
للحليم أن يزهو، وإذا رضيته فأبلغ بمن رضيته عنه يحرض من سواه على
رضاك، وإذا سخطت فصع من سخطت عليه يهرب من سواه من سخطك،
وإذا عاقبت فأنهك^(١) لئلا يتعرض لعقوبتك، وأعلم أنك تجل عن الغضب وأن
غضبك يصغر عن ملكك، فقدّر لسخطك من العقاب كما تُقدّر لرضاك من
الثواب. قال محمد^(٢) بن وهيب:

[طويل]

لئن كنت محتاجاً إلى الحلم إنني إلى الجهل في بعض الأحيان أخرج
ولي فرسٌ للحلم بالحلم ملجئ
فمن رام تقويمي فإني مُقوّم
ولكنني أَرْضَى بالجهل مُسَرَّجٌ
وما كنت أَرْضَى الجهل خِذناً^(٣) وصاحباً
وأمكن من بين الأسنة مخرج
وإن قال بعض الناس فيه سماجة
فقد صدقوا، والذل بالحر أسمع

وقال ابن المقفع: لا ينبغي للملك أن يغضب لأن القدرة من وراء
حاجته، ولا يكذب لأنه لا يقدر أحد على استكراهه على غير ما يريد، ولا
يخجل لأنه لا يخاف الفقر، ولا يحقد لأن خطره قد جلّ عن المجازاة. قال
سويد بن الصامت^(٤):

(١) نهك السلطان: بالغ في العقوبة.

(٢) محمد بن وهيب الحميري شاعر مطبوع مكثّر ومن شعراء الدولة العباسية. كان يتشيع وله
مراثٍ في أهل البيت. توفي نحو ٢٢٥ هـ. الأعلام ج ٧ ص ١٣٤.

(٣) الخدّن: الصاحب والرفيق.

(٤) سويد بن الصامت شاعر من أهل المدينة، اشتهر في الجاهلية وأدرك الإسلام وهو شيخ كبير.
قتله الخزرج قبل الهجرة. الأعلام ج ٣ ص ١٤٥.

[كامل]

إني إذا ما الأمرُ بُيِّنَ شَكُّهُ وَبَدَتْ بصائره لمن يتأملُ
أدُعُ التي هي أرفق الحالات بي عند الحفيظة للتي هي أجمل

أتى عمر بن عبد العزيز رجلٌ كان واجداً عليه، فقال: لولا أنني غضبان لعاقبتُك، وكان إذا أراد أن يعاقب رجلاً حبسه ثلاثة أيام، فإذا أراد بعد ذلك أن يعاقبه عاقبه، كراهة أن يعجل عليه في أول غضبه. وأسمعه رجل كلاماً فقال له: أردت أن يستفزني الشيطان بعز السلطان فأنال منك اليوم ما تناله مني غداً، انصرف رحمك الله.

قال لقمان الحكيم: ثلاث من كن فيه فقد آستكمل الإيمان: من إذا رضي لم يخرجه رضاه إلى الباطل، وإذا غضب لم يخرج غضبه من الحق، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له. وقال لابنه: إن أردت أن تؤاخي رجلاً فأغضبه، فإن أنصفك في غضبه وإلا فذعه.

خطب معاوية يوماً فقال له رجل: كذبت، فنزل مغضباً فدخل منزله، ثم خرج عليهم تقطرٌ لحيته ماءً، فصعد المنبر فقال: أيها الناس، إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان من النار، فإذا غضب أحدكم فليطفئه بالماء، ثم أخذ في الموضع الذي بلغه من خطبته. وفي الحديث المرفوع: «إذا غضب أحدكم فإن كان قائماً فليقعُدْ وإن كان قاعداً فليضطجع». وقال الشاعر: [بسيط]

أحذر مغايظ أقوامٍ ذوي أنفٍ إن المغيظ جهول السيف مجنون

وقال عمر بن عبد العزيز: متى أشفي غيظي؟ أحين أقدر فيقال لي: لو عفوت، أو حين أعجز فيقال لي: لو صبرت؟. والعرب تقول: «إن الرثيثة مما

يَقْتَأُ الْغَضَبَ^(١) والرثيئة اللبن الحامض يُصَبُّ عليه الحليب، وهو أطيب اللبن.
 كان المنصور ولَّى سَلَمَ بن قتيبة البصرة وولى مولى له كُورَ البصرة
 والأبلة^(٢)، فورد كتاب موله أَنَّ سَلَمًا ضربه بالسَّياط، فاستشاط المنصور وقال:
 عليّ تجراً سَلَمُ! لأجعلنّه نَكَالاً، فقال ابن عيَّاش - وكان جريئاً عليه -: يا
 أمير المؤمنين، إن سَلَمًا لم يضرب مولاك بقوَّته ولا قوَّة أبيه، ولكنك قلَّدته سيفك
 وأصعدته منبرك، فأراد مولاك أن يُطاطىء منه ما رفعت ويُفسد ما صنعت، فلم
 يحتمل ذلك. يا أمير المؤمنين، إن غَضَبَ العربي في رأسه، فإذا غضب لم
 يهدأ حتى يُخرجه بلسان أو يدٍ، وإن غَضَبَ النبطي في آسته، فإذا غضب
 وخرىء^(٣) ذهب غضبه، فضحك أبو جعفر وقال: فعل الله بك يا متوف وفعل،
 فكفَّ عن سَلَمٍ.

كان يقال: إياك وعِزَّة الغضب فإنها مُصِيرُكَ إلى ذلِّ الاعتذار. قال
 بعض الشعراء:

[بسيط]

النَّاسُ بَعِيدُكَ قَدْ خَفَّتْ حُلُومُهُمْ كَأَنَّمَا نَفَخَتْ فِيهَا الْأَعَاصِيرُ
 أبو بكر بن عيَّاش عن الأعمش قال: كنت مع رجل فوقع في إبراهيم.
 فأتيت إبراهيم فأخبرته وقلت: والله لَهَمَّمْتُ به، فقال: لعل الذي غضبت له لو
 سمعه لم يقل شيئاً.

(١) قَتَأَ الرَّجُلُ الْغَضَبَ: كسر جِدَّتَه وسكَّنه بقول أو غيره. ولقد ورد هذا المثل في لسان العرب
 مادة (قَتَأَ) وفي مجمع الأمثال للميداني هكذا:

«إن الرثيئة تَقْتَأُ الْغَضَبَ». ومعنى المثل: إن الهدية ولو كانت يسيرة تستجلب الرضى. وهو
 مثل يضرب في اليسير من البرِّ. وأصله أن رجلاً كان غضب على قوم، وكان، مع غضبه،
 جائعاً فسقوه رثيئة، فسكن غضبه وكفَّ عنهم.

(٢) الْأَبْلَةُ: بلدة قديمة على أربعة فراسخ من البصرة وقد تقدمت ترجمتها.

(٣) خَرِيءٌ يَخْرَأُ: تَغَوَّطَ وسلح فهو خَارِيءٌ.

باب العزّ والذلّ والهية

أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: حدّثنا عمر بن السّكن قال: قال سليمان ابن عبد الملك ليزيد بن المهلب: فيمنّ العزّ بالبصرة؟ فقال: فينا وفي حلفائنا من ربيعة، فقال عمر بن عبد العزيز: ينبغي أن يكون العزّ فيمن تُحوّلَ عليه يا أمير المؤمنين. قالت قريّة: إذا كنت في غير قومك فلا تنس نصيبك من اللّذة. قال رجل من قريش لشيخ منهم: علّمني الجلم، قال: هو، يا ابن أخي، الذلّ، أفَتَصْبِرُ عليه؟ وقال الأحنف: ما يسرّني بنصيب من الذلّ حمُرُ النّعم، فقال له رجل: أنت أعزّ العرب، فقال: إن الناس يروّون الجلم ذلاً، فقلت ما قلت على ما يعلمون.

وقرأت في كتاب للهند أن الريح العاصف تحطّم دَوَحَ الشجر ومُشِيدَ البنيان ويسلم عليها ضعيفُ النبت ليلينه وتثنيه. ويقال في المثل: «تَطَاطَأَ لها تُخْطِطُكَ»، وقال زيد^(١) بن عليّ بن الحسين حين خرج من عند هشام مُغَضَباً: ما أَحَبَّ أَحَدٌ قَطُّ الحِياةَ إلّا ذُلًّا؛ وتمثّل:

[سريع]

شَرَّدُهُ الخَوْفُ وَأَزْرَى بِهِ	كَذَاكَ مَنْ يَكْرَهُ حَرَّ الْجِلَادِ
مَنْخَرُ الْخُفَيْنِ يَشْكُو الْوَجَى	تَنْكِبُهُ أَطْرَافُ مَرُوءٍ ^(٢) حِدَادٍ
قَدْ كَانَ فِي الْمَوْتِ لَهُ رَاحَةٌ	وَالْمَوْتُ حَتَمٌ فِي رِقَابِ الْعِبَادِ

وقال المتلمس^(٣):

- (١) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، إمام وخطيب بني هاشم. كانت إقامته بالكوفة وإليه تنسب الطوائف الزيدية. توفي سنة ١٢٢ هـ. الأعلام ج ٣ ص ٥٩.
- (٢) المَرُوءُ: حجارة بيض رقاق.
- (٣) المتلمس هو جرير بن عبد العزى، من ربيعة، شاعر جاهلي من أهل البحرين، وخال طرفة بن العبد، توفي نحو ٥٠ ق هـ. الأعلام ج ٢ ص ١١٩.

[بسيط]

والمرء ينكره والجسرة الأجد^(١)
إلا الحمار حمار الأهل والوتد

[بسيط]

صوتي إذا ما آعترتني سورة الغضب

[طويل]

فكل ما علفت من خبيث وطيب

[طويل]

فإن معشر جادوا بعرضك فأبخل
غليظاً فلا تنزل به وتحول
أتوك على قربانهم بالمثل
يقال له بالعرب أدبر وأقبل

[مقارب]

على نأيها وسراة الرباب
تحفون قبته بالقياب
ويقتلکم مثل قتل الكلاب
لقد نزعَت للمياه العذاب

إن الهوان، حمار البيت يعرفه

ولا يقيم بدار الذل يعرفها

وقال الزبير^(٢) بن عبد المطلب:

ولا أقيم بدار لا أشد بها

وقال آخر:

إذا كنت في قوم عدا لست منهم

وقال العباس^(٣) بن مرداس:

أبلغ، أبا سلم، رسولا نصيحة
وإن بوؤوك منزلاً غير طائل
ولا تطعمن ما يعلفونك إنهم
أراك إذن قد صرت للقوم ناضحاً

وقال آخر:

فأبلغ لديك بني مالك
بأن أمراً أنتمو حوله
يُهين سراتكمو عامداً
فلو كنتمو إبلاً أملحت^(٤)

(١) الجسرة: الناقة. والأجد: القوة الموثقة الخلق المتصلة فقار الظهر.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) العباس بن مرداس السلمي شاعر فارس من سادات قومه. أمه الخنساء الشاعرة. أدرك الجاهلية والإسلام، وكان ممن ذم الخمر وحرّمها في الجاهلية. توفي نحو ١٨ هـ. الأعلام ج ٣ ص

٢٦٧.

(٤) أملحت الإبل: وردت ماء ملحاً.

ولكنكم غنم تصطفى ويترك سائرهما للذئاب

وقال آخر:

تالله لولا أنكسارُ الرمح قد علموا ما وجدوني ذليلاً كالذي أجدُ
قد يُحطّم الفحلُ قسراً بعد عزّته وقد يُردّ على مكروهه الأسدُ

وقال بعض العبدّين:

ألا أبْلِغَا خُلَّتِي راشداً وصنوي قديماً إذا ما اتّصلُ
بأنّ الدقيق يهيجُ الجليلَ وأنّ العزيز إذا شاء ذلُّ
وأنّ الحزامة أن تصرفوا لحيّ سوانا صُذور الأسَلُ
فإن كنت سيّدنا سُدّتنا وإن كنت للخال فاذهب فخلُ

وقال البغيث^(١):

ولو تُرمى بلؤم بني كليب نجوم الليل ما وصحت لِساري
ولو ليس النهار بنوكليب لدنس لؤمهم وضح النهار
وما يغدو عزيزُ بني كليب ليطلب حاجةً إلا بجارٍ

جاور ابنُ سيّابة مولى بني أسد قوماً فأزعجوه، فقال لهم: لِمَ تُزعجونني من جواركم؟ فقالوا: أنت مُريب، فقال: فمن أذلّ من مريب ولا أحسنُ جواراً. أبو عبيدة عن عوانة قال: إذا كنت من مُضِرٍ ففاخر بكنانة وكاثر بتميم وألق بقيس، وإذا كنت من قحطان فكاثر بقضاعة وفاخر بمذحج وألق بكلب، وإذا كنت من ربيعة ففاخر بشيخان وألق بشيخان وكاثر بشيخان. كان يقال: مَنْ أراد عزّاً بلا عشيرة وهيبةً بلا سلطان فليخرج من ذلّ معصية الله إلى عز طاعة

(١) تقدمت ترجمته.

الله . قيل لرجل من العرب : من السيدُ عندكم ؟ قال : الذي إذا أقبل هَبْنَاهُ وإذا أدبر آغْتَبْنَاهُ . ونحوه قول مسلم^(١) :

[طويل]

وكم مِنْ مُعِدٍّ فِي الضَّمِيرِ لِي الْأَذَى رَأَى فَأَلْقَى الرُّعْبُ مَا كَانَ أَضْمَرَا
وقال أيضاً :

[بسيط]

يَا أَيُّهَا الشَّائِمِي عِرْضِي مُسَارَقَةٌ أَغْلِنْ بِهِ ، أَنْتَ إِنْ أَعْلَنَتَهُ الرَّجُلُ
ومن أحسن ما قيل في الهية :

[بسيط]

فِي كَفِّهِ خَيْرَانُ رِيحُهَا عَبِقُ مِنْ كَفِّ أَرْوَغٍ فِي عِرْيَيْنِهِ شَمَمُ
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ^(٢)
وقال ابن هرمة^(٣) في المنصور :

[طويل]

لَهُ لَحَظَاتٌ عَنْ جَفَافِي^(٤) سَرِيرِهِ إِذَا كَرَّهَا فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلُ
فَأُمُّ الَّذِي آمَنْتَ آمِنُهُ الرَّدَى وَأُمُّ الَّذِي أَوْعَدْتَ بِالثُّكُلِ ثَاكِلُ
كَرِيمٌ لَهُ وَجْهَانِ وَجْهُ لَدَى الرُّضَا أَسِيلُ ، وَوَجْهٌ فِي الْكَرِيهَةِ بَاسِلُ^(٥)
وَلَيْسَ بِمُعْطِي الْعَفْوِ عَنْ غَيْرِ قَدْرَةٍ وَيَعْفُو إِذَا مَا أَمَكَّتَهُ الْمَقَاتِلُ

[مجزوء الكامل]

وقال آخر في العفو بعد القدرة :
أَسَدٌ عَلَى أَعْدَائِهِ مَا إِنْ يَلِينُ وَلَا يَهُونُ
فَإِذَا تَمَكَّنَ مِنْهُمْ فَهَنَّاكَ أَحْلَمُ مَا يَكُونُ

(١) هو مسلم بن الوليد ، وقد تقدمت ترجمته .

(٢) هذا الشعر منسوب للفرزدق قاله في مدح زين العابدين .

(٣) مرت ترجمته .

(٤) جفافا السرير : جانباه .

(٥) أي وجه أسيل في أيام السلم وباسل في أيام الحرب .

وقال آخر^(١) في مالك بن أنس:

[كامل]

يأبى الجواب فما يُراجع هَيْبَةً والسائلون نَوَاكِسُ الأَذْقَانِ
هَذِي الثَّقِي وَعِزُّ سُلْطَانِ الثَّقِي فهو الْمُطَاع وليس ذا سُلْطَانِ

وقال آخر^(٢):

[كامل]

وَإِذَا الرِّجَالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأَيْتَهُمْ خُضَعَ الرِّقَابُ نَوَاكِسَ^(٣) الأَبْصَارِ

وقال أبو نواس:

[سريع]

أُضْمِرُ فِي الْقَلْبِ عِتَاباً لَهُ فَإِنْ بَدَأَ أُنْسِيْتُ مِنْ هَيْبَتِهِ
أَلَمَدَانِي قَالَ: قَالَ ابْنُ شُبْرُمَةَ الْقَاضِي لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، لَا تُمَكِّنِ النَّاسَ
مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنْ أَجْرَأَ النَّاسَ عَلَى السَّبَاعِ أَكْثَرُهُمْ لَهَا مُعَايَنَةً. قِيلَ لِأَعْرَابِي:
كَيْفَ تَقُولُ: اسْتَخْذَأْتُ أَوْ اسْتَخْذَيْتُ؟ قَالَ: لَا أَقُولُهُ، قِيلَ: وَلِمَ؟ قَالَ: لِأَنَّ
العَرَبَ لَا تَسْتَخْذِي. وَكَانَ يُقَالُ: إِصْفَحْ أَوْ أَدْبَحْ.

باب المروءة

فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ: قَامَ رَجُلٌ مِنْ مُجَاشِعٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ، أَلَسْتُ أَفْضَلَ قَوْمِي؟ فَقَالَ: «إِنْ كَانَ لَكَ عَقْلٌ فَلَكَ فَضْلٌ، وَإِنْ كَانَ
لَكَ خُلُقٌ فَلَكَ مَرْوَةٌ، وَإِنْ كَانَ لَكَ مَالٌ فَلَكَ حَسَبٌ، وَإِنْ كَانَ لَكَ ثَقَفٌ فَلَكَ

(١) الشاعر هو عبد الله بن المبارك بن واضح التميمي كما في العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٢١) وشيخ الإسلام وأول من صنف كتاباً في الجهاد. توفي سنة ١٨١ هـ. الأعلام ج ٤ ص ١١٥.

(٢) الشاعر هو الفرزدق، وقد تقدمت ترجمته.

(٣) النواكس: ج ناكس على غير القياس؛ لأنه لا يقال في المذكر «فواعل» كالمؤنث إلا في موضعين: فوارس وهوالك، ولكن الشاعر اضطر في الشعر فأخرج «نواكس» عن الأصل؛ ولولا الضرورة ما جاز له. هكذا علله ذلك أبو العباس محمد بن يزيد النحوي في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٨٨).

دين» وفيه أيضاً: «إن الله يُحِبُّ مَعَالِيَ الأمور ويكره سَفْسَافَهَا». روى كثير بن هشام عن الحكم بن هشام الثَّقَفِيُّ قال: سمعتُ عبد الملك بن عُمير يقول: إن من مروءة الرجل جلوسه ببابه. قال الحسن: لا دَيْنَ إلا بمروءة. قيل لابن هبيرة: ما المروءة؟ قال: إصلاح المال، والرِّزَانَةُ في المجلس، والغذاء والعشاء بالفناء. قال إبراهيم: ليس من المروءة كثرة الالتفات في الطريق ولا سرعة المشي. ويقال: سرعة المشي تُذهب بهاء المؤمن.

قال معاوية: المروءة ترك اللذة. وقال لعمرو: ما ألدُّ الأشياء؟ فقال عمرو: مرُّ أحداث قريش أن يقوموا، فلما قاموا قال: إسقاط المروءة. قال جعفر بن محمد عن أبيه: قال قال رسول الله ﷺ: وَرَوُّا لذوي المروءات عن عَثَرَاتِهِمْ، فوالذي نفسي بيده إنَّ أحدهم ليعثر وإنَّ يده لفي يد الله. كان عروة ابن الزبير يقول لولده: يا بُنَيَّ، إلبوا، فإنَّ المروءة لا تكون إلا بعد اللعب. قيل للأحنف: ما المروءة؟ فقال: العِفَّةُ والحِرْفَةُ. قال محمد بن عمران التَّيْمِيُّ: ما شيءٌ حَمَلًا عليَّ من المروءة، قيل: وأي شيء المروءة؟ قال: لا تعمل شيئاً في السِّرِّ تستحي منه في العلانية. وقال زهير في نحو هذا:

[كامل]

السُّرُّ دون الفاحشات، ولا يَلْقَاكَ دون الخيرِ مِنْ سِتْرِ

وقال آخر:

[طويل]

فَسِرِّي كإعلاني، وتلك خليقتي وظلمة ليلى مثل ضوء نهاريا

قال عمر بن الخطاب: تعلّموا العربية فإنها تزيد في المروءة، وتعلّموا النسبَ فربُّ رَجَمٍ مجهولة قد وُصِلت بنسبها. قال الأصمعي: ثلاثة تحكّم

لهم بالمروءة حتى يُعرفوا: رجل رأيته راكباً، أو سمعته يُعرب، أو شِمت منه رائحة طيبة. وثلاثة تحكم عليهم بالدناءة حتى يُعرفوا: رجل شِمت منه رائحة نبيذ في محفل، أو سمعته يتكلم في مصرٍ عربيٍّ بالفارسية، أو رأيته على ظهر الطريق ينازع في القدر. قال ميمون ابن ميمون: أول المروءة طلاقة الوجه، والثاني التودد، والثالث قضاء الحوائج. وقال: من فاته حسب نفسه لم ينفعه حسب أبيه. قال مسلمة بن عبد الملك: مروءتان ظاهرتان: الرياسة والفصاحة. وقال عمر بن الخطاب: المروءة الظاهرة الثياب الطاهرة. قالوا: كان الرجل إذا أراد أن يشين جاره طلب الحاجة إلى غيره. وقال بعض الشعراء:

نومُ الغداةِ وشربُ بالعَشِيَّاتِ موكلان بتهديم المروءاتِ

باب اللباس

حدّثني محمد بن عبيد قال: حدّثنا ابن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة عن طاوس عن ابن عباس، قال: كُلُّ ما شئتَ وألبسَ ما شئتَ إذا ما أخطأك شيئان: سَرَفٌ أو مَخِيلَةٌ.

قال: حدّثني يزيد بن عمرو قال: حدّثنا آل المنهال بن حمّاد عن خارجة ابن مُصعب عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن أبيه، قال: كانت ملحفة رسول الله ﷺ التي يلبسُ في أهله مُورسة^(١) حتى إنها لتردّع^(٢) على جلده.

حدّثني أبو الخطاب قال: حدّثنا أبو عتاب قال: حدّثنا المختار بن نافع عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن عليّ قال: رأيت لعمر بن الخطاب، رضي الله

(١) مُورسة: مصبوغة بالورس (نبات كالسمسم أصفر يزرع باليمن ويصنع به).

(٢) ترّدّع على جلده: تنفض صبغها.

عنه، إزاراً فيه إحدى وعشرون رُقعة من أدم ورقعة من ثيابنا.

حدَّثنا الزِّيَادِيُّ قال: حدَّثنا عبد الوارث بن سعيد عن الجريري عن ابن عباس، قال: رأيت عمر بن الخطاب يطوف بالبيت وإزاره مرقوع بأدم. نظر معاوية إلى النخار العُذْرِيَّ المناسب في عباءة فأزدراه في عباءة، فقال: يا أمير المؤمنين، إن العباءة لا تكلِّمك وإنما يكلِّمك مَنْ فيها. قال سُحَيْم^(١) بن وثيل:

أَلَا لَيْسَ زَيْنُ الرَّحْلِ قِطْعاً يُمَزَّقُ وَلَكِنْ زَيْنُ الرَّحْلِ يَأْمِي رَاكِبَهُ

[منسرح]

وقال آخر

إِيَّاكَ أَنْ تَزْدَرِي الرِّجَالَ فَمَا يُدْرِيكَ مَاذَا يُكِنُّهُ الصَّدْفُ
نَفْسُ الْجَوَادِ الْعَتِيقِ بَاقِيَةٌ يَوْمًا وَإِنْ مَسَّ جِسْمَهُ الْعَجْفُ
وَالْحَرُّ خُرٌّ وَإِنْ أَلَمَ بِهِ الضُّ رٌ وَفِيهِ الْعَفَافُ وَالْأَنْفُ

[بسيط]

وقال آخر من المحدثين:

تَعَجَّبْتُ دُرٌّ مِنْ شَيْبِي فَقُلْتُ لَهَا لَا تَعْجَبِي قَدْ يَلُوحُ الْفَجْرُ فِي السَّدْفِ^(٢)
وَزَادَهَا عَجْبًا أَنْ رُحْتُ فِي سَمَلٍ^(٣) وَمَا دَرْتُ دُرٌّ أَنَّ الدَّرَّ فِي الصَّدْفِ

حدَّثني أبو حاتم عن الأصمعي أن ابن عون اشترى بُرْنُسًا من عمر بن أنس بن سيرين فمرَّ على معاذة العدوية، فقال: أمثلك يلبس هذا! قال: فذكرت ذلك لابن سيرين فقال: ألا أخبرتها أن تميمًا الداري اشترى حلةً بألفٍ يُصَلِّي فيها؟

حدَّثني أحمد بن الخليل قال: حدَّثنا مُصْعَبُ بن عبد الله من ولد عبد

(١) مرت ترجمته .

(٢) دُرٌّ: إسم محبوبه الشاعر. والسَّدْفُ: الظلمة والليل.

(٣) السَّمَلُ: الماء القليل، والمفرد سَمَلَةٌ.

الله بن الزبير عن أبيه قال: أخبرني إسماعيل بن عبد الله بن جعفر عن أبيه قال: رأيت رسول الله ﷺ عليه ثوبان مصبوغان بالزعفران: رداءً وعمامةً.

حدّثني محمد بن عبيد قال: حدّثنا علي بن عاصم قال: أخبرنا أبو إسحاق الشَّيباني قال: رأيتُ محمد بن الحنفية واقفاً بعرفات على بِرْدُونٍ^(١) عليه مُطْرَفٌ خَزٌّ أَصْفَرُ.

حدّثني الرياشي عن الأصمعي عن حَفْص بن الْفَرَاصَةِ قال: أدركتُ وجوهَ أهل البصرة، شقيقَ بن ثُورَ فمن دونه وأنيئُهم في بيوتهم الجِفَانُ والعَسَسَةُ فإذا قعدوا بأفئيتهم لَبَسُوا الأكْسِيَّةَ وإذا أتوا السلطانَ ركبوا ولبسوا المَطَارِفَ.

قَدِمَ حمَّادُ بن أبي سليمان البصرة فجاءه فَرَقْدُ السَّبْخِيّ وعليه ثيابُ صوفٍ فقال حماد: ضَعْ نصرانيتك هذه عنك، فلقد رأيتنا ننتظر إبراهيمَ فيخرج علينا وعليه مُعَصْفَرَةٌ ونحن نرى أن المَيَّةَ قد حَلَّتْ له.

وروى زيد بن الحُبَاب عن الثَّوْرِيِّ عن آبن جُرَيْج عن عثمان بن أبي سليمان أن آبن عباس كان يرتدي رداءً بِالْفِ. قال مَعْمَر: رأيت قميصَ أيوبَ يكاد يَمَسُّ الأرض، فكلمته في ذلك فقال: إن الشهرة فيما مضى كانت في تذييل القميص وإنها اليوم في تشميره.

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: أخبرني بعض أصحابنا قال: جاء سَيَّارُ أبو الحَكَم إلى مالك بن دينار في ثيابٍ أشتَهرها^(٢) مالك، فقال له مالك: ما هذه الشَّهْرَةُ؟ فقال له سَيَّار: أتضعني عندك أم ترفعني؟ قال: بل تَضَعُكَ، قال: أراك تَنهاني عن التواضع، فنزل مالك فقعد بين يديه.

(١) الْبِرْدُون: دابة أو فرس غير أصيل.

(٢) اشتهرها: شنع بها.

قال أبو يعقوب الخُرَيْمِيُّ: أراد جعفر بن يحيى يوماً حاجة كان طريقه إليها على باب الأصمعيّ فدفَعَ إلى خادم كيساً فيه ألف دينارٍ وقال: إني سأُنزل في رجعتي إلى الأصمعيّ وسيحدّثني ويُضحِكُني فإذا ضحكْتُ فضع الكيسَ بين يديه، فلما رَجَعَ ودخل عليه رأى حُبّاً^(١) مكسور الرأس وجرة مكسورة العنق وقصعة مُشعّبة وجفنة أعشاراً وراه على مصلى بالٍ وعليه برّكان^(٢) أجرد فغمز غلامه ألا يضع الكيسَ بين يديه ولم يدع الأصمعيّ شيئاً مما يُضحِكُ الثَّكْلانَ إلا أوردّه عليه فما تنبَّسَ وخرج، فقال لرجل كان يُسايِرُه: «مَنْ أَسْرَعِي الذئبَ ظلم»، ومن زرع سَبْخَةً^(٣) حصَدَ الْفَقْرَ، فإني والله لو علِمْتُ أن هذا يَكْتُمُ المعروفَ بالفعل لما حَفَلْتُ نَشْرَهَ له باللسان، وأين يقع مدح اللسان من مدح آثار الغنى؛ لأن اللسان قد يكذب والحال لا تكذب. والله دُرُّ نُصَيْبٍ^(٤) حيث يقول:

فعاْجُوا فأنْتُوا بالذي أنت أهله ولو سَكْتُوا أثنتُ عليك الحَقَائِبُ^(٥)
ثم قال له: أَعْلِمْتُ أن ناووسَ أبرويزَ أمدحُ لأبرويزَ من شعر زهير لآل سِنَان.

قال ربيعة بن أبي عبد الرحمن: رأيتُ مشيخةً بالمدينة في زِيّ الفتيان لهم الغدائر وعليهم المورّد والمُعَصْفَرُ^(٦) وفي أيديهم المَخَاصِرُ وبها أثر الجناء، ودينٌ أحدهم أبعدُ من الثريّا إذا أريدَ دينُه. ذمّ أبْنُ التَّوَمِ رجلاً فقال: رأيته

(١) الحُبُّ: الجرة أو الضخمة من الجرار، والخابية فارسي مُعَرَّبٌ والجمع أحباب وحبيّة.

(٢) البرّكان: الكساء الأسود.

(٣) السَبْخَةُ: أرض ذات نَرٍّ وملح، والجمع سِباخ.

(٤) نُصَيْبُ بن رباح شاعر فحل مقدّم في النسيب والمدائح. له أخبار مع سليمان بن عبد الملك. توفي سنة ١٠٨ هـ. الأعلام ج ٨ ص ٣١ - ٣٢.

(٥) هذا البيت من جملة أبيات قالها نصيب في مدح سليمان بن عبد الملك.

(٦) المُعَصْفَرُ: المصبوغ بالمُعَصْفَر (صبغ يسمى البهرمان والواحدة عُصْفَرَة).

مُشَحَّم النعلِ دَرَنَ الجَوْرَبِ^(١) مُغَضَّن الخفِّ دَقِيقَ الخِزَامَةِ. أنشد ابن الأعرابي^(٢):

فإن كنتَ قد أُعْطِيتَ خَزَاءً تَجُرُّهُ تَبَدَّلَتْهُ من فِروَةٍ وإِهَابِ
فلا تَأْيِسَنَّ أن تَمْلِكَ النَّاسَ إنَّني أرى أُمَّةً قد أدبرت لِذهَابِ

قال أيوب: يقول الثوب: أطوئي أجملك. هشام بن عروة عن أبيه قال: يقول المال: أرني صاحبي أعمّر، ويقول الثوب: أكرمني داخلاً أكرمك خارجاً. ويقال: لكل شيء راحة، فراحة البيت كنسه، وراحة الثوب طيه. قيل لأعرابي: إنك تُكثِرُ لبسَ العِمَامَةِ، فقال: إن عظماً فيه السَّمْعُ والبصرُ لجديرٌ أن يُكَنَّ من الحرِّ والقرِّ. ويقال: حُبَى العرب حيطانها، وعمائمها تيجانها. وذكروا العِمَامَةَ عند أبي الأسود الدؤلي فقال: جُنَّةٌ في الحرب، ومَكِنَّةٌ في الحرِّ والقرِّ، وزيادةٌ في القامة، وهي بَعْدُ عادةً من عادات العرب. وقال طلحة ابن عبيد الله: الدَّهْنُ يُذْهِبُ البؤْسَ، والكِسْوَةُ تُظْهِرُ الغِنَى، والإِحْسَانُ إلى الخادمِ مِمَّا يَكْبِتُ اللَّهُ به العدو.

أبو حاتم قال: حَدَّثَنَا العُتْبِيُّ قال: سمعت أعرابياً يقول: لقد رأيتُ بالبصرة بُرُوداً كأنما نُصِحتَ^(٣) بأنوار الربيع وهي تروغ، واللابسوها أروغ. قال يحيى بن خالد للعتابي في لباسه - وكان لا يُبالي ما لبس -: يا أبا علي، أخزى الله أمراً رضي أن يرفعه هيئته من جماله وماله، فإنما ذلك حظُّ الأدياء من الرجال والنساء، لا والله حتى يرفعه أكبراه: همته ونفسه، وأصغراه: قلبه

(١) الجَوْرَبُ: لفافة الرجل، معرب كورب بالفارسية، والجمع جوارب.

(٢) هو محمد بن زياد، وقد تقدمت ترجمته.

(٣) نَصَحَ الثوب: خاطه.

ولسانه. وفي الحديث المرفوع: «إن الله إذا أنعم على عبدٍ نعمةً أحبَّ أن يرى أثرها عليه». قال حبيب بن أبي ثابت: أن تعزَّ في خَصَفَةٍ خيرٌ لك من أن تدلَّ في مِطْرَفٍ^(١)، وما اقترضتُ من أحدٍ خيرٌ من أن اقترض من نفسي. قال عمرو^(٢) بن معدٍ يكرب:

[مجزوء الكامل]

ليس آجمالُ بمئزِرٍ فأعلم وإن رُدَّيتَ^(٣) بُردًا
إن آجمالُ معادنُ وموارثُ أوزُننَ مجداً

وقال ابن هرمة^(٤)

[منسرح]

لو كان حولي بنو أمية لم ينطق رجال إذا هموا نطقوا
إن جلسوا لم تضق مجالسهم أو ركبوا ضاق عنهم الأفق
كم فيهم من أخٍ وذو ثقةٍ عن منكبيه القميصُ منخرق
تجهَّم^(٥) عبود النساء إذا ما أحمرَّت تحت القوائس^(٦) الحدق
فريحهم عند ذاك أندى من آل مسك وفيهم لخابط ورَق

قال: حدَّثني أحمد بن إسماعيل قال: رأيتُ على أبي سعد المخزومي الشاعر كردوانياً مصبوغاً بسواد، فقلت له: يا أبا سعد، هذا خَزٌّ؟ فقال: لا، ولكنه دَعِيٌّ على دَعِيٍّ، وكان أبو سعد دَعِيًّا في بني مخزوم، وفيه يقول أبو البرق:

(١) الخَصَفَةُ: الثوب الغليظ جداً، والجمع خُصَفٌ وخِصاف. والمُطْرَفُ، بضم الميم وكسرهما، رداء من خَزٍّ مربع ذو أعلام، والجمع مطارف.

(٢) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٢ من ص ١٢٧.

(٣) رُدَّيتُ: إرتدَّيتُ.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) في الأصل «تجهَّم» وبذلك ينكسر الوزن.

(٦) القوائسُ: ج قَوْنِس (أعلى الرأس).

[مجزوء الهزج]

لَمَّا تَاهَ عَلَى النَّاسِ شَرِيفٌ يَا أَبَا سَعْدٍ
فِتْنُهُ مَا شِئْتُ إِذْ كُنْتُ بِلَا أَصْلٍ وَلَا جَدٍّ
وَإِذَا حَظُّكَ فِي النَّسَبِ بَيْنَ الْحُرِّ وَالْعَبْدِ
وَإِذَا قَازِفُكَ الْمُفْجِرُ شُ فِي أَمْنٍ مِنَ الْحَدِّ

قال عمر بن عبد العزيز لمؤدبه: كيف كانت طاعتي إياك وأنت تؤدبني؟ قال: أحسن طاعة، قال: فأطعني الآن كما كنت أطيعك، خذ من شاربك حتى تبدو شفتاك، ومن ثوبك حتى يبدو عقباك. وكيع قال: راح الأعمش إلى الجمعة وقد قلب فروة جلدها على جلده وصوفها إلى خارج، وعلى كتفيه منديل الخوان^(١) مكان الرداء. قال: حدثني أبو الخطاب عن أبي داود عن قيس عن أبي حصين قال: رأيت الشعبي يقضي على جلد. قال الأحنف: استجيدوا النعال فإنها خلاخيل الرجال. أبو الحسن المدائني قال: دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم في مدرعة صوف فقال له قتيبة: ما يدعوك إلى لبس هذه؟ فسكت، فقال له قتيبة: أكلّمك فلا تجيبني! قال: أكره أن أقول زهداً فأزكي نفسي، أو أقول فقراً فأشكو ربّي. قال ابن السّمّاك لأصحاب الصوف: والله إن كان لباسكم هذا موافقاً لسرائركم لقد أحببتم أن يطلع الناس عليها، وإن كان مخالفاً لها فقد هلكتم. وقال بعض المحدثين يعتذر من أظمار عليه:

[طويل]

فَمَا أَنَا إِلَّا السَّيْفُ يَأْكُلُ جَفَنَهُ^(٢) لَهُ حَلِيَّةٌ مِنْ نَفْسِهِ وَهُوَ عَاطِلٌ

(١) الخوان: بضم الخاء وكسرهما: ما يوضع عليه الطعام ليؤكل.

(٢) الهاء في «جفنة» تعود على السيف.

التَّخْتُمُ

قال: حَدَّثَنِي أَبُو الْخَطَّابِ زِيَادُ بْنُ يَحْيَى الْحَسَّانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ مَيْمُونٍ قَالَ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَخَتَّمُ فِي يَمِينِهِ.

قال: حَدَّثَنَا أَبُو الْخَطَّابِ قَالَ: حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ حَمَادٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو خَلْدَةَ خَالِدُ بْنُ دِينَارٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْعَالِيَةِ مَا كَانَ نَقْشُ خَاتَمِ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَالَ: «صَدَقَ اللَّهُ» قَالَ: فَأَلْحَقَ الْخُلَفَاءُ بَعْدَ «صَدَقَ اللَّهُ» «مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ».

قال أبو الخطاب: حَدَّثَنَا أَبُو عَتَّابٍ^(١) قَالَ: حَدَّثَنَا سَالِمُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى عَنْ نَافِعٍ عَنْ أَبِي عَمْرٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ الشَّيْءَ أُوثِقَ فِي خَاتَمِهِ خِيطاً.

حَدَّثَنِي أَبُو الْخَطَّابِ: قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَيْمُونٍ قَالَ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ ابْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ خَاتَمَ عَلِيٍّ كَانَ مِنْ وَرَقٍ نَقَشَهُ «نِعْمَ الْقَادِرُ اللَّهُ» كَانَ عَلَى خَاتَمِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ «عَلِمْتَ فَأَعْمَلْ». كَانَ نَقْشُ خَاتَمِ صَالِحِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ «تَبَارَكَ مَنْ فَخَّرَنِي بِأَنِّي لَهُ عَبْدٌ» وَنَقْشُ خَاتَمِ شَرِيحِ «الْخَاتَمُ خَيْرٌ مِنَ الظَّنِّ». وَنَقْشُ خَاتَمِ طَاهِرِ «وَضَعُ الْخَدُّ لِلْحَقِّ عِزُّ». وَكَانَ لِأَبِي نَوَاسٍ خَاتَمَانِ: أَحَدُهُمَا عَقِيقُ مَرْبَعٍ وَعَلَيْهِ:

تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا عَدَلْتُهُ بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمَا

وَالْآخِرُ حَدِيثُ صَيْنِي مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ: «الْحَسَنُ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصاً» فَأَوْصَى عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ يُقْلَعَ الْقَصُّ وَيُغْسَلَ وَيُجْعَلَ فِي فَمِهِ.

(١) هو سهل ابن حماد المذكور آنفاً.

باب الطَّيِّب

قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سَفِيَانُ بْنُ عَيِّنَةَ عَنْ عَاصِمِ الْأَحْوَلِ عَنْ أَبِي عَثْمَانَ النَّهْدِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ طَيِّبِ الرِّجَالِ مَا ظَهَرَ رِيحُهُ وَخَفِيَ لَوْنُهُ، وَخَيْرُ طَيِّبِ النِّسَاءِ مَا ظَهَرَ لَوْنُهُ وَخَفِيَ رِيحُهُ».

حَدَّثَنَا الْقُطَيْبِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا بِشْرٌ عَنْ أَبِي لَهَيْعَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي بُكَيْرٌ عَنْ نَافِعٍ أَنَّ أَبَانَ عَمْرٍو كَانَ يَسْتَجْمِرُ بِعُودٍ غَيْرِ مُطَرَّى وَيَجْعَلُ مَعَهُ الْكَافُورَ وَيَقُولُ: هَكَذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَجْمِرُ.

قال: حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ يَحْيَى قَالَ: حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ الرَّبِيعِ عَنْ يُونُسَ قَالَ: قَالَ أَبُو قِلَابَةَ: كَانَ أَبَانُ مَسْعُودٍ إِذَا خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ عَرَفَ جِيرَانَهُ ذَاكَ بِطَيِّبِ رِيحِهِ.

حَدَّثَنِي الْقُومَسِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ عَنْ شَقِيقٍ عَنْ الْأَعْمَشِ قَالَا: قَالَ أَبُو الضُّحَى: رَأَيْتُ عَلَى رَأْسِ أَبَانَ الزَّبِيرِ مِنَ الْمَسْكِ مَا لَوْ كَانَ لِي كَانَ رَأْسُ مَالٍ.

قال: حَدَّثَنِي أَبُو الْخَطَّابِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو قَتَيْبَةَ وَأَبُو دَاوُدَ عَنْ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدِ الْهَاشِمِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: رَأَيْتُ أَبَانَ عَبَّاسٍ حِينَ أَحْرَمَ وَالْغَالِيَةُ عَلَى صَلْعَتِهِ كَأَنَّهَا^(١) الرَّبُّ.

قال: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْخَلِيلِ عَنْ عَمْرٍو بْنِ عَوْنٍ عَنْ خَالِدٍ عَنْ عَمْرٍو ابْنِ يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ يَتَخَلَّقُ بِالْخَلُوقِ^(٢) ثُمَّ يَجْلِسُ فِي الْمَجْلِسِ.

(١) الغالية: أخلاط من الطَّيِّب، قيل: أول من سَمَّاهَا بِذَلِكَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَالْجَمْعُ غَوَالٍ. وَالرُّبُّ: سُلَاقَةٌ خُثَارَةٌ كُلُّ ثَمَرَةٍ بَعْدَ اعْتَصَارِهَا كَرُبِّ الْبَنْدُورَةِ وَمَا شَابَهُ.

(٢) الْخَلُوقُ: أَضْرَبَ مِنَ الطَّيِّبِ مَائِعٌ فِيهِ صَفْرَةٌ لِأَنَّ أَكْثَرَ أَجْزَائِهِ مِنَ الزَّرْعِ فَارٍ.

وحدَّثني أيضاً عن سُويد بن سعيد عن ضِمَام بن إِسماعيل عن عُمَار بن غَزِيَّة قال: لما أُولِمَ عمرُ بن عبد العزيز بفاطمة بنت عبد الملك أَسْرَجَ في مسارجه تلك الليلة الغالية.

قال: وحدَّثني عن أبي عبد الرحمن المقرئ عن سعيد بن أبي أيوب عن عبيد الله بن أبي جعفر عن الأعرج قال: قال أبو هريرة: قال النبي ﷺ: «لا تَرُدُّوا الطَّيِّبَ فإنه طَيِّبُ الرِّيحِ خَفِيفُ المَحْمِلِ».

قال: حدَّثني زيد بن أَرْحَم قال: حدَّثنا أبو داود قال: حدَّثنا أنس بن مالك قال: حدَّثنا عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه عن عائشة قالت: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى وَيِصص^(١) الطَّيِّبِ فِي مَقَارِقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُحَرِّمٌ. إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَكَمِ عَنْ أَبِيهِ. قال: قال عِكْرَمَة: كان أبْنُ عَبَّاسٍ يَطْلِي جَسَدَهُ بِالمَسْكِ إِذَا مَرَّ بالطريق قال الناس: أَمَرَّ أبْنُ عَبَّاسٍ أَمْ مَرَّ المَسْكُ؟ قال المُسَيَّب^(٢) بن عَلسٍ يمدح بني شيبان:

[متقارب]

تَبَيْتُ المَلُوكَ عَلَى عَثْبِهَا	وَشَيْبَانَ إِنْ غَضِبْتَ تُعْتَبُ
وَكَالشَّهْدِ بِالرَّاحِ أَحْلَامُهُمْ	وَأَحْلَامُهُمْ مِنْهُمَا أَعَذُبُ
وَكَالْمَسْكِ تُرْبُ ^(٣) مَقَامَاتِهِمْ	وَتُرْبُ قُبُورِهِمْ وَأَطْيَبُ

أَخَذَهُ العَبَّاسُ^(٤) بِنِ الأَخْنَفِ فَقَالَ:

[متقارب]

وَأَنْتَ إِذَا مَا وَطِئْتَ التَّرَا بَ صَارَ تُرَابُكَ لِلنَّاسِ طَيِّبَا

(١) وَيِصْصُ الطَّيِّبُ: بريقه ولمعانه.

(٢) المُسَيَّبُ بْنُ عَلسٍ بن مالك بن قمامة شاعر جاهلي من ربيعة بن نزار. وهو خال الأعشى ميمون. الأعلام ج ٧ ص ٢٢٥.

(٣) التُّرْبُ: التراب.

(٤) العباس بن الأخنف شاعر غزل رقيق، نشأ ببغداد وتوفي بها سنة ١٩٢ هـ. خالف الشعراء في طريقته فلم يمدح ولم يهجو بل كل شعره غزل وتشبيب. الأعلام ج ٣ ص ٢٥٩.

وقال كعب^(١) بن زهير يمدح قومًا: [بسيط]

أَلْمَطْعِمُونَ إِذَا مَا أَزْمَةُ أَزَمَتْ وَالطَّيِّبُونَ ثِيَابًا كُلَّمَا عَرَفُوا

وَأَنشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ^(٢): [طويل]

خَوْدٌ^(٣) يَكُونُ بِهَا الْقَلِيلُ تَمْسُهُ مِنْ طَيْبِهَا عِيقًا يَطِيبُ وَيَكْثُرُ

شَكَرَ الْكَرَامَةَ جِلْدُهَا فَصَفَا لَهَا إِنَّ الْقَبِيحَةَ جِلْدُهَا لَا يَشْكُرُ

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: ذُكِرَ لِأَيُّوبَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَقَشَّفُونَ فَقَالَ: مَا عَلِمْتُ أَنَّ الْقَدَرَ مِنَ الدِّينِ.

باب المجالس والجلساء والمحادثات

قَالَ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْخَلِيلِ عَنْ حَبَّانَ بْنِ مُوسَى قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ سُهَيْلٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الرَّجُلُ أَحَقُّ بِمَجْلِسِهِ إِذَا قَامَ لِحَاجَةٍ ثُمَّ رَجَعَ».

وَحَدَّثَنِي أَيْضًا عَنْ سَعِيدِ بْنِ سَلِيمَانَ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ يَحْيَى عَنْ الْمُسَيَّبِ ابْنِ رَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدِ الْخَطَمِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْغَسِيلِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمَرْءُ أَحَقُّ بِصَدْرِ بَيْتِهِ وَصَدْرِ دَابَّتِهِ وَصَدْرِ فِرَاشِهِ، وَأَحَقُّ أَنْ يَوْمَ فِي بَيْتِهِ».

قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: أُلْقِيَ لِعَلِيٍّ وَسَادَةٌ فَجَلَسَ عَلَيْهَا وَقَالَ: إِنَّهُ لَا يَأْبَى الْكَرَامَةَ إِلَّا حِمَارًا. وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) تقدمت ترجمته .

(٣) الخَوْدُ: المرأة الحسناء الخلق الشابة أو الناعمة، والجمع خَوْدَاتٌ وخَوْدٌ.

رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ مَثَلُ الدَّارِيِّ^(١) إِنْ لَمْ يُحْذِكْ^(٢) مِنْ طَيْبِهِ عِلْقَكَ مِنْ رِيحِهِ، وَمَثَلُ الْجَلِيسِ السَّوِّءِ مَثَلُ الْكَبِيرِ^(٣) إِنْ لَمْ يَحْرِقْكَ بِشَرِّارِ نَارِهِ عِلْقَكَ مِنْ نَتْنِهِ». قال أبو إدريس الخولاني: المساجدُ مجالسُ الكرام. قال الأحنف: أَطْيَبُ الْمَجَالِسِ مَا سَافَرَ فِيهِ الْبَصَرُ وَأَتَدَعَ^(٤) فِيهِ الْبَدَنُ، فَأَخَذَهُ عَلِيٌّ ابْنُ الْجَهْمِ^(٥) فَقَالَ:

[مقارب]

صُحُونُ^(٦) تُسَافِرُ فِيهَا الْعَيُونُ وَتَخْسِرُ عَنْ بُعْدِ أَقْطَارِهَا

وقال المهلب: خَيْرُ الْمَجَالِسِ مَا بَعُدَ فِيهِ مَدَى الطَّرْفِ وكثرت فيه فائدة الجليس. قيل للأوسية: أَيُّ مَنْظَرٍ أَحْسَنُ؟ فقالت: قُصُورُ بَيْضٍ فِي حَدَائِقِ خَضِرٍ. ونحوه قول عدي^(٧) بن زيد:

[خفيف]

كَدَمَى الْعَاجِ فِي الْمَحَارِيبِ أَوْ كَالِ بَيْضِ الرُّوضِ زَهْرُهُ مُسْتَنِيرٌ

حدَّثنا سهل بن محمد قال: حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ: كَانَ الْأَحْنَفُ إِذَا أَتَاهُ إِنْسَانٌ أَوْسَعَ لَهُ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ مَوْضِعاً تَحَرَّكَ لِإِرْيَةِ أَنَّهُ يُوسِعُ لَهُ. وَكَانَ آخِرُ لَا يُوسِعُ لِأَحَدٍ وَيَقُولُ «تَهْلَانُ ذُو الْهَضَبَاتِ مَا يَتَحَلَّلُ»^(٨).

(١) الداري: بائع العطر منسوب إلى دارين وهي قرية في البحرين يُحْمَلُ الْمَسْكُ إِلَيْهَا مِنَ الْهِنْدِ فَيُنْسَبُ إِلَيْهَا لِأَنَّهُ يُبَاعُ فِيهَا.

(٢) لَمْ يُحْذِكْ: لَمْ يُعْطِكْ؛ يُقَالُ: أَحْذَاهُ: أَعْطَاهُ.

(٣) الْكَبِيرُ: رَقٌّ يَنْفَخُ فِيهِ الْحَدَّادُ.

(٤) أَتَدَعَ: مَنْ وَدَعَ أَيَّ سَكَنٍ.

(٥) تَقَدَّمَ تَرْجَمَتَهُ.

(٦) الصُّحُونُ: ج. صَحْنٍ، وَالْمَقْصُودُ صَحْنُ الدَّارِ.

(٧) هُوَ عَدِيُّ بْنُ الرَّقَّاعِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ تَرْجَمَتُهُ.

(٨) هُوَ شَطْرُ بَيْتٍ مِنْ قَصِيدَةِ لِلْفَرَزْدَقِ. وَفِي اللِّسَانِ مَادَّةُ (حَلَل) أَوْرَدَ ابْنُ مَنْظُورٍ - نَقْلًا عَنْ ابْنِ بَرِي - الْبَيْتَ كُلَّهُ كَالْآتِي (كامل).

فَارْفَعْ بِكَفِّكَ إِنْ أَرَدْتَ بِنَاءَنَا تَهْلَانُ ذَا الْهَضَبَاتِ مَا يَتَحَلَّلُ
وتهلان: جبل معروف. وما يتحلل: أي ما يتحرك عن مكانه.

قال ابن عباس: لجليسي عليّ ثلاث: أن أزميّه بطرفي إذا أقبل، وأن أوسع له إذا جلس، وأصغي إليه إذا تحدّث. وقال الأحنف: ما جلستُ مجلساً فخفتُ أن أقامَ عنه لغيري. وكان يقول: لأن أدعي من بعيد فأجيب أحب إليّ من أن أقصّي من قريب.

كان القعقاع بن شُور إذا جالسه رجل فعرفه بالقصد إليه جعل له نصيباً في ماله، وأعانته على عدوه، وشفع له في حاجته، وغدا إليه بعد المجالسة شاكراً. وقسم معاوية يوماً أنية فضة ودفع إلى القعقاع حظّه منها، فأثر به القعقاع أقرب القوم إليه فقال:

وكنْتُ جليْسَ قَعْقَاعٍ^(١) بن شُورٍ ولا يَشْقَى بقَعْقَاعٍ جليْسُ
ضَحْوَكَ السَّنُّ إِنْ نَطَقُوا بخيرٍ وعند الشرِّ مطراقٌ عبوسُ

كأن يقال: إياك وصدر المجلس فإنه مجلس قُلعة. قيل لمحمد بن واسع: ألا تجلس مُتَكِيناً! فقال: تلك جلسة الأَمِين. قال عمرو بن العاص: ثلاثة لا أَمَلُهُمْ: جليسي ما فهم عني، وثوبي ما سترني، ودابتي ما حملت رجلي. وزاد آخر: وأمرأتي ما أَحَسَنْتْ عِشْرَتِي.

ذكر رجل عبد الملك بن مروان فقال: إنه لا خِذُّ بأربع، تاركٌ لأربع: أخذٌ بأحسن الحديث إذا حَدَّث، وبأحسن الاستماع إذا حُدِّث، وبأحسن البشْرِ إذا لقي، وبأيسر المؤونة إذا حُوْلِف. وكان تاركاً لمحادثة اللئيم، ومنازعة اللجوج، ومماراة السفیه، ومصاحبة المأبون.

كان رجل من الأشراف إذا أتاه رجل عند انقضاء مجلسه قال: إنك

(١) قَعْقَاع بن شُور من بني بكر بن وائل تابعي من الأجواد. كان في عصر معاوية بن أبي سفيان. وكان يضرب به المثل في حسن المجاورة. قيل: كان يجعل لمن جالسه نصيباً من ماله ويُعِينُهُ على عدوه. الأعلام ج ٥ ص ٢٠١.

جلست إلينا على حين قيامٍ منا أفتأذن؟ قال الفضيل بن عياض للثوري: دُلّني على مَنْ أجلس إليه، قال: تلك حالة لا توجد. قال مطرف: لا تُطعم طعامك مَنْ لا يشتهيّه، يُريد: لا تُقبل بحديثك على مَنْ لا يُقبل عليك بوجهه. وقال سعيد بن سلم: إذا لم تكن المحدث أو المحدث فأنهض. ونحوه قول ابن مسعود: حَدِّثِ الْقَوْمَ مَا حَدَّجُوكَ^(١) بأبصارهم.

قال زياد مولى عيَّاش بن أبي ربيعة: دخلت على عمر بن عبد العزيز، فلما رآني زَحَلَ عن مجلسه وقال: إذا دخل عليك رجل لا ترى لك عليه فضلاً فلا تأخذْ عليه شرفَ المجلس. وقال ابن عباس: ما أحدٌ أكرم عليّ من جليسي، إن الذباب يقع عليه فيشقّ عليّ. ذكر الشعبي قوماً فقال: ما رأيتُ مثْلهم أشدَّ تناوباً في مجلس ولا أحسنَ فهماً عن محدث.

قال سليمان بن عبد الملك: قد ركبنا الفارة^(٢) ووطننا الحسنة ولبسنا اللين وأكلنا الطيب حتى أجمنا^(٣)، ما أنا اليوم إلى شيءٍ أحوجُّ مني إلى جليس أضعُ عني مؤونة التحفُّظ فيما بيني وبينه.

روى ابن أبي ليل عن حبيب بن أبي ثابت عن يحيى بن جعدة قال: قال عمر بن الخطاب: لولا أن أسير في سبيل الله أو أضعُ جبهتي في التراب لله أو أجالس قوماً يلتقطون طيب الحديث كما يلتقط طيب الثمر لأحببتُ أن أكون قد لحقتُ بالله. قال عامر بن عبد قيس: ما آسى على شيءٍ من العراق إلا على ظمأ الهواجر، وتجاوب المؤذنين، وإخوان لي منهم الأسود بن كُثُوم. وقال آخر ما آسى من البصرة إلا على ثلاث: قصب السكر، وليل الخَير، وحديث ابن

(١) حَدَّجَ الرجلُ ببصره: حدَّق.

(٢) الفارة: البُيْنُ الفَراة، وهي الحدق، بالشيء.

(٣) أَجَمَ الطعامَ وغيره: كرهه ومَلَّه.

أبي بكرة. وقال المغيرة: كان يجالس إبراهيم صيرفي ورجل متهم برأي الخوارج، فكان يقول لنا: لا تذكروا الربا إذا حضر هذا، ولا الأهواء إذا حضر هذا. وكان إمام مسجد الحرام لا يقول: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ إلا عند ختم القرآن في شهر رمضان من أجل اللهيين.

كان يقال: محادثة الرجال تُلَفِّحُ ألبابها. وكان بعض الملوك في مسير له ليلاً فقال لمن حوله: إنه لا يُقَطَّعُ سُرَى الليل بمثل الحديث فيه فليَنفُضْ كل رجل منكم بنا جَوْشاً^(١) منه. قال معاوية لعمر بن العاص: ما بقي من لذة الدنيا تلذذه؟ قال: محادثته أهل العلم، وخبر صالح يأتيني من ضيعتي. قال أبو مُسْهَر: ما حدثت رجلاً قط إلا حدّثني إصغاه: أفهم أم ضيع.

باب الثقلاء

قال إبراهيم: إذا علم الثقل أنه ثقل فليس بثقل. كان يقال: مَنْ خاف أن يُثْقَلَ لم يثقل. قيل لأيوب: ما لك لا تكتب عن طاووس؟ فقال: أتيتُه فوجدته بين ثقلين: ليث بن أبي سليم، وعبد الكريم بن أبي أمية.

قال الحسن: قد ذكر الله الثقل في كتابه قال: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾^(٢). كان أبو هريرة إذا استثقل رجلاً قال: اللهم اغفر له وأرحنا منه. وكتب رجل على خاتمه: أَبْرَمْتُ فَقْمَ، فكان إذا جلس إليه ثقل ناوله إياه. قال بَخْتِيشُوعُ^(٣) للمأمون: لا تُجالس الثقلاء فإننا نجد في الطب: مجالسة الثقل حُمَى الروح. قال بعض الشعراء:

(١) الجَوْشُ: القطعة العظيمة من الليل أو من آخره.

(٢) سورة الأحزاب ٣٣، آية ٥٣. أي إذا طَعِمْتُمْ أنصرفوا إلى شأنكم. التفسير المبين.

(٣) هو بَخْتِيشُوعُ بن جبريل بن جرجس، طبيب سرياني الأصل مستعرب، قرّبه الخلفاء العباسيون ولا سيما المتوكل. وهو لفظ سرياني معناه عبد المسيح. الأعلام ج ٢ ص ٤٤.

[مجزوء الكامل]

إِنِّي أَجَالِسُ مَعْشَرًا نَوَكِي ^(١) أَحَقَّهُمْ ثَقِيلُ
 قَوْمٌ إِذَا جَالَسَتْهُمْ صَدِيتُ بِقَرَبِهِمُ الْعَقُولُ
 لَا يُفْهِمُونِي قَوْلَهُمْ وَيَدِقُّ عَنْهُمْ مَا أَقُولُ
 فَهُمْ كَثِيرٌ بِي وَأَع لَمْ أَتْنِي بِهِمْ وَقَلِيلُ

أخبرنا النُّوشَجَانِيُّ عن عمر بن سعيد بن القرشي قال: حَدَّثَنِي صَدَقَةُ بن خالد قال: أَتَيْتُمُ الْكُوفَةَ فَجَلَسْتُ إِلَى أَبِي حَنِيفَةَ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ فَقَالَ:

فَمَا الْفِيلُ تَحْمِلُهُ مَيْتًا بِأَثْقَلَ مِنْ بَعْضِ جُلَاسِنَا ^(٢)
 فَمَا حَمَلَتْ عَنْهُ شَيْئًا.

مَرَّ رَجُلٌ بِصَدِيقٍ لَهُ وَمَعَهُ رَجُلٌ ثَقِيلٌ، فَقَالَ لَهُ: كَيْفَ هَالِكُ؟

فَقَالَ: [منسرح]

وَقَائِلٍ كَيْفَ أَنْتَ؟ قُلْتُ لَهُ هَذَا لُبْسِي فَمَا تَرَى حَالِي؟

وَقَالَ بَشَارٌ ^(٣):

رَبَّمَا يَثْقُلُ الْجَلِيسُ وَإِنْ كَا نَ خَفِيفًا فِي كَفَّةِ الْمِيزَانِ
 وَلَقَدْ قُلْتُ حِينَ وَتَدَّ فِي الْأَرِّ ضَ ثَقِيلٌ أُرَبِّي عَلَى نَهْلَانٍ ^(٤)

(١) النُّوَكِيُّ: ج أنوك وهو الأحمق.

(٢) هذا البيت لسليمان بن مهران الملقب بالأعمش والمتوفى سنة ١٤٨ هـ كما في العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٩٦) وذكر ابن عبد ربه في المصدر المذكور أن الأعمش إذا حضر مجلسه ثَقِيلٌ كان يقول البيت المذكور. أنظر ترجمة الأعمش في الأعلام (ج ٣ ص ١٣٥).

(٣) هو بشار بن بُرْد العُقَيْلِي الضَّرِير، وشعره من الطبقة الأولى، وهو أشهر المولدين على الإطلاق. توفي سنة ١٦٧ هـ. الأعلام ج ٢ ص ٥٢.

(٤) نَهْلَان: جبل معروف.

كيف لم تَحْمِلِ الأمانةَ أرضُ حَمَلْتُ فوقها أبا سفيان! (١)

وقال آخر:

[منسرح]

هل غربةُ الدارِ منك مُنجيتي إذا آغتَدَت بي قلائصُ دُملُ (٢)
وما أظنُّ الفلاةَ مُنجيتي منك ولا الفلُكُ أيها الرجلُ
ولو ركبْتُ البُراقَ (٣) أدركني منك على نأي دارك الثقلُ
هل لك فيما ملكْتُ نافلةً تأخذهُ جملةً وترتحلُ

وقال أعرابي:

[وافر]

كأني عند حمزة في مُقامي ألا حُيِّتَ عَنَّا يا مَدِينَا
بَلِينَا عنده حتى كأنَّا ألا هُبِّي بِصَحْنِكَ فَاصْبَحِينَا (٤)

وقال آخر:

[متقارب]

ثَقِيلُ يَطالِعُنَا مِنْ أُمِّمْ إذا سرَّه رَغَمُ أنْفِي أَلَمُ
لِطَلْعَتِهِ وَخَرَّةُ فِي الْحِشَا كَوخزِ الْمَشَارِطِ فِي الْمَحْتَجَمِ
أَقُولُ لَهُ إِذْ بَدَا طَالِعَا وَلَا حَمَلْتَهُ إِلَيْنَا قَدَمُ
فَقَدْتُ خِيَالِكَ لَا مِنْ عَمَى وَأُذْنِي كَلَامِكَ لَا مِنْ صَمَمِ

قال سهيل بن عبد العزيز: مَنْ ثَقُلَ عَلَيْكَ بِنَفْسِهِ وَغَمَّكَ فِي سَوَالِهِ فَأَلْزَمَهُ

(١) أبو سفيان هو الثقيل الذي قيل فيه الشعر المذكور. وفي العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٩٦): «أبا عمران».

(٢) القلائص: ج قَلْوَص، وهي الناقة الطويلة القوائم. والدُملُ: أصلها الدُّمل بسكون الميم (جمع دُمُول) والناقة الدُّمُول هي التي تسير الذميل أي السير اللين.

(٣) البراق: دابة قيل ركبها نبي الإسلام ﷺ ليلة المعراج.

(٤) عجز هذا البيت هو صدر بيت بيت من معلقة عمرو بن كلثوم، والبيت هو:

أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكَ فَاصْبَحِينَا وَلَا تُبْقِي خَمُورَ الْأَنْدَرِينَا

(٥) هو أبو نواس الحسن بن هانئ، قال هذا الشعر في رجل ثقیل.

أذنًا صمًا وعينًا عمياء.

وكتب بعضُ الكتابِ في فصلٍ من كتابه: ما آمنُ نزعَ مُستَمِيحٍ حرمة، وطالبٍ حاجةٍ ردُّته، ومُشارِبٍ ثَقِيلٍ حَجَبُته، أو منبسطٍ نابٍ قَبْضُته، ومُقبلٍ بَعْبانه عليّ لَوَيْتُ عنه، فقد فعلت هذا بمستحقين وبتعذر الحال، فثبتَ رَحْمَك اللهُ، ولا تُطْعَ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ.

وقال بعضُ المحدثين للخليل: [مقارب]

خَرَجْنَا نُرِيدُ غُرَاةً لَنَا وَفِينَا زِيَادُ أَبُو صَعْصَعَةٍ
فَسِيتُهُ رَهْطٌ بِهِ خَمْسَةٌ وَخَمْسَةٌ رَهْطٌ بِهِ أَرْبَعَةٌ

باب البناء والمنازل

الهيثم بن عديٍّ عن مُجَالِدٍ عن الشَّعْبِيِّ قال: قال السائب بن الأقرع لرجلٍ من العجم: أخبرني عن مكانٍ من القرية لا يَخْرُبُ حتى أَسْتَقْطَعَ ذلك الموضعَ، فقال له: ما بين الماء إلى دار الإمارة، فأَخْطَطْتُ لثَقِيفٍ ذلك الموضعَ، قال الهيثم بن عديٍّ: فَبِتْ عندهم فإذا ليلُهُم بمنزلة النهار.

وقال قائل في الدار: ليكن أوَّلَ ما تَبْتَاعُ وآخرَ ما تَبِيعُ.

وقال يحيى بن خالد لابنه جعفر حين أَخْطَطَ داره لينيها: هي قَمِصُوكَ فإن شِئْتَ فوسَّعُه، وإن شِئْتَ فضيَّقُه. وأتاه وهو يَني داره التي ببغداد بقرب الدور، وإذا هم يبيضون حيطانها فقال: إعلم أنك تُغَطِّي الذهبَ بالفضة، فقال جعفر: ليس في كلِّ مكانٍ يكون الذهبُ أنفعَ من الفضة، ولكن هل ترى عَيْنًا؟ قال: نعم، مخالطُها دورَ السُّوقَةِ،

دخل أبْنُ التَّوَمِ على بعضِ البصريين وهو يَني داراً كثيرةَ الذرع،

واسعة الصحن، رفيعة السَّمَك، عظيمة الأبواب، فقال: أعلم أنك قد ألزمت نفسك مؤنة لا تُطاق، وعيالاً لا يُحتمل مثلهم، ولا بد لك من الخدم والسّتور والفرش على حسب ما أبتليت به نفسك، وإن لم تفعل هجنت رأيك.

وقرأت في كتاب الآيين أنه كان يُستقبلُ بفراش الملك ومجلسه المشرق، أو يُستقبلُ بهما مَهَبُ الصَّبَا، وذلك أن ناحية المشرق وناحية الصَّبَا يوصفان بالعلو والارتفاع، وناحية الدُّبُور وناحية المغرب يُوصفان بالفضيلة والانخفاض، وكان يُستقبلُ بصدور إيوانات الملك المشرق أو مَهَبُ الدُّبُور، ويُستقبلُ بصدور الخلاء وما فيه من المقاعد مَهَبُ الصَّبَا، لأنه يقال: إنَّ استقبَالَ الصَّبَا في موضع الخلاء آمنٌ من سِحَر السَّحَرَةِ ومن رِيحِ الْجَنَّةِ.

وكان عمر يقول: على كلِّ خائِنٍ أمينان: الماء والطين. ومرَّ ببناء يُبنى بأجرٍّ وجصٍّ فقال: لمن هذا؟ قالوا: لفلان، فقال: تأبى الدِّراهم إلا أن تُخرجَ أعناقها، وشاطرهُ ماله.

أبو الحسن قال: لما بلغ عمرُ أن سعداً وأصحابه قد بنوا بالمدر^(١) قال: قد كنتُ أكره لكم البناءَ بالمدر، فأما إذ قد فعلتم فعرضوا الحيطان، وأطيلوا السَّمَك، وقاربوا بين الخشب. وقيل ليزيد بن المهلب: لِمَ لا تبني بالبصرة داراً؟ فقال: لأنني لا أدخلها إلا أميراً أو أسيراً، فإن كنتُ أسيراً فالسجن داري، وإن كنتُ أميراً فدارُ الإمارة داري. وقال: الصواب أن تُتخذَ الدُّورُ بين الماء والسُّوق، وأن تكونَ الدُّورُ شرقيةً والبساتينُ غربيةً.

قال بعض الشعراء:

بنو عُمَيْرٍ مجدهم دارهم وكلُّ قومٍ لهمو مجدٌ

(١) المدر: قطع الطين اليابس أو التراب المتبلد.

[سريع]

وقال آخر لأبي محمد اليزيدي:

قَوِّمِي خِيَارَ غَيْرِ مَا أَنَّهُمْ صَوَّلَتْهُمْ مِنْهُمْ عَلَى جَارِهِمْ
لَيْسَ لَهُمْ مَجْدٌ سِوَى مَسْجِدٍ بِهِ تَعَدَّوْا فَوْقَ أَطْوَارِهِمْ
لَوْ هَدِمَ الْمَسْجِدُ لَمْ يُعْرِفُوا يَوْمًا وَلَمْ يُسْمَعْ بِأَخْبَارِهِمْ

[مجزوء الكامل]

وقال رجل من خُزاعة:

فَخَرَّ الْمُسَيْبُ بِالنَّارِ وَمَنَارُهُ بِرَحَا^(١) عُمَارِهِ
فَإِذَا تَفَاخَرَتِ الْقُبَا ثُلٌّ مِنْ تَمِيمٍ أَوْ فَزَارِهِ
خَفَلْتُ عَلَيْكَ شَيْوْخُ ضَبٍّ بَيَّةَ بِالْمُسَيْبِ وَالْمَنَارَةِ

مرَّ رجل من الخوارج بدار تُبْنَى فقال: مَنْ هَذَا الَّذِي يُقِيمُ كَفِيلًا؟
وقالوا: كُلُّ مَا لَا يَخْرُجُ بِخُرُوجِكَ وَلَا يَرْجِعُ بِرَجُوعِكَ وَلَا يَنْتَقِلُ فِي الْوُجُوهِ
بِأَنْتَقَالِكَ فَهُوَ كَفِيلٌ.

وقالت الحكماء من الروم: أَصْلَحُ مَوَاضِعِ الْبَنِيَانِ أَنْ يَكُونَ عَلَى تَلٍّ أَوْ
كَيْسٍ^(٢) وَثِيقٍ لِهَيْكَلٍ مُطْلَأًا، وَأَحَقُّ مَا جُعِلَتْ إِلَيْهِ أَبْوَابُ الْمَنَازِلِ وَأَفْنِيَّتُهَا
وَكَوَاوِهَا الْمَشْرِقُ وَأَسْتِقْبَالُ الصُّبَا، فَإِنْ ذَلِكَ أَصْلَحَ لِلْأَبْدَانِ لِسُرْعَةِ طُلُوعِ
الشَّمْسِ وَضَوْئِهَا عَلَيْهِمْ.

ومن حسن التشبيه في البناء قولُ علي بن الجهم:

[متقارب]

صُحُونٌ تُسَافِرُ فِيهَا الْعَيُونُ وَتَحْسِرُ عَنْ بَعْدِ أَقْطَارِهَا
وُقْبَةُ مُلْكٍ كَأَنَّ النُّجُومَ مَ تَصْغِي إِلَيْهَا بِأَسْرَارِهَا

(١) محلة بالكوفة تنسب إلى عمارة بن عقبة بن أبي معيط. معجم البلدان.

(٢) الكَيْسُ: الرأس الكبير والنهر وبيت من طين.

وَفَوَّارَةٌ ثَارُهَا فِي السَّمَاءِ فَلَيْسَتْ تُقْصَرُ عَنْ ثَارِهَا
 إِذَا أُوقِدَتْ نَارُهَا بِالْعِرَاقِ أَضَاءَ الْحِجَازِ سَنَا نَارِهَا
 تَرُدُّ عَلَى الْمُزْنِ مَا أَنْزَلَتْ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ صَوْبِ أَقْطَارِهَا
 لَهَا شُرَفَاتٌ كَأَنَّ الرِّيعَ كَسَاهَا الرِّيَاضَ بِأَنْوَارِهَا
 فَهِنَّ كَمُضْطَجِبَاتٍ خَرَجْنَ لِفَصْحِ النَّصَارَى وَإِفْطَارِهَا
 فَمِنْ بَيْنِ عَاقِصَةِ شَعْرِهَا وَمُصْلِحَةِ عَقْدِ زُنَارِهَا
 وَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ كَعْبٍ^(١):

بَكَتْ دَارُ بِشْرِ شَجْوَهَا أَنْ تَبَدَّلَتْ هَلَالَ بْنُ عِيَادٍ يَبْشُرُ بْنُ غَالِبٍ
 وَمَا هِيَ إِلَّا مِثْلُ عِرْسٍ^(٢) تَنْقَلْتُ عَلَى رَغْمِهَا مِنْ هَاشِمٍ فِي مُحَارِبٍ
 وَقَالَ آخَرُ:

أَلَمْ تَرَ حَوْشِبَاءَ أَمْسَى يُبْنِي قُصُورًا نَفَعُهَا لِبْنِي بُقَيْلَةَ
 يُؤْمَلُ أَنْ يُعَمَّرَ عُمَرُ نُوْحٍ وَأَمْرُ اللَّهِ يَحْدُثُ كُلَّ لَيْلَةٍ^(٣)
 كَانَ مَلِكُ بْنُ أَسْمَاءَ يَهْوَى جَارِيَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ وَكَانَتْ تَنْزِلُ خُصَاً^(٤)
 وَكَانَتْ دَارُ مَالِكٍ مَبْنِيَّةً بِأَجْرٍ فَقَالَ:

يَا لَيْتَ لِي خُصَاً يُجَاوِرُهَا بَدَلًا بَدَارِي فِي بَنِي أَسَدٍ
 الْخُصُ فِيهِ تَقْرَأُ عَيْنُنَا خَيْرٌ مِنَ الْأَجْرِ وَالْكَمَدِ
 حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ بْنُ خِدَاشٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ

(١) لم أقف له على ترجمة.

(٢) العرس: الزوجة.

(٣) تقدم هذان البيتان في ص ٢١١.

(٤) الخُص: البيت من القصب كبيت دود القبر أو البيت يُسَقَفُ بخشبة، والجمع خُصاص وخُصوص.

الْفَرَات قاضي مصر عن الْأَوْزَاعِيِّ عن يحيى بن أبي كثير قال: قال سليمان بن داود لابنه: يا بُنَيَّ، إِنَّ مِنْ ضَيْقِ الْعَيْشِ شِرَاءَ الْخُبْزِ مِنَ السُّوقِ، وَالنَّقْلَةَ مِنْ مَنْزِلٍ إِلَى مَنْزِلٍ.

بلغني أن رجلاً من الزَّهَادِ مَرَّ فِي زُورِقٍ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى بِنَاءِ الْمَأْمُونِ وَأَبْوَابِهِ صَاحَ: وَاعْمَرَاهُ! فَسَمِعَهُ الْمَأْمُونُ فَدَعَا بِهِ فَقَالَ: مَا قُلْتَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ بِنَاءَ الْأَكَاسِرَةِ فَقُلْتُ مَا سَمِعْتُ، قَالَ الْمَأْمُونُ: أَرَأَيْتَ لَوْ تَحَوَّلْتُ مِنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ إِلَى إِيوَانَ كَسْرَى بِالْمَدَائِنِ هَلْ كَانَ لَكَ أَنْ تَعَيَّبَ نَزُولِي هُنَاكَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَأَرَاكَ إِنَّمَا عَيَّبَ إِسْرَافِي فِي النِّفْقَةِ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَلَوْ وَهَبْتُ قِيَمَةَ هَذَا الْبِنَاءِ لِرَجُلٍ أَكُنْتُ تَعَيَّبُ ذَلِكَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَلَوْ بَنَيْ هَذَا الرَّجُلُ بِمَا كُنْتُ أَهْبُ لَهُ بِنَاءً أَكُنْتُ تَصِيحُ بِهِ كَمَا صَحْتُ بِي؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَأَرَاكَ إِنَّمَا قَصَدْتَنِي لَخَاصَّتِي فِي نَفْسِي لَا لِعِلَّةٍ هِيَ فِي غَيْرِي، ثُمَّ قَالَ لَهُ: هَذَا الْبِنَاءُ ضَرَبٌ مِنْ مَكَائِدِنَا تَبْنِيهِ وَتَتَّخِذُ الْجِيُوشَ وَتُعَدُّ السِّلَاحَ وَالْكَرَاعَ وَمَا بَنَّا إِلَى أَكْثَرِهِ حَاجَةً، فَلَا تَعُودَنَّ إِلَيَّ فَتَمْسُكَ عَقُوبَتِي، فَإِنَّ الْحَفِيزَةَ رُبَّمَا صَرَفَتْ ذَا الرَّأْيِ إِلَى هَوَاهُ، فَاسْتَغْمَلْهُ.

باب المزاح والرخص فيه

قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ عَنْ مَعَاوِيَةَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: أَخْبَرْتَنِي عَائِشَةُ أَنَّهَا سَابَقَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرِ فُسْبَقَتِهِ فِي سَفَرٍ آخَرَ فَسَبَقَهَا وَقَالَ: «هَذِهِ بِتِلْكَ».

حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع قال: كان أبو هريرة على المدينة خليفة لمروان، فربما ركب حماراً قد شدَّ عليه بَرْدَعَةٌ^(١) وفي رأسه حليّة فيلقى

(١) الْبَرْدَعَةُ: الْجِلْسُ يُلْقَى تَحْتَ الرُّحْلِ يُوقَى بِهِ ظَهْرُ الْبَعِيرِ مِنَ الرُّحْلِ، وَالْجَمْعُ بَرَاذِعُ.

الرجل فيقول: الطريق، قد جاء الأمير، وربما دعاني إلى عشاءه بالليل فيقول: دع العُراق^(١) للأمير، فأنظر فإذا هو ثريد^(٢) نزيت.

قال: حدّثني محمد بن مرزوق عن زاجر بن الصّلت الطاحي عن سعيد ابن عثمان قال: قال الشعبيّ لخيّاط مرّ به: عندنا حُبّ مكسور تخيّطه؟ فقال الخياط: إن كان عندك خيوط من ربح.

حدّثني بهذا الإسناد قال: دخل رجل على الشعبيّ ومعه في البيت امرأة فقال: أيكم الشعبيّ؟ قال الشعبيّ: هذه. وسئل الشعبيّ عن لحم الشيطان فقال: نحن نرضى منه بالكفّاف، قال: فما تقول في الدُّبّان؟ قال: إن استهيّته فكُله.

قال خالد بن صفوان للفرزدق وكان يمازحه: ما أنت يا أبا فراس بالذي لمّا رأيته أكبرنه وقطعن أيديهن، قال: ولا أنت يا أبا صفوان بالذي قالت فيه الفتاة^(٣) لأبيها: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾^(٤).

حماد بن زيد عن غالب أنه سأل ابن سيرين عن هشام بن حسان قال: توفّي البارحة، أما شعرت؟ فجزع واسترجع، فلما رأى ابن سيرين جزعه قرأ ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾^(٥).

(١) العُراق: العظم أكل لحمه أو العظم بلحمه.

(٢) الثريد: كسرة الخبر، والجمع ثرائد.

(٣) هي إحدى الفتاتين اللتين وردتا ماء مَدْيَنَ لجلب الماء إلى أبيهما الشيخ الكبير، كما ورد في القرآن الكريم، سورة القصص ٢٨، آية ٢٣.

(٤) سورة القصص ٢٨، آية ٢٦. أي ما شهدت إلّا بما رأت من قوته وهو يسقي الغنم (أي موسى) ومن عفنه حين توجّهت إليه بالدعوة إلى أبيها. التفسير المبين.

(٥) سورة الزمر ٣٩. آية ٤٢. أي للوفاة نوعان: الموت الذي يترك الجسم جثة هامدة، والنوم الذي يسلب الإدراك واليقظة فقط، وأشار سبحانه إلى النوع الأول بقوله (حين موتها) أي =

مَرَّ بِالشَّعْبِيِّ حَمَّالٌ عَلَى ظَهْر دَنْ خَلٍّ، فَلَمَّا رَأَاهُ وَضَعَ الدَّنَّ وَقَالَ: مَا كَانَ اسْمُ امْرَأَةٍ إِبْلِيسَ؟ فَقَالَ الشَّعْبِيُّ: ذَاكَ نِكَاحُ مَا شَهِدَنَاهُ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ الْأَصْبَهَانِيِّ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي زَائِدَةَ عَنْ الْأَعْمَشِ قَالَ: عَادَنِي إِبْرَاهِيمُ فَنَظَرَ إِلَى مَنْزِلِي فَقَالَ: أَمَّا أَنْتَ فَتَعْرِفُ فِي مَنْزِلِكَ أَنْكَ لَسْتُ مِنْ أَهْلِ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ.

وَرَوَى وَكِيعٌ عَنْ رَبِيعَةَ عَنْ الزَّهْرِيِّ عَنْ وَهْبِ بْنِ عَبْدِ بْنِ زَمْعَةَ قَالَ: قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ فِي تِجَارَةٍ مَعَهُ نَعِيمَانُ وَسُوَيْبُ بْنُ حَرْمَلَةَ، وَكَانَا شَهِدَا بَدْرًا^(١)، وَكَانَ نَعِيمَانُ عَلَى الزَّادِ فَقَالَ لَهُ سُوَيْبُ بْنُ حَرْمَلَةَ: أَطْعَمْنِي، فَقَالَ: حَتَّى يَجِيءَ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: أَمَّا وَاللَّهِ لِأَغِيظَنَّكَ، فَمَرَوْا بِقَوْمٍ فَقَالَ لَهُمْ سُوَيْبُ بْنُ حَرْمَلَةَ: أَتَشْتَرُونَ مِنِّي عَبْدًا لِي؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: إِنَّهُ عَبْدٌ لِي كَلَامٌ وَهُوَ قَائِلٌ لَكُمْ: إِنِّي حُرٌّ، فَإِنْ كُنْتُمْ إِذَا قَالَ لَكُمْ هَذِهِ الْمَقَالَةَ تَرَكْتُمُوهُ فَلَا تُفْسِدُوا عَلَيَّ عَبْدِي، فَقَالُوا: بَلْ نَشْتَرِيهِ مِنْكَ بِعَشْرِ قَلَانِصٍ^(٢)، ثُمَّ جَاءُوا فَوَضَعُوا فِي عُنُقِهِ حَبْلًا وَعِمَامَةً وَأَشْتَرُوهُ، فَقَالَ نَعِيمَانُ: إِنَّ هَذَا يَسْتَهْزِئُ بِكُمْ وَإِنِّي حُرٌّ، قَالُوا: قَدْ أَخْبَرْنَا بِخَبْرِكَ، وَأَنْطَلِقُوا بِهِ، وَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَأَخْبَرُوهُ فَأَتْبَعَهُمْ فَرَدُّوا.

= يَقْبِضُ الرُّوحَ حِينَ يَأْتِي الْأَجَلَ، وَأَشَارَ إِلَى الثَّانِي بِقَوْلِهِ (وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا) أَيِ وَيَقْبِضُ هَذِهِ أَيْضًا حِينَ النَّوْمِ. التفسير المبين.

(١) الْمَقْصُودُ يَوْمَ بَدْرٍ. ذَكَرَ النَّوَوِيُّ فِي تَهْذِيبِ الْأَسْمَاءِ وَاللِّغَاتِ (ج ١ ق ٢ ص ٣٧) غَزْوَةَ بَدْرٍ وَقَالَ: بَدْرٌ مَوْضِعُ الْغَزْوَةِ الْعَظِيمِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ مَاءٌ مَعْرُوفٌ وَقَرْيَةٌ عَامَّةٌ عَلَى نَحْوِ أَرْبَعِ مَرَاحِلٍ مِنَ الْمَدِينَةِ. وَقَالَ ابْنُ قَتِيبَةَ فِي «الْمَعَارِفِ» إِنَّ بَدْرًا كَانَتْ لِرَجُلٍ يَدْعَى بَدْرًا فَسُمِّيَتْ بِهِ. وَكَانَتْ وَقْعَةٌ بِدْرِ لِسَبْعِ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ. وَكَانَ يَوْمَ بَدْرِ يَوْمًا حَارًّا وَكَانَتْ الْوَقْعَةُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ.

(٢) الْقَلَانِصُ: جُ قُلُوصٌ، وَهِيَ النَّاقَةُ الطَّوِيلَةُ الْقَوَائِمُ.

عليهم القلائص وأخذه، فلما قَدِمُوا على النبي ﷺ أخبروه فضحك هو وأصحابه منهما حولاً.

حَدَّثَنِي محمد بن عبد العزيز قال: حَدَّثَنَا عبد الله بن عبد الوهاب الْحَجَبِيُّ عن أَبِي عَوَانَةَ عن قتادة أَنَّ عَدِيَّ بن أَرْطَاة تزَوَّج بالكوفة وشرط لها دارها فأراد أن ينقلها فخاصمته إلى شريح، فقال: أين أنت أصلحك الله؟ قال: بينك وبين الحائط، قال: إني رجل من أهل الشام، قال: بعيد سحيق، قال: إني تزوّجت امرأة، قال: بالرِّفَاء والبنين، قال: وولدت غلاماً، قال: فليَهْنِثْكَ الفارسُ، قال: وشرطت لها دراها، قال: الشرطُ أملكُ، قال: إقْضِ بيننا، قال: قد قضيتُ، قال: بِمَ؟ قال شريح: «حَدَّثَ امرأةٌ حديثين فإنْ أَبَتْ فَأَرْبَعٌ»^(١) قال لي المحدث: فأربعة، وإنما هو فأربع أي كَفَّ وأَمْسِكَ.

وتقدّم رجلان إلى شريح في خصومة فأقرّ أحدهما بما يدعي الآخر عليه وهو لا يعلم، فقضى عليه شريح، فقال الرجل: أتقضي عليّ بغير بينة؟ فقال: قد شهد عندي ثقة، قال: ومن هو؟ قال: ابن أخت خالتك.

[بسيط]

كان ابن سيرين يُنشد:

نَبِّئْتُ أَنَّ فَتَاةً كُنْتُ أَخْطُبُهَا عُرْقُوبُهَا مِثْلُ شَهْرِ الصُّومِ فِي الطُّوْلِ

[طويل]

وقال أيضاً:

لَقَدْ أَصْبَحْتُ عِرْسُ الْفَرَزْدَقِ نَاشِزاً وَلَوْ رَضِيتُ رَمَحَ أَسْتِهِ لَاسْتَقَرَّتْ

وكان ابن سيرين يضحك حتى يسيل لعابه.

(١) أراد بالحديثين حديثاً واحداً تكرر مرتين فكانك حَدَّثْتَهَا حديثين؛ والمعنى؛ كرّر لها الحديث لأنها أضعف فهماً فإن لم تفهم فأجعلهما أربعاً، والمعنى: قِفْ واقتصر وهو من: ربع يربع إذا كَفَّ وأَمْسِكَ.

المدائني قال: قال عمرو بن ألعاص لمعاوية: إني رأيت أبارحة في المنام كأن القيامة قد قامت ووُضِعَت الموازين وأحضر الناس للحساب، فنظرتُ إليك وأنت واقف قد ألجمك العرق، وبين يديك صحف كأمثال ألجبال، فقال معاوية: فهل رأيت شيئاً من دنائير مصر؟.

كان مَعْن بن زائدة ظَئِناً في دينه، فبعث إلى ابن عِيَّاش المَتَّوْف بألف دينار، وكتب إليه: قد بعثتُ إليك بألف دينار اشتريتُ بها دينك، فأقبض المال وأكتب إليَّ بالتسليم، فكتب إليه: قد قبضتُ ألدنانير وبعثتُ بها ديني خلا التوحيد لِمَا عرفتُ من زهدك فيه.

قال ألرشيذ ليزيد بن مَزِيد: ما أكثر الخلفاء من ربيعة! فقال يزيد: أجل، ولكن منابرهم أَلْجُذوع.

قال بلال بن أبي بُرْدَة لابن أبي علقمة: إنما دعوتك لأسخر منك، فقال له ابن أبي علقمة: لئن قلتَ ذاك لقد حَكَمَ المسلمون رجلين سَخَرَ أحدهما من الآخر.

كان يقال: أَلْسَبَابُ مِزَاحِ النَّوْكِ^(١). وقال الشاعر: [طويل]

أخو أَلْجِدِّ إن جَادَذَتْ أَرْضَاكَ جِدُّهُ وذو باطلٍ إن شِئْتَ أَلْهَاكَ باطلُهُ
وقال مِسْعَرُ^(٢) بن كِدَام لابنه: [كامل]

ولقد جِبتُكَ يا كِدَامُ نصيحتي فأسمع لقول أبٍ عليك شفيقٍ

(١) النوكى: ج أنوك، أي الأحق. ولقد ورد في مجمع الأمثال للميداني: «المزاح سبَابُ النوكى».

(٢) مِسْعَر بن كِدَام العامري الرُّوَاسي من ثقات أهل الحديث. توفي بمكة سنة ١٥٢ هـ. الأعلام ج ٧ ص ٢١٦.

أَمَّا الْمُزَاحَةُ وَالْمِرَاءُ فَدَعَّاهُمَا خُلُقَانِ لَا أَرْضَاهُمَا لَصَدِيقٍ
وَلَقَدْ بَلَّوْهُمَا فَلَمْ أَحْمَدْهُمَا لِمَحَاوِرٍ جَارٍ وَلَا لِرَفِيقٍ
[طويل] وقال الكميت^(١):

وَفِي النَّاسِ أَقْدَاعٌ مَلَاهِيحُ بِالْخَنَا مَتَى يَبْلُغُ الْجِدُّ الْحَفِيزَةَ يَلْعَبُوا
وَمَا يَقَارِبُ هَذَا قَوْلُ بَعْضِ الْمُحَدِّثِينَ: [طويل]

أَرَانِي سَابِدِي عِنْدَ أَوَّلَى سَكْرَةٍ هَوَايَ لِفَضْلٍ فِي خَفَاءٍ وَفِي سِتْرِ
فَإِنْ رَضِيتُ كَانَ الرِّضَا سَبَبَ الْهَوَى وَإِنْ غَضِبْتُ حَمَلْتُ ذَنْبِي عَلَى السُّكْرِ
وقال الراعي^(٢) - في نحو هذا يصف نساء - : [طويل]

يُنَاجِينَنَا بِالطَّرْفِ دُونَ حَدِيثِنَا وَيَقْضِينَ حَاجَاتٍ وَهْنٌ مَوَازِحُ
عَرَضَ بَعْضُ الْأُمَرَاءِ عَلَى رَجُلٍ عَمَلَيْنِ لِيَخْتَارَ أَحَدَهُمَا فَيُؤَلِّقَهُ، فَقَالَ:
«كِلَاهُمَا وَتَمَرًّا»، فَقَالَ: أَعْنَدِي تَمْرَاحَ! لَا وَلَيْتَ لِي عَمَلًا.
وقال عمر بن الخطاب: مَنْ كَثُرَ ضَحْكُهُ قَلَّتْ هَيْبَتُهُ. وقال علي: إِذَا
ضَحِكَ الْعَالِمُ ضَحْكَةً مَجَّ مِنَ الْعِلْمِ مَجَّةٌ. وقال أکثم: «الْمُزَاحَةُ تُذْهِبُ
الْمَهَابَةَ».

الهيثم عن عوانة الكلبي قال: دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان
وهو مغمووم وعنده رجل كان يحسده الأخطل ويُقارضه، فقال الأخطل: يا أمير
المؤمنين، عهدي بأبي هذا الفتى وهو سيدنا معشر بني جُشَم، وشيخنا الذي
نصدرُ عن رأيه، فأهتز لها الفتى وقال: يا أمير المؤمنين، هو أعلم بنا قديماً

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) الراعي هو عُبيد بن حُصَيْن النُميري، شاعر من فحول المُحَدِّثِينَ. لقب بالراعي لكثرة وصفه
الإبل. توفي سنة ٩٠ هـ. الأعلام ج ٤ ص ١٨٨ - ١٨٩.

وحديثاً، قال الأخطل: إن أباه أَمَرَنَا ذات يوم وقد نَوَّرَتِ الرياضُ أن نَخْرُجَ إلى روضة في ظهر بيوت الحيِّ فتحدَّثَ فيها، فخرجنا وأنبسطنا لعباً، وخرج الرجل منا بالبكرة الكُوماء^(١) وبالخروف والجدي، وقام الفتیان فأجتزروا واشتووا ودارت السُقاة علينا، فبينما نحن كذلك رُعِفَ أبوه فما تركنا في الحيِّ روثه حِمَارٌ إلا نَشَقَّاه إياها فلم يَرَقاً^(٢) دمه، فقال لنا شيخٌ: شُدُّوا خُصِيَّ الشيخ عَصَباً، ففعلنا ذلك فرقأ الدم، فوالله ما دارت الكأسُ إلا دورة حتى أتانا الصريخُ عن أمه أنها قد رَعِفَتْ، فبادرنا إليها، فوالله ما درينا ما نَعْصِبُ منها حتى خَرَجَتْ نَفْسُها، وعبد الملك يَفْحَصُ برجليه ضحكاً، والفتي يقول: كذب والله، فقال عبد الملك: ألم تزعم أنه أعلم الناس بقديمكم وحديثكم!.

حدَّثني أحمد بن عمرو وقال: كان رجل من الفقهاء في طريق مكة، فرأى، وهو مُحَرَّمٌ، يَزْبُوْعاً^(٣) فرماه بعضا كانت في يده فقتله، فقال الجمال: أَلَسْتَ مُحَرِّماً؟ قال: بلى وما كانت بي إلى رَمِيهِ حاجة إلا أن تعلم أن إحرامي لا يمنعني من ضربك.

قال: وكان الأعمش يقول: مِنْ تمام الحج ضرب الجمال.

المدائني قال: كان نعيمان رجلاً من الأنصار وشهد بَدْراً وجلده النبي عليه السلام في الخمر أربع مرات، فمرَّ نعيمانُ بِمَخْرَمَةِ بنِ نُوْفَلٍ وقد كُفَّ بصره فقال: أَلَا رجلٌ يقودني حتى أبولَ، فأخذ بيده نعيمان، فلما بلغ مؤخَّرَ المسجد قال: ها هنا

(١) البكرة: بنت الناقة، والجمع أبكر ويكران. والكُوماء: الضخمة السنام.

(٢) رَقَأَ الدم: جَفَّ وسكن وأنقطع.

(٣) الزبوع: نوع من الفار طويل الرجلين قصير اليدين جداً وله ذنب كذنب الجرذ يرفعه صعوداً في طرفه، والجمع يرايع.

قُبِّلَ، فبال فَصِيحَ به، فقال: مَنْ قَادِنِي؟ قيل: نعيمَان، قال: لله عليّ أن أضربه بعصاي هذه، فبلغ نعيمَان فَأَتَاهُ فقال له: هل لك في نعيمَان؟ فقال: نعم، فقال: قُمْ، فقام معه فَأَتَى به عثمانُ بن عفانَ وهو يصلي، فقال: ذُنُوكَ الرجلُ، فجمع يديه في العصا ثم ضربه، فقال الناس: أمير المؤمنين، فقال: مَنْ قَادِنِي؟ قالوا: نعيمَان، قال: لا أعود إلى نعيمَان أبداً.

حدَّثني أبو حاتم عن الأصمعي عن ابن أبي الزناد عن أبيه قال: قلت لخارجة بن زيد: هل كان كُفْناء يُقام في العُرُسات؟^(١) قال: قد كان ذاك، ولا يُحضر بما يُحضر اليوم من السَّفَه، دعانا أحوالنا بنو نُبَيْط في مدعاةٍ لهم فشهد المدعاة حَسَّان بن ثابت وابنه عبد الرحمن وأنا، وجاريتان تُغْنِيَان: [منسرح]

أنظر خليلي بباب جَلَقَ^(٢) هل ، تُؤْنَسُ دون البلقاء من أحد؟

فبكى حسان وقد كُفَّ بصره، وجعل عبد الرحمن يُومئ إليهما أن زَيْداً، فلا أدري ماذا يُعجبه من أن تُبْكِيَا أباه، ثم جيء بالطعام، فقال حسان: أطعماً يد أم طعام يدين؟ فقالوا: طعامٌ يد، يريدون الثريد^(٣) فأكل، ثم أتني بطعام آخر فقال: أطعماً يد أم طعام يدين؟ قالوا: طعامٌ يدين، يعنون الشواء فكفّ.

حدَّثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال: كان طُوَيْسٌ يتغنى في عُرْس،

(١) العُرُسات: ج عُرْس بضم السين وسكونها، وهو طعام الوليمة، يذكر ويؤث. والمراد هنا الولائم.

(٢) جَلَقَ: موضع بالشام معروف، يصرف ولا يصرف. وقال ابن بري: جَلَقَ: إسم دمشق. لسان العرب مادة (جلق).

(٣) الثريد: كسرة الخبز المتلطفة بماء اللحم، من ثَرَدَ الخبز إذا كسره وقته والجمع ثرائد وثُرْد.

فدخل النعمان ابن بشير العُرس وطويس^(١) يقول: [متقارب]

أَجْدُ بِعَمْرَةٍ^(٢) غَيَانُهَا فَتَهْجُرَ أَم شَأْنُهَا شَانُهَا

وعمرة أم النعمان، فقليل له: أسكت أسكت، فقال النعمان: إنه لم يقل بأساً وإنما قال: [متقارب]

وَعُمْرَةٌ مِنْ سَرَوَاتِ النِّسَاءِ تَنْفَحُ بِالمَسْكِ أُرْدَانُهَا^(٣)

حدثني يزيد بن عمرو قال: حدثنا الحجاج بن نصير قال: حدثنا شعبة عن قتادة عن أبي العالية أنه كان مع ابن عباس وهو مُحْرِمٌ، فقال ابن عباس:

[رجز]

وَهُنَّ يَمْشِينَ بِنَاهِمِي سَا إِنَّ تَصْدُقِ الطَّيْرُ نَنْلُ^(٤) لَمِي سَا

فقالوا: تقول الرَفْثُ^(٥) وأنت مُحْرِمٌ يا ابن عباس! فقال: إنما الرَفْثُ عند النساء.

قال جابر الجعفي: رأيت الشعبي خارجاً من الكوفة فقلت له: أين؟ قال: انظر إلى الفيل.

حدثني أبو الخطاب قال: حدثنا سلم بن قتيبة قال: حدثنا شريك عن جابر الجعفي عن عكرمة فقال: خَتَنَ ابْنُ عَبَّاسٍ بَنِيهِ فَأَرْسَلَنِي فَدَعَوْتُ اللَّعَّابِينَ فَلَعَبُوا فَأَعْطَاهُمْ أَرْبَعَمِائَةِ دِرْهَمٍ.

(١) طويس هو عيسى بن عبد الله، أول من غنى بالمدينة غناء يدخل في الإيقاع. كان يجيد النقر على الدف، وهو من أشهر المغنين والعارفين بضاعة الغناء في صدر الإسلام. وفيه المثل: «أشام من طويس». توفي سنة ٩٢ هـ. الأعلام ج ٥ ص ١٠٥.

(٢) هي عمرة أم النعمان.

(٣) الأردن: جمع رَدَن وهو أصل الكم كانت العرب تضع فيه الدراهم والدنانير.

(٤) ورد في المقد الفريد (ج ٤ ص ٣٥٧): «نَيْكُ» بالكاف بدل اللام.

(٥) الرَفْثُ: الفحش والجماع.

حَدَّثَنِي شَيْخٌ لَنَا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ قَالَ: وَلِيَ الْأَوْقَصُ الْمَخْزُومِيُّ قَضَاءَ مَكَّةَ فَمَا رُئِيَ مِثْلُهُ فِي الْعَفَافِ وَالنُّبْلِ، فَبَيْنَا هُوَ نَائِمٌ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي جَنَاحٍ لَهُ مَرٌّ بِهِ سَكَرَانُ يَتَغَنَّى، فَأَشْرَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: يَا هَذَا، شَرَبْتَ حَرَاماً، وَأَيَقُظْتَ نَوَاماً، وَغَنَيْتَ خَطَأً، خَذْ عَنِّي فَأَصْلَحْهُ لَكَ. وَقَالَ الْأَوْقَصُ قَالَتْ لِي أُمِّي: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ خُلِقْتَ خَلْقَةً لَا تَصْلُحُ مَعَهَا لِمَجَامَعَةِ الْفِتْيَانِ فِي بَيْتِ الْقِيَانِ، إِنَّكَ لَا تَكُونُ مَعَ أَحَدٍ إِلَّا تَخَطَّنْتَ إِلَيْهِ الْعَيُونُ، فَعَلَيْكَ بِالذِّينِ فَإِنَّهُ يَرْفَعُ الْخَسِيسَةَ وَيُتِمُّ النَّقِيسَةَ، فَتَفْعَلُنِي اللَّهُ بِكَلَامِهَا فَبَلَّغْتُ الْقَضَاءَ.

قال عبد الله بن جعفر لرجل: لو غَنَّتْكَ فُلَانَةٌ جَارِيَتِي صَوْتَ كَذَا مَا أَدْرَكْتَ زَكَاتَكَ^(١).

حَدَّثَنِي شَيْخٌ لَنَا عَنْ سَلَمِ بْنِ قَتِيْبَةٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: مَرَّ بِي عَمْرٌ، وَأَنَا وَعَاصِمٌ بْنُ عَمْرِو نَتَغَنَّى غِنَاءَ النَّصَبِ، فَقَالَ: أَعِيدَا، فَأَعَدْنَا، فَقَالَ: مَثَلُكُمَا مِثْلُ جِمَارِي الْعِبَادِيِّ، قِيلَ لَهُ: أَيُّ أَحْمَارِيكَ أَشَرُّ؟ قَالَ: هَذَا ثُمَّ هَذَا.

وَحَدَّثَنِي أَيْضاً عَنْ أَبِي عَاصِمٍ عَنْ أَبِي جُرَيْجٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَطَاءَ عَنِ الْقِرَاءَةِ عَلَى أَلْحَانِ الْغِنَاءِ وَالْحُدَاءِ فَقَالَ: وَمَا بَأْسٌ، لَقَدْ حَدَّثَنِي عُبَيْدُ بْنُ عَمِيرٍ اللَّيْثِيُّ قَالَ: كَانَتْ لِدَاوُدَ نَبِيِّ اللَّهِ مِعْرَفَةٌ يَضْرِبُ بِهَا إِذَا قَرَأَ الزُّبُورَ، فَكَانَ إِذَا قَرَأَ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ وَالطَّيْرُ فَبَكَى وَأَبَكَى مَنْ حَوْلَهُ. وَقَالَ لِي غَيْرُهُ: وَلِهَذَا قِيلَ: مَزَامِيرُ دَاوُدَ، كَأَنَّهُ أَغَانِي دَاوُدَ.

خرج أبو معاوية الضرير يوماً على أصحابه فقال:

(١) معنى القول: لو سَمِعْتَ جَمَالَ صَوْتِ جَارِيَتِي لَمْتُ قَبْلَ أَنْ يَحُولَ عَلَيْكَ الْحَوْلُ وَقَبْلَ أَنْ تُوَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ عَلَيْكَ.

[مجزوء الرمل]

وَإِذَا الْمِعْدَةُ جَاشَتْ فَأَرْمِهَا بِالْمِنْجَنِيقِ
بَثْلَاثٍ مِنْ نَبِيدٍ لَيْسَ بِالْحُلُوِّ الرَقِيقِ

النُّوشَجَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَابِقٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ مِغُولٍ
عَنْ أَبِي حَصِينٍ قَالَ: شَرِبَ الْأَسْوَدُ فَقَالَ: لَوْ سَقَيْتُمُونِي آخَرَ لَغَنَيْتُ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أَسَامَةَ عَنْ مَجَالِدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ
عَمِّهِ قَالَ: صَحَبْتُ أَبْنَ مَسْعُودٍ حَوْلًا مِنْ رَمَضَانَ إِلَى رَمَضَانَ لَمْ يَصُمْ يَوْمًا
وَاحِدًا، فَأَهْمَنِي ذَلِكَ وَسَأَلْتُ عَنْهُ، وَلَمْ أَرَهُ صَلَّى الضُّحَى حَتَّى خَرَجَ مِنْ بَيْنِ
أَظْهَرْنَا.

قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مَهْدِيٍّ
ابْنِ مَيْمُونٍ قَالَ: كَانَ أَبُو صَادِقٍ لَا يَتَطَوَّعُ مِنَ السَّنَةِ بِصَوْمٍ يَوْمٍ، وَلَا يَصَلِي زَكَاةً
سِوَى الْفَرِيضَةِ قَبْلُهَا وَلَا بَعْدَهَا، وَكَانَ بِهِ مِنَ الْوَرَعِ شَيْءٌ عَجِيبٌ.

حَدَّثَنِي الزُّيَادِيُّ قَالَ: قَالَ حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَيُّوبَ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى
رَجُلٍ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَهُوَ يَلْعَبُ بِالشُّطْرَنْجِ.

وَحَدَّثَنِي الزُّيَادِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانٍ قَالَ:
سَأَلَ أَبْنَ سِيرِينَ عَنِ اللَّعْبِ بِالشُّطْرَنْجِ فَقَالَ: لَا بَأْسَ بِهِ هُوَ رَفُوقٌ.

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ مَعْتَمِرٍ قَالَ: قَالَ أَبِي: تَرَوْنَ أَنَّ
الشُّطْرَنْجَ^(١) وَضَعْتُ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ؟

قَالَ: وَحَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ عَنْ أَبْنَ أَبِي زَائِدَةَ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ
قَالَ: كَانَ قَيْسُ بْنُ أَبِي حَازِمٍ فِي مَدْعَاةٍ فَقَالَ لِصَاحِبِ الْمَنْزِلِ: طَيَّرَ.

(١) لَا يَصِحُّ تَأْنِيثُ الشُّطْرَنْجِ، وَقَدْ يَكُونُ أَنْتَهَا هُنَا عَلَى تَأْوِيلِهِ بِأَلَّةِ لَعْبِ الشُّطْرَنْجِ.

حَدَّثَنِي شَبَابَةُ قَالَ: حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ الْحَكَمِ الْعُرَنِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي سُلَيْمٌ مَوْلَى الشَّعْبِيِّ أَنَّ الشَّعْبِيَّ كَانَ إِذَا اخْتَضَبَ غَرَضَ^(١) لَاعِبٌ أَبْتَهَ بِالنَّرْدِ حَتَّى يَعْلَقَ الْخَضَابُ.

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْهِ قَالَ: أَخْبَرَنَا النَّضْرُ بْنُ شَمِيلٍ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَبْدِ رَبِّهِ قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيْبِ وَسُئِلَ عَنِ اللَّعِبِ بِالنَّرْدِ فَقَالَ: إِذَا لَمْ يَكُنْ قِمَارًا فَلَا يَأْسُ.

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْهِ قَالَ: أَخْبَرَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى عَنْ رِشْدَيْنَ بْنِ كُرَيْبٍ قَالَ: رَأَيْتُ عِكْرِمَةَ أَقِيمَ قَائِمًا عَلَى اللَّعِبِ بِالنَّرْدِ. قَالَ إِسْحَاقُ: إِنْ كَانَ لَعِبُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْنَى الْقِمَارِ يَرِيدُ بِهِ التَّعْلِيمَ وَالْمَكَايِدَةَ فَهُوَ مَكْرُوهٌ، وَلَا يَبْلُغُ ذَلِكَ إِسْقَاطُ شَهَادَتِهِ.

وَرَوَى عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَمِيرٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَلْعَبُ مَعَ أَبِي بَأْرَبَعَةَ عَشَرَ عَلَى ظَهْرِ الْمَسْجِدِ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ عَاصِمٍ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الشَّيْبَانِيِّ عَنْ خَوَاتِ التَّمِيمِيِّ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ قَالَ: أَتَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّ لِي جَارًا يُرِييُ وَمَا يَتَوَرَّعُ مِنْ شَيْءٍ أَصَابَهُ، وَإِنِّي أُعْسِرُ فَاَسْتَسْلِفُهُ، وَيَدْعُونِي فَأَجِيبُهُ، فَقَالَ: كُلُّ فَلَكٍ مَهْنُوهُ وَعَلَيْهِ وَزُرُّهُ.

كَانَ أَبُو فَضَالَةَ أَسَنَ وَشَقَّتْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ، فَكَانَ يَقُولُ: مُشَقِّقَةٌ مُنْصِبَةٌ، مُقِيمَةٌ مُقْعِدَةٌ، لَا تَزَالُ بِصَاحِبِهَا حَتَّى يَضَعَ أَكْرَمَهُ وَيَرْفَعَ أَفْحَشَهُ.

(١) غَرَضُ الرَّجُلِ ابْتَهَ بِالنَّرْدِ: شَدَّهَا لِلْعِبِّ بِالنَّرْدِ، أَيْ أَثَارَهَا لِلْعِبِّ وَإِيَاهُ بِالنَّرْدِ. وَالنَّرْدُ لَعِبٌ، وَهِيَ فَارْسِيَّةٌ مَعْرَبَةٌ. وَيُقَالُ: غَرَضُ النَّاقَةِ: شَدَّهَا بِالْغُرْضَةِ، وَالْغُرْضَةُ لِلرَّحْلِ كَالْحِزَامِ لِلسَّرَجِ.

قال عبد الله بن القَعْقَاع^(١) الأسدي :

[طويل]

أتانا بها صفراء يزعم أنها زَيِّبٌ، فصَدَّقْنَاهُ وهو كَذُوبٌ
فهل هي إلا ليلة غاب نحسها أصلي لربي بعدها وأتوب؟

وقال آخر :

[بسيط]

مَنْ ذا يُحرِّمُ ماءَ المُرْنِ خالطه في جوف آنية ماء العناقيد
إني لأكره تشديد الرواة لنا فيها ويُعْجِني قولُ ابن مسعود
وعيون الأخبارِ ومُتَخَيِّرُ الشعر في الشراب يقع في كتابي المؤلف في
الأشربة، ولذلك تركت ذكرها.

وكتب بعضُ الكتاب إلى صديق له في فصل : ونحن نحمد الله إليك
فإن عُقْدَةَ الإسلام في قلوبنا صحيحةٌ، وأواخيه ثابتةٌ، ولقد أجتهد قومٌ أن
يُدْخِلُوا قلوبنا من مرض قلوبهم، وأن يَلْبِسُوا يَقِيننا بِشَكِّهم، فَمَنَعْتَنَا عِصْمَةَ الله
منهم، وحال توفيقه دونهم، ولنا بعدُ مذهبٌ في الدُّعابة جميلٌ، لا يَشُوبُه أذىٌ
ولا قذىٌ، يُخْرِجُ إلى الأُنس من العُبُوس، وإلى الاسترسال من القُطُوب،
ويُلْحِقُنَا بأحرار الناس وأشرافهم الذين أرتفعوا عن لبسة الرياء والتصنع.

التوسط في الأشياء

وما يُكره من التقصير فيها والغلو.

باب التوسط في الدين

حدَّثني الزَّيَادِيُّ قال : حدَّثنا عبد العزيز الدَّرَاوَرْدِيُّ قال : حدَّثني محمد
ابن طَحْلَاء عن أبي سَلَمَةَ بن عبد الرحمن عن عائشة قالت : قال النبي ﷺ :

(١) لم أقف له على ترجمة.

«اَكْلُفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، وَإِنَّ أَفْضَلَ الْعَمَلِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ».

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْقُطَيْبِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُقَدَّمٍ عَنْ مَعْنٍ الْغِفَارِيِّ عَنِ الْمَقْبُرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرُّ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا».

حَدَّثَنِي الْقَوْمَسِيُّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ يُونُسَ عَنْ زُهَيْرٍ عَنْ قَابُوسَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الدِّينُ الْحَسَنُ وَالسَّيِّئُ الصَّالِحُ وَالْاِقْتِصَادُ جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةٍ وَعَشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوَّةِ».

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ خَالِدِ الْحَدَّاءِ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ مُسْلِمَ بْنِ يَسَارٍ أَنَّ رُفْقَةً مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ كَانُوا فِي سَفَرٍ، فَلَمَّا قَدِمُوا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَيْسَ أَحَدٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ أَفْضَلَ مِنْ فُلَانٍ، يَصُومُ النَّهَارَ، فَإِذَا نَزَلْنَا قَامَ يُصَلِّي حَتَّى نَرْتَحِلَ، قَالَ: «مَنْ كَانَ يَمَهُنُّ لَهُ أَوْ يَكْفِيهِ أَوْ يَعْمَلُ لَهُ؟» قَالُوا: نَحْنُ، قَالَ: «كُلُّكُمْ أَفْضَلُ مِنْهُ».

وَرَوَى أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: خِيَارُكُمْ كُلُّ مَفْتَنٍ تَوَّابٍ. وَقَالَ عَلِيٌّ أَيْضاً: خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ النَّمَطُ الْأَوْسَطُ، يَرْجِعُ إِلَيْهِمُ الْغَالِي وَيَلْحَقُ بِهِمُ التَّالِي.

وَرَوَى وَكِيعٌ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ عَمْرٍو بْنِ مَرْثَةَ قَالَ: قَالَ حَذِيفَةُ: خِيَارُكُمْ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ مِنْ دُنْيَاهُمْ لِآخِرَتِهِمْ، وَمَنْ آخَرْتَهُمْ لِدُنْيَاهُمْ. وَكَانَ يُقَالُ: دَيْنُ اللَّهِ بَيْنَ الْمُقَصِّرِ وَالْغَالِي. وَقَالَ الْمَطَرُفُ لَابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، الْحَسَنَةُ بَيْنَ

السيئين، يعني بين الإفراط والتقصير، وخير الأمور أوساطها، وشر السيئر الحَقِّقَةُ^(١).

وفي بعض الحديث المرفوع: ليس خيركم مَنْ تَرَكَ الدِّينَا لِلاَخِرَةِ وَلَا الْآخِرَةَ لِلدُّنْيَا وَلَكِنْ خَيْرُكُمْ مَنْ أَخَذَ مِنْ هَذِهِ وَهَذِهِ. وقال: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي بِالْحَنِيفَةِ السَّهْلَةِ، وَلَمْ يَبْعَثْنِي بِالرُّهْبَانِيَةِ الْمُبْتَدَعَةِ، سُنَّتِي الصَّلَاةُ وَالنَّوْمُ، وَالْإِفْطَارُ وَالصَّوْمُ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي». وفي الحديث: إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرَفَقٍ، فَإِنَّ الْمُنْبِتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهراً أَبْقَى.

وكان يقال: طالبُ العلم وعاملُ البرِّ كآكلِ الطعامِ إِنْ أَخَذَ مِنْهُ قُوْتاً عَصَمَهُ، وَإِنْ أَسْرَفَ فِي الْأَخْذِ مِنْهُ بَشِمَهُ^(٢)، وربما كانت فِيهِ مَيْتَتُهُ، وكأخْذِ الْأَدْوِيَةِ الَّتِي قَصَدَهَا شِفَاءً، وَمَجَاوِزَةِ الْقَدْرِ فِيهَا السُّمُّ الْمَمِيتُ.

حدَّثني محمد بن عبيد قال: حَدَّثَنَا سَفِيَانُ بْنُ عِيْنَةَ عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ أَنَّ أَبْنَ أَبِي نُعْمٍ كَانَ يُهْلُ مِنَ السَّنَةِ إِلَى السَّنَةِ وَيَقُولُ فِي تَلْبِيَّتِهِ: لَيْتَكَ^(٣)، لَوْ كَانَ رِيَاءً لَأَضْمَحَلَّ.

حدَّثني أحمد بن الخليل قال: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ مَسْعُودٍ عَنْ سَفِيَانٍ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ مَيْمُونٍ: لَوْ أَدْرَكَ أَصْحَابُنَا مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي نُعْمٍ لَرَجَمُوهُ، كَانَ يُوَاصِلُ كَذَا وَكَذَا يَوْمًا وَيُهْلُ بِالْحَجِّ إِذَا رَجَعَ النَّاسُ مِنَ الْحَجِّ.

وقال سلمان: الْقَصْدُ وَالِدَوَامُ وَأَنْتَ السَّابِقُ الْجَوَادُ. وفي بعض الحديث أَنَّ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ لَقِيَ رَجُلًا فَقَالَ: مَا تَصْنَعُ؟ قَالَ: أَتَعَبَّدُ. قَالَ: مَنْ يَعُودُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: أَخِي، قَالَ: أَخُوكَ أَعْبَدُ مِنْكَ.

(١) الْحَقِّقَةُ: أَرَفَعَ السَّيْرَ وَأَتَعَبَهُ لِلظَّهْرِ.

(٢) بَشِمَهُ: سَمَّمَهُ؛ يُقَالُ: بَشِمَ الرَّجُلُ مِنَ الطَّعَامِ: أَتَخِمَ، وَيَبْشِمُ مِنَ الشَّيْءِ: سَمَّمَهُ.

(٣) لَيْتَكَ: أَيُّ أَنَا مُقِيمٌ عَلَى طَاعَتِكَ.

رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ عَنْ الْحَجَّاجِ بْنِ الْأَسْوَدِ قَالَ: مَنْ يَدُلَّنِي عَلَى رَجُلٍ بَكَّاءٍ بِاللَّيْلِ بَسَّامٍ بِالتَّهَارِ؟

وَرَوَى أَبُو أُسَامَةَ عَنْ حَمَادِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ سُيُودٍ قَالَ: قَالَ مُطَرِّفٌ: أَنْظَرُوا قَوْمًا إِذَا ذُكِرُوا بِالْقِرَاءَةِ فَلَا تَكُونُوا مِنْهُمْ، وَأَنْظَرُوا قَوْمًا إِذَا ذُكِرُوا بِالْفَجْرِ فَلَا تَكُونُوا مِنْهُمْ. كُونُوا بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ.

بابُ التَّوَسُّطِ فِي الْمَدَارَةِ وَالْحِلْمِ

قَرَأْتُ فِي كِتَابِ لِلْهِنْدِ: بَعْضُ الْمَقَارِبَةِ حَزْمٌ، وَكُلُّ الْمَقَارِبَةِ عَجْزٌ، كَالْخَشْبَةِ الْمَنْصُوبَةِ فِي الشَّمْسِ تُمَالٌ فَيَزِيدُ ظِلُّهَا، وَيُقَرِّطُ فِي الْإِمَالَةِ فَيَنْقُصُ الظِّلُّ. وَمِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ فِي هَذَا: «لَا تَكُنْ حُلُوءًا فَتُسْتَرْطَ»^(١) وَلَا مُرًّا فَتُلْفَظَ» وَأَبُو زَيْدٍ يَقُولُ: وَلَا مُرًّا فَتُعْقَى^(٢)، يُقَالُ: أَعْقَى الشَّيْءُ إِذَا أَشَدَّتْ مَرَارَتُهُ. وَقَالَ الشَّاعِرُ:

[طويل]

وَإِنِّي لَصَعْبُ الرَّأْسِ غَيْرُ جَمُوحٍ

وَقَالَ آخَرُ فِي صِفَةِ قَوْسٍ: [رجز]

فِي كَفِّهِ مُعْطِيَةٌ مَنُوعٌ

وَقَالَ آخَرُ: [رجز]

شَرِيَانَةٌ تَمْنَعُ بَعْدَ اللَّيْنِ

وَقَالَ أَبُورُؤَيْسٍ لِابْنِهِ: اجْعَلْ لِقِتَصَادِكَ السُّلْطَانَ عَلَى إِفْرَاطِكَ، فَإِنَّكَ إِذَا

(١) سَرَطُهُ وَأَسْتَرْطُهُ: ابْتَلَعَهُ.

(٢) قَالَ فِي اللِّسَانِ مَادَّةُ (عَقَا): يُقَالُ فِي الْمَثَلِ: لَا تَكُنْ مُرًّا فَتُعْقَى وَلَا جُلُوءًا فَتُزْدَرَدَ. تَعْقَى: تَشْتَدُّ مَرَارَتُكَ.

قَدَّرَتِ الْأُمُورَ عَلَى ذَلِكَ وَزَنَّتْهَا بِمِيزَانِ الْحِكْمَةِ وَقَوِّمَتْهَا تَقْوِيمَ الثَّقَافِ، وَلَمْ تَجْعَلْ لِلنَّدَامَةِ سُلْطَانًا عَلَى الْجِلْمِ.

وقال النابغة^(١) الجعدي:

[طويل]

وَلَا خَيْرَ فِي جِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا

وقال آخر:

[طويل]

وَلَا خَيْرَ فِي عَرَضِ أَمْرٍ لَا يَصُونُهُ وَلَا خَيْرَ فِي جِلْمٍ أَمْرٍ ذَلَّ جَانِبُهُ

وقال أكثم بن صيفي: الانقباضُ من الناسِ مَكْسَبَةٌ للعداوة، وإفراطُ الأُنسِ مَكْسَبَةٌ لِقُرْنَاءِ السُّوءِ.

باب التوسط في العقل والرأي

رُوي في الحديث أن زياد بن أبي سفيان كان كاتباً لأبي موسى الأشعري فعزله عمر عن ذلك، فقال له زياد: أَعَنْ عَجَزَ عَزَلْتَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمْ عَنْ خِيَانَةٍ؟ فقال: لَا عَنْ ذَاكَ وَلَا عَنْ هَذَا، وَلَكِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَحْمِلَ عَلَى الْعَامَّةِ فَضْلَ عَقْلِكَ. ويقال: إفراطُ الْعَقْلِ مُضِرٌّ بِالْجَدِّ^(٢). ومن الْأَمْثَالِ الْمَبْتَذَلَةِ: إِسْتَأْذَنَ الْعَقْلُ عَلَى الْجَدِّ فقال: إِذْهَبْ لَا حَاجَةَ بِي إِلَيْكَ. وقال

الشاعر:

[وافر]

فَعِشْ فِي جَدٍّ أَنْوَكَ حَالَفَتُهُ مَقَادِيرُ يُسَاعِدُهَا أَلْصَوَابُ

وقال آخر:

[سريع]

إِنَّ أَلْمَقَادِيرَ إِذَا سَاعَدَتْ أَلْحَقَتْ أَلْعَاجِزَ أَلْحَازِمِ^(٣)

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) الجدُّ: الحظ والسعادة والغنى.

(٣) ورد هذا البيت في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٤٣) في «باب في صحة الأيام بالموادعة»

وقال آخر:

[طويل]

أَرَى زَمَنًا نَوْكَاهُ أَسْعَدُ أَهْلِهِ وَلَكِنَّهُ يَشْقَى بِهِ كُلُّ عَاقِلٍ

وقال الحسن: تشبه زيادٌ بعمرَ وأفرط، وتشبه الحجاجُ بزيادٍ فأهلك الناسَ. وقال الحكماء: فضلُ الأدبِ في غيرِ دينٍ مَهْلِكَةٌ. وفضلُ الرأي إذا لم يُستعملْ في رضوانِ الله ومنفعةِ الناسِ قائِدٌ إلى الذنوب، والحفظُ الزاكي الواعي لغير العلم النافع مُضِرٌّ بالعمل الصالح، والعقلُ غيرُ المورَّع عن الذنوب خازنُ الشيطان.

تنازع آثنان: أحدهما سلطاني والآخر سُوقي، فضربه السلطاني فصاح: وأَعْمَرَام! وُرِفِعَ خبرُهُ إلى المأمون فأمر بإدخاله عليه، قال: مَنْ أين أنت؟ قال: من أهلِ فامية^(١)، إن عمرَ بن الخطّاب كان يقول: مَنْ كان جاره نبطياً واحتاج إلى ثمنه فليبيعه، فإن كنتَ تطلبُ سيرةَ عمرَ فهذا حكمه فيكم، وأمر له بألف درهم.

باب ذم فضل الأدب والقول

قيل لبعض الحكماء: متى يكون الأدبُ شراً من عدمه؟ قال: إذا كَبُرَ الأدبُ ونقصَ العقلُ. وكانوا يكرهون أن يزيدَ منطِقُ الرجل على عقله. ويقال: من لم يكن عقله أغلَبَ خصالِ الخير عليه كان حَتْفُهُ في أغلَبِ خصالِ الخير عليه. وقال الشاعر:

[متقارب]

رَأَيْتُ أَلْسَانَ عَلَى أَهْلِهِ إِذَا سَاسَهُ الْجَهْلُ لَيْشاً مُغِيرَاً

(١) فامية: قلعة من أعمال حلب. وقد يزداد فيها الألف فيقال: أفامية. وفيات الأعيان (ج ٣ ص

وقال سليمان بن عبد الملك: زيادةٌ منطقي على عقلٍ خُدعةٌ، وزيادةٌ عقلٍ على منطقي هُجْنَةٌ، وأجسُنُ من ذاك ما زَيْنَ بعضُه بعضاً.

قال ضرار بن عمرو لابنته حين زوّجها: أمسكي عليك أَلْفُضْلَيْنِ: فضلَ الغُلْمَةِ وفضلَ الكلامِ.

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله: رَجِمَ اللهُ أَمراً أَمْسَكَ فَضْلَ الْقَوْلِ وَقَدَّمَ فَضْلَ الْعَمَلِ.

نَزَلَ الْمُنْذِرُ بْنُ الْمُنْذِرِ فِي كَتِيبَةٍ مَوْضِعاً، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَيُّتَ^(١) أَلَلْعَنَ إِنْ ذُبِحَ رَجُلٌ هَاهُنَا، إِلَى أَيِّ مَوْضِعٍ يَبْلُغُ دَمُهُ مِنْ هَذِهِ الرَّابِيعَةِ؟ فَقَالَ الْمُنْذِرُ: الْمَذْبُوحُ وَاللَّهِ أَنْتَ، وَلَأَنْظُرَنَّ أَيْنَ يَبْلُغُ دَمُكَ، فَقَالَ رَجُلٌ^(٢) مِمَّنْ حَضَرَ: «رُبَّ كَلِمَةٍ تَقُولُ لَصَاحِبِهَا دَعْنِي».

قال زياد على المنبر: إِنْ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يَقْطَعُ بِهَا ذَنْبَ عَنَزٍ مَصُورٍ وَلَوْ بَلَغَتْ إِمَامَهُ سَفَكْتُ دَمَهُ. وقال أكتُم بن صيفي: مَقْتَلُ الرَّجُلِ بَيْنَ فَكْيِهِ. وقال الأحنف: حَتَفُ الرَّجُلِ مَخْبِوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ.

باب التوسط في الجدة

كان دعاء رسول الله ﷺ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غِنًى مُبْطِرٍ وَمِنْ فَقْرٍ مُلْبٍ أَوْ مُرِبٍّ^(٣)، وكذلك اللهم لا غِنًى يُطْغِي وَلَا فَقْرٌ يُنْسِي.

وقال أبو المعتمر السُّلَمِيُّ: النَّاسُ ثَلَاثَةٌ أَصْنَافٌ: أَغْنِيَاءُ وَفُقَرَاءُ وَأَوْسَاطُ،

(١) أَيُّتَ اللَّعْنُ: عبارة كانت العرب تُحَيِّي بها ملوكها في الجاهلية. والمعنى: أَيُّتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنْ تَأْتِي مَا تُلْعَنُ عَلَيْهِ.

(٢) الذي في مجمع الأمثال للميداني: القاتل هو المنذر نفسه.

(٣) من اللَّبِّ بالمكان وأرْبَ به؛ أقام به ولزمه.

فالفقراء موتى إلا مَنْ أغناه الله بعزّ القناعة، والأغنياء سُكَّارَى إلا مَنْ عصمه الله بتوقُّعِ الْغَيْرِ، وأكثرُ الْخَيْرِ مع أكثرِ الأوساط وأكثرُ الشَّرِّ مع الْفُقَرَاءِ وَالْأَغْنِيَاءِ لِسَخْفِ الْفَقْرِ وَبَطَرِ الْغِنَى. ومن أمثال الْعَرَبِ في هذا: «بَيْنَ الْمُمِخَّةِ^(١) وَالْعَجْفَاءِ».

باب الإقتصاد في الإنفاق والإعطاء

قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾^(٢)، وقال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(٣).

حدّثني أحمد بن الخليل عن مسلم بن إبراهيم عن سُكَيْنِ بن عبد العزيز عن إبراهيم بن مسلم عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: مَا عَالَ^(٤) مُقْتَصِدٌ.

وحدّثني أيضاً عن مسلم قال: حدّثنا أَبُو قُدَامَةَ الْحَارِثُ بن عبيد قال: حدّثنا بُرْدُ بن سِنَان عن الزُّهري قال: قال أَبُو الدَّرْدَاءِ: حُسْنُ التَّقْدِيرِ فِي الْمَعِيشَةِ أَفْضَلُ مِنْ نِصْفِ الْكَسْبِ، وَلَقَطَ حَبًّا مَنُورًا وَقَالَ: إِنَّ فَهْمَ الرَّجُلِ رَفْقَهُ فِي مَعِيشَتِهِ.

قال أَبُو الْأَسود لولده: لَا تُجَاوِدُوا اللَّهَ فَإِنَّهُ أَجودٌ وَأَمجدٌ، وإنه لو شاء أن

(١) الْمُمِخَّةُ: الدابة والشاة والناقة التي سَبِنَتْ. والعجفاء: الهزيلة. ومعنى المثل: وسط بين الغنى والفقير.

(٢) سورة الإسراء ١٧، آية ٢٩. والمعنى: لا تسرف ولا تقتّر. التفسير المبين.

(٣) سورة الفرقان ٢٥، آية ٦٧. والمعنى: لا تقتير ولا تبذير في الإنفاق بل قوام واعتدال. نفس المصدر.

(٤) عال الرجل يَعِيلُ: افتقر.

يُوسِّعَ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ حَتَّى لَا يَكُونَ مَحْتَاجٌ لِفَعْلٍ، فَلَا تُجْهِدُوا أَنْفُسَكُمْ فِي التَّوَسُّعِ فَتَهْلِكُوا هُزْلًا.

قيل لمحمد بن عمران قاضي المدينة - وهو من ولد طلحة بن عبيد الله - : إِنَّكَ تُنْسَبُ إِلَى الْبَخْلِ، فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَحْمَدُ فِي الْحَقِّ وَلَا أَذُوبُ فِي الْبَاطِلِ . وَكَانَ يَقَالُ : لَا تَصُنْ كَثِيرًا عَنْ حَقٍّ وَلَا تُنْفِقْ قَلِيلًا فِي بَاطِلٍ . وَمِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ فِي ذَلِكَ « لَا وَكَسَ وَلَا شَطَطَ »^(١) و « إِذَا جَدَّ السُّؤَالُ جَدَّ الْمَنْعُ » .
وقال الشاعر :

[طويل]

إِلَّا أَكُنْ كُلَّ الْجَوَادِ فَإِنِّي عَلَى الْزَادِ فِي الظُّلْمَاءِ غَيْرُ لَثِيمٍ
وَالْأَكُنْ كُلَّ الشَّجَاعِ فَإِنِّي أَرُدُّ سِنَانَ الرَّمْحِ غَيْرُ سَلِيمٍ
وَقَدْ عَلِمْتُ غُلْيَا هَوَازَنَ أَنِّي فَتَاهَا وَسُفْلَى عَامِرٍ وَتَمِيمٍ
قال معاوية : مَا رَأَيْتُ سَرَفًا^(٢) قَطُّ إِلَّا إِلَى جَانِبِهِ حَقٌّ مُضِيعٌ .

أفعال من أفعال السادة والأشراف

حَدَّثَنِي الرِّيَاشِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرٍاءُ قَاضِي الْمَدِينَةِ أَنَّ طَلْحَةَ كَانَ يَقَالُ لَهُ : طَلْحَةُ الْخَيْرِ، وَطَلْحَةُ الْفَيَاضِ، وَطَلْحَةُ الطَّلْحَاتِ وَأَنَّهُ فَدَى عَشْرَةَ مِنْ أُسَارَى بَدْرٍ وَجَاءَ يَمْشِي بَيْنَهُمْ، وَأَنَّهُ سُئِلَ بِرَجْمٍ فَقَالَ : مَا سُئِلْتُ بِهَذِهِ الرِّجْمِ قَبْلَ الْيَوْمِ، وَقَدْ بَعْتُ حَائِطًا لِي بِتِسْعِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَأَنَا فِيهِ بِالْخِيَارِ، فَإِنْ شِئْتَ ارْتَجَعْتُهُ وَأَعْطَيْتُكَه، وَإِنْ شِئْتَ أَعْطَيْتُكَ ثَمَنَهُ .

(١) لَا وَكَسَ وَلَا شَطَطَ : أَي لَا نَقْصَانٍ وَلَا زِيَادَةَ .

(٢) السَّرَفُ : الشُّرْفُ وَالْقَدْرُ الْكَبِيرُ .

حدَّثني سهل بن محمد عن الأصمعيّ قال: أخبرني شيخ من مَشِيخَتِنَا - وربما قال: هارون الأعور - أن قتيبة بن مسلم قال: أرسلني أبي إلى ضَرَارِ بْنِ الْقَعْقَاعِ بْنِ مَعْبُدِ بْنِ زُرَّارَةَ فقال: قل له قد كان في قومك دماء وجراح، وقد أحبوا أن تحضر المسجد فيمن يحضر، قال: فأتيته فأبلغته فقال يا جارية: غَدِينِي، فجاءت بأرغفة أحسن فَرَدَّتْهُنَّ فِي مَرِيْسٍ^(١) ثم بَرَقَتْهُنَّ^(٢) فأكل. قال قتيبة: فجعل شأنه يصغر في عيني ونفسي، ثم مسح يده وقال: الحمد لله، حِنَظَةُ الْأَهْوَازِ وَتَمْرُ الْفَرَاتِ وَزَيْتُ الشَّامِ، ثم أخذ نَعْلَيْهِ وَآرَتَدَى، ثم انطلق معي وأتى المسجد الجامع فصلّى ركعتين ثم احتبى، فما رآته حَلَقَةً إِلَّا تَقَوَّضَتْ إِلَيْهِ، فَاجْتَمَعَ الطَّالِبُونَ وَالْمَطْلُوبُونَ فَأَكْثَرُوا الْكَلَامَ، فقال: إلى ماذا صار أمرهم؟ قالوا: إلى كذا وكذا من إبل، قال: هي عليّ، ثم قام.

الهيثم عن ابن عباس قال: كان معد يكرِب بن أبرهة جالساً مع عبد العزيز بن مرون على سريرهِ فَأَتَيْ بَفْتِيَانٍ قَدْ شَرَبُوا الْخَمْرَ، فقال: يا أعداء الله، أتشربون الخمر! فقال معد يكرِب: أُنْشِدُكَ اللَّهَ أَنْ لَا تَفْضَحَ هَؤُلَاءِ، فقال: إِنَّ الْحَقَّ فِي هَؤُلَاءِ وَفِي غَيْرِهِمْ وَاحِدٌ، فقال معد يكرِب: يا غلام صُبَّ مِنْ شَرَابِهِمْ فِي الْقَدَحِ، فَصَبَّ لَهُ فَشَرِبَهُ وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا شَرَابُنَا فِي مَنَازِلِنَا إِلَّا هَذَا. فقال عبد العزيز: خَلَّوْا عَنْهُمْ، فَقِيلَ لَهُ حِينَ أَنْصَرَفُوا: شَرِبْتَ الْخَمْرَ! فقال: أَمَا وَاللَّهِ إِنْ اللَّهَ لَيَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَشْرَبْهَا قَطُّ فِي سِرٍّ وَلَا عِلَانِيَةً، وَلَكِنِّي كَرِهْتُ أَنْ يُفْضَحَ مِثْلُ هَؤُلَاءِ بِمَحْضَرِي.

وحدَّثني شيخ لنا قال: مدح شاعرُ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ فقال له: احْتَكَمْ، وَظَنَّ أَنَّ هَمَّتَهُ قَصِيرَةً، فقال: أَلْفَ نَاقَةٍ، فَوَجَزَ الْحَسَنُ وَلَمْ يُمَكِّنْهُ، وَكَرِهَ أَنْ

(١) الْمَرِيْسُ: تمر وزيت، أو التمر الممروس أو اللبن.

(٢) بَرَقَ الطَّعَامُ بَزَيْتٍ أَوْ تَسْمُنُ: جعل فيه منه قليلاً.

يَفْتَضِحَ وقال: يا هذا إِنَّ بلادنا ليست بلادَ إبل، ولكن ما قال أمرؤ القيس:

[وافر]

إذا ما لم يَكُنْ إبلٌ فَمِعْزَى كَأَنَّ قِرونَ جِلَّتِهَا العِصِيَّ
قد أمرتُ لك بألف شاة، فألقَ يحيى بن خاقان، فأعطاه بكلَّ شاة
ديناراً.

قال: وقدم زائر على أبي دُلَيفٍ فأمر له بألف دينار وكِسْوَةٍ ثم

قال:

[كامل]

أَعَجَلْتَنَّا فَأَتَاكَ عاجِلٌ بِرُّنَا قُلًّا ولو أمهَلْتَنَّا لم يَقْلِلْ
فَخَذِ القليلَ وَكُنْ كأنك لم تَقُلْ شيئاً، ونحن كأننا لم نفْعَلْ
وقال بعض الشعراء:

[خفيف]

ليس جُودُ الفَتِيانِ من فضل مالٍ إنما الجُودُ للمقلِّ المُوسِي

وقال دِعْبِلٌ^(١) في نحوه:

[طويل]

لئن كنتَ لا تُؤَلِّي يداً دون إمرةٍ فليست بِمُؤَلٍّ نائلاً آخرَ الدَّهرِ
فأيُّ إنسَاءٍ لم يَفِضْ عند مَلِيئِهِ! وأيُّ بَخِيلٍ لم يُنَلِّ ساعةَ الوَفْرِ!
وليس الفتى المعْطِي على اليُسْرِ وحده ولكنهُ المعْطِي على العُسْرِ واليُسْرِ

ابن الكلبي قال: أخبرني واحد من قريش قالوا: أراد عبد الله
وعبيد الله أبنا العباس أن يقتسما ميراثهما من أبيهما بمكة، فدُعِيَ القاسم
لِيُقْسَمَ، فلما مَدَّ الحبل قال له عبد الله: أَقِمِ المِطْمَرَ^(٢). فقال له عبيد الله: يا
أخي، الدارُ دراك لا يُمَدُّ واللَّهِ فيها اليومَ مِطْمَرٌ. وكان يقال: مَنْ أراد العلمَ

(١) هو دِعْبِل الخزاعي وقد تقدمت ترجمته.

(٢) المِطْمَرُ: الحبل الذي يُمَدُّ.

والسقاء والجمالَ فليأت دارَ العباس، كان عبدُ الله أعلمَ الناسِ، وعبيدُ الله أسخى الناسِ، والفضل أجملُ الناسِ.

باع عبدُ الله بنُ عتبةَ أرضاً بثمانين ألفاً، ف قيل له: لو آتخذتَ لولدك من هذا المالَ ذخراً! فقال: أنا أجعلُ هذا المالَ ذخراً لي عند الله، وأجعلُ اللهَ ذخراً لولدي، وقَسَمَ المالَ.

ويقال: إنَّ أولَ ما عُرفَ به سُودُدُ خالد بن عبد الله القسري أنه مرَّ في بعض طرق دِمَشقَ وهو غلام فأوطأ فرسه صبيّاً فوقف عليه، فلما رآه لا يتحرك أمرَ غلامه فحمله، ثم انتهى به أول مجلس مرَّ به فقال: إنَّ حَدَثَ بهذا الغلام حَدَثَ الموتِ فانا صاحبه، أو طأته فرسي ولم أعلم.

قال عديُّ بن حاتم لابن له حَدَثٍ: قُمْ بالباب فامنع مَنْ لا تعرفُ وأذنْ لمن تعرف، فقال: لا والله، لا يكونُ أولُ شيءٍ وليَّته من أمر الدنيا منع قومٍ من الطعام.

حدَّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: ضافَ بني زيادِ العبسيّين ضيفٌ، فلم يشعروا إلا وقد احتضنَ أمَّهُم من خلفها، فرفع ذلك إلى ربيع بن زياد الكامل فقال: لا يُضارَّ الليلةَ عائذُ أمي، أنه عاذَ بحَقْوَيها^(١).

المدائنيّ قال: أحدثَ رجلٌ في الصلاة خلفَ عمرَ بن الخطاب، فلما سلَّم عمرُ قال: أعزِمُ على صاحبِ الضرطة إلا قام فتوضأ وصلى، فلم يَقْم أحدٌ، فقال جرير بن عبد الله: يا أمير المؤمنين، إعزم على نفسك وعلينا أن نتوضأ ثم نعيد الصلاة، فأما نحن فتصيرُ لنا نافلةً، وأما صاحبنا فيَقْضي

(١) بِحَقْوَيها: بكسحها.

صَلَاتِهِ، فقال عمرُ: رحمك الله، إِنْ كُنْتَ لشريفاً في الجاهلية فقيهاً في الإسلام.

كان عبدُ الله بنُ جُدعانَ التيميَّ حينَ كَبُرَ أخذُ بنو تيمٍ عليه ومنعوه أن يُعْطِيَ شيئاً من ماله، فكان الرجل إذا أتاه يطلب منه قال: أَدْنِ مِنِّي، فإذا دنا منه لَطَمَهُ ثم قال: إذهب فأطلبْ بِلَطْمَتِكَ أو تُرَضِّى، فترضيه بنو تيمٍ من ماله. وفيه يقول ابنُ قيس^(١) الرُّقِيَّاتُ:

والسذي إِنْ أَشَارَ نَحْوُكَ لَطْمًا تَبِعَ اللَّطْمَ نَائِلٌ وَعِطَاءٌ
وَأَبْنُ جُدْعَانَ^(٢) هُوَ الْقَائِلُ: [بسيط]

إِنِّي وَإِنْ لَمْ يَنْلُ مَالِي مَدَى خُلُقِي وَهَابُ مَا مَلَكَتْ كَفِّي مِنَ الْمَالِ
لَا أَحْسِسُ الْمَالَ إِلَّا رَيْثَ أُتْلِفُهُ وَلَا تُغَيِّرُنِي حَالٌ عَنِ الْحَالِ

الهيثم عن حماد الراوية عن مشايخ طيء قالوا: كانت عتبه^(٣) بنتُ عفيفٍ أُمَ حاتمٍ لا تُتْلِقُ^(٤) شيئاً سِخَاءً وَجوداً، فمنعها إخوتُها من ذلك فأبَتْ، وكانت مُوسِرةً فحبسوها في بيت سَنَّةٍ يُطْعَمُونَهَا قُوَّتُهَا رَجَاءً أَنْ تَكْفَ، ثم أخرجوها بعد سنة وظنوا أنها قد أقصرت ودفعوا إليها صِرْمَةً^(٥)، فأنتها امرأة من هَوَازَنٍ فسألتها فأعطتها الصِّرْمَةَ وقالت: وآله لقد مَسَّنِي مِنَ الْجُوعِ مَا أَلَيْتُ مَعَهُ إِلَّا أَمْنَعُ سَائِلًا شيئاً. وقالت:

(١) سبقت ترجمته.

(٢) ابنُ جُدْعَانَ هو علب بن زيد بن عبد الله بن جُدْعَانَ، القرشي التيمي الضريير. من حفاظ الحديث الأئمة. الأعلام ج ٤ ص ٢٨٩.

(٣) ورد في الأغاني (ج ١٦ ص ٩٧ ط. بولاق): «عتبة». بالناء وفي مجمع الأمثال للميداني: «غنية».

(٤) لا تُتْلِقُ: لا تُمَسِّك.

(٥) الصِّرْمَةُ: القطعة من الإبل وأختلف في عددها من العشرة إلى الخمسين.

[طويل]

لَعْمَرِي لَقَدْ مَأَّ عَضَّنِي الْجَوْعُ عَضَّةً فَالَيْتُ أَلَّا أَمْنَعَ الدَّهْرَ جَائِعًا
 فقولاً لِهَذَا أَلَلَّيْمِي أَلَانَ أَعْنِي فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَعَضَّ الْأَصَابِعَا
 فماذا عسائكم أن تقولوا لأختكم سوى عَذْلِكُمْ أَوْ عَذْل مَنْ كَانَ مَانِعَا
 ولا ما ترون الدهر إلا طيبةً فكيف بتركي يا ابن أم الطبايع^(١)

ابن الكلبي عن أبيه عن رجال طيء قالوا: كان حاتم جواداً شاعراً، وكان حيثما نزل عُرف منزله، وكان ظفراً إذا قاتل غلب، وإذا غنم أنهب، وإذا سُئل وهب، وإذا ضرب بالقداح سبق، وإذا أسر أطلق، وكان أقسم بالله: لا يقتل واحداً أمه.

أبو أليقظان قال: أخذ عبيد الله بن زياد عروة^(٢) بن أديّة أخا أبي بلال فقطع يديه ورجليه وصلبه على باب داره، فقال لأهله: أنظروا هؤلاء الموكلين بي فأحسِنوا إليهم فإنهم أضيافكم.

سفيان بن عيينة قال: كان سعيد بن العاص إذا أتاه سائل فلم يك عنده ما سأل قال: أكتب عليّ بمسألتك سجلاً إلى أيام يسري.

باع أعرابي ناقه له من مالك بن أسماء، فلما صار الثمن في يده نظر إليها فذرفت عيناه، ثم قال:

[طويل]

وقد تنزع الحاجات يا أم معمر كرائم من رب بهنّ ضنين
 فقال له مالك: خذ ناقتك وقد سوّغت الثمن. اشترى عبيد الله بن أبي

(١) أقوى الشاعر هنا لأن الأصل في القول: «يا ابن أم الطبايع».

(٢) عروة بن أديّة هو الذي قتله عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان فيمن قتل من الخوارج سنة

٥٨ هـ. وهو عروة بن حدير التميمي، وأديّة أمه. الأعلام ج ٤ ص ٢٢٦.

بَكْرَةَ جَارِيَةٍ نَفِيسَةٍ فَطَلَبَتْ دَابَّةً تَحْمِلُ عَلَيْهَا فَلَمْ تَوْجَدْ، فَجَاءَ رَجُلٌ بِدَابَّةٍ فَحَمَلَهَا، فَقَالَ لَهُ عَبِيدُ اللَّهِ: إِذْهَبِ بِالْجَارِيَةِ إِلَى مَنْزِلِكَ. بَاعَ ثَابِتُ بْنُ عَبِيدِ اللَّهِ ابْنَ أَبِي بَكْرَةَ دَارَ الصَّفَاقِ^(١) مِنْ مُقَاتِلِ بْنِ مِسْمَعٍ نَسِيتُهُ ثُمَّ آقَضَاهُ فَلَزَمَهُ فِي دَارِ أَبِيهِ، فَرَأَاهُ عَبِيدُ اللَّهِ فَقَالَ: مَا لَكَ؟ قَالَ: حَبْسَنِي أَبْنُكَ. قَالَ: بِمَ؟ قَالَ: بِشِمْنِ دَارِ الصَّفَاقِ، قَالَ: يَا ثَابِتُ، أَمَا وَجَدْتَ لَغُرْمَاتِكَ مَحْبِسًا إِلَّا دَارِي؟ إِدْفَعْ إِلَيْهِ صَكَّهُ وَأَعَوِّضْكَ. قِيلَ لِرَجُلٍ: مَا لَكَ تَنْزِلُ فِي الْأَطْرَافِ؟ فَقَالَ: مَنَازِلُ الْأَشْرَافِ فِي الْأَطْرَافِ يَتَنَاولُونَ مَا يُرِيدُونَ بِالْقُدْرَةِ وَيَتَنَاولُهُمْ مَنْ يُرِيدُهُم بِالْحَاجَةِ. لَمَّا كَثُرَ عَدُوِّي بَنَ حَاتِمٌ آذَاهُ بَرْدُ الْأَرْضِ وَكَانَ رَجُلًا لَحِيمًا^(٢) فَتَهَشَّتِ الْأَرْضُ فَخَذَّيْهِ فَجَمَعَ قَوْمَهُ فَقَالَ: يَا بَنِي ثَعْلٍ^(٣)، إِنِّي لَسْتُ بِخَيْرِكُمْ إِلَّا أَنْ تَرَوْا ذَلِكَ فَقَدْ كَانَ أَبِي بِمَكَانٍ لَمْ يَكُنْ بِهِ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ، بَنَى لَكُمْ الشَّرَفَ وَنَفَى عَنْكَ الْعَارَ فَأَصْبَحَ الطَّائِيُّ إِذَا فَعَلَ خَيْرًا قَالَ الْعَرَبُ: مِنْ حَيٍّ لَا يُحْمَدُونَ عَلَى الْجُودِ وَلَا يُعَذَّرُونَ عَلَى الْبَخْلِ، وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ السِّنِّ مَا تَرَوْنَ وَأَذَانِي بَرْدُ الْأَرْضِ فَأَذْنُوا لِي فِي وَطَاءٍ^(٤) فَوَاللَّهِ مَا أُرِيدُهُ فَخْرًا عَلَيْكُمْ وَلَا أَحْتَقَارًا لَكُمْ، وَسَأُخْبِرُكُمْ: مَا عَلَى مَنْ وَضَعَ طُنْفَسَةً^(٥) وَقَعِدَ حَوْلَهُ إِلَّا أَنَّ الْحَقَّ عَلَيْهِ أَنْ يَذَلَ فِي عِرْضِهِ وَيَنْخَدِعَ فِي مَالِهِ وَلَا يَحْسُدَ شَرِيفًا وَلَا يَحْقِرَ وَضِيعًا، فَقَالَ الْقَوْمُ: دَعْنَا الْيَوْمَ، ثُمَّ غَدَوْا عَلَيْهِ فَقَالُوا: يَا أَبَا طَرِيفَ ضَعِ الطَّنْفَسَةَ وَالْبِسَ التَّاجَ، فَبَلَغَ أَبْنُ دَارَةَ^(٦) الشَّاعِرَ فَاتَّاهُ

(١) الصَّفَاق: الجلد الأسفل الذي تحت الجلد الذي عليه الشعر أو جلد البطن كله.

(٢) الرجل اللحيم: كثير لحم الجسد.

(٣) هو ثَعْلُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْغَوْثِ بْنِ طِيٍّ. جمهرة انساب العرب ص ٤٠٠ - ٤٠٢، ٤٧٦.

(٤) الوطاء: بكسر الواو وفتحها: خلاف الغطاء.

(٥) الطَّنْفَسَةُ: الثوب والبساط والحصير من سَعَفٍ عرضه ذراع، معرَّبٌ تنبسةً بالفارسية. والجمع طَنَافِسُ.

(٦) ابن دارة هو سالم بن مسافع الغطفاني، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام. ينسب إلى

أمه «دارة» وهي من بني أسد. توفي نحو ٣٠ هـ. الأعلام ج ٣ ص ٧٣.

وقال: قد مدحتك، فقال: أَمِسْكَ عَلَيْكَ حَتَّى أَتَيْتَكَ بِمَالِي فَتَمْدَحْنِي عَلَى حَسَبِهِ، لِي أَلْفُ ضَائِنَةٍ^(١) وَأَلْفَا دِرْهَمٍ وَثَلَاثَةُ أَعْبُدٍ، وَفَرَسِي هَذَا حَبِيسٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، هَاتِ الْآنَ فَقَالَ:

[طويل]

تَحِنْ قَلُوصِي^(٢) فِي مَعَدٍّ وَإِنَّمَا
وَأَبْقَى اللَّيَالِي مِنْ عِدِّيْ بْنِ حَاتِمٍ
أَبُوكَ جَوَادٌ مَا يُشَقُّ غُبَارُهُ
فَإِنْ تَفْعَلُوا شَرًّا فَمِثْلُكُمْ أَتَقَى
تُلَاقِي الرِّبْعَ فِي دِيَارِ بَنِي نَعْلٍ
حُسَامًا كَلَوْنِ الْمِلْحِ سُلٍّ مِنَ الْجِلْلِ
وَإِنْ جَوَادٌ لَسْتُ تُعَذِّرُ بِالْعِلْلِ
وَإِنْ تَفْعَلُوا خَيْرًا فَمِثْلُكُمْوَفَعَلُ

فَقَالَ: أَمِسْكَ عَلَيْكَ، لَا يَبْلُغُ مَالِي أَكْثَرَ مِنْ هَذَا، وَشَاطِرُهُ مَا لَهُ.

جاء رجل إلى مَعْنٍ فَاسْتَحْمَلَهُ عَيْرًا فَقَالَ مَعْنٌ: يَا غَلَامُ، أَعْطِهِ عَيْرًا^(٣) وَبَغْلًا وَبِرْذَوْنًا وَفَرَسًا وَبَعِيرًا وَجَارِيَةً، وَلَوْ عَرَفْتُ مَرْكُوبًا غَيْرَ هَذَا لَأَعْطَيْتُكَهُ. وَكَانَ يَقَالُ: حَدَّثَ عَنِ الْبَحْرِ وَلَا حَرَجَ وَعَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَعَنْ مَعْنٍ وَلَا حَرَجَ. قَالَ رَجُلٌ مِنْ كَلْبٍ لِلْحَكَمِ بْنِ عَوَانَةَ وَهُوَ عَلَى السُّنْدِ: إِنَّمَا أَنْتَ عَبْدٌ، فَقَالَ الْحَكَمُ: وَاللَّهِ لَأَعْطِيَنَّكَ عَطِيَّةً لَا يُعْطِيهَا الْعَبْدُ فَأَعْطَاهُ مِائَةَ رَأْسٍ مِنَ السَّيِّ. وَقَرَأَتْ فِي بَعْضِ كُتُبِ الْعَجَمِ أَنَّ جَامَاتِ^(٤) كَسْرَى الَّتِي كَانَ يَأْكُلُ فِيهَا كَانَتْ مِنْ ذَهَبٍ، فَسَرَقَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ جَامَا وَكَسْرَى يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا رُفِعَتْ الْمَوَائِدُ أَفْتَقَدَ الطَّبَاحُ الْجَامَ فَرَجَعَ يَطْلُبُهَا، فَقَالَ لَهُ كَسْرَى: لَا تَتَعَنَّ فَقَدْ أَخَذَهَا مَنْ لَا يَرُدُّهَا وَرَأَاهُ مَنْ لَا يُقْشِي عَلَيْهِ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ الرَّجُلُ بَعْدَ ذَلِكَ وَقَدْ حَلَّى سَيْفَهُ وَمِنْطَقَتَهُ ذَهَبًا، فَقَالَ لَهُ كَسْرَى بِالْفَارْسِيَّةِ: يَا فُلَانُ، هَذَا، يَعْنِي السَّيْفُ، مِنْ

(١) الضائنة: مؤنث الضائن، وهو خلاف الماعز من الغنم.

(٢) القُلُوصُ من الإبل: الشابة أو الناقة الطويلة القوائم.

(٣) العَيْرُ: الحمار الأهلي والوحشي.

(٤) الجامات: ج جام وهو إناء من فضة من كأس ومشربة ونحوهما.

ذاك قال: نعم وهذا، وأشار إلى مُنْطَقَتِهِ. قالوا: لم يكن لخالد بن برمك أخ إلا بنى له داراً على قَدَرِ كفايته ووقف على أولاد الإخوان ما يُعِيشُهُمْ أبداً ولم يكن لإخوانه ولدٌ إلا من جاريةٍ هو وهبها له.

بلغ ابنُ المقفع أن جارا له يبيعُ داراً له لِذَيْنِ ركبهِ وكان يجلس في ظلِّ داره، فقال: ما قُمْتُ إِذَا^(١) بحرمة ظلِّ داره إن باعها مُعْدماً وبِتُّ واجداً، فحمل إليه ثمنُ الدار وقال: لا تبيع. قال أبو اليقظان: باع نَهَيْكُ بن مالك بن معاوية إبله وأنطلق بثمانها إلى مَنَى فجعل يُنْهَبُهُ، والناس يقولون: مجنونٌ، فقال: لستُ بمجنونٍ ولكني سَمَحْتُ أَنْهَبَكُمْ مالي إذا عَزَّ الفتحُ. قال: وأتى عبدُ الله بن جعفر قَهْرَمَانَهُ بحسابه فكان في أوله حبلٌ بخمسين درهماً، فقال عبدُ الله: لقد غَلَّتِ الحبالُ، فقال القَهْرَمَانُ: إنه أبرقُ، فقال عبدُ الله: إن كان أبرقَ فأنا أُجِيزُهُ، فهو الآن مثلُ مضروبٍ بالمدينة. كان أبو سفيان إذا نزل به جار قال له: يا هذا، إنك قد آخَرْتَنِي جارا فجنائيةُ يَدِكَ عليّ دونك، وإن جَنْتُ عليك يدُ فآحَتَكُمْ عليّ حُكْمُ الصبيِّ على أهله. وقال بعض الشعراء:

[طويل]

هُمُو خَلَطُونِي بِالنَّفُوسِ وَدَافَعُوا ورائي بركن ذي مَنَاكِبَ مِذْفَعٍ
وَقَالُوا تَعَلَّمْ أَنَّ مَالَكَ إِنْ يُصَبَّ يَعُدُّكَ وَإِنْ تُحْبَسَ يَرِدُّكَ وَيَشْفَعُ

وروى عبد الله بن بكر السَّهْمِي عن حاتم بن أبي صَغِيرَةَ عن حبيب بن أبي ثابت أَنَّ الحارثَ بنَ هشامٍ وعِكْرِمَةَ بنَ أَبِي جَهْلٍ وَعِيَّاشَ بنَ أَبِي ربيعةٍ خرجوا يومَ الْيَرْمُوكِ حتَّى أَتَبْتُوا، فدعا الحارثُ بنُ هشامٍ بماءٍ ليشربه، فنظر إليه عكرمة فقال: اذْفَعُهُ إِلَى عِكْرِمَةَ فنظر إليه عِيَّاشُ فقال عكرمة: اذْفَعُهُ إِلَى

(١) الإِدُّ: الأمرُ العظيم. وَقُمْتُ إِذَا: جئتُ بشيءٍ عظيم.

عِيَّاش، فما وصل إلى عِيَّاشٍ حتى مات ولا عاد إليه حتى ماتوا، فَسُمِّيَ هذا حديثَ الكرام. وهذا الحديث عندي موضوع لأن أهل السيرة يذكرون أنَّ عكرمة قُتِلَ يومَ أجنادين وعِيَّاشُ مات بمكة، والحارثُ مات بالشام في طاعون عَمَّوَسَ.

أعطى رجلُ امرأةً سألتَه مالاً عظيماً، فلاموه وقالوا: إنها لا تَعْرِفُكُ وإنما كان يرضيها اليسيرُ، فقال: إن كانت تَرْضَى باليسيرِ فَإِنِّي لا أَرْضَى إلا بالكثير. وإن كانت لا تَعْرِفُنِي فَأَنَا أَعْرِفُ نَفْسِي.

قال بعض الشعراء:

وما خَيْرُ مالٍ لا يَبْقِي الذَّمَّ رَبَّهُ ونفسِ امرئٍ في حَقِّها لا يُهَيِّئُ

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله^(١) بن جعفر:

أَرَى نَفْسِي تَتَوَقَّ إلى أمورٍ وَيَقْصُرُ دونَ مَبْلَغِهِنَّ حالي
فَنَفْسِي لا تُطَاوِعُنِي بِبُخْلِ ومالي لا يُبَلِّغُنِي فَعَالِي

وقال أيضاً:

ولا أَقُولُ نَعَمَ يَوْمًا فَاتَّبِعُهَا مَنعاً ولو ذَهَبَتْ بالمال والولدِ
ولا أَوْتِمِنتُ في سِرٍّ فَبُحْتُ به ولا مَدَدْتُ إلى غيرِ الجميلِ يَدِي

وقال كعب^(٢) بن سعد الغنوي:

وذِي نَدَبٍ دَامِي الأَظْلَ^(٣) قَسَمْتُه محافِظَةً بيني وبين زَمِيلِي

(١) عبد الله بن جعفر بن طالب من شجعان الطالبين وأجودهم وشعرائهم. طلب الخلافة في

أواخر دولة بني أمية (سنة ١٢٧ هـ) بالكوفة. توفي سنة ١٢٩ هـ. الأعلام ج ٤ ص ١٣٩.

(٢) كعب بن سعد غنوي، من بني غنِّي، شاعر جاهلي. توفي نحو ١٠ ق هـ. الأعلام ج ٥

ص ٢٢٧.

(٣) الأَظْلُ: بطن الإصبع من الإنسان ومن الإبل باطن المنسم.

وَزَادَ رَفَعْتُ الْكَفَّ عَنْهُ تَجْمُلًا لِأَوْثَرَ فِي زَادِي عَلَيَّ أَكِيلِي
وَمَا أَنَا لِلشَّيْءِ الَّذِي لَيْسَ نَافِعِي وَيَغْضَبُ مِنْهُ صَاحِبِي بِقَوْلِ
وَقَالَ زَهِيرٌ^(١):

وَأَبْيَضَ فَيَاضٍ يَدَاهُ غَمَامَةٌ عَلَى مُعْتَفِيهِ مَا تُغِبُّ^(٢) نَوَافِلُهُ^(٣)
غَدَوْتُ عَلَيْهِ غَدَوَةٌ فَوَجَدْتُهُ قَعُودًا لَدَيْهِ بِالصَّبْرِ عَوَازِلُهُ
فَأَعْرَضَنَ مِنْهُ عَنْ كَرِيمٍ مُرَرِّإٍ جُمُوعٍ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ فَاعِلُهُ
أَحْيٍ^(٤) ثِقَةٍ لَا تُذْهِبُ الْخَمْرُ مَالَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُذْهِبُ الْمَالُ نَائِلُهُ
تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلًا كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ

المدائني قال: أَضَلَّ فَيَرُورُ بْنُ حَصِينٍ سَوَطَهُ يَوْمًا، فَأَعْطَاهُ رَجُلٌ سَوَطًا
فَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ، ثُمَّ أَتَاهُ بَعْدَ حَوْلٍ فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: صَاحِبُ السَوَطِ
فَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ، ثُمَّ أَتَاهُ بَعْدَ حَوْلٍ فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: صَاحِبُ السَوَطِ،
قَالَ: أَعْطَوهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَمِائَةَ سَوَطٍ فَأَنْقَطَعَ عَنْهُ. قَالَ الشَّاعِرُ: [بسيط]

إِنِّي حَمَدْتُ بَنِي شَيْبَانَ إِذْ حَمَدْتُ نِيرَانَ قَوْمِي فَشَبَّتْ فِيهِمُ النَّارُ
وَمِنْ تَكْرُمِهِمْ فِي الْمَحَلِّ أَنَّهُمْ لَا يَحْسَبُ الْجَارُ فِيهِمْ أَنَّهُ جَارُ

وَقَالَ آخَرُ: [طويل]

نَزَلْتُ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ شَايِيًا بَعِيدًا قَصِيَّ الدَّارِ فِي زَمَنِ مَحَلِّ
فَمَا زَالَ بِي الْإِطَافُ وَأَتَقَادَهُمْ وَإِكْرَامُهُمْ حَتَّى حَسِبْتُهُمْ أَهْلِي

(١) قَالَ زَهِيرٌ هَذَا الشَّعْرُ فِي هَرَمِ بْنِ سِنَانٍ كَمَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢٩١).

(٢) مَا تُغِبُّ: مَا تَنْقَطِعُ.

(٣) فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢٩٢): «نَوَائِلُهُ».

(٤) فِي نَفْسِ الْمَصْدَرِ وَالصَّفْحَةِ: «أَخُو ثِقَةٍ».

وقال آخر:

[طويل]

إذا كان لي شيان يا أم مالك
فإن لجاري منهما ما تخيرا

وقال عمرو^(١) بن الأهتم:

[طويل]

ذريني فإن الشح يا أم هيثم
ذريني وحطي^(٢) في هواي فإني
ومستمح بعد الهدوء دعوته
فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً
أضفت فلم أفحش عليه ولم أقل
لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها

كان يقال: للعباس بن عبد المطلب ثوب لِعاري بني هاشم، وجفنة

لجاره ومقطرة^(٣) لجاهلهم. قال بكر^(٤) بن النطاح:

[طويل]

لو حذلت أمواله جود كفه
لوقاسم من يرجوه بعض حياته
ولو لم يجذ في العمر قسماً لزائر
لجاد له بالشطر من حسانيه

وقال الفرزدق^(٥):

[كامل]

إن المهالبة الكرام تحملوا
زائوا قديمهمو بحسن حديثهم
دفع المكاره عن ذوي المكروه
وكريم أخلاق بحسن وجوه

(١) عمرو بن الأهتم أحد سادات الشعراء الخطباء في الجاهلية والإسلام. لُقّب أبوه بالأهتم لأن

ثنيته هتمت يوم الكلاب. توفي سنة ٥٧ هـ. الأعلام ج ٥ ص ٧٨.

(٢) حط في هواه وانحط فيه: إندفع فيه، والمراد منه البيت مساعدته على الجود.

(٣) هذا البيت اشتهر به ابن الأهتم حتى قيل فيه: «وهو صاحب البيت المشهور» ويذكر البيت.

(٤) المقطرة: خشبة فيها خروق، كل خرق على قدر سعة الساق يُدخل فيها أرجل المحبوسين.

(٥) بكر بن النطاح الحنفي شاعر غزل من فرسان بني حنيفة، من أهل اليمامة. إنتقل إلى بغداد في زمن الرشيد. توفي سنة ١٩٢ هـ. الأعلام ج ٢ ص ٧١.

(٦) سبقت ترجمته.

كان يقال: الشَّرَفُ في السَّرَفِ. قال عامر^(١) بن الطفيل: [طويل]
 إِذَا نَزَلْتُ بِالنَّاسِ يَوْمًا مُلِمَّةٌ تَسُوقُ مِنَ الْأَيَّامِ دَاهِيَةً إِذَا^(٢)
 دَلَفْنَا لَهَا حَتَّى نَقُومَ مَيْلَهَا وَلَمْ نَهْدَ عَنْهَا بِالْأَسَنَةِ أَوْ تَهْدَا
 وَكَمْ مُظْهِرٍ بَغْضَاءَنَا وَدَّ أَنَّهُ إِذَا مَا آلتَقَيْنَا كَانَ أَخْفَى الَّذِي أَبْدَى
 مَطَاعِيمُ فِي اللَّأَوَاءِ مَطَاعِينُ فِي الْوَعَى^(٣) شِمَائِلُنَا تَنْكِي وَأَيْمَانُنَا تَنْدَى

وقال حاتم طيء:
 أَكْفُ يَدَيَّ مَنْ أَنْ تَنَالَ أَكْفَهُمْ إِذَا مَا مَدَدْنَاهَا وَحَاجَتُنَا مَعَا
 وَإِنِّي لِأَسْتَحْيِي زَفِيقِي أَنْ يَرَى مَكَانَ يَدَيَّ مِنْ جَانِبِ الزَّادِ أَقْرَعَا

وقال جابر^(٤) بن حيان:
 فَلِنْ يَفْتَسِمَ مَالِي بَنِي وَنَسَوَتِي [طويل]
 وَمَا وَجَدَ الْأَضْيَافُ فِيمَا يَنْوِيهِمْ فَلَنْ يَفْسِمُوا خُلُقِي الْكَرِيمَ وَلَا فِعْلِي
 أَهْنُنْ لَهُمْ مَالِي وَأَعْلَمْ أَنَّنِي لَهُمْ عِنْدَ عِلَالِ النَّفُوسِ أَبًا مِثْلِي
 سَأُورِثُهُ الْأَحْيَاءُ سِيرَةً مَنْ قَبْلِي
 كان سعيد بن عمرو مؤاخياً ليزيد بن المهلب، فلما حبس عمر بن عبد
 العزيز يزيد ومنع من الدخول عليه، أتاه سعيد فقال: يا أمير المؤمنين، لي

(١) عامر بن الطفيل العامري فارس قومه وأحد فتاك العرب وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية.
 أدرك الإسلام شيخاً دون أن يدخل فيه. وهو ابن عم لبيد الشاعر. توفي سنة ١١ هـ. الأعلام
 ج ٣ ص ٢٥٢.

(٢) الإْدُّ والأُدُّ: الداهية، والجمع إداد وإدَد.

(٣) أصلها «لأواء» وقد حذف الهمزة للضرورة الشعرية. والأواء: الشدة والمحنة، من فعل
 «التأى». ومطاعم: ج مطعام؛ يقال رجل مطعام: كثير الأضياف والقرى يُطعم الناس
 ويُقرّئهم كثيراً. ومطاعين: ج مطعان وهو الكثير الطعن للعدو.

(٤) جابر بن حيان الكوفي فيلسوف كيميائي، من أهل الكوفة وأصله من خراسان. انقطع إلى جعفر
 ابن يحيى البرمكي. له تصانيف كثيرة عددها ٢٣٢ كتاباً. كانت وفاته سنة ٢٠٠ هـ. الأعلام
 ج ٢ ص ١٠٣ - ١٠٤.

على يزيد خمسون ألف درهم وقد حُلَّت بيني وبينه، فإن رأيت أن تأذن لي فأقتضيه؟ فإذا له فدخل عليه فُسِّرَ به يزيدُ، وقال: كيف وصلت إلي، فأخبره، فقال يزيد: والله لا تخرج إلا وهي معك فامتنع سعيدٌ فحلف يزيدُ ليقبضَها، فقال عدي^(١) بن الرِّقاع:

[طويل]

لم أَرْ محبوباً من الناس واحداً حبا^(٢) زائراً في السجن غيرَ يزيدٍ
سعيدُ بن عمرو إذ أتاه أجازته بخمسين ألفاً عَجَلْتُ لسعيدٍ
وقال بعضُ الشعراء:

[طويل]

وإني لحالٌّ بي الحقُّ، أتقي إذا نزل الأضيافُ أن أتجهَّما
إذا لم تَذُذْ ألبانها عن لحومها حلَبْنَا لهم منها بأسيافا دما
دخل شاعر على المهديِّ فامتدحه، فأمر له بمال فلما قبضه فرقه على
مَنْ حضر وقال:

[طويل]

لَمَسْتُ بكفي كفه أبتغي الغنى وما خلْتُ أن الجودَ من كفه يُعدي
فلا أنا منه ما أفادَ ذوو الغنى أفدْتُ وأعداني فبدَّدْتُ ما عندي

أخبرني أبو الحسن علي بن هارون الهاشمي قال: أخبرني وكيع قال:
حدَّثني أبو العيَّان قال: كان بالبصرة لنا صديقٌ يهوديٌّ وكان ذا مالٍ وقد تأدَّب
وقال الشعرَ وعرفَ شيئاً من العلوم وكان له ولدٌ ذكورٌ، فلما حضرته الوفاة جمعَ
ماله وفرقه على أهل العلم والأدب ولم يترك لولده ميراثاً فعُوتِبَ على ذلك
فقال:

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) حبا: أعطى؛ يقال: حباه كذا: أعطاه بلا من.

[منسرح]

رَأَيْتُ مَالِي أَبْرُ مِنْ وَلَدِي فَالْيَوْمَ لَا نِحْلَةَ وَلَا صِدْقَةَ
 مَنْ كَانَ مِنْهُمْ لَهَا فَأَبْعَدَهُ الدُّ هـ وَمَنْ كَانَ صَالِحاً رَزَقَهُ
 وَحَدَّثَنِي الْأَخْفَشُ بِهَذَا الْخَبَرِ عَنِ الْمُبَرَّدِ عَنِ الرَّيَّاشِيِّ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

* * *

أنجز الجزء الأول ويتلوه الجزء الثاني.

فهرس

الجزء الأول من كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة

صفحة	
٣	مقدمة الكتاب
٤١	مقدمة المؤلف
	كتاب السلطان
٥٣	محل السلطان وسيرته وسياسته
٦٨	اختيار العمال
٧٣	باب صحة السلطان وآدابها وتغير السلطان وتلونه
٨٢	المشاورة والرأي
٩١	الإصابة بالظن والرأي
٩٤	إتباع الهوى
٩٦	السر وكتمانه وإعلانه
١٠١	الكتاب والكتابة
١١٤	خianat العمال
١٢٦	القضاء
١٣٦	في الشهادات
١٤٠	باب الأحكام
١٤٣	الظلم
١٤٨	قولهم في الحبس
١٥٣	الحجاب

صفحة

١٦٦	التلطف في مخاطبة السلطان وإلقاء النصيحة إليه
١٦٧	الخفوت في طاعته
١٦٧	التلطف في مدحه
١٧٣	التلطف في مسئلة العفو

كتاب الحرب

١٨٥	آداب الحرب ومكايدها
٢٠٢	الأوقات التي تختار للسفر والحرب
٢٠٣	الدعاء عند اللقاء
٢٠٤	الصبر وحض الناس يوم اللقاء عليه
٢٠٩	ذكر الحرب
٢١١	قي العدة والسلاح
٢١٦	آداب الفروسة
٢١٨	المسير في الغزو والسفر
٢٢٧	التفويض
٢٣١	في الطيرة والفأل
٢٤١	مذاهب العجم في العيافة والاستدلال بها
٢٤٢	باب في الخيل
٢٥٠	باب البغال والحمير
٢٥١	باب في الإبل
٢٥٣	أخبار الجبناء
٢٦٥	باب من أخبار الشجعاء والفرسان وأشعارهم
٢٩١	باب الحيل في الحروب وغيرها
٣٠٢	باب من أخبار الدولة والمنصور والطالبيين
٣١٣	ذكر الأمصار

كتاب السؤدد

٣٢٥	مخايل السؤدد وأسبابه ومخايل السوء
-----	-----------------------------------

صفحة

٣٣٠ الكمال والتناهى في السؤدد
٣٣٢ السيادة والكمال في الحداثة
٣٣٤ الهمة والخِطَارُ بالنفس
٣٤٤ الشرف والسؤدد بالمال وذم الفقر والحض على الكسب
٣٥٣ ذم الغنى ومدح الفقر
٣٥٨ التجارة والبيع والشراء
٣٦٢ الدين
٣٦٧ اختلاف الهمم والشهوات والأمانى
٣٧٥ التواضع
٣٨١ باب الكبر والعجب
٣٨٨ باب مدح الرجل نفسه وغيره
٣٨٩ قول الممدوح عند المدحة
٣٩١ باب الحياء
٣٩٣ باب العقل
٣٩٦ باب الحلم والغضب
٤٠٧ باب العز والذل والهية
٤١١ باب المروءة
٤١٣ باب اللباس
٤٢٠ التختُّم
٤٢١ باب الطيب
٤٢٣ باب المجالس والجلساء والمحادثات
٤٢٧ باب الثقلاء
٤٣٠ باب البناء والمنازل
٤٣٤ باب المزاح والرخص فيه
	التوسط في الأشياء وما يكره من التقصير فيها والغلو (باب التوسط في الدين)
٤٤٦

صفحة

٤٤٩	باب التوسط في المداراة والحلم
٤٥٠	باب التوسط في العقل والرأي
٤٥١	باب ذم فضل الأدب والقول
٤٥٢	باب التوسط في الجدة
٤٥٣	باب الاقتصاد في الإنفاق والإعطاء
٤٥٤	أفعال من أفعال السادة والأشراف